

من كتاب من آداب للجاحظ

فاما الرقيق والغزل والنسيب والهجاء والمديح فمعدوم عند الا من دخل منهم الحضر وقرا الاشعار وسمع كـ[illegible]
صنوف الاداب مثل جرير والفرزدق والاخطل وذي الرمة فانهم لما خالطوا اهل الحضر وحضروا
الخلفا حسنت اشعارهم ٥ حدثني مسكين الهراء عن ثور بن حازم العشكري وكان من علما اهل الادب
الغور ودمشق قلت ما فعل جرير قال فوالله حفظت الف قصيدة ما منهن واحدة اقل من مائة
فقال ابو المراغة تقبلا وتدبرا فلهوا هون علي من عير براذانه قال ورايت جريرا فسالته عن الـ[illegible]
فقال قد حفظت شعر امرى القيس وعمرو بن كلثوم وزهير بن ابي سلمى ولبيد بن ربيعة والنابغة
ما ذهب علي منه بيت فقال لا ابا لك احفظ ما هو الا الموت او اتاه ٥ وحدثني المؤرخ بن عمر
سالت يونس بن زيد قال قلت للاخطل انت اشعر او جرير او الفرزدق قال رزقت من الحفظ ما لم يرزق
سمعت بقصيدة قط الا حفظتها واني لانشد القصيدة مائة قافية وانا نائم وغنيت بمعرفتها
واشتغل عن ذلك ما لنقادق فسمعت والله شيء النجيب وحلف على جودة شعري كلا
وحدثني الاصمعي عن العطر بن المسور عن ابيه قال كنت عند سعيد بن المسيب ورجل ينشده شعر عمر
فقال هذا شعر من اسده شعر جرير فقال هذا عالم ٥ وحدثني احمد بن سهل عن الوضين بن سلمة قال
حدثني من راى ابا النجم بالبصرة وهو يسال عن شعر عبيد بن الابرص ولبيد بن ربيعة ثم وقع علله في المربد
وهو ينشد ابا الازهر شعر لبيد فقال ابو الازهر فانك لا تعلم ما ابا النجم دخلت البصرة بالامس فجعلها وكـ[illegible]
منها عالما دونك لان قعل الشعر كيف شئت ٥ وكان العجاج يقول يا بني العون على يقول الشعر جودة
الحفظ ودراسة شعر لبيد بن ربيعة ٥ قال ورايت الاعشى بالبصرة ومعه راوية وهو يقول ذلوني على
حافظ لشعر عمرو بن كلثوم فوالله ما حفظه احد الا صار عالما ٥ قال وقال ذو الرمة لقد احسنت
البكا في الديار ابيات لولا اشتغالك بمي قال قد كان ذاك فاما اليوم فانا اهذ شعر زهير فوالله
ما يلحق في الشعر الا الجواد النجيب ٥ ومن لم يدخل الحضر منهم فشعره جلف جافي ٥ حـ[illegible]
عاصم بن الوفا الضبي قال انشدني عمارة بن عقيل قصيدة مدح بها المعتصم فكانت والله غـ[illegible]
فجعلت اقول هذا البيت يحتاج الى كذا وهذا البيت يحتاج الى كذا وهو يرجع فيما اقول فيقول صدقت والله
قلت قال فقلت له ارجع الى شعر جرير فانظر فيه قال فرجع ذلك العام ثم عاد في العام ومعـ[illegible]
كانها والله من شعر جرير فقال لي يا عاصم جزيت عن ابن عمك خيرا فقد والله دللته على شـ[illegible]

عن ابو حرب الهلالي قال سمعت ابا عبيدة يقول بكى على ابي عمرو
عند موته فقال لا تبكوا علي فاني لم اغنت انما فنيت
قال وكان قد بلغ تسعين سنة ٥ وهو ابو عمرو بن العلاء البصري رحمه الله

يقال فلان عداده في بني فلان اذا

تجانا قد العقبة في حاجة

ابو حيان التوحيدي شر آفات العلم وانصح نقصه يا

حكاية الفرزدق

حكى ابن ذي الرمة من مجرى فقال الحجر انشدني قصيدة على الرائي فانشده كلمة التي اولها نبت عيناك عن طلل
فقال له الا انجدك فيها فقال بلى فقال اجعل وسطها بعد الناس يعدون بيوت المجد اربعة كما
يعدون الرباب وال سعد وتيماما حنظلة الخيار ٥ وسقط وسطها المرائي لغوا كما الغيت في
فجعلها ذو الرمة في قصيدته ثم مر بعده بالفرزدق فاستنشده القصيدة فانشده اياها فلما
التي قالها جرير استعاده اياها فاعادها فقال له انت قلت هذه الابيات الثلاثة قال نعم
لقد علكها اشد لحيين منك



قال القفطي
ما سمعوا الهرجان الطائي مولى
اذا كان بعض المال ربا لاهله فاني بحمد الله مالي معبد
يطالع بن بعض
...... ادرك العلا ولا الرباء
ادري جواد امات الحر النجلي انك ... اولى
قال ابو عبيدة ...
قال كان اوس ...
استعطه النابغة ...
تميم في الجاهلية ...
اوس بن حجر اشعر من زهير
... قصيدة ٥ والاوس بن حجر
شرى الاوقة ...



قد صار في ملك العبد الفقير علي بن خلف بن [illegible] في سنة اربع وتسعين وخمسمائة لطف الله به

الرسالة الباعثة على النظر في دلائل الاعجاز للشيخ الامام شيخ الاسلام عبد القاهر عبد الرحمن رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم رب زدني علما نافعا

قال الشيخ الامام ابو بكر رحمة الله عليه الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين و صلوته على محمد سيد المرسلين وعلى آله اجمعين هذا الكلام وجيز يطلع به الناظر على اصول النحو جمله وكل ما به يكون النظم دفعه وينظر منه في مرآة تريه الاشيا المتباعدة الامكنة قد التقت له حتى رآها في مكان واحد ويرى بها مشئما قد ضم الى معرق ومغربا قد اخذ بيد مشرق وقد وصلت بآخره كلاما من اصغى اليه وتدبر تدبر ذي دين وفتوة دعاه الى النظر في الكتاب الذي وضعناه وبعثه على طلب ما دوناه والله تعالى الموفق للصواب والملهم لما يؤدي الى الرشاد بمنه وفضله قال رضي الله عنه معلوم ان ليس للنظم معنى سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض والكلم ثلث اسم وفعل وحرف وللتعليق فيما بينها طرق معلومة وهو لا يعدو ثلاثة اقسام تعليق اسم باسم وتعليق اسم بفعل وتعليق حرف بهما فالاسم يتعلق بالاسم بان يكون خبرا عنه او حالا منه او تابعا له صفة او تاكيدا او عطف بيان او بدلا او عطفا بحرف او بان يكون الاول مضافا الى الثاني او بان يكون الاول يعمل في الثاني عمل الفعل ويكون الثاني في حكم الفاعل له او المفعول وذلك في اسم الفاعل كقولنا زيد ضارب ابوه عمرا وكقوله تعالى اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها وقوله تعالى لاهية قلوبهم واسم المفعول كقولنا زيد مضروب غلمانه وكقوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس والصفة المشبهة كقولنا زيد حسن وجهه وكريم اصله و

والمصدر كقولنا عجبت من ضرب زيد عمرا وكقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وبان يكون تمييزا قد جا منتصبا عن تمام الاسم ومعنى تمام الاسم ان يكون فيه ما يمنع من الاضافة وذلك ان يكون فيه نون تثنية كقولنا قفيزان برا او نون جمع كقولنا عشرون درهما او تنوين كقولنا راقود خلا وما في السماء قدر راحة سحابا او تنوين مقدر كقولنا خمسة عشر رجلا او يكون قد اضيف الى شيء فلا يمكن اضافته مرة اخرى كقولنا لي ملؤه عسلا وكقوله تعالى ملء الارض ذهبا واما تعليق الاسم بالفعل فبان يكون فاعلا له او مفعولا فيكون مصدرا قد انتصب به كقولنا ضربت ضربا ويقال له المفعول المطلق او مفعولا به كقولك ضربت زيدا او ظرفا مفعولا فيه زمانا او مكانا كقولك خرجت يوم الجمعة ووقفت امامك او مفعولا معه كقولنا جا البرد والطيالسة ولو تركت الناقة وفصيلها لرضعها او مفعولا له كقولك جئتك اكراما لك وفعلت ذلك ارادة الخير بك وكقوله تعالى ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله او يكون منزلا من الفعل منزلة المفعول وذلك في خبر كان واخواتها والحال والتمييز المنتصب عن تمام الكلام مثل طاب زيد نفسا وحسن وجها وكرم اصلا ومثله الاسم المنتصب على الاستثنا كقولك جاني القوم الا زيدا لانه من قبيل ما ينتصب عن تمام الكلام واما تعليق الحرف بهما فعلى ثلاثة اضرب احدها ان يتوسط بين الفعل والاسم ويكون ذلك في حروف الجر التي من شانها ان تعدي الافعال الى ما لا تتعدى اليه بانفسها من الاسماء مثل انك تقول مررت فلا يصل الى نحو زيد

وعمرو وإذا قلت مررت بزيد أو على زيد وجدته قد وصل بالباء وعلى وكذلك سبيل
الواو الكائنة بمعنى مع في قولنا لو تُركت الناقة وفصيلَها لرضعها بمنزلة
الحرف المعدّي في التوسّط بين الفعل والاسم وإيصاله إليه إلا أن الفرق أنها لا
تعمل بنفسها شيئا ولكنها تعين الفعل على عمله النصب وكذلك حكم إلا في الاستثناء
فإنها عندهم بمنزلة هذه الواو الكائنة بمعنى مع في التوسط وعمل النصب في
المستثنى للفعل ولكن بوساطتها وبعون منها والضرب الثاني من تعلق الحرف
بما يتعلق به العطف وهو أن يُدخل الثاني في عمل العامل في الأول كقولنا جاءني زيد
وعمرو ورأيت زيدا وعمرا ومررت بزيد وعمرو والضرب الثالث تعلقه
بمجموع الجملة كتعلق حرف النفي والاستفهام والشرط والجزاء بما يدخل عليه وذلك
أن من شأن هذه المعاني أن تتناول ما تتناوله بتقييد وبعد أن يُسند إلى شيء معنى
ذلك أنك إذا قلت ما خرج زيد وما زيد خارج لم يكن النفي الواقع بها متناولا الخروج
على الإطلاق بل الخروج واقعا من زيد ومسندا إليه ولا يغرّنك قولنا في نحو
لا رجل في الدار إنها لنفي الجنس فإن المعنى في ذلك أنها لنفي الكينونة في الدار عن
الجنس ولو كان يتصوّر تعلّق النفي بالاسم المفرد لكان الذي قالوه في كلمة
التوحيد من أن التقدير فيها لا إله لنا أو في الوجود إلا الله فضلا من القول
وتقديرا لما لا يحتاج إليه وكذلك الحكم أبدا فإذا قلت هل خرج زيد لم تكن
قد استفهمت عن الخروج مطلقا ولكن عنه واقعا من زيد وإذا قلت إن
يأتني زيد أكرمه لم تكن جعلت الإتيان مطلقا شرطا بل الإتيان من زيد و
كذلك لم تجعل الإكرام على الإطلاق جزاء بل الإكرام واقعا منك كيف

وذلك يؤدي

وذلك يؤدي إلى أشنع ما يكون من المحال وهو أن يكون هاهنا إتيان من غير آتٍ
وإكرام من غير مُكرِم ثم يكون هذا شرطا وذاك جزاءً وتلخيص ذلك الأمر أنه لا
يكون كلام من جزء واحد وأنه لا بد من مسند ومسند إليه وكذلك السبيل
في كل حرف رأيته يدخل على جملة كإنّ وأخواتها ألا ترى أنك إذا قلت كأنّ
فإنما تقتضي مشبَّها ومشبَّها به كقولك كأن زيدا الأسد وكذلك إذا قلت لو
ولولا وجدتهما تقتضيان جملتين تكون الثانية جوابا للأولى وجملة
الأمر أنه لا يكون كلام من حرف وفعل أصلا ولا من حرف واسم إلا في
النداء نحو يا عبد الله وذلك أيضا إذا حُقّق الأمر كان كلاما بتقدير الفعل
المضمر الذي هو أعني وأريد وأدعو ويا دليل عليه وعلى قيام معناه
في النفس فهذه هي الطرق والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض و
هي كما تراها معاني النحو وأحكامه وكذلك السبيل في كل شيء كان له مدخل
في صحة تعلق الكلم بعضها ببعض لا ترى شيئا من ذلك يعدو أن يكون حكما
من أحكام النحو ومعنى من معانيه ثم إنا نرى هذه كلها موجودة في كلام
العرب ونرى العلم بها مشتركا بينهم وإذا كان ذلك كذلك فما جوابنا
لخصم يقول لنا إذا كانت هذه الأمور وهذه الوجوه من التعلق التي
هي محصول النظم موجودة على حقائقها وعلى الصحة وكما ينبغي في
منثور كلام العرب ومنظومه ورأيناهم قد استعملوها وتصرفوا
فيها وكملوا بمعرفتها وكانت حقائق لا تتبدل ولا يختلف بها الحال
إذ لا يكون للاسم بكونه خبرا للمبتدأ أو صفة لموصوف أو حالا لذي حال

او ما علا ومعفوا لا لمعارضة كلام حقيقة هي خلاف حقيقته في كلام
اخر فما هذا الذي تجدد فيها بالقران من عظيم المزية وباهر الفضل والعجيب
من الوصف حتى اعجز الخلق قاطبة وحتى قهر من البلغا والفصحا القوى
والقدر وقيد الخواطر والفكر وحتى خرست الشقاشق وعدم
نطقه الناطق وحتى لم يجر لسان ولم يبن بيان ولم تساعد امكان
ولم ينقدح لاحد منهم زند ولم يمض له حد وحتى اسال الوادي عليهم
عجزا واخذ منافذ القول عليهم اخذا ايلزمنا ان نجيب هذا الخصم
عن سؤاله ونرده عن ضلاله وان نطب لدائه ونزيل الفساد عن رايه
فان كان ذلك يلزم فينبغي لكل ذي دين وعقل ان ينظر في الكتاب الذي وضعناه
ويستقصي التامل لما اودعناه فان علم انه الطريق الى البيان والكشف
عن الحجة والبرهان تبع الحق واخذ به وان راى ان له طريقا غيره اومى
لنا اليه ودلنا عليه وهيهات ذلك وهذه ابيات في مثل ذلك

قصيدة انشاها الشيخ الامام شيخ الاسلام عبد القاهر رحمة الله عليه

اني اقول مقالا لست اخفيه ولست ارهب خصما ان بدا فيه
ما من سبيل الى اثبات معجزة في النظم الا بما اصبحت ابديه
فما لنظم كلام انت ناظمه معنى سوى حكم اعراب تزجيه
اسم يرى وهو اصل للكلام فما يتم من دونه قصد لمنشيه
واخر هو يعطيك الزيادة في ما انت تثبته او انت تنفيه
تفسير ذلك ان الاصل مبتدا يلفى له خبر من بعد يبنيه
وفاعل مسند فعل تقدمه اليه يكسبه وصفا ويعطيه
هذان اصلان لا تاتيك فائدة من منطق لم يكونا من مبانيه
وما يزيدك من بعد التمام فما سلطت فعلا عليه في تعديه
هذي قوانين تلقى من يحصلها بانسب النحو فيما من نواحيه
فلست تاتي الى باب لتعلمه الا اصطرفت بعجز عن تقصيه
هذا كذاك وان كان الذين يرو ن انه المدى دار لباغيه

اي من الكلم المنظومة

٥

ثم الذي هو قصدي ان يقال لهم بما نجيب الفتى خصما يماريه يقول ان ابن لي النظم تشبهه ولسن من منطق في ذاك يحكيه
وقد علمنا بان النظم ليس سوى حكم من النحو نمضي في توخيه لو نقب الارض باغ غير ذا له وبعثه نعلوا في ترقيه
ما عاد الا بخسر في تطلبه ولا راى غير غي في تبغيه ونحن ما حتنا الفكر ننظر في احكامه ونروي في معانيه
كانت حقائق يلقي العلم مشتركا بها وكلا تراه نافذا فيه فليس معرفة من دون معرفة في كل ما انت من باب تسميه
ترى تصرفهم في الكل مطردا يجرونه باقتدار في مجاريه فما الذي زاد في هذا الذي عرفوا حتى غدا العجز يتهمي سيل واديه
قولوا والا فاصغوا للبيان ترو كالصبح منبلجا في عين رائيه والحمد لله رب العالمين تمت الرسالة

كتاب دلائل الاعجاز بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين احمده على عظيم نعمائه وجميل بلائه واستكفيه
نوائب الزمان ونوازل الحدثان وارغب اليه في التوفيق والعصمة وابرا اليه من الحول
والقوة واساله يقينا يملا الصدر ويعمر القلب ويستولي على النفس حتى يكفها اذا نزغت
ويردها اذا تطلعت وثقة بانه عز وجل الوزر والكالئ والراعي والحافظ وان الخير والشر
بيده وان النعم كلها من عنده وان لا سلطان لاحد مع سلطانه نوجه رغباتنا اليه ونخلص
نياتنا في التوكل عليه وان يجعلنا ممن همه الصدق وبغيته الحق وغرضه الصواب
وما تصححه العقول وتقبله الالباب واعوذ به من ان ادعي العلم بشي لا اعلمه وان
اسدي قولا لا الحمه وان اكون ممن يغره الكاذب من الثناء وينخدع للمتجوز
في الاطراء وان يكون سبيلي سبيل من يعجبه ان يجادل بالباطل ويموه على السامع
ولا يبالي اذا راج عنه القول ان يكون قد خلط فيه ولم يسدد في معانيه و
استانف الرغبة اليه عز اسمه في الصلاة على خير خلقه المصطفى من بريته محمد سيد
المرسلين وعلى اصحابه الخلفاء الراشدين وعلى آله الاخيار من بعدهم اجمعين

بلائه نعمته
وابرا اليه اي ارجع الله
نزغت اي اشتاقت
الحجة يوذ كثير
واج راج ستة

وبعد فانا اذا تصفحنا الفضائل لنعرف منازلها في الشرف ونتبين مواقعها من
العظم ونعلم ايها احق بالتقدم واسبق في استيجاب التعظيم وجدنا العلم
اولاها بذلك واولها هنالك اذ لا شرف الا وهو السبيل اليه ولا خير الا وهو
الدليل عليه ولا منقبة الا وهو ذروتها وسنامها ولا مفخرة الا وبه صحتها
وتمامها ولا حسنة الا وهو مفتاحها ولا محمدة الا ومنه تتقد مصباحها هو
الوفي اذا خان كل صاحب والثقة اذا لم تتوثق بناصح لولاه لما بان الانسان من سائر
الحيوان الا بتخطيط صورته وهيئة جسمه وبنيته لا ولا وجد الى اكتساب
الفضل طريقا ولا وجد بشيء من المحاسن خليقا ذاك لانا وان كنا لا نصل الى
اكتساب فضيلة الا بالفعل وكان لا يكون فعل الا بالقدرة فانا لم نر فعلا
زان فاعله واوجب الفضل له حتى يكون عن العلم صدره وحتى يتبين ميسمه
عليه واثره ولم نر قدرة قط كسبت صاحبها مجدا وافادته حمدا دون ان يكون
العلم رائدها فيما تطلب وقائدها حيث تؤم وتذهب ويكون المصرف
لعنانها والمقلب لها في ميدانها فهي اذا مفتقرة في ان تكون فضيلة الى العلم
وعيال في استحقاق هذا الاسم عليه واذا هي خلت من العلم او ابت ان
تمتثل امره وتقتفي رسمه آلت ولا شيء اجلب للذم على صاحبها منها
ولا شين اشين من اعمالها لها فهذا في فضل العلم لا تجد عاقلا يخالفك فيه ولا
ترى احدا يدفعه او ينفيه فاما المفاضلة بين بعضه وبعض وتقديم فن منه
على فن فانك ترى الناس فيه على آراء مختلفة واهواء متعادية ترى كلا منهم
لحبه نفسه وايثاره ان يدفع النقص عنها يقدم ما يحسن من انواع العلم

علما الا الخسيس وتجاوز الزراية على الذي لم يحظ به والطعن على اهله والغض
منهم ثم تتفاوت احوالهم في ذلك فمن مغمور قد استهلكه هواه وبعد في الجور
مداه ومن مترجح متردد فيه بين الانصاف والظلم يجور تارة ويعدل اخرى
في الحكم فاما من يخلص في هذا المعنى من الحيف حتى لا يقضي الا بالعدل و
حتى يصدر في كل امره عن العقل فكالشيء الممتنع وجوده ولم يكن ذلك كذلك
الا لشرف العلم وجليل محله وان محبته مركوزة في الطباع ومركبة في النفوس
وان الغيرة عليه لازمة للجبلة وموضوعة في الفطرة وانه لا عيب اعيب
عند الجميع من عدمه ولا ضعة اوضع من الخلو عنه فلم يعاد اذا الا من
فرط المحبة ولم يسمح به الا لشدة الضن ثم انك لا ترى علما هو ارسخ اصلا و
ابسق فرعا واحلى جنى واعذب وردا واكرم نتاجا وانور سراجا من علم
البيان الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي ويصوغ الحلي ويلفظ الدر و
ينفث السحر ويقري الشهد ويريك بدائع من الزهر ويجنيك الحلو اليانع من الثمر
والذي لولا تحفيه بالعلوم وعنايته بها وتصويره اياها لبقيت كامنة
مستورة ولما استبنت لها يد الدهر صورة ولاستمر السرار باهلتها واستولى
الخفاء على جملتها الى فوائد لا يدركها الاحصاء ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء
الا انك لن ترى على ذلك نوعا من العلم قد لقي من الضيم ما لقيه ومني من الحيف
بما مني به ودخل على الناس من الغلط في معناه ما دخل عليهم فيه فقد سبقت الى
نفوسهم اعتقادات فاسدة وظنون رديه وركبهم فيه جهل عظيم و
خطأ فاحش ترى كثيرا منهم لا يرى له معنى اكثر مما يرى للاشارة بالراس

والعجز وما يجده للخط والعقد يقول الا ما هو خبر واستخبار وامر ونهي و
لكل من ذلك لفظ قد وضع له وجعل دليلا عليه وكل من عرف اوضاع لغة
من اللغات عربية كانت او فارسية وعرف المغزى من كل لفظة ثم ساعده
اللسان على النطق بها وعلى تأدية اجراسها وحروفها فهو بيّن في تلك اللغة
كامل الاداة بالغ من البيان المبلغ الذي لا مزيد عليه منتهٍ الى الغاية التي لا
مذهب بعدها يسمع الفصاحة والبلاغة والبراعة فلا يعرف لها
معنى سوى الاطناب في القول وان يكون المتكلم في ذلك جهير الصوت جاري
اللسان لا تعترضه لكنة ولا يقف به حبسة وان يستعمل اللفظ الغريب
والكلمة الوحشية فان استظهر للامر وبالغ في النظر فان لا يلحن فيرفع
في موضع النصب او يخطئ فيجيء باللفظة على غير ما هي عليه في الوضع اللغوي
وعلى خلاف ما ثبتت به الرواية عن العرب وجملة الامر انه لا يرى النقص
يدخل على صاحبه في ذلك الا من جهة نقصه في علم اللغة لا يعلم ان ههنا
دقائق واسرارا طريق العلم بها الروية والفكر ولطائف مستقاها
العقل وخصائص معانٍ ينفرد بها قوم قد هدوا اليها ودلوا عليها وكشف
لهم عنها ورفع الحجب بينهم وبينها وانها السبب في ان عرضت المزية
في الكلام ووجب ان يفضل بعضه بعضا وان يبعد الشأو والمدى في ذلك
ويمتد الغاية ويعلو المرتقى ويعز المطلب حتى ينتهي الامر الى الاعجاز والى
ان يخرج من طوق البشر ولما لم تعرف هذه الطائفة هذه الدقائق وهذه
الخواص واللطائف لم تتعرض لها ولم تطلبها ثم عنّ لها بسوء الاتفاق رأي

والعالم عارضي ما يكلم عجز واحد منا عن ان يجاوز العرب مع علمنا المفردات المبتذلة فيما بينهم والاوضاع

صار حجازا بينها وبين العلم بها وسدا دون ان تصل اليها وهو ان ساء اعتقادها في
الشعر الذي هو معدنها وعليه المعول فيها وفي علم الاعراب الذي هو لها
كالناسب الذي ينميها الى اصولها ويبين فاضلها من مفضولها فجعلت تظهر
الزهد في كل واحد من النوعين وتطرح كلا من الصنفين وترى التشاغل عنهما
اولى من الاشتغال بهما والاعراض عن تدبرهما اصوب من الاقبال على تعلمهما
اما الشعر فخيل اليها انه ليس فيه كثير طائل وان ليس الا ملحة او فكاهة او بكاء
منزل او وصف طلل او نعت ناقة او جمل او اسراف قول في مدح او هجاء
وانه ليس بشيء تمس الحاجة اليه في صلاح دين او دنيا واما النحو فظننته
ضربا من التكلف وبابا من التعسف وشيئا لا يستند الى اصل ولا يعتمد فيه
على عقل وان ما زاد منه على معرفة الرفع والنصب وما يتصل بذلك مما تجده
في المبادئ فهو فضل لا يجدي نفعا ولا تحصل منه على فائدة وضربوا له المثل
بالملح كما عرفت الى اشباه من هذه الظنون في القبيلين وآراء لو علموا مغبتها
وما تقود اليه لتعوذوا بالله منها ولأنفوا لانفسهم من الرضى بها ذاك لانهم
باشارهم الجهل بذلك على العلم في معنى الصاد عن سبيل الله والمبتغي اطفاء
نور الله وذلك انا اذا كنا نعلم ان الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت
وبانت وبهرت هي ان كان على حد من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر
ومنتهيا الى غاية لا يطمح اليها بالفكر وكان محالا ان يعرف كونه كذلك
الا من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب وعنوان الادب والذي
لا يشك انه كان ميدان القوم اذا تجاروا في الفصاحة والبيان وتنازعوا

فيها قصب الرهان ثم بحث عن العلل التي كان بها التباين في الفضل وزاد بعض
الشعر على بعض كان الصادّ عن ذلك صادّاً عن ان تعرف حجة الله وكان مثله
مثل من يتصدى للناس فيمنعهم عن ان يحفظوا كتاب الله ويتلوه ويقوموا
به ويقرئوه ويصنع في الجملة صنيعاً يؤدي الى ان يقل حفاظه والقائمون
به والمقرئون له ذاك لانا لم نتعبد بتلاوته وحفظه والقيام باداء
لفظه على النحو الذي انزل عليه وحراسته من ان يغيّر ويبدّل الا لتكون
الحجة به قائمة على وجه الدهر تعرف في كل زمان ويتوصل اليها في كل
اوان ويكون سبيلها سبيل سائر العلوم التي يرويها الخلف عن السلف
ويأثرها الثاني عن الاول فمن حال بيننا وبين ما له كان حفظنا اياه واجتهادنا
في ان نؤديه ونرعاه كان كمن رام ان ينسيناه جملة ويذهبه من قلوبنا دفعة
فسواء من منعك الشيء الذي تنتزع منه الشاهد والدليل ومن منعك
السبيل الى انتزاع تلك الدلالة والاطلاع على تلك الشهادة ولا فرق
بين من اعدمك الدواء الذي تستشفي به من دائك وتستبقي به حشاشة
نفسك وبين من اعدمك العلم بان فيه شفاء وان لك فيه استبقاء فان
قال منهم قائل انك قد اغفلت فيما رتبت فان لنا طريقاً الى معرفة
اعجاز القران غير ما قلت وهو علمنا بعجز العرب عن ان يأتوا بمثله
وتركهم ان يعارضوه مع تكرار التحدي عليهم وطول التقريع لهم بالعجز
عنه ولان الامر كذلك ما قامت به الحجة على العجم قيامها على العرب
واستوى الناس قاطبة فلم يخرج الجاهل بلسان العرب من ان

يكون محجوجاً بالقران قيل له خبّرنا عما اتفق عليه المسلمون من
اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بان كانت معجزته باقية على وجه الدهر
اتعرف له معنى غير ان لا يزال البرهان منه لائحاً معرضاً لكل من اراد العلم
به وطلب الوصول اليه والحجة فيه وبه ظاهرة لمن ارادها والعلم بها
ممكناً لمن التمسه فاذا كنت لا تشك في ان لا معنى لبقاء المعجزة بالقران
الا ان الوصف الذي كان له معجزاً قائم فيه ابداً وان الطريق الى العلم
به موجود والوصول اليه ممكن فانظر اي رجل تكون اذا انت زهدت
في ان تعرف حجة الله وآثرت فيها الجهل على العلم وعدم الاستبانة على
وجودها وكان التقليد فيها احبّ اليك والتعويل على علم غيرك آثر
لديك ونحّ الهوى عنك وراجع عقلك واصدق نفسك يبن لك فحش
الغلط فيما رايت وقبح الخطا في الذي توهمت وهل رايت رأياً اعجز
واختياراً اقبح ممن كره ان تعرف حجة الله تعالى من الجهة التي اذا عرفت
منها كانت انور وابهر واقوى واقهر وآثر ان لا يقوى سلطانها
على الشرك كل القوة ولا تعلو على الكفر كل العلو والله المستعان

فصل في الكلام على من زهد في رواية الشعر وحفظه وذم
الاشتغال بعلمه وتتبعه لا يخلو من كان هذا رايه من امور احدها ان يكون
رفضه له وذمه اياه من اجل ما يجده فيه من هزل وسخف وهجاء
وسب وكذب وباطل على الجملة والثاني ان يذمه لانه موزون مقفى
ويرى هذا بمجرده عيباً يقتضي الزهد فيه والتنزه عنه والثالث

ان يعلو باجواد الشعراء وانها غير جميلة في الاكثر ويقول قد ذمّوا في التنزيل
واي كان من هذه رايه له فهو في ذلك على خطاء ظاهر وغلط فاحش وعلى خلاف
ما يوجبه القياس والنظر وبالضد مما جاء به الاثر وصح به الخبر اما ان زعم ان ذمّه
له من اجل ما يجد فيه من هزل وسخف وكذب وباطل فينبغي له ان يذم الكلام
كله وان يفضل الخرس على النطق والعي على البيان فمنثور كلام الناس على
كل حال اكثر من منظومه والذي زعم انه ذم الشعر من اجله وعاداه بسببه
فيه اكثر لان الشعراء في كل عصر وزمان معدودون والعامة ومن لا يقول
الشعر من الخاصة عديد الرمل ونحن نعلم ان لو كان منثور الكلام يجمع
كما يجمع المنظوم ثم عمد عامد فجمع ما قيل من جنس الهزل والسخف نثرا
في عصر واحد لاربى على جميع ما قاله الشعراء في الازمان الكثيرة ولغمره
حتى لا يظهر فيه ثم انك لو لم ترو من هذا الباب شيئا قط ولم تحفظ الا الجد
المحض والا ما لا معاب عليك في روايته وفي المحاضرة به وفي نسخه وتدوينه
لكان لك في ذلك غنى ومندوحة ولوجدت طلبتك ونلت مرادك
وحصل لك ما نحن ندعوك اليه من علم الفصاحة فاختر لنفسك ودع
ما تكره الى ما تحب هذا وراوي الشعر حاكٍ وليس على الحاكي عيب ولا
عليه تبعة اذ هو لم يقصد بحكايته ان ينصر باطلا او يسوء مسلما
وقد حكى الله تعالى كلام الكفار فانظر الى الغرض الذي له روي الشعر ومن
اجله اريد وله دوّن تعلم انك قد زغت عن المنهج وانك مسيء في هذه
العداوة وهذه العصبية منك على الشعر وقد استشهد العلماء

لغريب القرآن

لغريب القرآن واعرابه بالابيات فيها الفحش وفيها ذكر الفعل القبيح ثم لم يعبهم
ذلك اذ كانوا لم يقصدوا اليه ولم يريدوه ولم يرووا الشعر من اجله قالوا
وكان الحسن البصري رضي الله عنه يتمثل في مواعظه وكان من اوجعها عنده شعر قال
فاليوم عندك دلّها وحديثها وغدا لغيرك كفّها والمعصم ○ وفي الحديث
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكره المرزباني في كتابه باسناده عن عبد الملك بن
عمير انه قال اتى عمر رضي الله عنه بحلل من اليمن فاتاه محمد بن جعفر بن ابي طالب ومحمد بن
ابي بكر الصديق رضي الله عنه ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ومحمد بن حاطب فدخل عليه
زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين هؤلاء المحمدون بالباب يطلبون
الكسوة فقال ائذن لهم يا غلام فدعا بحلل فاخذ زيد اجودها وقال هذا
لمحمد بن حاطب وكانت امه عنده وهو من بني لؤي فقال عمر ايهات
ايهات وتمثل بشعر عمارة بن الوليد شعر اسرّك لما صرّع القوم نشوة
خروجي منها سالما غير غارم بريئا كأني قبل لم اك منهم وليس الخداع مرتضى
في التنادم ردّها وقال ايتني بثوب فالقه على هذه الحلل وقال ادخل
يدك فخذ حلة وانت لا تراها فاعطهم قال عبد الملك فلم ار قسمة اعدل
منها وعمارة هذا عمارة بن الوليد بن المغيرة خطب امراة من قومه فقالت
لا اتزوجك او تترك الشراب فابى ثم اشتد وجده بها فحلف لها
ان لا يشرب ثم مر بخمّار عنده شَرب يشربون فدعوه فدخل عليهم
وقد انفدوا ما عندهم فنحر لهم ناقته وسقاهم ببرديه ومكث اياما
ثم خرج فاتى اهله فلما راته امراته قالت الم تحلف ان لا تشرب فقال شعر

ولسنا بشرب ام عمرو اذا انتشوا ثياب الندامى عندهم كالغنائم
ولكننا يا ام عمرو نديمنا بمنزلة الريان ليس بعايم اسرتك البشر
فاذا رأيت هزلا صار اداة في جد وكلام جرى في باطل ثم استعين به على
حق كما ترى كما انه رب شيء خسيس توصل به الى شريف بان ضرب مثلا فيه
وجعل مثالا له كما قال ابو تمام والله قد ضرب الاقل لنوره مثلا من
المشكاة والنبراس وعلى العكس فرب كلمة حق اريد بها باطل فاستحق
عليها الذم كما عرفته في خبر الخارجي مع علي رضي الله عنه ورب قول
حسن لم يحسن من قائله حين تسبب به الى قبيح كالذي حكى الجاحظ قال رجع
طاوس يوما عن مجلس محمد بن يوسف وهو يومئذ والي اليمن فقال ما ظننت ان قول
سبحان الله يكون معصية لله حتى كان اليوم سمعت رجلا ابلغ ابن يوسف عن رجل كلاما
فقال رجل من اهل المجلس سبحان الله كالمستعظم لذلك الكلام ليغضب ابن يوسف
فبهذا ونحوه فاعتبر واجعله حكما بينك وبين الشعر وبعد فكيف وضع من الشعر
عندك وكسبه المقت منك انك وجدت فيه الباطل والكذب وبعض ما لا
يحسن ولم ترفعه في نفسك ولم توجب له المحبة من قلبك ان كان فيه الحق والصدق
والحكمة وفصل الخطاب وان كان مجنى ثمر العقول والالباب ومجتمع فرق
الاداب والذي قيد على الناس المعاني الشريفة وافادهم الفوائد الجليلة
وترسل بين الماضي والغابر ينقل مكارم الاخلاق الى الولد عن الوالد
يؤدي ودائع الشرف عن الغائب الى الشاهد حتى ترى به آثار الماضين
مخلدة في الباقين وعقول الاولين مردودة في الآخرين وترى لكل من رام

الادب وابتغى الشرف وطلب محاسن القول والفعل منارا مرفوعا
وعلما منصوبا وهاديا مرشدا ومعلما مسددا وتجد فيه للناني عن طلب
المآثر والزاهد في اكتساب المحامد داعيا ومحرضا وباعثا ومحضضا
ومذكرا ومعرفا وواعظا ومثقفا ولو كنت ممن ينصف كان
في بعض ذلك ما يغير هذا الرأي منك وما يحدوك على رواية الشعر وطلبه
ويمنعك ان تعيبه او تعيب به ولكنك ابيت الا ظنا سبق اليك والا بادي رأي
عن لك فاقفلت عليه قلبك وسددت عما سواه سمعك فعي الناصح
بك وعسر على الصديق والخليط تنبيهك نعم وكيف رويت لان يمتلي جوف
احدكم قيحا فيريه خير من ان يمتلي شعرا ولهجت به وتركت قوله صلى
الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما وان من البيان لسحرا وكيف نسيت امره
صلى الله عليه وسلم بقول الشعر ووعده عليه الجنة وقوله لحسان قل و
روح القدس معك وسماعه له واستنشاده اياه وعلمه صلى الله عليه به
واستحسانه له وارتياحه عند سماعه اما امره به صلى الله عليه وسلم
فمن المعلوم ضرورة وكذلك سماعه اياه فقد كان حسان وعبد الله بن رواحة
وكعب بن زهير يمدحونه ويسمع منهم ويصغي اليهم ويامرهم بالرد على
المشركين فيقولون في ذلك ويعرضون عليه وكان النبي صلى الله عليه يذكر لهم
بعض ذلك كالذي روي من انه صلى الله عليه قال لكعب ما نسي ربك وما
كان ربك نسيا شعرا قلته قال وما هو يا رسول الله قال انشده يا ابا بكر
فانشده ابو بكر رضي الله عنه شعر زعمت سخينة ان ستغلب ربها

الغلاب
هو الله

وليغلبن مغالب الغلاب   واما استنشاده اياه فكثير من ذلك الخبر
المعروف في استنشاده حين استسقى فسقي شعر قول ابي طالب
وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل يطيف به
الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل ٥ وعن الشعبي عن مسروق
عن عبد الله قال لما نظر رسول الله صلى الله عليه الى القتلى يوم بدر مصرعين قال
صلى الله عليه لابي بكر لو ان ابا طالب حي لعلم ان اسيافنا قد اخذت بالانامل
قال وذلك لقول ابي طالب شعر كذبتم وبيت الله ان جد ما ارى
لتلتبسن اسيافنا بالانامل وينهض قوم في الدروع اليهم نهوض الروايا في
طريق حلاحل ٥ ومن المحفوظ في ذلك حديث محمد بن مسلمة الانصاري جمعه
وابن ابي حدرد في الطريق قال فتذاكرنا الشكر والمعروف قال فقال محمد كنا
يوما عند النبي صلى الله عليه فقال لحسان يا ابن انشدني قصيدة من شعر
الجاهلية فان الله تعالى قد وضع عنا آثامها في شعرها وروايته فانشده
قصيدة للاعشى هجا بها علقمة بن علاثة شعر علقم ما انت الى عامر
الناقض الاوتار والواتر   فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا حسان لا تعد
تنشدني هذه القصيدة بعد مجلسك هذا فقال يا رسول الله تنهاني عن
رجل مشرك مقيم عند قيصر فقال النبي عليه السلام يا حسان اشكر الناس
للناس اشكرهم لله تعالى وان قيصر سال ابا سفين بن حرب عني فتناول
مني وفي رواية فشعث وانه سال هذا عني فاحسن القول فشكره رسول الله
على ذلك وروى من وجه آخر ان حسان قال يا رسول الله من نالتك يده وجب

مني

علينا شكره ومن المعروف في ذلك خبر عائشة رضي الله عنها انها قالت كان
رسول الله صلى الله عليه كثيرا ما يقول ابياتك فاقول شعر ارفع ضعيفك
لا يحر بك ضعفه يوما فتدركه العواقب قد نمى يجزيك او يثني عليك وان من
اثنى عليك بما فعلت فقد جزى ٥ قالت فيقول عليه السلام يقول الله
تعالى لعبد من عبيده صنع اليك عبدي معروفا فهل شكرته عليه فيقول
يا رب علمت انه منك فشكرتك عليه قال فيقول الله تعالى لم تشكرني اذ
لم تشكر من اجريته على يديه   واما علمه عليه السلام بالشعر فكما روي عن ابن
سودة انشدت عدي وتيم تبتغي من تحالف فظنت عائشة وحفصة
انها عرضت بهما وجرى بينهن كلام في هذا المعنى فاخبر النبي صلى الله عليه
وسلم فدخل عليهن وقال يا ويلكن ليس في عديكن ولا تيمكن قيل هذا انما قيل
هذا في عدي تميم وتيم تميم وتمام هذا الشعر وهو لقيس بن معدان
الكلبي وهو من بني يربوع   فحالف فلا والله يهبط تلعة من الارض الا انت
للذل عارف   الا مر اي العبد او ذكر اله عدي وتيم تبتغي من تحالف ٥
وروى الزبير بن بكار قال مر رسول الله صلى الله عليه ومعه ابو بكر
برجل يقول في بعض ازقة مكة شعر يا ايها الرجل المحول رحله هلا نزلت
بآل عبد الدار   فقال النبي عليه السلام أهكذا قال الشاعر قال لا يا رسول
الله لكنه قال يا ايها الرجل المحول رحله هلا سالت عن آل عبد مناف ٥
فقال رسول الله هكذا كنا نسمعها   واما ارتياحه صلى الله عليه للشعر
واستحسانه له فقد جاء في الخبر من وجوه من ذلك حديث النابغة الجعدي

يا ابا بكر صح

او مجدنا

قال انشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قولي شعر بلغنا السماء مجدنا
وسناءنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا فقال النبي عليه السلام اين المظهر
يا ابا ليلى فقلت الجنة يا رسول الله قال اجل ان شاء الله ثم قال انشدني
فانشدته شعر ولا خير في حلم اذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما اورد الامر اصدرا فقال صلى
الله عليه وسلم اجدت لا يفضض الله فاك قال الراوي فنظرت اليه
فكان فاه البرد المنهل ما سقطت له سن ولا انفلت ترف غروبه
ومن ذلك حديث كعب بن زهير روي ان كعبا واخاه بجيرا اخرجا الى
رسول الله صلى الله عليه حتى بلغا ابرق العزاف فقال كعب لبجير الق
هذا الرجل وانا مقيم هاهنا فانظر ما يقول وقدم بجير على رسول الله
وعرض عليه الاسلام فاسلم وبلغ ذلك كعبا فقال في ذلك شعرا فاهدر النبي
عليه السلام دمه فكتب اليه بجير يامره ان يسلم ويقبل الى النبي عليه السلام
ويقول ان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قبل منه رسول
الله واسقط ما كان قبل ذلك قال فقدم كعب وانشد النبي عليه السلام
قصيدته المعروفة شعر بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم اثرها
لم يفد مكبول وما سعاد غداة البين اذ رحلت الا اغن غضيض
الطرف مكحول تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت كانه منهل بالراح
معلول شج السقاة عليه ما بمحنية من ماء ابطح اضحى وهو مشمول
ويلمها خلة لو انها صدقت موعودها او لو ان النصح مقبول

وروي لم يفد
مكبول اي مقيد

حتى اتى على آخرها فلما بلغ مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرسول
لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول في فتية من قريش
قال قائلهم ببطن مكة لما اسلموا زولوا زالوا فما زال انكاس ولا كشف
عند اللقاء ولا ميل معازيل لا يقع الطعن الا في نحورهم وما بهم عن
حياض الموت تهليل شم العرانين ابطال لبوسهم من نسج داود في
الهيجا سرابيل اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخلق اي اسمعوا
قال وكان رسول الله صلى الله عليه يكون من اصحابه مكان المائدة من القوم
يتحلقون حلقة دون حلقة فيلتفت الى هولاء والى هولاء والاخبار فيما
نشير هذا كثيرة والاثر به مستفيض وان زعم انه ذم الشعر من حيث انه موزون
مقفى حتى كان الوزن عيب وحتى كان الكلام اذا نظم نظم الشعر اتضع في نفسه
وتغيرت حاله فقد ابعد وقال قولا لا نعرف له معنى وخالف العلماء في قولهم
انما الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح وقد روي ذلك عن النبي عليه السلام
مرفوعا وان زعم انه انما كره الوزن لانه سبب لان يغنى في الشعر ويتلهى به فانا
اذا كنا لم ندعه الى الشعر من اجل ذلك وانما دعوناه الى اللفظ الجزل والقول
الفصل والمنطق الحسن والكلام البين والى حسن التمثيل والاستعارة والى التلويح
والاشارة والى صنعة تعمد الى المعنى الخسيس فتشرفه والى الضئيل فتفخمه
والى النازل فترفعه والى الخامل فتنوه به والى العاطل فتحليه والى المشكل
فتجليه فلا متعلق له علينا بما ذكر ولا ضرر علينا فيما انكر فليقل في الوزن
ما شاء وليضعه حيث اراد فليس يعنينا امره ولا هو مرادنا من هذا الذي

وهذا منه الجواب

واحتجنا القول فيه لمتعلق إن تعلق بقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له وأراد
أن يجعله حجة في المنع من الشعر ومن حفظه وروايته وذاك أنا نعلم أنه صلى الله
عليه لم يمنع الشعر من أجل أن كان قولا فصلا وكلاما جزلا ومنطقا
حسنا وبيانا بينا كيف وذلك يقتضي أن يكون تعالى قد منعه البيان والبلاغة
وحماه الفصاحة والبراعة وجعله لا يبلغ مبلغ الشعراء في حسن العبارة
وشرف اللفظ وهذا جهل عظيم وخلاف لما عرفه العلماء وأجمعوا
عليه من أنه صلى الله عليه كان أفصح العرب وإذا بطل أن يكون المنع من أجل
هذه المعاني وكنا قد علمنا أنا ندعو إلى الشعر من أجلها ونحمده ونطلبه على
طلبها كان الاعتراض بالآية محالا والتعلق به خطلا من الرأي وانحلالا فإن قال
إذا قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له فقد كره للنبي عليه السلام الشعر
ونزهه عنه بلا شبهة وهذه الكراهة وإن كانت لا تتوجه إليه من حيث هو
كلام ومن حيث إنه بليغ بين وفصيح حسن ونحو ذلك فإنها تتوجه إلى أمر لا بد
لك من التلبس به في طلب ما ذكرت أنه مرادك من الشعر وذلك أنه لا سبيل
لك إلى أن تميز كونه كلاما عن كونه شعرا حتى إذا رويته التبست به من حيث هو كلام
ولم تلتبس به من حيث هو شعر هذا محال فإذا كان لا بد من ملابسة موضع الكراهة
فقد لزم العيب برواية الشعر وإعمال اللسان فيه قيل له هذا مثل كلام لا
يتحصل وذلك أنه لو كان الكلام إذا وزن حط ذلك من قدره وأزرى به وجلب على
المفرغ له في ذلك القالب إثما وكسبه ذما لكان من حق العيب فيه أن يكون خاصا على
واضع الشعر أو من يريده لمكان الوزن خصوصا دون من يريده لأمر خارج منه

ويطلبه له سواه فأما قولك إنك لا تستطيع أن تطلب من الشعر ما لا تكره حتى تلتبس بما
تكره فإني إذا لم أقصده من أجل ذلك المكروه ولم أرده له وأردته لأعرف به مكان بلاغة
وأجعله مثالا في براعة وأحتج به في تفسير كتاب وسنة وأنظر إلى نظمه ونظم
القرآن فأرى موضع الإعجاز وأقف على الجهة التي منها كان وأتبين الفصل والفرقان
فحق هذا التلبس أن لا يعتد علي ذنبا وأن لا أؤاخذ به إذ كان لا تكون مؤاخذة حتى
يكون عمد إلى أن تواقع المكروه وقصد إليه وقد تتبع العلماء الشعوذة والسحر
وعنوا بالوقوف على حيل المموهين ليعرفوا فرق ما بين المعجزة والحيلة
فكان ذلك منهم من أعظم البر إذ كان الغرض كريما والقصد شريفا هذا وإذا نحن
رجعنا إلى ما قدمنا من الأخبار وما صح من الآثار وجدنا الأمر على خلاف ما ظن
هذا السائل وذلك أن السبيل في منع النبي عليه السلام من الوزن وأن ينطلق لسانه
بالكلام الموزون غير ما ذهبوا إليه وذلك أنه لو كان منع تنزيه وكراهة لكان ينبغي أن
يكره له سماع الكلام موزونا وأن ينزه سمعه عنه كما نزه لسانه ولكان صلى الله
عليه لا يأمر به ولا يحث عليه وكان الشاعر لا يعان على وزن الكلام وصياغته

وزن صح

شعرا ولا يؤيد فيه بروح القدس وإذا كان هذا كذلك فينبغي أن يعلم أن ليس المنع في
ذلك منع تنزيه وكراهة بل سبيل الوزن في منعه عليه السلام إياه سبيل الخط حتى
جعل النبي عليه السلام لا يقرأ ولا يكتب في أن لم يكن المنع من أجل كراهة
كانت في الخط بل لأن تكون الحجة أبهر وأقهر والدلالة أقوى وأظهر ولتكون
ألجم للجاحد وأقمع للمعاند وأرد لطالب الشبهة وأمنع من إيقاع الريبة
وأما التعلق بأحوال الشعراء وأنهم قد ذموا في كتاب الله تعالى فما أرى عاقلا

ورضي بان يجعله حجة في ذم الشعر وتهجينه والمنع من حفظه وروايته والعلم بما فيه
من بلاغة وما يختص به من ادب وحكمة ذاك لانه يلزم على قود هذا القول ان يعيب
العلماء في استشهادهم بشعر امرئ القيس واشعار اهل الجاهلية في تفسير القران وفي
غريبه وغريب الحديث وكذلك يلزمه ان يدفع سائر ما تقدم ذكره من امر النبي عليه السلم
بالشعر واصغائه اليه واستحسانه له هذا ولو كان يسوغ ذم القول لاجل قائله
وان يحمل ذنب الشاعر على الشعر لكان ينبغي ان يخص ولا يعم وان يستثني فقد
قال عز وجل الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ولولا ان القول يجر
بعضه بعضا وان الشيء يذكر لدخوله في القسمة لكان حق هذا ونحوه ان لا يتشاغل
به وان لا يعاد ويبدا في ذكره ٥ واما زهدهم في النحو واحتقارهم له واصغارهم
امره وتهاونهم به فصنيعهم في ذلك اشنع من صنيعهم في الذي تقدم واشبه بان
يكون صدا عن كتاب الله وعن معرفة معانيه ذاك لانهم لا يجدون بدا من ان يعترفوا بالحاجة
اليه فيه اذ كان قد علم ان الالفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الاعراب هو
الذي يفتحها وان الاغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها وانه هو
المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه والمقياس الذي لا
يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع اليه لا ينكر ذلك الا من ينكر حسه والا من غالط
في الحقائق نفسه واذا كان الامر كذلك فليت شعري ما عذر من تهاون به وزهد
فيه ولم ير ان يستقيه من مصبه وياخذه من معدنه ورضي لنفسه بالنقص والكامل
لها معرض واثر الغبينة وهو يجد الى الربح سبيلا فان قالوا انا لم ناب
صحة هذا العلم ولم ننكر مكان الحاجة اليه في معرفة كتاب الله وانما انكرنا اشيا

كثرتموه بها وفضول قول تكلفتموها ومسائل عويصة تجشمتم الفكر فيها
ثم لم تحصلوا على شيء اكثر من ان تغربوا على السامعين وتعايوا بها الحاضرين
قيل لهم خبرونا عما زعمتم انه فضول قول وعويص لا يعود بطائل ما هو
فان بدأوا فذكروا مسائل التصريف الذي يضعها النحويون للرياضة ولضرب من تمكين
المقاييس في النفوس كقولهم كيف تبني من كذا كذا وكقولهم ما وزن كذا وتتبعهم
في ذلك الالفاظ الوحشية كقولهم ما وزن عزويت وما وزن اروَنان وكقولهم في
باب ما لا ينصرف لو سميت رجلا بكذا كيف يكون الحكم واشباه ذلك وقالوا
اتشكون ان ذلك لا يجدي الا كد الفكر واضاعة الوقت قلنا لهم اما هذا الجنس فلسنا
نعيبكم ان لم تنظروا فيه ولم تعنوا به وليس يهمنا امره فقولوا فيه ما شئتم وضعوه
حيث اردتم فان تركوا ذلك وتجاوزوه الى الكلام على اغراض واضع اللغة وعلى وجه
الحكمة في الاوضاع وتقرير المقاييس التي اطردت عليها وذكر العلل التي
اقتضت ان تجري على ما اجريت عليه كالقول في المعتل وفيما يلحق الحروف
الثلاثة التي هي الواو والياء والالف من التغيير بالابدال والحذف والاسكان او
ككلامنا مثلا على التثنية وجمع السلامة لم كان اعرابهما على خلاف اعراب الواحد
ولم تبع النصب فيهما الجر وفي النون انه عوض عن الحركة والتنوين في حال وعن
الحركة وحدها في حال والكلام على ما ينصرف وما لا ينصرف ولم كان منع
الصرف وبيان العلة فيه والقول على الاسباب التسعة وانها كلها ثوان
لاصول وانه اذا حصل منها اثنان في اسم او تكرر سبب صار بذلك ثانيا من
جهتين واذا صار كذلك اشبه الفعل لان الفعل ثان للاسم والاسم المقدم والاول

وكلما جرى هذا المجرى فلسنا ان نشك عنكم في هذا الضرب ايضا ونعيذكم
وننبهكم على علمٍ منا بان قد اسأتم الاختيار ومنعتم انفسكم ما فيه الحظ لكم ومنعتموها
الاطلاع على مدارج الحكمة وعلى العلوم الجمة فدعوا ذلك وانظروا في الذي
اعترفتم بصحته وبالحاجة اليه هل حصلتموه على وجهه وهل احطتم بحقائقه
وهل وفيتم كل بابٍ منه حقه واحكمتموه احكاما يؤمنكم الخطأ فيه اذا انتم
خضتم في التفسير وتعاطيتم علم التأويل ووازنتم بين بعض الاقوال وبعض
واردتم ان تعرفوا الصحيح من السقيم وعدتم في ذلك وبدأتم وزدتم ونقصتم
وهل انتم اذا عرفتم صورة المبتدأ والخبر وان اعرابهما الرفع ان تجاوزوا
ذلك الى ان تنظروا في اقسام خبره فتعلموا انه يكون مفردا وجملةً
وان المفرد ينقسم الى ما يحمل ضميرا له والى ما لا يحتمل الضمير وان الجملة على اربعة
اضرب وانه لا بد لكل جملة وقعت خبرا للمبتدأ ان يكون فيها ذكر يعود الى المبتدأ
وان هذا الذكر ربما حذف لفظا واريد معنى وان ذلك لا يكون حتى يكون في
الحال دليل عليه الى سائر ما يتصل بباب الابتداء من المسائل والفوائد الجليلة اللطيفة
التي لا بد منها واذا نظرتم في الصفة مثلا فعرفتم انها تتبع الموصوف وان
مثالها قولك جاءني رجل ظريف ومررت بزيد الظريف هل ظننتم ان وراء ذلك
علما وان هاهنا صفةً تخصيص وصفة توضيح وتبيين وان فائدة التخصيص غير
فائدة التوضيح كما ان فائدة الشياع غير فائدة الابهام وان من الصفة
صفة لا يكون فيها تخصيص ولا توضيح ولكن يؤتى بها مؤكدةً كقولهم
امس الدابر وكقوله تعالى فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وصفة يراد بها

المدح والثناء كالصفات الجارية على اسم الله تعالى جده وهل عرفتم الفرق
بين الخبر وبين كل واحد منهما وبين الحال وهل عرفتم ان هذه الثلاثة تتفق في
ان كافتها لثبوت المعنى للشيء ثم تختلف في كيفية ذلك الثبوت وهكذا ينبغي
ان تعرضوا عليهم الابواب واحدا واحدا وتسألوا عنها بابا بابا ثم يقال ليس الا احد
امرين اما ان تقتحموا التي لا يرضاها العاقل فتنكروا ان يكون بكم حاجة في كتاب الله
تعالى وفي خبر رسول الله وفي معرفة الكلام جملة الى شيء من ذلك وتزعموا انكم
اذا عرفتم مثلا ان الفاعل رفع لم يبق عليكم في باب الفاعل شيء تحتاجون الى
معرفته واذا نظرتم الى قوله والصابئون مثلا لم تحتاجوا من بعده الى شيء تعلمونه
في باب الابتداء والخبر وحتى تزعموا انكم لا تحتاجون الى ان تعرفوا وجه الرفع في
الصابئون من سورة المائدة الى ما قاله العلماء فيه والى استشهادهم فيه بقول الشاعر
والا فاعلموا انا وانتم بغاةٌ ما بقينا في شقاق وحتى كان المشكل على
الجميع غير مشكل عندكم وحتى كانكم قد اوتيتم ان تستنبطوا من المسألة الواحدة
من كل باب مسائله كلها فتخرجوا الى فن من التجاهل لا يبقى معه كلام واما
ان تعلموا انكم قد اخطأتم حين اصغرتم امر هذا العلم وظننتم ما ظننتم فيه
فترجعوا الى الحق وتسلموا الفضل لاهله وتدعوا الذي يزري بكم ويفتح
ويفتح باب العيب عليكم ويطيل لسان القادح فيكم وبالله التوفيق
هذا ولو ان هؤلاء القوم اذ تركوا هذا الشان تركوه جملة واذ زعموا ان قدر
المفتقر اليه القليل منه اقتصروا على ذلك القليل فلم يأخذوا انفسهم بالفكر
فيه وبالتصرف فيما لم يتعلموا منه ولم يخوضوا في التفسير ولم يتعاطوا التأويل

لكان البلاء اعواجلا ولكانوا اذ لم يبنوا لم يهدموا واذا لم يصلحوا لم يكونوا سببا له
للفساد ولكنهم لم يفعلوا فجلبوا من الداء ما اعيا الطبيب وحير اللبيب و
انتهى التخليط بما اتوه فيه الى حد يئس من تلافيه فلم يبق للعارف الذي يكره
الشغب الا التعجب والسكوت وما الآفة العظمى الا واحدة وهي ان يجيء
من الانسان ويجري لفظه ويمشي له ان يكثر في غير تحصيل وان يحسن البناء على غير
اساس وان يقول الشيء لم يتقنه علما ونسال الله الهداية ونرغب اليه
في العصمة ۞ ثم انا وان كنا في زمان هو على ما هو عليه من احالة الامور عن جهاتها
وتحويل الاشياء عن حالاتها ونقل النفوس عن طباعها وقلب الخلائق
المحمودة الى اضدادها ودهر ليس للفضل واهله لديه الا الشر صرفا و
الغيظ بحتا والا ما يدهش عقولهم ويسلبهم معقولهم حتى صار اعجز الناس
رايا عند الجميع من كانت له همة في ان يستفيد علما او يزداد فيه او يكسب
فضلا او يجعل له ذلك بحال شغلا فان الالف من طباع الكريم واذا كان من
حق الصديق عليك ولا سيما اذا تقادمت صحبته وصحت صداقته الا
تجفوه بان تنكبك الايام وتضجرك النوائب وتحرجك محن الدنيا فتنساه
جملة وتطويه طيا فالعلم الذي هو صديق لا يحول عن العهد ولا يدغل في الود
وصاحب لا يصح عليه النكث والغدر ولا يظن به الخيانة والمكر اولى منك بذلك
اجدر وحقه عليك اكبر ثم ان التوق الى ان تعرف الامور قرارها وتوضع
الاشياء مواضعها والنزاع الى بيان ما يشكل وحل ما ينعقد والكشف
عما يخفى وتلخيص الصفة حتى يزداد السامع ثقة بالحجة واستظهارا على

الشبهة واستبانة للدليل وتبيينا للسبيل شيء هو في سوس العقل وفي طباع
النفس اذا كانت نفسا ولم ازل منذ خدمت العلم انظر فيما قاله العلماء
في معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة وفي بيان المغزى من هذه العبارات
وتفسير المراد بها فاجد بعض ذلك كالرمز والايماء والاشارة في خفاء
وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيء ليطلب وموضع الدفين ليبحث عنه
فيخرج وكما يفتح لك الطريق الى المطلوب لتسلكه وتوضع لك القاعدة
لتبني عليها ووجدت المعول على ان هاهنا نظما وترتيبا وتاليفا وتركيبا و
صياغة وتصويرا ونسجا وتحبيرا وان سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي
مجاز فيه سبيلها في الاشياء التي هي حقيقة فيها وانه كما تفضل هناك النظم
النظم والتاليف التاليف والنسج النسج والصياغة الصياغة ثم يعظم الفضل
وتكثر المزية حتى يفوق الشيء نظيره والمجانس له درجات كثيرة وحتى
تتفاوت القيم التفاوت الشديد كذلك يفضل بعض الكلام بعضا ويتقدم
الشيء منه الشيء ثم يزداد فضله ذلك ويترقى منزلة فوق منزلة ويعلو
مرقبا بعد مرقب ويستانف له غاية بعد غاية حتى ينتهي حيث تنقطع
الاطماع وتحسر الظنون وتسقط القوى وتستوي الاقدام في العجز وهذه
جملة قد يرى في اول الامر وبادي الظن انها تكفي وتغني حتى اذا نظرنا فيها وعدنا و
بدانا وجدنا الامر على خلاف ما حسبناه وصادفنا الحال على غير ما توهمناه
وعلمنا انهم لئن اقصروا اللفظ لقد اطالوا المعنى ولئن لم يغرقوا في النزع لقد
ابعدوا على ذلك في المرمى وذلك انه يقال لنا ما زدتم على ان سقتم قياسا فقلتم

نظم ونظم وترتيب وترتيب ونسج ونسج ثم بنيتم عليه انه ينبغي ان تظهر المزية في هذه المعاني
ها هنا حسب ظهورها هناك وان يعظم الامر في ذلك كما عظم ثمه وهذا صحيح كما قلتم
ولكن بقي ان تعلمونا مكان المزية في الكلام وتصفوها لنا وتذكروها ذكرا كما ينص
على الشيء ويعين ويكشف عن وجهه ويبين ولا يكفي ان تقولوا انه خصوصية في
كيفية النظم وطريقة مخصوصة في نسق الكلم بعضها على بعض حتى تصفوا تلك
الخصوصية وتبينوها وتذكروا لها امثلة وتقولوا مثل كيت وكيت كما يذكر لك
من تستوصفه عمل الديباج المنقش ما تعلم به وجه دقة الصنعة او يعمله بين
يديك حتى ترى عيانا كيف تذهب تلك الخيوط وتجيء وماذا يذهب منه طولا وماذا
يذهب عرضا وبما يبدأ وبم يثني وبم يثلث وتبصر من الحساب الدقيق ومن
عجيب تصرف اليد ما تعلم معه مكان الحذق وموضع الاستاذية ولو
كان قول القائل لك في تفسير الفصاحة انها خصوصية في نظم الكلم وضم
بعضها الى بعض على طريقة مخصوصة او على وجوه تظهر بها الفائدة او ما اشبه
ذلك من القول المجمل كافيا في معرفتها ومغنيا في العلم بها لكفى مثله في معرفة
الصناعات كلها فكان يكفي في معرفة نسج الديباج الكثير التصاوير ان يعلم انه
ترتيب للغزل على وجه مخصوص وضم لطاقات الابريسم بعضها الى بعض
على طرق شتى وذلك ما لا يقوله عاقل وجملة الامر انك لن تعلم في شيء من
الصناعات علما تمهر فيه وتحلى حتى تكون ممن يعرف الخطا فيها من الصواب
ويفصل بين الاساءة والاحسان بل حتى يفاضل بين الاحسان والاحسان و
يعرف طبقات المحسنين واذا كان هذا هكذا علمت انه لا يكفي في علم

الفصاحة ان تنصب لها قياسا وان تصفها وصفا مجملا وتقول فيها قولا مرسلا
بل لا تكون من معرفتها في شيء حتى تفصل القول وتحصل وتضع اليد على الخصائص
التي تعرض في نظم الكلم وتعدها واحدة واحدة وتسميها شيئا شيئا وتكون
معرفتك معرفة الصنع الحاذق الذي يعلم علم كل خيط من الابريسم الذي في
الديباج وكل قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطع وكل آجرة من الآجر
التي في البناء البديع واذا نظرت الى الفصاحة هذا النظر وطلبتها هذا الطلب
احتجت الى الصبر على التامل ومواظبة على التدبر والى همة تابى لك ان تقنع
الا بالتمام وان تربع الا بعد بلوغ الغاية ومتى جشمت ذلك وابيت الا ان تكون
هنالك فقد اممت الى غرض كريم وتعرضت لامر جسيم وآثرت التي هي
اتم لدينك وفضلك وانبل عند ذوي العقول الراجحة لك وذلك ان تعرف حجة
الله من الوجه الذي هو اضوء لها وانوه بها واخلق بان يزداد نورها سطوعا
وكوكبها طلوعا وان تسلك اليها الطريق الذي هو آمن لك من الشك وابعد من الريب
واصح لليقين واحرى بان يبلغك قاصية التبيين واعلم انه لا سبيل الى ان
تعرف صحة هذه الجملة حتى يبلغ القول غايته وينتهي الى آخر ما اردت جمعه لك
وتصويره في نفسك وتقريره عندك الا ان ها هنا نكتة ان انت تاملتها تامل
المتثبت ونظرت فيها نظر المتاني رجوت ان يحسن ظنك وان تنشط للاصغاء
الى ما اورده عليك وهي انا اذا سقنا دليل الاعجاز فقلنا لولا انهم حين سمعوا
القران وحين تحدوا الى معارضته سمعوا كلاما لم يسمعوا قط مثله وانهم
رازوا انفسهم فاحسوا بالعجز عن ان ياتوا بما يوازيه او يدانيه او يقع قريبا منه

بدل الصنع
بدل تبر
بدل احمت

كان نهجا لا ارى عذرا معارضته وقد تحدوا اليه وقرعوا فيه وطولبوا به وان
يتعرضوا لشبا الاسنة ويقتحموا موارد الموت فقيل لنا قد سمعنا ما قلتم
فخبرونا عنهم عماذا عجزوا اعن معان من دقة معانيه وحسنها وصحتها في
العقول ام عن الفاظ مثل الفاظه فان قلتم عن الالفاظ فماذا اعجزهم من اللفظ
ام ما بهرهم منه فقلنا اعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها
في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادي آيه ومقاطعها ومجاري الفاظها
ومواقعها وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر وصورة كل عظة وتنبيه
واعلام وتذكير وترغيب وترهيب ومع كل حجة وبرهان وصفة وتبيان
وبهرهم انهم تأملوه سورة سورة وعشرا عشرا وآية آية فلم يجدوا في الجميع
كلمة ينبو بها مكانها ولفظة ينكر شانها او يرى ان غيرها اصلح هناك او
اشبه او احرى او اخلق بل وجدوا اتساقا بهر العقول واعجز الجمهور ونظاما
والتئاما واتقانا واحكاما لم يدع في نفس بليغ منهم ولو حك بيافوخه
السما موضع طمع حتى خرست الالسن عن ان تدعي وتقول وخذيت القروم
فلم تملك ان تصول نعم فاذا كان هذا هو الذي يذكر في جواب السائل فبنا
ان ننظر اي اشبه بالفتى في عقله ودينه وازيد له في علمه ويقينه ان يقلد في ذلك
ويحفظ متن الدليل وظاهر لفظه ولا يبحث عن تفسير المزايا والخصائص ما هي
ومن اين كثرت الكثرة العظيمة واتسعت الاتساع المجاوز لوسع الخلق و
طاقة البشر وكيف يكون ان يظهر في الفاظ محصورة وكلم معدودة معلومة
بان يؤتى ببعضها في اثر بعض لطائف لا يحصرها العدد ولا ينتهي بها الامد

ام ان يبحث عن ذلك كله ويستقصي النظر في جميعه ويتتبعه شيا فشيا ويستقصيه
بابا فبابا حتى يعرف كلا منه بشاهده ودليله ويعلمه بتفسيره و
تاويله ويوثق بتصويره وتمثيله ولا يكون كمن قيل فيه يقولون اقوالا ولا يعلمونها
ولو قيل هاتوا حققوا لم يحققوا قد قطعت عذر المتهاون ودلت على
ما اضاع من حظه وهديته لرشده وصح ان لا غنى بالعاقل عن معرفة هذه الامور
والوقوف عليها والاحاطة بها وان الجهة التي منها يقف والسبب الذي به
يعرف استقراء كلام العرب وتتبع اشعارهم والنظر فيها واذ قد ثبت ذلك
فينبغي لنا ان نبتدئ في بيان ما اردنا بيانه وناخذ في شرحه والكشف عنه وجملة
ما اردت ان ابينه لك انه لا بد لكل كلام تستحسنه ولفظ تستجيده من ان
يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة وان يكون لنا الى العبارة
عن ذلك سبيل وعلى صحة ما ادعيناه من ذلك دليل وهو باب من العلم اذا فتحته
اطلعت منه على فوائد جليلة ومعان شريفة ورايت له اثرا في الدين عظيما
وفائدة جسيمة ووجدته سببا الى حسم كثير من الفساد فيما يعود الى التنزيل
واصلاح انواع من الخلل فيما يتعلق بالتاويل وانه ليؤمنك من ان تغالط في
دعواك وتدافع عن مغزاك ويربا بك عن ان تكون عالما في ظاهر مقلد ومستبينا في
صورة شاك وان يسالك السائل عن حجة يلقى بها الخصم في آية من كتاب الله او
غير ذلك فلا تنصرف عنه بمقنع وان يكون غاية ما لصاحبك منك ان تحيله
على نفسه وتقول قد نظرت فرايت فضلا ومزية وصادفت لذلك اريحية

أنت صح

أن صح

فانظر لتعرف كما عرفت وراجع نفسك واسبر وذق لتحكم مثل الذي وجدت
فان عرفت فذاك والا فبينكما التناكر ونسبه الى سوء التامل ونسبك الى فساد في
التخيل وانه على الجملة بحث ينتقي لك من علم الاعراب خالصه ولبه ويأخذ لك
اناسيّ العيون وحبات القلوب وما لا يدفع الفضل فيه دافع ولا ينكر رجحانه
في موازين العقول منكر وليس يتأتى لي ان اعلمك من اول الامر في ذلك آخره
وان اسمي لك الفصول التي في نيتي ان احررها بمشية الله تعالى حتى تكون على علم بها
قبل مورودها عليك فاعمل على ان ههنا فصولا يجي بعضها في اثر بعض وهذا
اولها فصل في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة
وكل ما شاكل ذلك مما يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا
وتكلموا واخبروا السامعين عن الاغراض والمقاصد وراموا ان يعلموهم ما في
نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم ومن المعلوم ان لا معنى لهذه العبارات
وسائر ما يجري مجراها مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة وينسب فيه الفضل
والمزية اليه دون المعنى غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما كانت
دلالة ثم تبرجها في صورة هي ابهى وازين وآنق واعجب واحق بان تستولي
على هوى النفوس وتنال الحظ الاوفر من ميل واولى بان تطلق لسان الحامد و
تطيل رغم الحاسد ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير ان تاتي المعنى من الجهة التي
هي اصح لتاديته وتختار اللفظ الذي هو اخص به واكشف عنه واتم له بان
تكسبه نبلا وتظهر فيه مزية واذا كان هذا كذلك فينبغي ان ينظر الى الكلمة
قبل دخولها في التاليف وقبل ان تصير الى الصورة التي بها يكون الكلم اخبارا

وامرا ونهيا واستخبارا وتعجبا وتودي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل
الى افادتها الا بضم كلمة الى كلمة وبنا لفظة على لفظة هل يتصور ان يكون بين
اللفظتين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه ادل على معناها الذي وضعت له
من صاحبتها على ما هي موسومة به حتى يقال ان رجلا ادل على معناه من فرس على
ما سمي به وحتى يتصور في الاسمين يوضعان لشي واحد ان يكون هذا احسن نبأ عنه
وابين كشفا عن صورته من الاخر فيكون الليث مثلا ادل على السبع المعلوم من الاسد
وحتى انا لو اردنا الموازنة بين لغتين كالعربية والفارسية ساغ لنا ان نجعل لفظة
رجل ادل على الادمي الذكر من نظيره في الفارسية وهل يقع في وهم وان جهد ان
تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير ان ينظر الى مكان تقعان فيه من التاليف و
النظم باكثر من ان تكون هذه مالوفة مستعملة وتلك غريبة وحشية او ان تكون
حروف هذه اخف وامتزاجها احسن ومما يكد اللسان ابعد وهل تجد احدا
يقول هذه اللفظة فصيحة الا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة
معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لاخواتها وهل قالوا لفظة متمكنة و
مقبولة وفي خلافه قلقة ونابية ومستكرهة الا وغرضهم ان يعبروا بالتمكن
عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم
وان الاولى لم تلق بالثانية في معناها وان السابقة لم تصلح ان تكون لفقا للتالية
في مؤداها وهل تشك اذا فكرت في قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء
اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين
فتجلى لك منها الاعجاز وبهرك الذي ترى وتسمع انك لم تجد ما وجدت من المزية

الظاهره والفضيله القاهرة الا لامر يرجع الى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض وان
لم يعرض لها الحسن والشرف الا من حيث لاقت الاولى بالثانيه والثالثه بالرابعه
وهكذا الى ان تستقريها الى اخرها وان الفضل تناتج ما بينها وحصل من مجموعها ان
شككت فتامل هل ترى لفظة منها بحيث لو اخذت من بين اخواتها وافردت لادت
من الفصاحه ما تؤديه وهي في مكانها من الايه قل ابلعي واعتبرها وحدها من غير ان
تنظر الى ما قبلها والى ما بعدها وكذلك فاعتبر سائر ما يليها وكيف بالشك في ذلك و
معلوم ان مبدا العظمه في ان نوديت الارض ثم امرت ثم في ان كان النداء بيا دون
اي نحو يا ايتها الارض ثم اضافه الما الى الكاف ثم ان اتبع نداء الارض وامرها بما هو
من شانها نداء السماء وامرها كذلك بما يخصها ثم ان قيل وغيض الما فجا الفعل على
صيغه فعل الداله على انه لم يغض الا بامر امر وقدره قادر ثم تاكيد ذلك وتقريره
بقوله تعالى وقضي الامر ثم ذكر ما هو فايده هذه الامور وهو استوت على الجودي
ثم اضمار السفينه قبل الذكر كما هو شرط الفخامه والدلاله على عظم الشان ثم مقابله
قيل في الخاتمه بقيل في الفاتحه افترى لشي من هذه الخصايص التي تملوك روعه
وتحضرك عند تصورها هيبه تحيط بالنفس من اقطارها تعلقا باللفظ من
حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى في النطق ام كل ذلك لما بين معاني الالفاظ
من الاتساق العجيب فقد اتضح اذا اتضاحا لا يدع للشك مجالا ان الالفاظ لا تتفاضل
من حيث هي الفاظ مجرده ولا من حيث هي كلم مفردة وان الفضيله وخلافها
في ملايمه معنى اللفظه لمعنى التي تليها او ما اشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ
ومما يشهد لذلك انك ترى الكلمه تروقك وتونسك في موضع ثم تراها بعينها

تثقل عليك وتوحشك في موضع اخر كلفظه الاخدع في بيت الحماسه تلفتُّ
نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا وبيت البحتري واني
وان بلغتني شرف الغنى واعتقت من رق المطامع اخدعي فان لها في هذين
المكانين ما لا يخفى من الحسن ثم انك تتاملها في بيت ابي تمام يا دهر قوم من
اخدعيك فقد اضججت هذا الانام من خرقك فتجد لها من الثقل على النفس
ومن التنغيص والتكدير اضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفه ومن الايناس و
البهجه ومن اعجب ذلك لفظه الشي فانك تراها مقبوله حسنه في موضع و
ضعيفه مستكرهه في موضع فان اردت ان تعرف ذلك فانظر الى قول عمر بن ابي
ربيعه شعر ومن مالي عينيه من شي غيره اذا راح نحو الجمره البيض كالدمى
والى قول ابي حيه النميري اذا ما تقاضى المرء يوم وليله تقاضاه شي لا يمل التقاضيا
فانك تعرف حسنها ومكانها من القبول ثم انظر اليها في بيت المتنبي لو الفلك
الدوار ابغضت سعيه لعوقه شي عن الدوران فانك تراها تقل وتضؤل بحسب
نبلها وحسنها فيما تقدم وهذا باب واسع فانك تجد متى شئت الرجلين قد استعملا
كلما باعيانها ثم ترى هذا قد فرع السماك وترى ذلك قد لصق بالحضيض فلو
كانت الكلمه اذا حسنت حسنت من حيث هي لفظ واذا استحقت المزيه و
الشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها دون ان يكون السبب في ذلك
حال لها مع اخواتها المجاوره لها في النظم لما اختلف بها الحال ولكانت اما ان
تحسن ابدا او لا تحسن ابدا ولم تر قولا يضطرب على قائله حتى لا يدري كيف يعبر
وكيف يورد ويصدر كهذا القول بل ان اردت الحق فانه من حس الشي تحرك

به الرجل لسانه ويطلقه فاذا فتشت نفسك وجدتها تعلم بطلانه وتنطوي على خلافه
ذلك لانه مما لا يقوم بالحقيقة في اعتقاد ولا يكون له صورة في فؤاد والله اعلم فصل
ومما يجب احكامه بعقب هذا الفصل الفرق بين قولنا حروف منظومة وكلم
منظومة وذلك ان نظم الحروف هو تواليها في النطق وليس نظمها بمقتضى عن
معنى ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى ان يتحرى في نظمه لها ما
تحراه فلو ان واضع اللغة كان قال ربض مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي الى فساد
واما نظم الكلم فليس الامر فيه كذلك لانك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتبها على
حسب ترتب المعاني في النفس فهو اذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع
بعض وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء الى الشيء كيف جاء واتفق ولذلك كان
عندهم نظيرا للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما اشبه ذلك
مما يوجب اعتبار الاجزاء بعضها مع بعض حتى يكون لوضع كل حيث في مكان
منها وضع علة تقتضي كونه هناك وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح و
الفائدة في معرفة هذا الفرق انك اذا عرفته عرفت ان ليس الغرض بنظم
الكلم ان توالت الفاظها في النطق بل ان تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها
على الوجه الذي اقتضاه العقل وكيف يتصور ان يقصد به الى توالي الالفاظ في
النطق بعد ان ثبت انه نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وانه نظير
الصياغة والتحبير والتفويف والنقش وكل ما يقصد به التصوير وبعد ان كنا لا
نشك في ان لا حال للفظة مع صاحبتها تعتبر اذا انت عزلت دلالتهما جانبا
واي مساغ للشك في ان الالفاظ لا تستحق من حيث هي الفاظ ان تنظم على وجه

دون وجه ولو فرضنا ان تنخلع من هذه الالفاظ التي هي لغات دلالتها لما كان شيء منها
احق بالتقدم من شيء ولا يتصور ان يجب فيها ترتيب ونظم ولو حفظت صبيا شطر كتاب العين
او الجمهرة من غير ان تفسر له شيئا منه واخذته بان يضبط صور الالفاظ وهيأتها و
يؤديها كما يؤدي اصوات الطيور لرأيته ولا يخطر له ببال ان من شأنه ان يؤخر لفظا و
يقدم آخر بل كان حاله حال من يرمي الحصى ويعد الجوز اللهم الا ان تسومه ان يأتي
بها على حروف المعجم ليحفظ نسق الكتاب ودليل آخر وهو انه لو كان القصد بالنظم
الى اللفظ نفسه دون ان يكون الغرض ترتيب المعاني في النطق بالالفاظ على حذوها
لكان ينبغي ان لا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم او غير الحسن فيه لانهما يحسان
توالي الالفاظ في النطق احساسا واحدا ولا يعرف احدهما في ذلك شيئا يجهله الآخر
واوضح من هذا كله ان النظم الذي يتواصفه البلغاء وتتفاضل مراتب البلاغة من اجله
صنعة يستعان عليها بالفكرة لا محالة واذا كانت مما يستعان عليه بالفكرة ويستخرج
بالروية فينبغي ان ينظر في الفكر بماذا تلبس أبالمعاني ام بالالفاظ فاي شيء وجدته الذي
تلبس به من بين المعاني والالفاظ فهو الذي تحدث فيه صنعتك وتقع فيه صياغتك ونظمك
وتصويرك فمحال ان تفكر في شيء وانت لا تصنع فيه شيئا وانما تصنع في غيره لو جاز
ذلك لجاز ان يفكر البناء في الغزل ليجعل فكره فيه وصلة الى ان يصنع من الآجر و
هو من الاحالة المفرطة فان قيل النظم موجود في الالفاظ على كل حال ولا سبيل الى
ان يعقل الترتيب الذي يزعمه في المعاني ما لم ينظم الالفاظ ولم يرتبها على الوجه الخاص
قيل ان هذا هو الذي يعيد هذه الشبهة جذعة ابدا والذي يحلها ان ينظر اتصور
ان يكون معتبرا مفكرا في حال اللفظ مع اللفظ حتى تضعه بجنبه او قبله وان

يقول هذه اللفظة انما صلحت هاهنا لكونها على صفة كذا ام لا يعقل الا ان يقول
صلحت هاهنا لان معناها كذا وكذا ولدلالتها على كذا ولان معنى الكلام و
الغرض فيه يوجب كذا ولان معنى ما قبلها يقتضي معناها فان تصورت الاول
فقل ما شئت واعلم ان كل ما ذكرناه باطل وان لم تتصور الا الثاني فلا تخدعن نفسك بالاضاليل صح
ودع النظر الى ظواهر الامور واعلم ان ما ترى انه لا بد منه من ترتيب الالفاظ وتواليها
على النظم الخاص ليس هو الذي طلبته بالفكر ولكنه شيء يقع بسبب الاول ضرورة
من حيث ان الالفاظ اذا كانت اوعية للمعاني فانها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها
فاذا وجب لمعنى ان يكون اولا في النفس وجب للفظ الدال عليه ان يكون مثله
اولا في النطق فاما ان تتصور في الالفاظ ان تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب
وان يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فكرا في نظم الالفاظ او ان تحتاج
بعد ترتيب المعاني الى فكر تستأنفه لان تجيء بالالفاظ على نسقها فباطل من الظن
ووهم يتخيل الى من لا يوفي النظر حقه وكيف تكون مفكرا في نظم الالفاظ وانت
لا تعقل لها اوصافا واحوالا اذا عرفتها عرفت ان حقها ان تنظم على وجه كذا
ومما يلبس على الناظر في هذا الموضع ويغلطه انه يستبعد ان يقال هذا كلام
قد نظمت معانيه فالعرف كأنه لم يجر بذلك الا انهم وان كانوا لم يستعملوا النظم
في المعاني فقد استعملوا فيها ما هو بمعناه ونظير له وذلك قولهم انه يرتب المعاني
في نفسه وينزلها ويبني بعضها على بعض كما يقولون يرتب الفروع على الاصول
ويتبع المعنى المعنى ويلحق النظير بالنظير واذا كنت تعلم انهم قد استعاروا النسج
والوشي والنقش والصياغة لنفس ما استعاروا له النظم وكان لا يشك في ان ذلك

كله تشبيه وتمثيل يرجع الى امور واوصاف تتعلق بالمعاني دون الالفاظ فمن
حقك ان تعلم ان سبيل النظم ذلك السبيل واعلم ان من سبيلك ان تعتمد على هذا
الفصل جدا وتجعل النكت التي ذكرتها فيه على ذكر منك ابدا فانها عمد واصول في
هذا الباب اذا انت مكنتها في نفسك وجدت الشبه تنزاح عنك والشكوك
تنتفي عن قلبك ولا سيما ما ذكرت من انه لا يتصور ان تعرف للفظ موضعا من
غير ان تعرف معناه ولا ان تتوخى في الالفاظ من حيث هي الفاظ ترتيبا ونظما و
انك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك فاذا تم لك ذلك اتبعتها الالفاظ
وقفوت بها آثارها وانك اذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج الى ان
تستأنف فكرا في ترتيب الالفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم انها خدم للمعاني
وتابعة لها ولاحقة بها وان العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الالفاظ
الدالة عليها في النطق فصل واعلم انك اذا رجعت الى نفسك علمت
علما لا يعترضه الشك ان لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض و
يبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك هذا ما لا يجهله عاقل ولا
يخفى على احد من الناس واذا كان كذلك فبنا ان ننظر الى التعليق فيها والبناء و
جعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها ما معناه وما محصوله واذا نظرنا
في ذلك علمنا ان لا محصول لها غير ان تعمد الى اسم فتجعله فاعلا لفعل او
مفعولا او تعمد الى اسمين فتجعل احدهما خبرا عن الآخر او تتبع الاسم اسما
على ان يكون الثاني صفة للاول او تأكيدا له او بدلا منه او تجيء باسم بعد تمام
كلامك على ان يكون حالا او تمييزا او تتوخى في كلام هو لاثبات معنى ان

مضمر نفيا او استفهاما او تمنيا فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك او تريد
تعليق احدهما بالآخر شرطا في الآخر فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى او بعد
اسم من الاسما التي ضمنت معنى ذلك الحرف وعلى هذا القياس واذا كان لا يكون في
الكلم نظم ولا ترتيب الا بان يصنع بها هذا الصنيع ونحوه وكان ذلك كله مما لا
يرجع الى اللفظ منه شيء ومما لا يتصور ان يكون فيه ومن صفته بان بذلك ان الامر على
ما قلناه من ان اللفظ تبع للمعنى في النظم وان الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب
معانيها في النفس وانها لو خلت من معانيها حتى تتجرد اصواتا واصداء حروف
لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر ان يجب فيها ترتيب ونظم وان يجعل لها
امكنة ومنازل وان يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك والله الموفق للصواب

فصل وهذه شبهة اخرى ضعيفة عسى ان يتعلق بها متعلق
ممن يقدم على القول من غير روية وهي ان يدعي ان لا معنى للفصاحة سوى التلاؤم
اللفظي وتعديل مزاج الحروف حتى لا يتلاقى في النطق حروف تثقل على اللسان
كالذي انشده الجاحظ من قول الشاعر   وقبر حرب بمكان قفر   وليس قرب
قبر حرب قبر   وقول ابن يسير   لا أذيل الآمال بعدك اني   بعدها بالآمال جد
بخيل   كم لها موقف بباب صديق   رجعت من نداه بالتعطيل   لم يضرها
والحمد لله شيء   وانثنت نحو عزف نفس ذهول   قال الجاحظ فتفقد النصف
الاخير من هذا البيت فانك ستجد بعض الفاظه يتبرأ من بعض ويزعم ان
الكلام في ذلك على طبقات فمنه المتناهي في الثقل المفرط فيه كالذي مضى
ومنه ما هو اخف منه كقول ابي تمام   كريم متى امدحه امدحه والورى

ان تجعل م

جميعا ومهما لمته لمته وحدي ومنه ما يكون فيه بعض الكلفة على اللسان الا انه
لا يبلغ ان يعاب به صاحبه ويشهر امره في ذلك ويحفظ عليه ويزعم ان الكلام
اذا سلم من ذلك وصفا من شوبه كان الفصيح المشاد به والمشار اليه وان الصفا
ايضا على مراتب يعلو بعضها بعضا وان له غاية اذا انتهى اليها كان الاعجاز والذي
يبطل هذه الشبهة ان ذهب اليها ذاهب انا ان قصرنا صفة الفصاحة على كون
اللفظ كذلك وجعلناه المراد بها لزمنا ان نخرج الفصاحة من حيز البلاغة
ومن ان تكون نظيرة لها واذا فعلنا ذلك لم نخل من احد امرين اما ان نجعله العمدة
في المفاضلة بين العبارتين ولا نعرج على غيره واما ان نجعله احد ما نفاضل به
ووجها من الوجوه التي تقتضي تقديم كلام على كلام فان اخذنا بالاول لزمنا ان
نقصر الفضيلة عليه حتى لا يكون الاعجاز الا به وفيه وفي ذلك ما لا يخفى من الشناعة
لانه يؤدي الى ان لا يكون للمعاني التي ذكروها في حدود البلاغة من وضوح الدلالة
وصواب الاشارة وتصحيح الاقسام وحسن الترتيب والنظام والابداع في
طريقة التشبيه والتمثيل والاجمال ثم التفصيل ووضع الفصل والوصل
موضعهما وتوفية الحذف والتأكيد والتقديم والتأخير شروطهما مدخل
فيما له كان القرآن معجزا حتى ندعي انه لم يكن معجزا من حيث هو بليغ ولا
من حيث هو قول فصل وكلام شريف النظم بديع التأليف وذلك لانه
لا تعلق لشيء من هذه المعاني بتلاؤم الحروف وان اخذنا بالثاني وهو ان يكون
تلاؤم الحروف وجها من وجوه الفضيلة وداخلا في عداد ما يفاضل به
بين كلام وكلام على الجملة لم يكن لهذا الخلاف ضرر علينا لانه ليس باكثر

على م

[illegible]

من أن يُعَدّ في الفصاحة فيجعل منها حيّزاً للبلاغة والبيان وأن يكون نظيره لهما
في عداد ما هو شبههما من البراعة والجزالة وأشباه ذلك مما ينبئ عن شرف النظم
وعن المزايا التي شرحت لك أمرها وأعلمتك جنسها أو يجعلها اسماً مشتركاً
يقع تارة لما يقع له تلك وأخرى لما يرجع إلى سلامة اللفظ مما يثقل على اللسان
وليس واحد من الأمرين يقادح فيما نحن بصدده وإن تعسّف متعسّف في تلاؤم
الحروف فبلغ به أن يكون الأصل في الإعجاز وأخرج سائر ما ذكروه في أقسام
البلاغة من أن يكون له مدخل أو تأثير فيما له كان القرآن معجزاً كان الوجه أن
يقال له إنه يلزمك على قياس قولك أن تجوّز أن يكون ههنا نظم للألفاظ وترتيب
لا على نسق المعاني ولا على وجه يقصد به الفائدة ثم يكون مع ذلك معجزاً وكفى
به فساداً فإن قال إني لا أجعل تلاؤم الحروف معجزاً حتى يكون اللفظ مع ذلك
دالاً وذلك لأنه إنما يصعب مراعاة التعادل بين الحروف إذا احتيج مع ذلك
إلى مراعاة المعاني كما أنه إنما يصعب مراعاة السجع والوزن ويصعب
كذلك التجنيس والترصيع إذا روعي معه المعنى قيل له فأنت الآن إن عقلت
ما تقول قد خرجت من مسألتك وتركت أن يستحق اللفظ المزية من حيث هو
لفظ وجئت تطلب لصعوبة النظم قياس المعاني طريقاً وتضع له علة غير ما
يعرفه الناس وتدّعي أن ترتيب المعاني سهل وأن تفاضل الناس في ذلك إلى
حدّ وأن الفضيلة تزداد وتقوى إذا توخّي في حروف الألفاظ التعادل و
التلاؤم وهذا منك وهم وذلك أنا لا نعلم لتعادل الحروف معنى سوى أن تسلم
من نحو ما تجده في بيت أبي تمام كريم متى أمدحه أمدحه والورى وبيت ابن يسير

[illegible]

وانت تحو عزف نفسه ذهولك ولست اللفظ السليم من ذلك بمعوز ولا بعزيز
الوجود ولا بالشيء لا يستطيعه إلا الشاعر المُفلِق والخطيب البليغ فيستمر
فيما سواه على السجع والتجنيس ونحو ذلك مما إذا رامه المتكلم صعب عليه تصحيح
المعاني وتأدية الأغراض فقولنا أطال الله بقاءك وأدام عزك وأتم نعمته عليك
وزاد في إحسانه عندك لفظ سليم مما يكدّ اللسان وليس في حروفه استكراه وهكذا
حال كلام الناس في كتبهم ومحاوراتهم لا تكاد تجد فيه هذا الاستكراه لأنه إنما هو
شيء يعرض للشاعر إذا تكلّف وتعمّل فأما المرسل نفسه على سجيتها فلا يعرض
له ذلك هذا والتعليل آخراً مثل ما ذكرت من أنه إنما يكون تلاؤم الحروف معجزاً
بعد أن يكون اللفظ دالاً لأن مراعاة التعادل إنما تصعب إذا احتيج مع ذلك
إلى مراعاة المعاني إذا أنا ملت مذهب إلى شيء طريف عجيب وهو أن يصعب
مرام اللفظ بسبب المعنى وذلك محال لأن الذي يعرفه العقلاء عكس ذلك
وهو أن يصعب مرام المعنى بسبب اللفظ فصعوبة ما صعب من السجع هي
صعوبة عرضت في المعاني من أجل الألفاظ وذلك أنه صعب عليك أن توفق
بين معاني تلك الألفاظ المسجعة وبين معاني الفصول التي جعلت أرداقاً لها فلم
تستطع ذلك إلا بعد أن عدلت عن أسلوب إلى أسلوب أو دخلت في ضرب
من المجاز أو أخذت في نوع من الاتساع وبعد أن تلطفت على الجملة ضرباً من اللطف
وكيف يتصور أن يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى وأنت إن أردت الحق
لا تطلب اللفظ بحال وإنما تطلب المعنى وإذا ظفرت بالمعنى فاللفظ معك
وإزاء ناظرك وإنما كان يتصور أن يصعب مرام اللفظ من أجل المعاني أن لو كنت

اذا طلبتَ المعنى فحصّلته احتجت الى ان تَطلبَ اللفظ على حدة وذلك محال هذا
واذا توهّم متوهم انا نحتاج الى ان نطلب اللفظ وان من شان الطلب ان يكون هناك
فان الذي يتوهم انه يحتاج الى طلبه هو ترتيب الالفاظ في النطق لا محالة واذا كان كذلك
فينبغي لنا ان نرجع الى نفوسنا فننظر هل يتصور ان نرتب معاني اسماء وافعال و
حروف في النفس ثم يخفى علينا مواقعها في النطق حتى نحتاج في ذلك الى فكر وروية
وذلك مما لا يشك فيه عاقل اذا هو رجع الى نفسه واذا بطل ان يكون ترتيب
اللفظ مطلوبا بحال ولم يكن المطلوب ابدا الا ترتيب المعاني وكان معول هذا
المخالف على ذلك فقد اضمحل كلامه وبان انه ليس لمن حام في حديث المزية والاعجاز
حول اللفظ ورام ان يجعله السبب في هذه الفضيلة الا التسكع في الحيرة
والخروج عن فاسد من القول الى مثله والله الموفق للصواب فان قيل اللفظ
معزول عن المزية التي تنازعنا فيها وكانت مقصورة على المعنى فكيف كانت
الفصاحة من صفات اللفظ البتة وكيف امتنع ان يوصف بها المعنى فيقال
معنى فصيح وكلام فصيح المعنى قيل انما اختصت الفصاحة باللفظ وكانت
من صفته من حيث كانت عبارة عن كون اللفظ على وصف اذا كان عليه
دل على المزية التي نحن في حديثها واذا كانت لكون اللفظ دالا استحال ان
يوصف بها المعنى كما يستحيل ان يوصف المعنى بانه دال مثلا فاعرفه فان قيل
فماذا دعا القدماء الى ان قسموا الفضيلة بين المعنى واللفظ فقالوا معنى لطيف
ولفظ شريف وفخّموا شان اللفظ وعظّموه حتى تبعهم في ذلك من بعدهم
وحتى قال اهل النظر ان المعاني لا تتزايد وانما تتزايد الالفاظ فاطلقوا كلاما

كما يرى كلاما يوهم كل من يسمعه ان المزية في حاقّ اللفظ قيل له لما كانت المعاني
انما تتبين بالالفاظ وكان لا سبيل للمرتب لها والجامع شملها الى ان يعلمك ما صنع
في ترتيبها بفكره الا بترتيب الالفاظ في نطقه تجوّزوا فكنّوا عن ترتيب
المعاني بترتيب الالفاظ ثم بالالفاظ بحذف الترتيب ثم اتبعوا ذلك من الوصف
والنعت ما ابان الغرض وكشف عن المراد كقولهم لفظ متمكن يريدون انه موافق
معناه لمعنى ما يليه كالشيء الحاصل في مكان صالح يطمئن فيه ولفظ قلق ناب
يريدون انه من اجل ان معناه غير موافق لما يليه كالحاصل في مكان لا يصلح له فهو
لا يستطيع الطمانينة فيه الى سائر ما يجيء صفة اللفظ مما يعلم انه مستعار له من
معناه وانهم نحلوه [نسبوه اليه] اياه بسبب مضمونه ومؤدّاه هذا ومن تعلق بهذا
وشبهه واعترضه الشك فيه بعد الذي مضى من الحجج فهو رجل قد انس
بالتقليد فهو يدعو الشبهة الى نفسه من ههنا وثمّ ومن كان هذا سبيله
فليس له دواء سوى السكوت عنه وتركه وما يختاره لنفسه من سوء
النظر وقلة التدبر قد فرغنا الآن من الكلام على جنس المزية وانها من حيز
المعاني دون الالفاظ وانها ليست لك حيث تسمع باذنك بل حيث تنظر
بقلبك وتستعين بفكرك وتُعمل رويتك وتراجع عقلك وتستنجد في
الجملة فهمك وبلغ القول في ذلك اقصاه وانتهى الى مداه وينبغي ان ناخذ
الآن في تفصيل امر المزية وبيان الجهات التي منها تعرض وانه لمرام صعب
ومطلب عسير ولولا انه على ذلك لما وجدت الناس بين منكر له من اصله
ومتخيل له على غير وجهه ومعتقد انه باب لا تقوى عليه العبارة ولا

ملك فيه الا الاشارة وان طريق التعلم اليه مسدود وباب التفهيم دونه مغلق وان
معانيك فيه معان تابى ان تبرز وان تبين للتبيين والتصوير وان ترى سافرة
لا نقاب عليها وبادية لا حجاب دونها وان ليس للواصف لها الا ان يلوّح ويشير
او يضرب مثلا ينبي عن حسن قد عرفه على الجملة وفضيلة قد احسها من غير
ان يتبع ذلك بيانا ويقيم عليه برهانا ويذكر له علة ويورد فيه حجة وانا انزل لك
القول في ذلك وادرجه شيا فشيا واستعين الله تعالى عليه واساله التوفيق

فصل في اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره

اعلم ان لهذا الضرب اتساعا وتفننا الى غاية الا انه على اتساعه يدور في الامر
الاعم على شيئين الكناية والمجاز والمراد بالكناية هاهنا ان يريد المتكلم اثبات معنى من
المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجي الى معنى هو تاليه وردفه
في الوجود فيومي به اليه ويجعله دليلا عليه مثال ذلك قولهم هو طويل النجاد يريدون
طويل القامة وكثير رماد القدر يعنون كثير القرى وفي المراة نؤوم الضحى والمراد بها
مترفة مخدومة لها من يكفيها فقد ارادوا في هذه كله معنى ثم لم يذكروه بلفظه الخاص
كما ترى صح
به ولكنهم توصلوا اليه بذكر معنى آخر من شانه ان يردفه في الوجود وان يكون اذا كان
افلا ترى ان القامة اذا طالت طال النجاد واذا كثر القرى كثر رماد القدر واذا كانت
المراة مترفة لها من يكفيها امرها ردف ذلك ان تنام الى الضحى واما المجاز فقد
عول الناس في حده على حديث النقل وان كل لفظ نقل عن موضوعه فهو مجاز
والكلام في ذلك يطول وقد ذكرت ما هو الصحيح في ذلك في موضع آخر وانا اقتصر
هاهنا على ذكر ما هو اشهر منه واظهر والاسم والشهرة فيه لشيئين الاستعارة

والتمثيل وانما يكون التمثيل مجازا اذا جاء على حد الاستعارة فالاستعارة ان
تريد تشبيه الشي بالشي فتدع ان تفصح بالتشبيه وتظهره وتجي الى اسم المشبه به
فتعيره المشبه وتجريه عليه تريد ان تقول رايت رجلا هو كالاسد في شجاعته
وقوة بطشه سوا فتدع ذلك وتقول رايت اسدا وضرب آخر من الاستعارة
وهو ما كان نحو قوله   اذ اصبحت بيد الشمال زمامها   هذا الضرب وان كان
الناس يضمونه الى الاول حيث يذكرون الاستعارة فليسا سوا وذلك انك في
الاول تجعل الشي الشي ليس به وفي الثاني تجعل للشي الشي ليس له تفسير هذا
انك اذا قلت رايت اسدا فقد ادعيت في انسان انه اسد وجعلته اياه ولا
يكون الانسان اسدا واذا قلت اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فقد ادعيت
ان للشمال يدا ومعلوم انه لا يكون للريح يد وهاهنا اصل يجب ضبطه و
هو ان جعل المشبه المشبه به على ضربين احدهما ان تنزله منزلة الشي تذكره بامر
قد ثبت له فانت لا تحتاج الى ان تعمل في اثباته وتزجيته وذلك حيث يسقط
ذكر المشبه من البين ولا تذكره بوجه من الوجوه كقولك رايت اسدا والثاني
ان تجعل ذلك كالامر الذي انت تحتاج الى ان تعمل في اثباته وتزجيته و
ذلك حيث تجري اسم المشبه به خبرا على المشبه فتقول زيد اسد او
زيد هو الاسد او تجي به على وجه يرجع الى هذا كقوله ان لقيته لقيت
به اسدا وان لقيته ليلقينك منه الاسد فانت في هذا كله تعمل في اثبات
كونه اسدا او الاسد وتضع كلامك له واما في الاول فتخرجه مخرج ما
لا يحتاج فيه الى اثبات وتقرير والقياس يقتضي ان يقال في هذا الضرب

اعني ما انت تعمل في اثباته وتزجيته انه تشبيه على حد المبالغة وتقتصر على
هذا القدر ولا تسمي استعارة واما التمثيل الذي يكون مجازا لمجيئك به على حد
الاستعارة فمثاله قولك للرجل يتردد في الشيء بين فعله وتركه اراك تقدم
رجلا وتؤخر اخرى فالاصل في هذا اراك في ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر
اخرى ثم اختصر الكلام وجعل كانه يقدم الرجل ويؤخرها على الحقيقة
كما كان الاصل في قولك رايت اسدا رايت رجلا كالاسد ثم جعل كانه الاسد
على الحقيقة وكذلك تقول للرجل يعمل في غير معمل اراك تنفخ في غير فحم
وتخط على الما فتجعله في ظاهر الامر كانه ينفخ ويخط والمعنى على انك في
فعلك كمن يفعل ذلك وتقول للرجل يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه الى الشيء
قد كان يأباه ويمتنع منه ما زال يفتل في الذروة والغارب حتى بلغ منه
ما اراد فتجعله بظاهر اللفظ كانه كان منه فتل في ذروة وغارب والمعنى
على انه لم يزل يرفق بصاحبه رفقا يشبه حاله فيه حال الرجل الى البعير
الصعب فيحكه ويفتل الشعر في ذروته وغاربه حتى يسكن ويستانس و
هو في المعنى نظير قولهم فلان يقرّد فلانا يعني انه يتلطف به فعل الرجل
ينزع القراد من البعير ليلذه بذلك فيسكن ويثبت في مكانه حتى يتمكن من اخذه
وهكذا كل كلام رايتهم قد نحوا فيه نحو التمثيل ثم لم يفصحوا بذلك واخرجوا
اللفظ مخرجه اذا لم يريدوا تمثيلا **فصل** قد اجمع الجميع
على ان الكناية ابلغ من الافصاح والتعريض اوقع من التصريح وان للاستعارة
مزية وفضلا وان المجاز ابدا ابلغ من الحقيقة الا ان ذلك وان كان معلوما

يجي

على الجملة فانه لا تطمئن نفس العاقل في كل ما يطلب العلم به حتى يبلغ فيه غايته
وحتى يغلغل الفكر الى زواياه وحتى لا يبقى عليه موضع شبهة ومكان مسألة
فنحن وان كنا نعلم انك اذا قلت هو طويل النجاد وهو جم الرماد كان ابهى
لمعناك وانبل من ان تدع الكناية وتصرح بالذي تريد وكذا اذا قلت
رايت اسدا كان لكلامك مزية لا تكون اذا قلت رايت رجلا هو والاسد
سواء في معنى الشجاعة وفي قوة القلب وشدة البطش واشباه ذلك و
اذا قلت بلغني انك تقدم رجلا وتؤخر اخرى كان اوقع من صريحه الذي هو
قولك انك تتردد في امرك وانك في ذلك كمن يقول اخرج ولا اخرج فيقدم
رجلا ويؤخر اخرى ونقطع على ذلك حتى لا يخالجنا شك فيه فانما تسكن
انفسنا تمام السكون اذا عرفنا السبب في ذلك والعلة ولم كان كذلك و
هيانا له عبارة تفهم عنا من نريد افهامه وهذا قول في ذلك اعلم ان سبيلك
اولا ان تعلم ان ليست المزية التي تثبتها لهذه الاجناس على الكلام المتروك
على ظاهره والمبالغة التي تدعي لها في انفس المعاني التي قصد المتكلم اليها بخبره
ولكنها في طريق اثباته لها وتقريره اياها تفسير هذا ان ليس المعنى اذا قلنا
ان الكناية ابلغ من التصريح انك لما كنيت عن المعنى زدت في ذاته بل المعنى
انك زدت في اثباته فجعلته ابلغ وآكد واشد فليست المزية في قولهم جم
الرماد انه دل على قرى اكثر بل انك اثبت له القرى الكثير من وجه هو ابلغ
واوجبته ايجابا هو اشد وادعيته دعوى انت بها انطق وبصحتها اوثق
وكذلك ليست المزية التي تراها لقولك رايت اسدا على قولك رايت رجلا

بلغني م

فانا

يقصد

لا يميز عن الاسد في شجاعته وجراته انك قد افدت بالاول زياده في مساواته
الاسد لان افدت تاكيدا وتشديدا وقوة في اثباتك له هذه المساواة وفي
تقريرك لها فليس تاثير الاستعاره اذا في ذات المعنى وحقيقته بل في ايجابه
والحكم به وهكذا قياس التمثيل ترى المزية ابدا في ذلك تقع في طريق اثبات المعنى دون
المعنى نفسه فاذا سمعتهم يقولون ان من شان هذه الاجناس ان تكسب المعاني
نبلا وفضلا وتوجب لها شرفا وان تفخمها في نفوس السامعين وترفع اقدارها
عند المخاطبين فانهم لا يريدون الشجاعه والقرى واشباه ذلك من معاني الكلم
المفرده وانما يعنون اثبات معاني هذه الكلم لمن تثبت له وتخبر بها عنه هذا
ما ينبغي للعاقل ان يجعله على ذكر منه ابدا وان يعلم انه ليس لنا اذا نحن تكلمنا في
البلاغه والفصاحه مع معاني الكلم المفرده شغل ولا هي منا بسبيل وانما
نعمد الى الاحكام التي تحدث بالتاليف والتركيب واذ قد عرفت مكان هذه
المزية والمبالغه التي لا تزال تسمع بها وانها في الاثبات دون المثبت فان
لها في كل واحد من هذه الاجناس سببا وعلة اما الكنايه فان السبب في ان
كان للاثبات بها مزية لا تكون للتصريح ان كل عاقل يعلم اذا رجع الى نفسه ان
اثبات الصفه باثبات دليلها وايجابها بما هو شاهد في وجودها آكد و
ابلغ في الدعوى من ان تجي اليها فتثبتها هكذا ساذجا غفلا وذلك انك لا
تدعي شاهد الصفه ودليلها الا والامر ظاهر معروف وبحيث لا يشك فيه
ولا يظن بالمخبر التجوز والغلط واما الاستعاره فسبب ما ترى لها من المزيه
والفخامه انك اذا قلت رايت اسدا كنت قد تلطفت لما اردت اثباته له

من فرط الشجاعه حتى جعلتها كالشيء الذي يجب له الثبوت والحصول وكالامر
الذي نصب له دليل يقطع بوجوده وذلك انه اذا كان اسدا فواجب ان تكون له
تلك الشجاعه العظيمه وكالمستحيل او الممتنع ان يعرى عنها واذا صرحت
بالتشبيه فقلت رايت رجلا كالاسد كنت قد اثبتها اثبات الشيء يترجح بين
ان يكون وبين ان لا يكون ولم يكن من حديث الوجوب في شيء وحكم التمثيل حكم
الاستعاره سواء فانك اذا قلت اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فاوجبت له
الصوره التي يقطع معها بالتحير والتردد كان ابلغ لا محالة من ان تجري على الظاهر
فتقول قد جعلت تتردد في امرك فانت كمن يقول اخرج ولا اخرج فيقدم
رجلا ويؤخر اخرى

فصل

اعلم ان مما [شأن]
هذه الاجناس ان تجري فيها الفضيله وان تتفاوت التفاوت الشديد افلا
ترى انك تجد في الاستعاره العامي المبتذل كقولنا رايت اسدا ووردت
بحرا ولقيت بدرا والخاصي النادر الذي لا تجده الا في كلام الفحول ولا يقوى
عليه الا افراد الرجال كقوله   وسالت باعناق المطي الاباطح   اراد انها سارت
سيرا حثيثا في غاية السرعه وكانت سرعة في لين وسلاسة حتى كانها كانت
سيولا وقعت في تلك الاباطح فجرت بها ومثل هذه الاستعاره في الحسن و
اللطف وعلو الطبقه في هذه اللفظه بعينها قول الآخر   سالت عليه شعاب
الحي حين دعا   انصاره بوجوه كالدنانير   اراد انه مطاع في الحي وانهم
يسرعون الى نصرته وانه لا يدعوهم لحرب او نازل خطب الا اتوه وكثروا
عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجيء من ههنا وههنا

ونصبت من هذا المسيل وذاك حتى يغص بها الوادي ويطلع منها ومن بديع الاستعارة
ونادرها الا ان جهة الغرابة فيه غير جهتها في هذا قول يزيد بن مسلمة بن عبد
الملك يصف فرسًا له وانه مؤدب وانه اذا نزل عنه والقى عنانه في قربوس
سرجه وقف مكانه الى ان يعود اليه شعر عودته فما ازور حبايبي
اهماله وكذاك كل مخاطر واذا احتبى قربوسه بعنانه علك الشكيم الى انصراف
الزائر فالغرابة ها هنا في الشبه نفسه وفي ان استدرك ان هيئة العنان في موقعه من
قربوس السرج كالهيئة في موقع الثوب من ركبة المحتبي وليست الغرابة في
قوله وسالت باعناق المطي الاباطح على هذه الجملة وذاك انه لم يغرب لان
جعل المطي في سرعة سيرها وسهولته كالماء يجري في الابطح فان هذا شبه
معروف ظاهر ولكن الدقة واللطف في خصوصية افادها بان جعل سال
فعلا للاباطح ثم عداه بالباء بان ادخل الاعناق في البين فقال باعناق المطي
ولم يقل بالمطي ولو قال سالت المطي في الاباطح لم يكن شيئا وكذلك الغرابة
في البيت الآخر ليس في مطلق معنى سال ولكن في تعديته بعلى والباء وبان
جعله فعلا لقوله شعاب الحي ولولا هذه الامور كلها لم يكن هذا الحسن و
هذا موضع الكلام يدق الكلام فيه وهذه اشياء من هذا الفن شعر
اليوم يومان مذ غيبت عن بصري نفسي فداؤك ما ذنبي فاعتذر امسي
اصبح لا القاك واحزنا لقد تانق في مكروهي القدر سوه حمله على مبتداء
نحو فانا اعتذر ولم يجعله جوابا وفيه لطيفة وهي انه يلتزم كل ما تلزمه ويعترف به و
يعتذر اليه منه وجهه سوار بن المضرب وهو لطيف جدا بعرض تنوفه

للريح فيها نسيم لا يروع الترب وانى بعض الاعراب ولرب خصم
جاهرين ذوي شذى تقذي عيونهم بهتر هاتر لد ظأرتهم على ما ساءهم وخسات
باطلهم بحق ظاهر المقصود لفظة خسات ابن المعتز حتى اذا ما عرف الصيد
الضار واذن الصبح لنا بالابصار وله يخيل قد نليت به نكد الوعد بالحج
وله ايضا يناجيني الاخلاف من تحت مطله فتختصم الآمال واليأس في صدري
ومما هو في غاية من الحسن وهو من الفن الاول قول الشاعر انشده الجاحظ
لقد كنت في قوم عليك اشحة بنفسك الا ان ما طاح طائح يودون لو خاطوا
عليك جلودهم ولا تدفع الموت النفوس الشحائح قال وابن الى ذهب بشار في قوله
وصاحب كالدمل الممد حملته في رقعة من جلدي ومن سر هذا الباب
انك ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت في عدة مواضع ثم ترى لها في بعض
ذلك ملاحة لا تجدها في الباقي مثال ذلك انك تنظر الى لفظة الجسر في قول
ابي تمام لا يطمع المرء ان يجتاب لجته بالقول ما لم يكن جسرا له العمل
وقوله بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال الا على جسر من التعب
فترى لها في الثاني حسنا لا تراه في الاول ثم تنظر اليها في قول ربيعة الرقي
قولي نعم ونعم ان قلت واجبة قالت عسى وعسى جسر الى نعم فترى
لها لطفا وخلابة وحسنا ليس الفضل فيه بقليل ومما هو اصل في شرف
الاستعارة ان ترى الشاعر قد جمع بين عدة استعارات قصدا الى ان
يلحق الشكل بالشكل وان يتم المعنى والشبه فيما يريد مثاله قول امرئ القيس
فقلت له لما تمطى بصلبه واردف اعجازا وناء بكلكل الا ايها الليل

صلباً قد تمطّى به ثنى ذلك فجعل له اعجازاً قد اردف بها الصلب وثلّث
فجعل له كلكلاً قد ناء به فاستوفى له جملة اركان الشخص وراعى ما يراه الناظر
من سواده اذا نظر قدامه واذا نظر الى ما خلفه واذا رفع البصر و
مدّه في عرض الجو واعلم ان هاهنا اسراراً ودقائق لا يمكن بيانها الا
بعد ان تقدم جملة من القول في النظم وفي تفسيره والمراد منه واي شيء
هو وما محصوله ومحصول الفضيلة فيه فينبغي لنا ان ناخذ في ذكره وبيان امره
وامر المزية التي تدّعى له من اين تاتيه وكيف تعرض فيه وما اسباب
ذلك وعلله وما الموجب له وقد علمت اطباق العلماء على تعظيم شان النظم
وتفخيم قدره والتنويه بذكره واجماعهم ان لا فضل مع عدمه ولا قدر للكلام اذا هو
لم يستقم له ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ وبتّهم الحكم بانه الذي لا تمام دونه و
لا قوام الا به وانه القطب الذي عليه المدار والعمود الذي به الاستقلال وما كان
بهذا المحل من الشرف وفي هذه المنزلة من الفضل وموضوعاً هذا الموضع من
المزية وبالغاً هذا المبلغ من الفضيلة كان حرىٌّ بان توقظ له الهمم وتوكل به
النفوس وتحرك له الافكار وتستخدم فيه الخواطر وكان العاقل جديراً ان
لا يرضى من نفسه بان يجد فيه سبيلاً الى مزية علم وفضل استبانة وتلخيص حجة
وتحرير دليل ثم يعرض عن ذلك صفحاً ويطوي دونه كشحاً وان يربأ بنفسه و
يدخل عليه الانفة من ان يكون في سبيل المقلد الذي لا يبت حكماً ولا يقتل
الشيء علماً ولا يجد ما يبرئ من الشبهة ويشفي غليل الشاك وهو يستطيع
ان يرتفع عن هذه المنزلة ويباين من هو بهذه الصفة فان ذلك دليل ضعف

قدامه

الرأي وقصر الهمة ممن يختاره ويعمل عليه اعلم ان ليس النظم الا ان تضع
كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه واصوله وتعرف
مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل
بشيء منها وذلك انا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير ان ينظر في وجوه
كل باب وفروقه فينظر في الخبر الى الوجوه التي تراها في قولك زيد منطلق وزيد
ينطلق وينطلق زيد ومنطلق زيد وزيد المنطلق والمنطلق زيد وزيد هو المنطلق
وزيد هو منطلق وفي الشرط والجزاء الى الوجوه التي تراها في قولك ان تخرج اخرج
وان خرجت خرجت وان تخرج فانا خارج وانا خارج ان خرجت وانا ان
خرجت خارج وفي الحال الى الوجوه التي تراها في قولك جاءني زيد مسرعاً وجاءني
يسرع وجاءني وهو مسرع او وهو يسرع وجاءني قد اسرع وجاءني وقد اسرع
فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجيء به حيث ينبغي له وينظر في الحروف
التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع
كلاً من ذلك في خاص معناه نحو ان يجيء بما في نفي الحال وبلا اذا اراد نفي
الاستقبال وبان فيما يترجح بين ان يكون وان لا يكون وباذا فيما علم انه كائن
وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع
الوصل ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء و
موضع الفاء من موضع ثم وموضع او من موضع ام وموضع لكن من موضع
بل ويتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتاخير في الكلام كله و
في الحذف والتكرار والاضمار والاظهار فيصيب بكل من ذلك مكانه

ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له هذا هو السبيل فلست بواجد شيئا
يرجع صوابه إن كان صوابا وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم ويدخل تحت
هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع
في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه واستعمل
في غير ما ينبغي له فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده أو وصف
بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك
المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه ووجدته يدخل في أصل من
أصوله ويتصل بباب من أبوابه هذه جملة لا تزداد فيها إلا ازددت لها
تصورا وازدادت عندك صحة وازددت بها ثقة وليس من أحد
تحركه لأن يقول في أمر النظم إلا وجدته قد اعترف لك بها أو ببعضها و
وافق فيها درى ذلك أو لم يدر ويكفيك أنهم قد كشفوا عن وجه ما أردناه
حيث ذكروا فساد النظم وليس من أحد يخالف في نحو قول الفرزدق
وما مثله في الناس إلا مملكا ... أبو أمه حي أبوه يقاربه ... وقول المتنبي
ولذا اسم أغطية العيون جفونها ... من أنها عمل السيوف عوامل ... وقوله
الطيب أنت إذا أصابك طيبه ... والماء أنت إذا اغتسلت الغاسل ... وقوله
وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه ... بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه ... وقول أبي تمام
ثانيه في كبد السماء ولم يكن ... كاثنين ثان إذ هما في الغار ... وقوله يدي لمن شاء رهن
لم يذق جرعا من راحتيك درى ما الصاب والعسل ... وفي نظائر ذلك مما
وصفوه بفساد النظم وعابوه من جهة سوء التأليف أن الفساد والخلل

كان من أن يتعاطى الشاعر ما تعاطاه من هذا الشأن على غير الصواب فيصنع
في تقديم أو تأخير أو حذف وإضمار أو غير ذلك مما ليس له أن يصنعه وما لا
يسوغ ولا يصح على أصول هذا العلم وإذا ثبت أن سبب فساد النظم واختلاله
أن لا يعمل بقوانين هذا الشأن ثبت أن سبب صحته أن يعمل عليها ثم إذا
ثبت أن مستنبط صحته وفساده من هذا العلم ثبت أن الحكم كذلك في مزيته
والفضيلة التي تعرض فيه وإذا ثبت جميع ذلك ثبت أن ليس هو شيئا غير
توخي معاني هذا العلم وأحكامه فيما بين الكلم والله الموفق للصواب وإذ قد عرفت
ذلك فاعمد إلى ما تواصفوه بالحسن وتشاهدوا له بالفضل ثم جعلوه كذلك من أجل
النظم خصوصا دون غيره مما يستحسن له الشعر أو غير الشعر من معنى لطيف
أو حكمة أو أدب أو استعارة أو تجنيس أو غير ذلك مما لا يدخل في النظم وتأمله
فإذا رأيتك قد ارتحت واهتززت واستحسنت فانظر إلى حركات الأريحية
مم كانت وعند ماذا ظهرت فإنك ترى عيانا أن الذي قلت لك كما قلت اعمد
إلى قول البحتري ~~صليبا~~ بلونا ضرائب من قد نرى ... فما إن رأينا لفتح ضريبا
هو المرء أبدت له الحادثات ... عزما وشيكا ورأيا صليبا ... تنقل في خلقي سودد
سماحا مرجى وبأسا مهيبا ... فكالسيف إن جئته صارخا ... وكالبحر إن جئته مستثيبا
فإذا رأيتها قد راقتك وكثرت عندك ووجدت لها اهتزازا في نفسك
فعد فانظر في السبب واستقص في النظر فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه
قدم وأخر وعرف ونكر وحذف وأضمر وأعاد وكرر وتوخى على الجملة
وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو فأصاب في ذلك كله ثم لطف

موضع صوابه واتى ما اتى يوجب الفضيلة افلا ترى ان اول شي يروقك منها
قوله هو المرء ابدت له الحادثات ثم قوله تنقل في خلقي سودد بتنكير
السودد واضافة الخلقين اليه ثم قوله فكالسيف وعطفه بالفاء مع حذفه
المبتدا لان المعنى لا محالة فهو كالسيف ثم تكريره الكاف في قوله وكالبحر ثم ان
قرن الى كل واحد من التشبيهين شرطا جوابه فيه ثم ان اخرج من كل واحد من الشرطين
حالا على مثال ما اخرج من الآخر وذلك قوله صارخا هناك ومستثيبا هاهنا
لا ترى حسنا تنسبه الى النظم ليس سببه ما عددت او ما هو في حكم ما عددت
فاعرف ذلك وان اردت اظهر امرا في هذا المعنى فانظر الى قول ابرهيم بن
العباس فلو اذ نبا دهر وانكر صاحب وسلط اعداء وغاب نصير
تكون عن الاهواز داري بنجوة ولكن مقادير جرت وامور وانى لارجو بعد هذا
محمدا لافضل ما يرجى اخ ووزير فانك ترى ما ترى من الرونق والطلاوة
ومن الحسن والحلاوة ثم تتفقد السبب في ذلك فتجده انما كان من اجل تقديمه
الظرف الذي هو اذ نبا على عامله الذي هو تكون وان لم يقل فلو تكون عن الاهواز
داري بنجوة اذ نبا دهر ثم ان قال تكون ولم يقل كان ثم ان نكر الدهر ولم يقل فلو اذ
نبا الدهر ثم ان ساق هذا التنكير في جميع ما اتى به من بعد ثم ان قال وانكر
صاحب ولم يقل وانكرت صاحبا لا ترى في البيتين الاولين شيا غير الذي
عددته لك تجعله حسنا في النظم وكله من معاني النحو كما ترى وهكذا السبيل
ابدا في كل حسن ومزية رايتهما قد نسبا الى النظم وفضل وشرف احيل
فيهما عليه واذ قد عرفت ان مدار امر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق

التي من شانها ان تكون فيه فاعلم ان الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف
عندها ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها ثم اعلم ان ليست المزية بواجبة لها
في انفسها ومن حيث هي على الاطلاق ولكن تعرض بسبب المعاني والاغراض
التي يوضع لها الكلام ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها
مع بعض تفسير هذا انه ليس اذا راقك التنكير في سودد من قوله تنقل في
خلقي سودد وفي دهر من قوله فلو اذ نبا دهر فانه يجب ان يروقك ابدا في
كل شي ولا اذا استحسنت لفظ ما لم يسم فاعله في قوله وانكر صاحب فانه ينبغي
ان لا تراه في مكان الا اعطيته مثل استحسانك هاهنا بل ليس من فضل ومزية
الا بحسب الموضع وبحسب المعنى الذي تريد والغرض الذي تؤم وانما سبيل
هذه المعاني سبيل الاصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش فكما انك ترى الرجل
قد تهدى في الاصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج الى ضرب
من التخير والتدبر في انفس الاصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه
لها وترتيبه اياها الى ما لم يتهد اليه صاحبه فجاء نقشه من اجل ذلك اعجب و
صورته اغرب كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيهما معاني النحو ووجوهه
التي علمت انها محصول النظم واعلم ان من الكلام ما انت ترى المزية في نظمه
والحسن كالاجزاء من الصبغ تتلاحق وينضم بعضها الى بعض حتى تكثر في العين
فانت لذلك لا تكبر شان صاحبه ولا تقضي له بالحذق والاستاذية وسعة
الذرع وشدة المنة حتى تستوفي القطعة وتاتي على عدة ابيات وذلك
ما كان من الشعر في طبقة ما انشدتك من ابيات البحتري ومنه ما انت ترى

الحسن يهجم عليك منه دفعةً ويأتيك منه ما يملأ العين ضربةً حتى تعرف
من البيت الواحد مكان الرجل في الفضل وموضعه في الحذق وتشهد له
بفضل المنة وطول الباع وحتى تعلم ان لم تعلم القائل انه من قبل شاعر
فحل وانه خرج من تحت يدٍ صناعٍ وذلك ما اذا انشدته وضعت فيه اليد
على شيء فقلت هذا هذا وما كان كذلك فهو الشعر الشاعر والكلام الفاخر
والنمط العالي الشريف والذي لا تجده الا في شعر الفحول البزل ثم المطبوعين
الذين يلهمون القول الهاما ثم انك تحتاج ان تستقري عدة قصائد بل ان تفلي
ديوانًا من الشعر حتى تجمع منه عدة ابيات وذلك ما كان مثل قول الاول
وتمثل به ابو بكر الصديق رضي الله عنه حين اتاه كتاب خالد بالفتح في هزيمة الاعاجم
تمنانا ليلقانا بقومٍ تخال بياض لامهم السرابا فقد لاقيتنا فرايت حربًا
عوانا تمنع الشيخ الشرابا انظر الى موضع الفاء في قوله فقد لاقيتنا فرايت
ومثل قول العباس بن الاحنف قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول
فقد جئنا خراسانا انظر الى موضع الفاء وثم قبلها ومثل قول ابن الدمينة
ابيني افي يمنى يديك جعلتني فافرح ام صيرتني في شمالك ابيت كاني بين
شقين من عصا حذار الردى او خيفة من زيالك تعاللت كي اشجى وما بك
علة تريدين قتلي قد ظفرت بذلك انظر الى الفصل والاستئناف في قوله
تريدين قتلي قد ظفرت بذلك ومثل قول ابي حفص الشطرنجي وقاله على
لسان علية اخت الرشيد وقد كان الرشيد عتب عليها لو كان يمنع حسن
الفعل صاحبه من ان يكون له ذنب الى احد كانت علية ابرا الناس كلهم

من ان تكافا بسوء آخر الابد ما اعجب الشيء ترجوه فتحرمه قد كنت احسب
اني قد ملأت يدي انظر الى قوله قد كنت احسب والى مكان هذا الاستئناف
ومثل قول ابي دواد ولقد اغتدي يدافع ركني اجولي ذو ميعةٍ اضريج
سلهبٌ شرجبٌ كان رماحًا حملته وفي السراة دموج انظر الى التنكير
في قوله كان رماحا ومثل قول ابن البواب اتيتك عائذا بك منك لما ضاقت الحيل
وصيرني هواك وبي لحيني يضرب المثل فان سلمت لكم نفسي فما لاقيته جلل
وان قتل الهوى رجلا فاني ذلك الرجل انظر الى الاشارة والتعريف في قوله
فاني ذلك الرجل ومثل قول عبد الصمد مكتئب ذو كبد حرى تبكي عليه مقلة
عبرى يرفع يمناه الى ربه يدعو وفوق الكبد اليسرى انظر الى لفظة يدعو
والى موقعها ومثل قول جرير لمن الديار ببرقة الروحان اذ لا نبيع زماننا بزمان
صدع الغواني اذ رمين فؤاده صدع الزجاجة ما لذاك تداني انظر الى
قوله ما لذاك تداني وتامل حال هذا الاستئناف ليس من بصير عارف بجوهر
الكلام حساس متفهم لهذا الشان ينشد او يقرا هذه الابيات الا لم يلبث
ان يضع يده في كل بيتٍ منها على الموضع الذي اشرت اليه يعجب و
يعجب ويكبر شان المزية فيه والفضل فصل واعلم
ان ما هو اصل في ان يدق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت
ان تتحد اجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثان منها
باول وان تحتاج في الجملة الى ان تضعها في النفس وضعا واحدا وان
يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه هاهنا في حال ما يضع بيساره هناك

نعم وفي حال ما يسيء مكان ثالث ورابع يضعها بعد الاولين وليس لما شانه ان
يجي على هذا الوصف حد يحصره وقانون يحيط به فانه يجي على وجوه شتى و
انحآ مختلفة فمن ذلك ان تزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء معًا كقول البحتري
اذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى اصاخت الى الواشي فلج بها الهجر وقوله
اذا احتربت يومًا ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها
فهذا نوع ونوع اخر منه قول سليمن بن داود القضاعي فبينا المرء في علياء اهوى
ومنحط اتيح له اعتلاء وبينا نعمة اذ حال بؤس وبؤس اذ تعقبه ثراء
ونوع ثالث وهو ما كان كقول كثير واني وتهيامي بعزة بعدما تخليت مما
بيننا وتخلت لكالمرتجي ظل الغمامة كلما تبوأ منها للمقيل اضمحلت وكقول البحتري
لعمرك انا والزمان كما جنت على الاضعف الموهون عادية الاقوى ومنه
التقسيم وخصوصا اذا قسمت ثم جمعت كقول حسان قوم اذا حاربوا ضروا
عدوهم او حاولوا النفع في اشياعهم نفعوا سجية تلك منهم غير محدثة
ان الخلائق فاعلم شرها البدع ومن ذلك شي وهو في غاية الحسن قول القائل
لو ان ما انتم فيه يدوم لكم ظننت ما انا فيه دائما ابدا لكن رايت الليالي غير تاركة
ما سر من حادث او ساء مطردا فقد سكنت الى اني وانكم سنستجد خلاف
الحالين غدا فقوله سنستجد خلاف الحالين غدا جمع ما قسم لطيف و
قد ازداد لطفا بحسن ما بناه عليه ولطف ما توصل به اليه من قوله فقد
سكنت الى اني وانكم واذ قد عرفت هذا النمط من الكلام وهو ما تتحد
اجزاؤه حتى يوضع وضعًا واحدا فاعلم ان النمط العالي والباب الاعظم و

والذي لا ترى سلطان المزية يعظم في شي كعظمه فيه ومما تدر منه ولطف ماخذه
ودق نظر واضعه وجلى لك عن شاو قد تحسر دونه العتاق وغاية يعيا
من قبلها المذاكي القرح الابيات المشهورة في تشبيه شيين بشيين كقول امرى
القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسًا لدى وكرها العناب والحشف البالي
وبيت الفرزدق والشيب ينهض في الشباب كانه ليل يصيح بجانبيه نهار
وبيت بشار كان مثار النقع فوق رؤسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه
ومما اتى في هذا الباب ماتى اعجب مما مضى كله قول زياد الاعجم وانا وما
تلقي لنا ان هجوتنا لكالبحر مهما يلق في البحر يغرق وانما كان اعجب لان عمله
ادق وطريقه اغمض ووجه المشاركة فيه اغرب واعلم ان من الكلام ما انت
تعلم اذا تدبرته ان لم يحتج واضعه الى فكر وروية حتى انتظم بل ترى سبيله في
ضم بعضه الى بعض سبيل من عمد الى لآلٍ فخرطها في سلك لا يبغي اكثر من
ان يمنعها التفرق وكمن نضد اشيآ بعضها على بعض لا يريد في نضده ذلك ان
تجي له منه هيئة او صورة بل ليس الا ان تكون مجموعة في راي العين وذلك اذا كان
معناك معنى لا يحتاج ان تصنع فيه شيا غير ان تعطف لفظا على مثله كقول الجاحظ
جنبك الله الشبهة وعصمك من الحيرة وجعل بينك وبين المعرفة نسبا وبين
الصدق سببًا وحبب اليك التثبت وزين في عينيك الانصاف و
اذاقك حلاوة التقوى واشعر قلبك عز الحق واودع صدرك برد
اليقين وطرد عنك ذل الياس وعرفك ما في الباطل من الذلة وما في
الجهل من القلة ∴ وكقول بعضهم لله در خطيب قام عندك يا امير المومنين

ما أفصح لسانه وأحسن بيانه وأمضى جنانه وأبلّ ريقه وأسهل طريقه ومثل قول
النابغة في الثناء المسجوع أيفاخرك الملك اللخمي فوالله لقفاك خير من وجهه
ولشمالك خير من يمينه ولأخمصك خير من رأسه ولخطاؤك خير من صوابه ولعيّك
خير من كلامه ولخدمك خير من قومه وكقول بعض البلغاء في وصف اللسان
اللسان أداة يظهر بها حسن البيان وظاهر يخبر عن الضمير وشاهد ينبئك عن
غائب وحاكم يفصل به الخطاب وواعظ ينهى عن القبيح ومزيّن يدعو إلى الحسن
وزارع يحرث المودّة وحاصد يحصد الضغينة وملهٍ يونق الأسماع فما كان
من هذا وشبهه لم يجب به فضل إذا وجب إلا بمعناه أو بمتون ألفاظه دون
نظمه وتأليفه وذلك لأنه لا فضيلة حتى ترى في الأمر مصنعًا وحتى تجد إلى التخيّر
سبيلا وحتى تكون قد استدركت صوابًا فإن قلت أفليس هو كلامًا قد اطّرد
على الصواب وسلم من العيب أفما يكون في كهفوة الصواب فضيلة قيل أمّا والصواب
كما ترى فلا لأنّا لسنا في ذكر تقويم اللسان والتحرّز من اللحن وزيغ الإعراب
فنعتدّ بمثل هذا الصواب وإنما نحن في أمور تدرك بالفكر اللطيفة ودقائق يوصل
إليها بثاقب الفهم فليس درك صواب دركًا فيما نحن فيه حتى يشرف موضعه
ويصعب الوصول إليه وكذلك لا يكون ترك خطأ تركًا حتى يحتاج في التحفظ
منه إلى لطف نظر وفضل روية وقوة ذهن وشدة تيقّظ وهذا باب ينبغي
أن تراعيه وأن تعنى به حتى إذا وازنت بين كلام وكلام دريت كيف تصنع
فضممت إلى كل شيء شكله وقابلته بما هو نظير له وميّزت ما الصنعة منه
في لفظه مما هي منه في نظمه واعلم أن هذا أعني الفرق بين أن تكون المزية

كثرة

في اللفظ وبين أن تكون في النظم باب يكثر فيه الغلط فلا تزال ترى مستحسنًا قد
أخطأ بالاستحسان موضعه فينحل اللفظ ما ليس له ولا تزال ترى الشبهة قد دخلت عليك
في الكلام قد حسن من نظمه ولفظه فظننت أن حسنه ذلك كله للفظ منه دون
النظم مثال ذلك أن تنظر إلى قول ابن المعتز وإني على إشفاق عيني من العدى لتجمح
مني نظرة ثم أطرق فترى أن هذه الطلاوة وهذا الظرف إنما هو لأن جعل
النظر يجمح وليس هو لذلك بل لأن قال في أول البيت وإني حتى دخل اللام في لتجمح
ثم لقوله مني ثم لأن قال نظرة ولم يقل النظر مثلا ثم لمكان ثم في قوله ثم أطرق
وللطيفة أخرى نصرت هذه اللطائف وهي اعتراضه بين اسم إن وخبرها
بقوله على إشفاق عيني من العدى وإن أردت أعجب من ذلك فيما ذكرت
لك فانظر إلى قوله وقد تقدم إنشاده قبل سالت عليه شعاب الحي حين دعا
أنصاره بوجوه كالدنانير فإنك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها إنما تم
لها الحسن وانتهى إلى حيث انتهى بما توخّي في ترصيع الكلام من التقديم والتأخير
وتجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها وإن شككت فاعمد
إلى الجارّين والظرف فأزل كلا منها عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه فقل
سالت شعاب الحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره ثم انظر كيف
يكون الحال وكيف يذهب الحسن والحلاوة وكيف تعدم أريحيتك التي كانت
وكيف تذهب النشوة التي كنت تجدها وجملة الأمر أن ها هنا كلامًا حسنه للفظ
دون النظم وآخر حسنه للنظم دون اللفظ وثالثًا قد أتاه الحسن من الجهتين و
وجبت له المزية بكلا الأمرين والإشكال في هذا الثالث وهو الذي لا تزال ترى

قوله

وضع

الغلط قد عارضك فيه وتراك قد حِفت فيه على النظم فتركته وطمحت ببصرك الى
اللفظ وقدّرت في حسنٍ كان به وباللفظ انه للفظ خاصةً وهذا هو الذي اردت
حين قلت لك ان في الاستعارة ما لا يمكن بيانه الا بعد العلم بالنظم والوقوف على
حقيقته ومن دقيق ذلك وخفيّه انك ترى الناس اذا ذكروا قوله تعالى واشتعل
الرأس شيبا لم يزيدوا فيه على ذكر الاستعارة ولم ينسبوا الشرف الا اليها ولم يروا
للمزية موجبا سواها هكذا ترى الامر في ظاهر كلامهم وليس الامر على ذلك ولا
هذا الشرف العظيم وهذه المزية الجليلة وهذه الروعة التي تدخل على
النفوس عند هذا الكلام لمجرد الاستعارة وذلك لان سُلك بالكلام طريق
ما يسنَد الفعل فيه الى الشيء وهو لما هو من سببه فيرفع به ما يسنَد اليه ويؤتى
بالذي الفعل له في المعنى منصوبا بعده مبيّنا ان ذلك الاسناد وتلك النسبة الى ذلك
الاول انما كانا من اجل هذا الثاني ولما بينه وبينه من الاتصال والملابسة كقولهم
طابَ زيدٌ نفسًا وقرّ عمرٌو عينا وتصبّبَ عرقا وكرم اصلاً وحسن وجهًا
واشباه ذلك مما تجد الفعل فيه منقولا عن الشيء الى ما ذلك الشيء من سببه
وذلك انا نعلم ان اشتعل للشيب في المعنى وان كان هو للرأس في اللفظ كما ان
طابَ للنفس وقرّ للعين وتصبّب للعرق وان اسند الى ما اسند اليه يبين ان
الشرف كان لان سلك فيه هذا المسلك وتوخّي به هذا المذهب ان تدع
هذا الطريق فيه وتأخذ اللفظ فتسنده الى الشيب صريحًا فتقول اشتعل
شيبُ الرأس او الشيب في الرأس ثم تنظر هل تجد ذلك الحسن وتلك الفخامة
وهل ترى الروعة التي كنت تراها فان قلت فما السبب في ان كان اشتعل

اذا استعير للشيب على هذا الوجه كان له هذا الفضل ولِمَ بان بالمزية من الوجه
الآخر هذه البينونة فان السبب انه يفيد مع لمعان الشيب في الرأس الذي
هو اصل المعنى الشمول وانه قد شاع فيه واخذه من نواحيه وانه قد استغرقه
وعمّ جملته حتى لم يبق من السواد شيء او لم يبق الا ما لا يعتد به وهذا ما لا يكون
اذا قيل اشتعل شيب الرأس او الشيب في الرأس بل لا يوجب اللفظ حينئذ
اكثر من ظهوره فيه على الجملة ووزان هذا انك تقول اشتعل البيت نارًا فيكون
المعنى ان النار قد وقعت فيه وقوع الشمول وانها قد استولت عليه و
اخذت في طرفيه ووسطه وتقول اشتعلت النار في البيت فلا يفيد ذلك بل لا
يقتضي اكثر من وقوعها فيه واصابتها جانبا منه فاما الشمول وان يكون قد استولت
على البيت وابتزّته فلا يعقل من اللفظ البتة ونظير هذا في التنزيل قوله تعالى
وفجّرنا الارض عيونا التفجير للعيون في المعنى واوقع على الارض في اللفظ كما
اسند هناك الاشتعال الى الرأس وقد حصل بذلك من معنى الشمول هاهنا مثل
الذي حصل هناك وذلك انه قد افاد ان الارض قد كانت عيونا كلها وان الماء
قد كان يفور من كل مكان منها ولو اجري اللفظ على ظاهره فقيل وفجّرنا عيون
الارض او العيون في الارض لم يفد ذلك ولم يدل عليه ولكان المفهوم منه ان
الماء قد كان فار من عيون متفرقة في الارض وتبجّس من اماكن منها واعلم ان في
الآية الاولى شيئا آخر من حسن النظم وهو تعريف الرأس بالالف واللام و
افادة معنى الاضافة من غير اضافة وهو احد ما اوجب المزية ولو قيل
واشتعل راسي فصرّح بالاضافة لذهب بعض الحسن فاعرفه وانا اكتب

صارت به

لكل شيء مما يسمى الاستعارة فيه هذا السبيل لم يتحكم الباب في تعسّف و
لنا نشير به فمن عجيب ذلك قول بعض الأعراب: الليلُ داجٍ كنفا جلبابه
والبينُ محجورٌ على غرابه ليس كل ما ترى من الملاحة لأن جعل لليل جلبابا
وحجر على الغراب ولكن في أن وضع الكلام الوضع الذي ترى فجعل الليل
مبتدأ وجعل داجٍ خبرا له وفعلا لما بعده وهو الكنفان وأضاف الجلباب
إلى ضمير الليل ولأن جعل كذلك البين مبتدأ وأجرى محجورا خبرا عليه وأن
أخرج اللفظ على مفعول بيّن ذلك أنك لو قلت غراب البين محجور عليه
لم تجد له هذه الملاحة وكذلك لو قلت قد دجا كنفا جلباب الليل لم يكن شيئا
ومن النادر فيه قول المتنبي: غَصَبَ الدهرَ والملوكَ عليها فبناها في وجنةِ
الدهرِ خالا قد ترى في أول الأمر حسنا أجمع في أن جعل للدهر وجنة
وجعل البنية خالا في الوجنة وليس الأمر كذلك فإن موضع الأعجوبة في أن
أخرج الكلام مخرجه الذي ترى وأن أتى بالخال منصوبا على الحال من قوله
فبناها ألا ترى أنك لو قلت وهي خال في وجنة الدهر لوجدت الصورة
غير ما ترى وشبيه بذلك أن ابن المعتز قال: يا مِسكةَ العطارِ وخالَ
وجهِ النهار وكانت الملاحة في الإضافة بعد الإضافة لا في استعارة لفظة
الخال إذ معلوم أنه لو قال يا خالا في وجه النهار أو يا من هو خال في وجه
النهار لم يكن شيئا ومن شأن هذا الضرب أن يدخله الاستكراه قال الصاحب
إياك والإضافات المتداخلة فإن ذلك لا يحسن وذكر أنه يستعمل في الهجاء
كقول القائل: يا علي بن حمزة بن عماره أنت والله ثلجة في خياره ولا شبهة في

غَضَبَ

الصاحب لقب اسمعيل بن عباد كان وزيرا لملك العراق ... اصبهان م

في ثقل لكن في الأكثر ولكنه إذا سلم من الاستكراه مَلُحَ ولَطُفَ ومما حَسُنَ فيه قول
ابن المعتز: وظلّت تدير الراحَ أيدي جآذرٍ عتاقٍ دنانيرِ الوجوهِ
مِلاحِ ومما جاء فيه حسنا جميلا قول الخالدي في صفة غلام له:
ويعرفُ الشعرَ مثلَ معرفتي وهو على أن يزيدَ مجتهدُ وصيرفيُّ القريضِ
وزّانُ دينارِ المعاني الدقاقِ منتقدُ ومنه قول أبي تمام: خذها ابنةَ الفكرِ
المهذَّبِ في الدجى والليلُ أسودُ رقعةِ الجلبابِ ومما أكثر الحسن فيه
بسبب النظم قول المتنبي: وقيّدتُ نفسي في ذراك محبّةً ومن وجدَ
الإحسانَ قيدا تقيّدا فالاستعارة في نفسها مبتذلة معروفة فإنك ترى
العامي يقول للرجل يكثر إحسانه إليه وبرّه حتى يألفه ويختار المقام عنده
قد قيدني بكثرة إحسانه إليّ وجميل فعله معي حتى صارت نفسي لا تطاوعني على
الخروج من عنده وإنما كان ما ترى من الحسن بالمسلك الذي سلك في النظم والتأليف

فصل القول في التقديم والتأخير هو باب كثير الفوائد جمّ المحاسن
واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفترّ لك عن بديعة ويفضي بك إلى
لطيفة ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم
تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قُدّم فيه شيء وحُوِّل
اللفظ عن مكان إلى مكان. واعلم أن تقديم الشيء على وجهين تقديم يقال إنه
على نية التأخير وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه و
في جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ والمفعول إذا
قدمته على الفاعل كقولك منطلق زيد وضرب عمرا زيد معلوم أن منطلق

خ
العروض

نقيد [illegible] ... في القيد م

وعمرا المرتجل حاله التقديم كما كان عليه من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعا بذلك
وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من أجله كما يكون إذا أخرت. وتقديم لا على نية..
التأخير ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم وتجعل له بابا غير بابه وإعرابا غير إعرابه
وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له
فتقدم تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق
حيث تقول مرة زيد المنطلق وأخرى المنطلق زيد فأنت في هذا لم تقدم المنطلق
على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير فيكون خبر مبتدأ كما كان بل
على أن تنقله عن كونه خبرا إلى كونه مبتدأ وكذلك لم تؤخر زيدا على أن يكون مبتدأ
كما كان بل على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبرا وأظهر من هذا قولنا ضربت
زيدا وزيد ضربته لم تقدم زيدا على أن يكون مفعولا منصوبا بالفعل كما كان ولكن
على أن ترفعه بالابتداء وتشغل الفعل بضميره وتجعله في موضع الخبر له وإذ قد
عرفت هذا التقسيم فإني أتبعه بجملة من الشرح اعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا
فيه شيئا يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام قال صاحب الكتاب
وهو يذكر الفاعل والمفعول كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى
وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم ولم يذكر في ذلك مثالا وقال النحويون إن معنى
ذلك أنه قد يكون أغراض الناس في فعل ما أن يقع بإنسان بعينه ولا يبالون
من كان الفعل منهم أوقعه كمثل ما يعلم من حالهم في الخارجي يخرج فيعيث
ويفسد ويكثر به الأذى أنهم يريدون قتله ولا يبالون من كان القتل منه ولا يعنيهم
منه شيء فإذا قتل وأراد مريد الإخبار بذلك فإنه يقدم ذكر الخارجي فيقول

قتل الخارجيَّ زيد ولا يقول قتل زيد الخارجي لأنه يعلم أن ليس للإنسان في أن
يعلموا أن القاتل له زيد جدوى وفائدة فيعنيهم ذكره ويهمهم ويتصل بمسرتهم
ويعلم من حالهم أن الذي هم متوقعون له ومتطلعون إليه متى يكون وقوع القتل
بالخارجي المفسد وأنهم قد كفوا شره وتخلصوا منه ثم قالوا فإن كان رجل ليس
له بأس ولا يقدر فيه أنه يقتل فقتل رجلا وأراد المخبر أن يخبر بذلك فإنه
يقدم ذكر القاتل فيقول قتل زيد رجلا ذاك لأن الذي يعنيه ويعني الناس من
شأن هذا القتل طرافته وموضع الندرة فيه وبعده كان من الظن ومعلوم
أنه لم يكن نادرا بعيدا من حيث كان واقعا بالذي وقع به ولكن من حيث كان
واقعا من الذي وقع منه فهذا جيد بالغ إلا أن الشأن في أنه ينبغي أن يعرف في كل
شيء قدم في موضع من الكلام مثل هذا المعنى ويفسر وجه العناية فيه هذا
التفسير وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال إنه قدم للعناية ولأن ذكره أهم
من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية وبم كان أهم ولتخيلهم ذلك قد صغر
أمر التقديم والتأخير في نفوسهم وهونوا الخطب فيه حتى إنك لترى أكثرهم
يرى تتبعه والنظر فيه ضربا من التكلف ولم تر ظنا أزرى على صاحبه من هذا
وشبهه وكذلك صنعوا في سائر الأبواب فجعلوا لا ينظرون في الحذف و
التكرار والإظهار والإضمار والفصل والوصل ولا في نوع من أنواع الفروق
والوجوه إلا نظرك فيما غيره أهم لك بل فيما إن لم تعلمه لم يضرك لا جرم
أن ذلك قد ذهب بهم عن معرفة البلاغة ومنعهم أن يعرفوا مقاديرها و
صد أوجههم عن الجهة التي هي فيها والشق الذي يحويها والمداخل التي تدخل

منها لآفة على الناس في شأن العلم وبلغ الشيطان مراده منهم في الصد عن طلبه
واحراز فضيلته كثيرة وهذه من اعجبها ان وجدت متعجبا وليت شعري
ان كانت هذه امورا هينة وكان المدى فيها قريبا والجدى يسيرا من اين كان نظم
اشرف من نظم وبم عظم التفاوت واشتد التباين في الاخلاق وترقى الامر
الى الاعجاز والى ان يقهر اعناق الجبابرة او هاهنا امور اخر نحيل في المزية عليها
ونجعل الاعجاز كان بها فتكون تلك الحوالة لنا عذرا في ترك النظر في هذه التي
معنا والاعراض عنها وقلة المبالاة بها او ليس هذا التهاون ان نظر العاقل
خيانة منه لعقله ودينه ودخولا فيما يزري بذي الخطر ويغض من قدر ذوي
القدر وهل يكون اضعف رايا وابعد من حسن التدبير منك اذا همك ان تعرف
الوجوه في أأنذرتهم والامالة في رأى القمر وتعرف الصراط والزراط واشباه
ذلك مما لا يعدو علمك فيه اللفظ وجرس الصوت ولا يمنعك ان لم تعلمه
بلاغة ولا يدفعك عن بيان ولا يدخل عليك شكا ولا يغلق دونك باب
معرفة ولا يفضي بك الى تحريف وتبديل والى الخطا في تاويل والى ما يعظم
فيه المعاب عليك ويطيل لسان القادح فيك ولا يعنيك ولا يهمك ان
تعرف ما اذا جهلته عرضت نفسك لكل ذلك وحصلت فيما هنالك و
كان اكثر كلامك في التفسير وحيث تخوض في التاويل كلام من لا يبني الشيء
على اصله ولا ياخذه من ماخذه ومن ربما وقع في الفاحش من الخطا الذي يبقى
عاره وتشنع آثاره ونسال الله تعالى العصمة من الزلل والتوفيق لما هو
اقرب الى رضاه من القول والعمل واعلم ان من الخطا ان يقسم الامر في

تقديم الشيء وتأخيره قسمين فيجعل مفيدا في بعض الكلام وغير مفيد في
بعض وان يعلل تارة بالعناية واخرى بانه توسعة على الشاعر والكاتب
حتى تطرد لهذا قوافيه ولذاك سجعه ذاك لان من البعيد ان يكون في جملة
النظم ما يدل تارة ولا يدل اخرى فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلا على الفعل
في كثير من الكلام انه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التاخير فقد وجب
ان تكون قضية في كل شيء وكل حال ومن سبيل من يجعل التقديم وترك التقديم
سواء ان يدعي انه كذلك في عموم الاحوال فاما ان يجعله بين بين فيزعم انه للفائدة
في بعضها وللتصرف في اللفظ من غير معنى في بعض فمما ينبغي ان يرغب عن
القول به والله اعلم فصل وهذه مسائل لا يستطيع احد ان يمتنع
من التفرقة بين تقديم ما قدم فيها وترك تقديمه ومن ابين شيء في ذلك الاستفهام
بالهمزة فان موضع الكلام على انك اذا قلت أفعلت فبدأت بالفعل
كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك ان تعلم وجوده
واذا قلت أأنت فعلت فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو و
كان التردد فيه ومثال ذلك انك تقول أبنيت الدار التي كنت على ان تبنيها
أقلت الشعر الذي كان في نفسك ان تقوله أفرغت من الكتاب الذي كنت
تكتبه تبدأ في هذا ونحوه بالفعل لان السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه
لانك في جميع ذلك متردد في وجود الفعل وانتفائه مجوز ان يكون قد كان و
ان يكون لم يكن وتقول أأنت بنيت هذه الدار أأنت قلت هذا الشعر أأنت
كتبت هذا الكتاب فتبدأ في ذلك كله بالاسم ذاك لانك لم تشك في الفعل

انه كان كيف وقد اشرت الى الدار مبنية والشعر مقولا والكتاب مكتوبا واما
شككت في الفاعل من هو فهذا من الفرق لا يدفعه دافع ولا يشك فيه شاك و
لا يخفى فساد احدهما في موضع الآخر ولو قلت أأنت بنيت الدار التي كنت على
ان تبنيها ~~أأنت قلت~~ أأنت قلت الشعر الذي كان في نفسك ان تقول
أأنت فرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه خرجت من كلام الناس وكذلك
لو قلت أبنيت هذه الدار أقلت هذا الشعر أكتبت هذا الكتاب قلت
ما ليس يقول ذاك العقلاء ان يقول في الشيء المشاهد الذي هو نصب عينك
أموجود أم لا ومما يعلم به ضرورة انه لا تكون البداية بالفعل كالبداية
بالاسم انك تقول أقلت شعرا قط أرأيت اليوم انسانا فيكون كلاما
مستقيما ولو قلت أأنت قلت شعرا قط أأنت رأيت انسانا اليوم
أخطأت وذلك انه لا معنى للسؤال عن الفاعل من هو في مثل هذا لان ذلك انما
يتصور اذا كانت الاشارة الى فعل مخصوص نحو ان تقول من قال هذا الشعر
ومن بنى هذه الدار ومن أتاك اليوم ومن أذن لك في هذا الذي فعلت وما
اشبه ذلك مما يمكن ان ينص فيه على معين فاما قيل شعر على الجملة ورؤية
انسان على الاطلاق فمحال ذلك فيه لانه ليس مما يختص بهذا دون ذاك حتى
يسأل عن عين فاعله ولو كان تقديم الاسم لا يوجب ما ذكرنا من ان يكون
السؤال عن الفاعل من هو وكان يصح ان يكون سؤالا عن الفعل أكان أم لم
يكن لكان ينبغي ان يستقيم ذلك واعلم ان هذا الذي ذكرت لك في الهمزة وهي
للاستفهام قائم فيها اذا هي كانت للتقرير فاذا قلت أأنت فعلت

ذاك كان غرضك بان تقرره بانه الفاعل يبين ذلك قوله تعالى حكاية عن قوم
نمرود أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم لا شبهة في انهم لم يقولوا ذلك
له عليه السلام وهم يريدون ان يقر لهم بان كسر الاصنام قد كان ولكن ان يقر
بانه منه كيف كان وقد اشاروا له الى الفعل في قولهم أأنت فعلت هذا و
قال هو عليه السلام في الجواب بل فعله كبيرهم هذا ولو كان التقرير بالفعل
لكان الجواب فعلت او لم افعل فان قلت أوليس اذا قال أفعلت فهو
يريد ايضا ان يقرره بان الفعل كان منه لا بانه كان على الجملة فاي فرق بين
الحالين فانه اذا قال أفعلت فهو يقرره بالفعل من غير ان يردده بينه وبين
غيره وكان كلامه كلام من يوهم انه لا يدري ان ذلك الفعل كان على الحقيقة
واذا قال أأنت فعلت كان قد ردد الفعل بينه وبين غيره ولم يكن منه في
نفس الفعل تردد ولم يكن كلامه كلام من يوهم انه لا يدري أكان الفعل أم
لم يكن بدلالة انك تقول ذلك والفعل ظاهر موجود مشار اليه كما رأيت
في الآية واعلم ان الهمزة فيما ذكرنا تقرير بفعل قد كان وانكار له لم كان وتوبيخ
لفاعله عليه ولها مذهب آخر وهو ان يكون لانكار ان يكون الفعل قد كان
من اصله ومثاله قوله تعالى أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم
لتقولون قولا عظيما وقوله تعالى أصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون
فهذا رد على المشركين وتكذيب لهم في قولهم ما يؤدي الجهل العظيم و
اذا قدم الاسم في هذا صار الانكار في الفاعل ومثاله قولك للرجل قد
انتحل شعرا أأنت قلت هذا الشعر كذبت لست ممن يحسن مثله أنكرت

الى هذا

أن يكون القائل لم يقل الشعر وقد يكون أن يراد إنكار الفعل من أصله ثم يخرج
اللفظ مخرجه إذا كان الإنكار في الفاعل مثال ذلك قول الله تعالى آلله أذن لكم
الإذن راجع إلى قوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا
ومعلوم أن المعنى على إنكار أن يكون قد كان من الله تعالى إذن فيما قالوه من غير
أن يكون هذا الإذن قد كان من غير الله فأضافوه إلى الله إلا أن اللفظ أخرج
مخرجه إذا كان الأمر كذلك لأن يجعلوا في صورة من غلط فأضاف إلى الله تعالى
إذنا كان من غير الله فإذا حقق عليه ارتدع ومثال ذلك قولك للرجل يدعي
أن قولا كان ممن تعلم أنه لا يقوله أهو قال ذلك بالحقيقة أم أنت تغلط تضع
الكلام وضعه إذا كنت علمت أن ذلك القول قد كان من قائل لينصرف
الإنكار إلى الفاعل فيكون أشد لنفي ذلك وإبطاله ونظير هذا قوله تعالى قل
آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أخرج اللفظ
مخرجه إذا كان قد ثبت تحريم في أحد أشياء ثم أريد معرفة عين المحرم
مع أن المراد إنكار التحريم من أصله ونفي أن يكون قد حرم شيء مما ذكروا
أنه محرم وذلك أن الكلام وضع على أن يجعل التحريم كأنه قد كان ثم يقال
لهم أخبرونا عن هذا التحريم الذي زعمتم فيم هو أفي هذا أم ذاك أم في الثالث
ليتبين بطلان قولهم ويظهر مكان الفرية منهم على الله ومثال هذا قولك
للرجل يدعي أمرا وأنت تنكره متى كان هذا أفي ليل أم نهار تضع الكلام وضع
من سلم أن ذلك قد كان ثم تطالبه ببيان وقته لكي يتبين كذبه إذا لم يقدر أن يذكر له
وقتا ويفتضح ومثله قولك من أمرك بهذا منا وأينا أذن لك فيه وأنت لا تعني

أن أمرا قد كان بذلك من واحد منكم إلا أنك تضع الكلام هذا الوضع لكي تضيق
عليه وليظهر كذبه حين لا يستطيع أن يقول فلان وأن يحيل على واحد وإذ
قد بينا الفرق بين تقديم الاسم والفعل ماض فينبغي أن ننظر فيه والفعل
مضارع والقول في ذلك أنك إذا قلت أتفعل وأأنت تفعل لم يخل من أن تريد
الحال أو الاستقبال فإن أردت الحال كان المعنى شبيها بما مضى في الماضي فإذا قلت
أتفعل كان المعنى على أنك أردت أن تقرره بفعل هو يفعله وكنت كمن يوهم أنه لا
يعلم بالحقيقة أن الفعل كائن وإذا قلت أأنت تفعل كان المعنى على أنك تريد أن تقرره
بأنه الفاعل وكان أمر الفعل في وجوده ظاهرا وبحيث لا يحتاج إلى الإقرار
بأنه كائن وإن أردت بتفعل المستقبل كان المعنى إذا بدأت بالفعل على أنك تعمد
بالإنكار إلى الفعل نفسه وتزعم أنه لا يكون أو أنه لا ينبغي أن يكون فمثال الأول
أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال فهذا تكذيب
منه لإنسان تهدده بالقتل وإنكار أن يقدر على ذلك ويستطيعه ومثله أن يطمع
طامع في أمر لا يكون مثله فتجهله في طمعه فتقول أيرضى عنك فلان وأنت مقيم
على ما يكره أتجد عنده ما تحب وقد فعلت وصنعت وعلى ذلك قوله تعالى أنلزمكموها
وأنتم لها كارهون ومثال الثاني قولك للرجل يركب الخطر أتخرج في هذا الوقت
أتذهب في غير الطريق أتغرر بنفسك وقولك للرجل يضيع الحق أتنسى قديم
إحسان فلان أتترك صحبته وتتغير عن حالك معه لأن تغير الزمان كما قال
أأترك أن قلت دراهم خالد زيارته إني إذا للئيم وجملة الأمر أنك تنحو بالإنكار
نحو الفعل فإن بدأت بالاسم فقلت أأنت تفعل أو قلت أهو يفعل كنت

الفعل مضارع م

قوله [illegible] غيظا البكري حيث أن يعلم أنه لا يكون قتلا السابقة للأول ولكنه يعني الكلام على [illegible] ٣ [illegible] لا يجوز أن [illegible] منه أن يقتل وكيف يستطيع ذلك والمشرفي مضاجعي

وجهت الانكار الى نفس المذكور وابيت ان يكون بموضع ان يجيء منه الفعل
وممن يجيء منه وان يكون بتلك المثابة تفسير ذلك انك اذا قلت اانت تمنعني
اانت تاخذ على يدي صرت كانك قلت ان غيرك الذي يستطيع منعي والاخذ
على يدي ولست بذاك ولقد وضعت نفسك في غير موضعك هذا اذا جعلته
لا يكون منه الفعل للعجز ولانه ليس في وسعه وقد يكون ان تجعله لا يجيء
منه لانه لا يختاره ولا يرتضيه وان نفسه نفس تابى مثله وتكرهه ومثاله ان تقول
اهو يسال فلانا هو ارفع همة من ذلك اهو يمنع الناس حقوقهم هو اكرم من ذلك
وقد يكون ان تجعله لا يفعله لصغر قدره وقصر همته وان نفسه نفس لا تسمو
وذلك قولك اهو يسمح بمثل هذا اهو يرتاح للجميل هو اقصر همة من ذلك واقل
رغبة في الخير مما تظن وجملة الامر ان تقديم الاسم يقتضي انك عمدت بالانكار
الى ذات من قيل انه يفعل او قال هو اني افعل واردت ما تريده اذا قلت
ليس هو بالذي يفعل وليس مثله يفعل ولا يكون هذا المعنى اذا بدات بالفعل
فقلت اتفعل الا ترى ان من المحال ان يزعم ان المعنى في قول الرجل لصاحبه
اتخرج في هذا الوقت اتغرر بنفسك اتمضي في غير الطريق انه انكر ان يكون
بمثابة من يفعل ذلك وبموضع من يجيء منه ذلك لان العلم محيط بان
الناس لا يريدونه وانه لا يليق بالحال التي يستعمل فيها هذا الكلام وكذلك محال
ان يكون المعنى في قوله تعالى انلزمكموها وانتم لها كارهون انا لسنا بمثابة من يجيء
منه هذا الالزام وان غيرنا من يفعله جل الله تعالى وقد يتوهم المتوهم في الشيء
من ذلك انه يحتمل فاذا نظر لم يحتمل فمن ذلك قوله ايقتلني والمشرفي مضاجعي قد

يظن الظان انه يجوز ان يكون في معنى انه ليس بالذي يجيء منه ان يقتل مثلي ويتعلق
بانه قال قبل يغط غطيط البكر شد خناقه ليقتلني والمرء ليس بقتال ولكن
اذا نظر علم انه لا يجوز وذلك لانه قال والمشرفي مضاجعي فذكر ما يكون منعا من
الفعل ومحال ان يجيء منه الفعل ثم يقول اني امنعه لان المنع يتصور فيمن يجيء
منه الفعل ومع من يصح منه لا من هو منه محال ومن هو في نفسه عنه عاجز
فاعرفه واعلم انا وان كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالانكار فان الذي هو
محض المعنى انه لتنبيه السامع حتى يرجع الى نفسه فيخجل ويرتدع ويعيا بالجواب
اما لانه قد ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه فاذا ثبت على دعواه قيل له فافعل
فيفضحه ذلك واما لانه هم بان يفعل ما لا يستصوب فعله فاذا روجع فيه تنبه و
عرف الخطا واما لانه جوز وجود امر لا يوجد مثله فاذا ثبت على تجويزه قبح
على نفسه وقيل له فارناه في موضع واقم شاهدا على انه كان في وقت ولو
كان يكون للانكار وكان المعنى فيه من بدء الامر لكان ينبغي ان لا يجيء فيما لا يقول
عاقل انه يكون حتى ينكر عليه كقولهم اتصعد الى السماء اتستطيع ان تنقل
الجبال الى رد ما مضى سبيل واذ قد عرفت ذلك فانه لا يقرر بالمحال وبما
لا يقول احد انه يكون الا على سبيل التمثيل وعلى ان يقال له انك في دعواك
ما ادعيت بمنزلة من يدعي هذا المحال وانك في طمعك في الذي طمعت فيه
بمنزلة من يطمع في الممتنع واذ قد عرفت هذا فمما هو من هذا الضرب قوله
تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمي ليس اسماع الصم مما يدعيه احد فيكون
ذلك للانكار وانما المعنى فيه التمثيل والتشبيه وان ينزل الذي يظن بهم

يستصوب

انهم يسمعون او انهم يستطيع اسماعهم مثل من يرى انه يسمع الصم ويهدي العمي
ثم المعنى في تقديم الاسم وان لم يقل اسمع الصم هو ان يقال للنبي صلى الله عليه
انت حسبه صادفا او تيقن انه يسمع الصم او يجعل في ظنه انه يستطيع اسماعهم
بمثابة من يظن انه قد اوتي قدرة على اسماع الصم ومن لطيف ذلك قول ابن عيينة
فدع الوعيد فما وعيدك ضائري اطنين اجنحة الذباب يضير جعله كانه قد ظن
ان طنين اجنحة الذباب بمثابة ما يضير حتى ظن ان وعيده يضيره واعلم ان حال المفعول
فيما ذكرنا كحال الفاعل اعني ان تقديم اسم المفعول يقتضي ان يكون الانكار في طريق الاحالة
والمنع من ان يكون بمثابة ان يوقع به مثل ذلك الفعل فاذا قلت ازيدا تضرب كنت قد
انكرت ان يكون زيد بمثابة ان يضرب او بموضع ان يجترأ عليه ويستجاز ذلك فيه ومن اجل
ذلك قدم غير في قوله تعالى أغير الله اتخذ وليا وقوله تعالى قل أرأيتكم ان اتاكم عذاب الله
او اتتكم الساعة أغير الله تدعون وكان له من الحسن والمزية والفخامة ما تعلم انه لا يكون
لو اخر فقيل أأتخذ غير الله وليا وأتدعون غير الله وذلك لانه قد حصل بالتقديم
معنى قولك أيكون غير الله بمثابة ان يتخذ وليا وأيرضى عاقل من نفسه ان يفعل ذلك
وأيكون جهل اجهل وعمى اعمى من ذلك ولا يكون شيء من ذلك اذا قيل أأتخذ غير
الله وليا وذلك لانه حينئذ يتناول الفعل ان يكون فقط ولا يزيد على ذلك فاعرفه
وكذا الحكم في قوله تعالى فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه وذلك لانهم بنوا كفرهم على ان من كان
مثلهم بشرا لم يكن بمثابة ان يتبع ويطاع وينتهى الى ما يأمر ويصدق بانه مبعوث
من الله وانهم مأمورون بطاعته كما جاء في الاخرى ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان
تصدونا وكقوله تعالى ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل

فلا يكون فهذا هو القول في الضرب الاول وهو ان يكون يفعل بعد الهمزة لفعل لم يكن
واما الضرب الثاني وهو ان يكون يفعل لفعل موجود فان تقديم الاسم يقتضي شبها
بما اقتضاه في الماضي من الاخذ بان يقر انه الفاعل او الانكار ان يكون الفاعل فمثال
الاول قولك للرجل يبغي ويظلم أأنت تجيء الى الضعيف فتغصب ماله أأنت تزعم
ان الامر كيت وكيت وعلى ذلك قوله تعالى أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين و
مثال الثاني أهم يقسمون رحمة ربك

فصل

واذ قد عرفت هذه
المسائل في الاستفهام فهذه مسائل في النفي اذا قلت ما فعلت كنت نفيت عنك
فعلا لم يثبت انه مفعول واذا قلت ما انا فعلت كنت نفيت عنك فعلا
ثبت انه مفعول تفسير ذلك انك اذا قلت ما قلت هذا كنت نفيت ان تكون
قد قلت ذلك وكنت نوظرت في شيء لم يثبت انه مقول واذا قلت ما انا قلت
هذا كنت نفيت ان تكون القائل له وكانت المناظرة في شيء ثبت انه مقول وكذلك اذا قلت
ما ضربت زيدا كنت نفيت عنك ضربه ولم يجب ان يكون قد ضرب بل يجوز ان
يكون قد ضربه غيرك وان لا يكون قد ضرب اصلا واذا قلت ما انا ضربت
زيدا لم تقله الا وزيد مضروب وكان القصد ان تنفي ان تكون انت الضارب
ومن اجل ذلك صلح في الوجه الاول ان يكون المنفي عاما كقولك ما قلت شعرا
قط وما اكلت اليوم شيئا وما رأيت احدا من الناس ولم يصلح في الوجه الثاني
فكان خلفا ان تقول ما انا قلت شعرا قط وما انا اكلت اليوم شيئا وما انا رأيت
احدا من الناس وذلك لانه يقتضي المحال وهو ان يكون ها هنا انسان قد قال كل
شعر في الدنيا واكل كل شيء يؤكل ورأى كل احد من الناس فنفيت ان تكون انت هو

مثال بيّن في أن تقديم الاسم يقتضي وجود الفعل قوله وما أنا أسقمتُ جسمي به
ولا أنا أضرمتُ في القلب نارا. المعنى كما لا يخفى على أن السقم ثابت موجود
وليس القصد بالنفي إليه ولكن إلى أن يكون هو الجالب له ويكون قد جرّه إلى نفسه
ومثله في الوضوح قوله وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله والشعر
مقول على القطع والنفي لأن يكون هو وحده القائل له وههنا أمران يرتفع
معهما الشك في وجوب هذا الفرق ويصير العلم به كالضرورة أحدهما
أنه يصح لك أن تقول ما قلت هذا ولا قاله أحد من الناس وما ضربت زيدا ولا
ضربه أحد سواي ولا يصح ذلك في الوجه الآخر فلو قلت ما أنا قلت هذا
ولا قاله أحد من الناس وما أنا ضربت زيدا ولا ضربه أحد من الناس سواي كان
خَلْفًا من القول وكان في التناقض بمنزلة أن تقول لست الضارب زيدا أمس
فتُثبت أنه قد ضُرب ثم تقول من بعده وما ضربه أحد من الناس ولست القائل
ذلك فتثبت أنه قد قيل ثم تجيء فتقول وما قاله أحد من الناس والثاني من الأمرين أنك
تقول ما ضربت إلا زيدا فيكون الكلام مستقيما ولو قلت ما أنا ضربت إلا زيدا
كان لغوا من القول وذلك لأن نقض النفي بإلا يقتضي أن تكون ضربتَ زيدا وتقديمك
ضميرك وإيلاءك حرف النفي يقتضي نفي أن تكون ضربته فهما يتدافعان فاعرفه
ويجيء لك هذا الفرق على وجهه في تقديم المفعول وتأخيره فإذا قلت ما
ضربت زيدا فقدمت الفعل كان المعنى أنك قد نفيت أن يكون قد وقع ضربٌ
منك على زيد ولم تعرّض في أمر غيره لنفي ولا إثبات وتركته مبهما محتملا
وإذا قلت ما زيدا ضربت فقدمت المفعول كان المعنى على أن ضربا وقع

منك على إنسان وظن أن ذلك الإنسان زيد فنفيت أن يكون إياه فلك أن تقول
في الوجه الأول ما ضربت زيدا ولا أحدا من الناس وليس لك ذلك في الوجه
الثاني فلو قلت ما زيدا ضربت ولا أحدا من الناس كان فاسدا على ما مضى في الفاعل
ومما ينبغي أن تعلمه أنه يصح لك أن تقول ما ضربت زيدا ولكني أكرمته وذلك أنك لم
ترد أن تقول لم يكن الفعل هذا ولكن ذاك ولكن أردت أنه لم يكن المفعول هذا ولكن
ذاك فالواجب إذن أن تقول ما زيدا ضربت ولكن عمرا وحكم الجار مع المجرور
في جميع ما ذكرنا حكم المنصوب فإذا قلت ما أمرتك بهذا كان المعنى على نفي
أن يكون قد أمرته بذلك ولم يجب أن يكون قد أمرته بشيء آخر وإذا قلت ما بهذا
أمرتك كنت قد أمرته بشيء غيره فصل واعلم أن هذا الذي بان لك
في الاستفهام والنفي من المعنى في التقديم قائم مثله في الخبر المثبت فإذا عمدت
إلى الذي أردت أن تحدّث عنه بفعل فقدمت ذكره ثم بنيت الفعل عليه فقلت
زيد قد فعل وأنا فعلت وأنت فعلت اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل
إلا أن المعنى في هذا القصد ينقسم قسمين أحدهما جليّ لا يشكل وهو أن يكون الفعل
فعلا قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له وتزعم أنه فاعله دون واحد
آخر أو دون كل أحد ومثال ذلك أنك تقول أنا كتبت في معنى فلان وأنا
شفعت في بابه تريد أن تدعي الانفراد في ذلك والاستبداد به وتزيل الاشتباه
فيه وترد على من زعم أن ذلك كان من غيرك أو أن غيرك قد كتب فيه كما كتبت
ومن البيّن في ذلك قولهم في المثل أتعلمني بضبٍّ أنا حرشته والقسم الثاني أن لا يكون
القصد إلى الفاعل على هذا المعنى ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل

ويمنعه من الشك فانت لذلك تبدأ بذكره وتوقعه اولاً ومن قبل ان تذكر الفعل في نفسه لكي تباعده بذلك من الشبهة وتمنعه من الانكار او من ان يظن بك الغلط او التزيد ومثاله قولك هو يعطي الجزيل وهو يحب الثنا لا تريد ان تزعم انه ليس هاهنا من يعطي الجزيل ويحب الثنا غيره ولا ان تعرض بانسان وتحطه عنه وتجعله لا يعطي كما يعطي ولا يرغب كما يرغب ولكنك تريد ان تحقق على السامع ان اعطا الجزيل وحب الثناء دأبه وان تمكن ذلك في نفسه ومثاله من الشعر

هم يفرشون اللبد كل طمرة ... واجرد سباح يبذ المغاليا

لم يرد ان يدعي لهم هذه الصفة دعوى من يفردهم بها وينص عليهم فيها حتى كانه يعرض بقوم آخرين فينفي ان يكونوا اصحابها هذا محال وانما اراد ان يصفهم بانهم فرسان يمتهدون صهوات الخيل وانهم يقتعدون الجياد منها وان ذلك دابهم من غير ان يعرض لنفيه عن غيرهم الا انه بدأ بذكرهم لينبه السامع لهم ويعلم بديا قصده اليهم بما في نفسه من الصفة ليمنعه بذلك من الشك ومن توهم ان يكون قد وصفهم بصفة ليست هي لهم او ان يكون قد اراد غيرهم فغلط اليهم وعلى ذلك قول الآخر

هم يضربون الكبش يبرق بيضه ... على وجهه من الدماء سبائب

لم يرد ان يدعي لهم الانفراد ويجعل هذا الضرب لا يكون الا منهم ولكن اراد الذي ذكرت لك من تنبيه السامع لقصدهم بالحديث من قبل ذكر الحديث ليحقق الامر ويؤكده ومن البين فيه قول عروة بن اذينة

سليمى ازمعت بينا ... فاين تقولها اينا

وذلك انه ظاهر معلوم انه لم يرد ان يجعل هذا الازماع لها خاصة ويجعلها من جماعة لم يزمع البين منهم احد سواها هذا محال ولكنه اراد ان يحقق الامر ويؤكده فاوقع ذكرها في سمع الذي كلم ابتداء ومن اول الامر ليعلم قبل الحديث انه اراد بالحديث فيكون ذلك ابعد له من الشك

ومثله في الوضوح قوله

هما يلبسان المجد احسن لبسة ... شحيحان ما اسطاعا عليه كلاهما

لا شبهة انه لم يرد ان يقصر هذه الصفة عليهما ولكن نبه لهما قبل الحديث عنهما وابين من الجميع قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون وقوله عز وجل واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وهذا الذي ذكرت من ان تقديم ذكر المحدث عنه يفيد التنبيه له قد ذكره صاحب الكتاب في المفعول اذا قدم فرفع بالابتداء وبني الفعل الناصب كان له عليه وعدي الى ضميره فشغل به كقولنا في ضربت عبد الله عبد الله ضربته فقال وانما قلت عبد الله فنبهته له ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء فان قلت فمن اين وجب ان يكون تقديم ذكر المحدث عنه بالفعل آكد لاثبات ذلك الفعل له وان يكون قوله هما يلبسان المجد ابلغ في جعلهما يلبسانه من ان يقال يلبسان المجد فان ذلك من اجل انه لا يؤتى بالاسم معرى من العوامل الا لحديث قد نوي اسناده اليه واذا كان كذلك فاذا قلت عبد الله فقد اشعرت قلبه بذلك انك قد اردت الحديث عنه فاذا جئت بالحديث فقلت مثلا قام او قلت خرج او قلت قد علم جئت به وقد وطأت له وقدمت الاعلام فيه فدخل على القلب دخول المأنوس به وقبله قبول المهيأ له المطمئن اليه وذلك لا محالة اشد لثبوته وانفى للشبهة وامنع للشك وادخل في التحقيق وجملة الامر انه ليس اعلامك الشيء بغتة مثل اعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة فيه لان ذلك يجري مجرى تكرير الاعلام في التاكيد والاحكام ومن هاهنا قالوا ان الشيء اذا اضمر ثم فسر كان ذلك افخم له من ان يذكر من غير تقدمة اضمار ويدل على صحة ما قالوه انا نعلم ضرورة انه في قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار فخامة وشرفا وروعة لا نجد منها شيئا في قولنا فان الابصار لا تعمى وكذلك السبيل

ابداً في كل كلام كان فيه ضمير قصة فقوله تعالى انه لا يفلح الكافرون يفيد من القوة في نفي
الفلاح عن الكافرين ما لو قيل ان الكافرين لا يفلحون لم تستفد ذلك ولم يكن ذلك كذلك الا
لانك تعلمه اياه من بعد تقدمه وتنبيه انت له فيكون حكمه حكم ما يبدأ واعيد ووطّد ثم بيّن ولوّح
ثم صرّح ولا يخفى مكان المزية فيما طريقه هذا الطريق ويشهد لما قلنا من ان تقديم المحدث
عنه يقتضي تأكيد الخبر وتحقيقه له انا اذا تأملنا وجدنا هذا الضرب من
الكلام يجيء فيما سبق فيه انكار من منكر نحو ان يقول الرجل ليس لي علم بالذي تقول
فتقول له انت تعلم ان الامر على ما اقول ولكنك تميل الى خصمي وكقول الناس هو
يعلم ذاك وان انكر وهو يعلم الكذب فيما قال وان حلف عليه وكقوله تعالى ويقولون
على الكذب وهم يعلمون فهذا من ابين شيء وذاك ان الكاذب ولا سيما في الدين لا يعترف
بانه كاذب واذا لم يعترف بانه كاذب كان ابعد من ذلك ان يعترف بالعلم بانه كاذب
او يجيء فيما اعترض فيه شك نحو ان يقول الرجل كانك لا تعلم ما صنع فلان ولم يبلغك
فيقول انا اعلم ولكني اداريه او في تكذيب مدعٍ كقوله تعالى واذا جاؤكم قالوا آمنا و
قد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وذلك ان قولهم آمنا دعوى منهم انهم لم يخرجوا
بالكفر كما دخلوا به فالموضع موضع تكذيب او فيما القياس في مثله ان لا يكون كقوله
تعالى واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون وذلك ان عبادتهم
لها تقتضي ان لا تكون مخلوقة وكذلك في كل شيء كان خبرا على خلاف العادة وعما
يستغرب من الامر نحو ان تقول الا تعجب من فلان يدعي العظيم وهو يعيا باليسير و
يزعم انه شجاع وهو يفزع من ادنى شيء ومما يحسن ذلك فيه ويكثر في الوعد والضمان
كقول الرجل انا اعطيك انا اكفيك انا اقوم بهذا الامر وذاك ان من شأن من تعده و

تضمن له ان يعترضه الشك في تمام الوعد وفي الوفاء به فهو من احوج شيء الى التأكيد و
كذلك يكثر في المدح كقولك انت تعطي الجزيل انت تقري في المحل انت تجود حين لا يجود
احد وكما قال ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري وكقول الآخر
نحن في المشتاة ندعو الجفلى وذلك ان من شأن المادح ان يمنع السامعين من الشك فيما
يمدح به ويباعدهم من الشبهة وكذلك المفتخر ويزيدك بيانا انه اذا كان الفعل مما لا
يشك فيه ولا ينكر بحال لم يكد يجيء على هذا الوجه ولكن يؤتى به غير مبني على اسم فاذا
اخبرت بالخروج مثلا عن رجل من عادته ان يخرج في كل غداة قلت قد خرج ولم تحتج
الى ان تقول هو قد خرج ذاك لانه ليس بشيء يشك فيه السامع فيحتاج الى ان تحققه له
والى ان تقدم فيه ذكر المحدث عنه وكذلك اذا علم السامع من حال رجل انه على نية الركوب
والمضي الى موضع ولم يكن شك وتردد انه يركب او لا يركب كان خبرك فيه ان تقول قد
ركب فان جئت بمثل هذا في صلة كلام ووضعته بعد واو الحال حسن حينئذ وذلك
قولك جئته وهو قد ركب وذاك ان الحكم يتغير اذا صارت الجملة في مثل هذا الموضع
ويصير الى من يعرض الشك وذاك انه انما يقول هذا من ظن انه يصادفه في منزله وانه
يصل اليه من قبل ان يركب فان قلت فانك قد تقول جئته وقد ركب بهذا المعنى ومع
هذا الشك فان الشك لا يقوى حينئذ قوته في الوجه الاول افلا ترى انك اذا
استبطأت انسانا فقلت اتانا والشمس قد طلعت كان ذلك ابلغ في استبطائك له
من ان تقول اتانا وقد طلعت الشمس وعكس هذا انك اذا قلت اتى والشمس لم تطلع
كان اقوى في وصفك له بالعجلة والمجيء قبل الوقت الذي ظن انه يجيء فيه من ان تقول
اتى ولم تطلع الشمس بعد هذا وهو كلام لا يكاد يجيء الا نابيا وانما البليغ مثل ان يبدأ بالاسم

وبني الفعل عليه كقوله قد اغتدي والطير لم تكلم فاذا كان الفعل فيما بعد هذه الواو
التي يراد بها الحال مضارعاً لم يصلح الا مبنيا على اسم كقولك رايته وهو يكتب ودخلت
عليه وهو يملي الحديث وكقوله تمززتها والديك يدعو صباحه اذا ما بنو نعش
دنوا فتصوبوا فليس يصلح شيء من ذلك الا على ما تراه لو قلت رايته ويقرأ
ودخلت عليه ويملي الحديث وتمززتها ويدعو الديك صباحه لم يكن شيئا ومما
هو بهذه المنزلة في انك تجد المعنى لا يستقيم الا على ما جاء عليه من بناء الفعل على
الاسم قوله تعالى ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين وقوله و
قالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا وقوله وحشر لسليمن
جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون فانه لا يخفى على من له ذوق انه لو
جيء في ذلك بالفعل غير مبني على الاسم فقيل ان وليي الله الذي نزل الكتاب و
يتولى الصالحين واكتتبها فتملى عليه وحشر لسليمن جنوده من الجن والانس والطير
فيوزعون لوجد اللفظ قد نبا عن المعنى والمعنى قد زال عن صورته والحال التي
ينبغي ان يكون عليها واعلم ان هذا الصنيع يقتضي ان يكون في الفعل المنفي ما في
المثبت فاذا قلت انت لا تحسن هذا كان اشد لنفي احسان ذلك عنه من ان
تقول لا تحسن هذا ويكون الكلام في الاول مع من هو اشد اعجابا بنفسه و
اعرض دعوى في انه يحسن حتى انك لو اتيت بانت فيما بعد تحسن فقلت لا
تحسن انت لم يكن له تلك القوة وكذلك قوله تعالى والذين هم بربهم لا يشركون يفيد
من التاكيد في نفي الاشراك عنهم ما لو قيل والذين لا يشركون بربهم او بربهم لا يشركون
لا يؤمنون وقوله فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون وان شر الدواب عند

لم يفد ذلك [illegible]

الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ومما ترى تقديم الاسم فيه كاللازم مثل وغير في
نحو قوله مثلك يثني الحزن عن صوبه ويسترد الدمع عن غربه وقول الناس مثلك
رعى الحق والحرمة وكقول الذي قال له الحجاج لاحملنك على الادهم يريد القيد فقال
على سبيل المغالطة ومثل الامير حمل على الادهم والاشهب وما اشبه ذلك مما لا
يقصد فيه بمثل الى انسان سوى الذي اضيف اليه ولكنهم يعنون ان من كان مثله في
الحال والصفة كان من مقتضى القياس وموجب العرف والعادة ان يفعل ما ذكر
او ان لا يفعل ومن اجل ان كان المعنى كذلك قال ولم اقل مثلك اعني به سواك يا
فردا بلا مشبه وكذلك حكم غير اذا سلك به هذا المسلك فقيل غيري يفعل ذاك
على معنى اني لا افعله لا ان يومي بغير الى انسان فيخبر عنه بانه يفعل كما قال غيري باكثر
هذا الناس ينخدع وذاك انه معلوم انه لم يرد ان يعرض بواحد كان هناك فيستنقصه
ويصفه بانه مضعوف يغر ويخدع بل لم يرد الا ان يقول اني لست ممن ينخدع
ويغتر وكذلك لم يرد ابو تمام بقوله وغيري ياكل المعروف سحتا وتشحب عنده
بيض الايادي ان يعرض مثلا بشاعر سواه فيزعم ان الذي قرف به عند الممدوح من
انه هجاه كان من ذلك الشاعر لا منه هذا محال بل ليس الا انه نفى عن نفسه ان
يكون ممن يكفر النعمة ويلؤم واستعمال مثل وغير على هذا السبيل شيء مركوز في الطباع
وهو جار في عادة كل قوم فانت الان اذا تصفحت الكلام وجدت هذين
الاسمين يقدمان ابدا على الفعل اذا نحي بهما هذا النحو الذي ذكرت لك وترى
هذا المعنى لا يستقيم فيهما اذا لم يقدما افلا ترى انك لو قلت يثني الحزن عن صوبه
مثلك ورعى الحق والحرمة مثلك وحمل على الادهم والاشهب مثل الامير وينخدع

عمرو يهذي الناس ويأكل عمرو المعروف سحتاً رأيت كلاماً مقلوباً عن جهته ومغيراً عن صورته ورأيت اللفظ قد نبا عن معناه ورأيت الطبع يأبى أن يرضاه

واعلم أن لك في ذلك دستوراً لك فيه إن تأملت غنىً عن كل ما سواه وهو أنه لا يجوز أن يكون لنظم الكلام وترتيب أجزائه في الاستفهام معنى لا يكون له ذلك المعنى في الخبر وذاك أن الاستفهام استخبار والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك فإذا كان كذلك كان محالاً أن يفترق الحال بين تقديم الاسم وتأخيره في الاستفهام فيكون المعنى إذا قلت أزيد قام غيره إذا قلت أقام زيد ثم لا يكون هذا الافتراق في الخبر ويكون قولك زيد قام وقام زيد سواء ذاك لأنه يؤدي إلى أن تستعمله أمراً لا سبيل فيه إلى جواب وأن تستثبته المعنى على وجه ليس عنده عبارة يثبته لك بها على ذلك الوجه وجملة الأمر أن المعنى في إدخالك حرف الاستفهام على الجملة من الكلام هو أنك تطلب أن يقفك في معنى تلك الجملة ومؤداها على إثبات أو نفي فإذا قلت أزيد منطلق فأنت تطلب أن يقول لك نعم هو منطلق أو يقول لا ما هو منطلق وإذا كان ذلك كذلك كان محالاً أن لا تكون الجملة إذا دخلتها همزة الاستفهام استخباراً عن المعنى على وجه لا يكون هو إذا نزعت منها إخباراً به على ذلك الوجه فاعرفه

دستوراً: أي شيء يرجع إليه عند الحاجة

فصل هذا كلام في النكرة إذا قُدِّمت على الفعل أو قُدِّم الفعل عليها إذا قلت أجاءك رجل فأنت تريد أن تسأله هل كان مجيء من واحد من الرجال إليه فإن قدمت الاسم فقلت أرجل جاءك فأنت تسأله عن جنس من جاءه أرجل هو أم امرأة ويكون هذا منك إذا كنت علمت أنه قد أتاه آتٍ ولكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي فسبيلك في ذلك سبيلك إذا أردت أن تعرف عين

الآتي فقلت أزيد جاءك أم عمرو ولا يجوز تقديم الاسم في المسألة الأولى لأن تقديم الاسم يكون إذا كان السؤال عن الفاعل والسؤال عن الفاعل يكون إما عن عينه أو عن جنسه ولا ثالث وإذا كان كذلك كان محالاً أن تقدم الاسم النكرة وأنت لا تريد السؤال عن الجنس لأنه لا يكون لسؤالك حينئذ متعلق من حيث لا يبقى بعد الجنس إلا العين والنكرة لا تدل على عين شيء فيسأل بها عنه فإن قلت أرجل طويل جاءك أم قصير كان السؤال عن أن الجائي من جنس طوال الرجال أم قصارهم فإن وصفت النكرة بالجملة فقلت أرجل كنت عرفته من قبل أعطاك هذا أم رجل لم تعرفه كان السؤال عن المعطي أكان ممن عرفه قبل أم كان إنساناً لم يتقدم منه معرفة له وإذ قد عرفت الحكم في الابتداء بالنكرة في الاستفهام فابن الخبر عليه فإذا قلت رجل جاءني لم يصلح حتى تريد أن تعلمه أن الذي جاءك رجل لا امرأة ويكون كلامك مع من قد عرف أن قد أتاك آتٍ فإن لم ترد ذلك كان الواجب أن تقول جاءني رجل فتقدم الفعل وكذلك إن قلت رجل طويل جاءني لم يستقم حتى يكون السامع قد ظن أنه قد أتاك قصير أو نزلته منزلة من ظن ذلك وقولهم شرٌّ أهرَّ ذا ناب إنما قُدِّم فيه شر لأن المراد أن يعلم أن الذي أهرَّ ذا الناب هو من جنس الشر لا جنس الخير فجرى مجرى أن تقول رجل جاءني تريد أنه رجل لا امرأة وقول العلماء إنه إنما صلح لأنه بمعنى ما أهرَّ ذا ناب إلا شر بيان لذلك ألا ترى أنك لا تقول ما أتاني إلا رجل إلا حيث يتوهم السامع أنه قد أتتك امرأة ذاك لأن الخبر بنقض النفي يكون حيث يراد أن يقصر الفعل على شيء وينفى عما عداه فإذا قلت ما جاءني إلا زيد كان المعنى أنك قد قصرت المجيء عليه ونفيته عن كل من عداه

وانما يتصور قصر الفعل على معلوم ومتى لم يرد بالنكرة الجنس لم يقف منها
السامع على معلوم حتى يزعم اني اقصر له الفعل عليه واخبره انه كان منه دون
غيره ۞ واعلم انا لم نرد بما قلناه من انه انما حسن الابتدا بالنكرة في قولهم شر اهر ذا ناب
لانه اريد به الجنس ان معنى شر والشر سوآ وانما اردنا ان الغرض من الكلام ان يبين ان
الذي اهر ذا الناب هو من جنس الشر لا جنس الخير كما انا اذا قلنا في قولهم ارجل
اتاك ام امراه ان السوال عن الجنس لم نرد بذلك انه بمنزله ان يقال الرجل ام المراه
اتاك ولكنا نعني ان المعنى على انك سالت عن الاتي اهو من جنس الرجال ام جنس النسآء
فالنكره اذن على اصلها من كونها لواحد من الجنس الا ان القصد منك لم يقع الى
كونه واحدا وانما وقع الى كونه من جنس الرجال وعكس هذا انك اذا قلت ارجل
اتاك ام رجلان كان القصد منك الى كونه واحدا دون كونه رجلا فاعرف ذلك
اصلا وهو انه قد يكون في اللفظ دليل على امرين ثم يقع القصد الى احدهما دون
الاخر فيصير ذلك الاخر بان لم يدخل في القصد كانه لم يدخل في دلاله اللفظ و
اذا اعتبرت ما قدمته من قول صاحب الكتاب انك قلت عبد الله فنبهته
له ثم بنيت عليه الفعل وجدته يطابق هذا وذلك ان التنبيه لا يكون الا على
معلوم كما ان قصر الفعل لا يكون الا على معلوم فاذا بدات بالنكره فقلت
رجل وانت لا تقصد بها الجنس وان تعلم السامع ان الذي اردت بالحديث
رجل لا امراه كان محالا ان تقول اني قدمته لانبه المخاطب له لانه يخرج بك
الى ان تقول اني اردت ان انبهه لشي لا يعلمه في جمله ولا تفصيل وذلك
ما لا يشك في استحالته فاعرفه

فصـــــــل القول في الحذف

وهو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الامر شبيه بالسحر فانك ترى به ترك
الذكر افصح من الذكر والصمت عن الافاده ازيد للافاده وتجدك انطق ما تكون اذا لم تنطق
واتم ما تكون بيانا اذا لم تبن وهذه جمله قد تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر وانا اكتب
لك بديا امثله مما عرض فيه الحذف ثم انبهك على صحه ما اشرت اليه واقيم الحجه من ذلك
عليه انشد صاحب الكتاب اعتاد قلبك من ليلى عوائده وهاج اهواءك المكنونة
الطلل ربع قوآء اذاع المعصرات به وكل حيران سار ماؤه خضل ۞ قال اراد
ذلك ربع او هو ربع قال ومثله قول الاخر هل تعرف اليوم رسم الدار والطللا
كما عرفت بجفن الصيقل الخللا دار لمروة اذا اهلي واهلهم بالكانسية نرعى
اللهو والغزلا كانه قال تلك دار قال شيخنا رحمه الله عليه ولم يحمل البيت الاول
على ان الربع بدل من الطلل لان الربع اكثر من الطلل والشي يبدل مما هو مثله او اكثر
منه فاما بدل الشي من اقل منه ففاسد لا يتصور وهذه طريقه مستمره لهم اذا ذكروا
الديار والمنازل وكما يضمرون المبتدا فيرفعون فقد يضمرون الفعل فينصبون
كبيت الكتاب ايضا ديار مية اذ مي تساعفنا ولا يرى مثلها عجم ولا عرب
انشده بنصب ديار على اضمار فعل كانه قال اذكر ديار مية ومن المواضع التي يطرد
فيها حذف المبتدا القطع والاستئناف يبداون بذكر الرجل ويقدمون
بعض امره ثم يدعون الكلام الاول ويستانفون كلاما اخر واذا فعلوا ذلك
اتوا في اكثر الامر بخبر من غير مبتدا مثال ذلك قوله وعلمت اني يوم ذاك منازل
كعبا ونهدا قوم اذا لبسوا الحديد تنمروا حلقا وقدا ۞ وقوله هم حلوا
من الشرف المعلى ومن حسب العشيرة حيث شاوا بناة مكارم واساة كلم
دماؤهم من الكلب الشفاء ۞

وقوله وانى على ما بي عيلة فاشتكى الى ماله حالى اسر كما جهر ثم قال بعد
غلام رماه الله بالخير مقبلا له سيميا لا تشق على البصر وقوله اذا ذكر ابنا
العنبرية لم يضق ذراعى والقى باسته من افاخر هلا ان جمالا ان فى كل شتوة
من الثقل ما لا تستطيع الاباعر وقوله جمالا ان خبر ثانٍ وليس بصفة كما يكون
لو قلت مثلا رجلا ان جمالا وما اعتيد فيه ان يجي خبرا فدل على مبتدا محذوف
قولهم بعد ان يذكروا الرجل فتى من شانه كذا واغر من صفته كيت وكيت كقوله
الا لا فتى بعد ابن ناشرة الفتى ولا عرف الا قد تولى وادبرا فتى حنظلي ما تزال ركابه
تجود بمعروف وتنكر منكرا وقوله ساشكر عمرا ان تراخت منيتي ايادي لم تمنن
وان هي جلت فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
ومن ذلك قول جميل فهل بثينة يا للناس قاضيتي ديني وفاعلة خيرا فاجزيها
ترنو بعيني مهاة اقصدت بهما قلبي عشية ترميني وارميها هيفا مقبلة
عجزا مدبرة ريا العظام بلا عيب يرى فيها من الاوانس مكسال مبتلة
خود غذاها بلين العيش غاذيها وقوله ايضا انى عشية رحت وهى حزينة
تشكو الي صبابة لصبور وتقول بت عندي فديتك ليلة اشكو اليك فان ذاك
يسير غراء مبسام كان حديثها در تحدر نظمه منثور محطوطة المتنين مضمرة الحشى
ريا الروادف خلقها ممكور وقول الاقيشر في ابن عم له موسر سأله فمنعه
وقال كم اعطيك مالي وانت تنفقه فيما لا يعنيك والله لا اعطيك فتركه
حتى اجتمع القوم في ناديهم وهو فيهم فشكاه الى القوم فذمه فوثب اليه ابن عمه
فلطمه فانشا يقول سريع الى ابن العم يلطم وجهه وليس الى داعي الندى بسريع

حريص على الدنيا مضيع لدينه وليس لما في بيته بمضيع فتامل الان هذه الابيات
كلها واستقرها واحدا واحدا وانظر الى مواقعها في نفسك والى ما تجده من
اللطف والظرف اذا انت مررت بموضع الحذف منها ثم قلبت النفس
عما تجد والطفت النظر فيما تحس به ثم تكلف ان ترد ما حذف الشاعر وان
تخرجه الى لفظك وتوقعه في سمعك فانك تعلم ان الذي قلت كما قلت وان
رب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد وان اردت ما هو اصدق في
ذلك شهادة وادل دلالة فانظر الى قول عبد الله بن الزبير يذكر غريما له قد الح
عليه عرضت على زيد ليأخذ بعض ما يحاوله قبل اعتراض الشواغل فدب
دبيب البغل يألم ظهره وقال تعلم انني غير فاعل تثاءب حتى قلت داسع
نفسه واخرج انيابا له كالمعاول الاصل حتى قلت هو داسع نفسه
اى حسبته من شدة التثاؤب ومما به من الجهد يقذف نفسه من جوفه ويخرجها
من صدره كما يدسع البعير جرته ثم انك ترى نصبة الكلام وهيئته تروم
منك ان تنسى هذا المبتدا وتباعده عن وهمك وتجتهد ان لا يدور في خلدك ولا
يعرض لخاطرك وتراك كانك تتوقاه توقي الشيء تكره مكانه والثقل تخشى
هجومه ومن لطيف الحذف قول بكر بن النطاح العين تبدي الحب والبغضا
وتظهر الابرام والنقضا درة ما انصفتني في الهوى ولا رحمت الجسد المنضى
غضبى ولا والله يا اهلها لا اطعم البارد او ترضى وقوله في جارية كان يحبها
وسعي به الى اهلها فمنعوها منه والمقصود قوله غضبى وذلك ان التقدير
هي غضبى او غضبى هي لا محالة الا انك ترى النفس كيف تتفادى من اظهار

هذا المحذوف وكيف تأنس الى اضماره وترى الملاحة كيف تذهب ان انت رمت
التكلم به ومن جيد الامثلة في هذا الباب قول الاخر يخاطب امرأته وقد لامته
على الجود قالت سُمَيّة قد غويتَ بان رأتْ حقًّا تناوبَ مالنا ووفودُ غيٌّ
لعمرك لا ازال اعوده ما دام مال عندنا موجودُ المعنى ذاك غيٌّ لا ازال اعوده
فدع عنك لومي واذ قد عرفت هذه الجملة من حال حذف المبتدأ فاعلم
ان ذلك سبيله في كل شيء فما من اسم او فعل تجده قد حذف ثم اصيب به موضعه
وحُذف في الحال التي ينبغي ان يحذف فيها الا وانت تجد حذفه هناك احسن من
ذكره وترى اضماره في النفس اولى وآنس من النطق به واذ قد بدأنا في الحذف بذكر المبتدأ
وهو حذف اسم اذ لا يكون المبتدأ الا اسما فاني اتبع ذلك ذكر المفعول به اذا حذف
خصوصا فان الحاجة اليه امس وهو بما نحن بصدده اخص واللطائف كأنها
فيه اكثر وما يظهر بسببه من الحسن والرونق اعجب واظهر وهاهنا اصل
يجب ضبطه وهو ان حال الفعل مع المفعول الذي يتعدى اليه حاله مع
الفاعل فكما انك اذا قلت ضرب زيد فاسندتَ الفعل الى الفاعل كان
غرضك من ذلك ان تثبت الضرب فعلًا له لا ان تفيد وجودَ الضرب في نفسه
وعلى الاطلاق كذلك اذا عدّيت الفعل الى المفعول فقلت ضَرَبَ زيد عمرًا
كان غرضك ان تفيد التباس الضرب الواقع من الاول بالثاني ووقوعه
عليه فقد اجتمع الفاعل والمفعول في ان عمل الفعل فيهما انما كان من اجل
ان يعلم التباس المعنى الذي اشتق منه بهما فعمل الرفع في الفاعل ليعلم التباس
الضرب به من جهة وقوعه منه والنصب في المفعول ليعلم التباسه به من

جهة وقوعه عليه ولم يكن ذلك ليعلم وقوع الضرب في نفسه بل اذا اريد الاخبار
بوقوع الضرب ووجوده في الجملة من غير ان ينسب الى فاعل او مفعول او
يتعرض لبيان ذلك فالعبارة فيه ان يقال كان ضرب او وقع ضرب او وجد
ضربٌ وما شاكل ذلك من الفاظ تفيد الوجود المجرد في الشيء واذ قد عرفت
هذه الجملة فاعلم ان اغراض الناس تختلف في ذكر الافعال المتعدية فهم يذكرونها
تارة ومرادهم ان يقتصروا على اثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين
من غير ان يتعرضوا لذكر المفعولين فاذا كان الامر كذلك كان الفعل المتعدي
كغير المتعدي مثلا في انك لا ترى له مفعولا لا لفظا ولا تقديرا ومثال ذلك
قول الناس فلان يَحُلّ ويَعقِد ويأمر وينهى ويضر وينفع وكقولهم هو يُعطي
ويجزل ويُضيف ويَقري المعنى في جميع ذلك على اثبات المعنى في نفسه
للشيء على الاطلاق وعلى الجملة من غير ان يُتعرض لحديث المفعول حتى كأنك قلت
صار اليه الحَلّ والعقد وصار بحيث يكون منه حَلّ وعَقد وامر ونهي وضرٌّ و
نفع وعلى هذا القياس وعلى ذلك قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون المعنى هل يستوي من له علم ومن لا علم له من غير ان يُقصد النص على
معلوم وكذلك قوله تعالى وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا وقوله
وانه هو اغنى واقنى المعنى هو الذي منه الاحياء والاماتة والاغناء والاقناء و
هكذا كل موضع كان القصد فيه ان يثبت المعنى في نفسه فعلا للشيء وان يخبر
بان من شانه ان يكون منه او لا يكون الا منه فان الفعل لا يُعدّى
هناك لان تعديته تنقض الغرض وتغيّر المعنى الا ترى انك اذا قلت هو يُعطي

الدنانير كان المعنى على انك قصدت ان تعلم السامع ان الدنانير تدخل في عطائه
او انه يعطيها خصوصًا دون غيرها وكان غرضك على الجملة بيان جنس ما تناوله
الاعطاء لا الاعطاء في نفسه ولم يكن كلامًا مع من نفى ان يكون كان منه اعطاء
بوجه من الوجوه بل مع من اثبت له اعطاء الا انه لم يثبت اعطاء الدنانير فاعرف
ذلك فانه اصل عظيم النفع فهذا قسم من خلو الفعل عن المفعول وهو ان لا يكون
له مفعول مقصود قصده معلوم الا انه يحذف من اللفظ لدليل الحال
عليه وينقسم الى جلي لا صنعة فيه والى خفي تدخله الصنعة فمثال الجلي قولهم
اصغيت اليه وهم يريدون اذني واغضيت عليه والمعنى جفني واما الخفي الذي
تدخله الصنعة فيتفنن ويتنوع فنوع منه ان تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول
مخصوص قد علم مكانه اما بجري ذكر او دليل حال الا انك تنسيه نفسك وتخفيه
وتوهم انك لم تذكر ذلك الفعل الا لان تثبت نفس معناه من غير ان تعديه الى شي
او تعرض فيه لمفعول ومثاله قول البحتري شجو حساده وغيظ عداه
ان يرى مبصر ويسمع واعي المعنى لا محالة ان يرى مبصر محاسنه ويسمع
واعي اخباره واوصافه ولكنك تعلم على ذلك انه كان يسرق علم ذلك من نفسه ويدفع
صورته عن وهمه ليحصل له معنى شريف وغرض خاص وذلك انه يمدح
خليفة وهو المعتز ويعرض بخليفة وهو المستعين فاراد ان يقول ان
محاسن المعتز وفضائله المحاسن والفضائل يكفي فيها ان يقع عليها بصر و
يعيها سمع حتى يعلم انه المستحق للخلافة والفرد الوحيد الذي ليس لاحد
ان ينازعه مرتبتها فانت ترى حساده وليس شي اشجى لهم واغيظ من علمهم

يمكن النص عليه وقسم ثان
وهو ان لا يكون له مفعول
صح

بان ها هنا مبصرا يرى وسامعا يعي حتى ليتمنون ان لا يكون في الدنيا من له عين يبصر
بها واذن يعي معها كي يخفى مكان استحقاقه لشرف الامامة فيجدوا بذلك سبيلا الى
منازعته اياها وهذا نوع منه اخر وهو ان يكون معك مفعول معلوم
مقصود قصده قد علم انه ليس للفعل الذي ذكرت مفعول سواه بدليل الحال
او ما سبق من الكلام الا انك تطرحه وتتناساه وتدعه يلزم ضمير النفس لغرض
غير الذي مضى وذلك الغرض ان تتوفر العناية على اثبات الفعل للفاعل وتخلص
له وتنصرف بجملتها وكما هي اليه ومثاله قول عمرو فلو ان قومي انطقتني رماحهم
نطقت ولكن الرماح اجرت اجرت فعل متعد ومعلوم انه لو عداه لما
عداه الا الى ضمير المتكلم نحو ولكن الرماح اجرتني وانه لا يتصور ان يكون ها هنا شي
اخر يتعدى اليه لاستحالة ان يقول فلو ان قومي انطقتني رماحهم ثم يقول ولكن الرماح
اجرت غيري الا انك تجد المعنى يلزمك ان لا تنطق بهذا المفعول ولا تخرجه
الى لفظك والسبب في ذلك ان تعديتك له توهم ما هو خلاف الغرض وذلك
ان الغرض هو ان يثبت انه كان من الرماح اجرار وحبس للالسن عن النطق وان
تصحح ذلك ولو قال اجرتني جاز ان يتوهم انه لم يعن بان يثبت للرماح اجرارا بل
الذي عناه ان يبين انها اجرته فقد يذكر الفعل كثيرا والغرض منه ذكر المفعول مثاله
انك تقول اضربت زيدا وانت لا تنكر ان يكون كان من المخاطب ضرب و
انما تنكر ان يكون وقع الضرب منه على زيد وان يستجيز ذلك او يستطيعه
فلما كان في تعديته اجرت ما يوهم ذلك وقف فلم يعد البتة ولم ينطق بالمفعول
لتخلص العناية لاثبات الاجرار للرماح وتصحيح انه كان منها وتسلم بكليتها

وجود
صح

لذلك ومثله قول جرير أمنيتِ المنى وخلبتِ حتى تركتِ ضمير قلبي مستهاما
الغرض أن يُثبت أنه كان منها تمنيةٌ وخلابةٌ وأن يقول لها أهكذى تصنعين و
هذه حيلتك في فتنة الناس ومن بارع ذلك ونادره ما تجده في هذه الأبيات
روى المرزباني في كتاب الشعر بإسناد له قال لما تشاغل أبو بكر الصديق رضي الله
بأهل الردة استبطأته الأنصار فقال إما كلفتموني أخلاق رسول الله صلى الله عليه
فوالله ما ذاك عندي ولا عند أحد من الناس ولكني والله ما أوتى من مودة لكم ولا
حسن رأي فيكم وكيف لا نحبكم فوالله ما وجدت مثلا لنا ولكم إلا ما قال طفيل
الغنوي لبني جعفر بن كلاب جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت بنا نعلنا
في الواطئين فزلت أبوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقي الذي لاقوه منا لملت
هم خلطونا بالنفوس وألجؤوا إلى حجرات أدفأت وأظلت فيها
حذف مفعول مقصود قصده في أربعة مواضع قوله لملت وألجؤوا
وأدفأت وأظلت لأن الأصل لملتنا وألجؤونا إلى حجرات أدفأتنا و
أظلتنا إلا أن الحال على ما ذكرت لك من أنه في حد المتناسي حتى كأن لا قصد
إلى مفعول وكأن الفعل قد أبهم أمره فلم يقصد به قصد شيء يقع عليه
كما يكون إذا قلت قد مل فلان تريد أن تقول قد دخله الملال من غير أن
تخص شيئا بل لا تزيد على أن تجعل الملال من صفته وكأن تقول هذا بيت
تدفئ وتظل تريد أنه بهذه الصفة واعلم أن لك في قوله أجرت وملت
فائدة أخرى زائدة على ما ذكرت من توفر العناية على إثبات الفعل و
هي أن يقول كان من سوء بلاء القوم ومن تكذيبهم عن القتال ما يجر مثله

حاشية: اما كلفتموني اما هو ان الهمزة ادخل عليها ما ليس لهم كقوله فاما ترين من البشر احدا م

وما القضية فيه أنه لا يشق على قوم الآخر أن شاعرهم فلم يستطع نطقا و
تعدية الفعل يمنع من هذا المعنى لأنك إذا قلت ولكن الرماح أجرتني لم يمكن
أن يتأول على معنى أنه كان منها ما شأن مثله أن يجر قضية مستمرة في كل شاعر
قوم بل قد يجوز أن يوجد مثله في قوم آخرين فلا يجر شاعرهم ونظيره أنك
تقول قد كان منك ما يؤلم تريد ما الشرط في مثله أن يؤلم كل أحد وكل إنسان
ولو قلت ما يؤلمني لم يفد ذلك لأنه قد يجوز أن يؤلمك الشيء لا يؤلم غيرك وهكذا
قوله ولو أن أمنا تلاقي الذي لاقوه منا لملت يتضمن أن من حكم مثله في كل أم
أن تمل وتسأم وأن المشقة في ذلك إلى حد يعلم أن الأم تمل له الابن وتتبرم به
مع ما في طباع الأمهات من الصبر على المكاره في مصالح الأولاد وذلك أنه وإن
قال أمنا فإن المعنى على أن ذلك حكم كل أم مع أولادها ولو قلت لملتنا لم يحتمل
ذلك لأنه يجري مجرى أن يقول لو لقيت أمنا ذلك لدخلها ما يملها منا وإذا
قلت ما يملها منا فقيدت لم يصلح لأن يراد به معنى العموم وأنه بحيث يمل
كل أم من كل ابن وكذلك قوله إلى حجرات أدفأت وأظلت لأن فيه معنى قولك
حجرات من شأن مثلها أن تدفئ وتظل أي هي بالصفة التي إذا كان البيت عليها
أدفأ وأظل ولا يجيء هذا المعنى مع إظهار المفعول إذ لا تقول حجرات
من شأن مثلها أن تدفئنا وتظلنا هذا لغو من الكلام فاعرف هذه النكتة
فإنك تجدها في كثير من هذا الفن مضمومة إلى هذا المعنى الآخر الذي هو
توفر العناية على إثبات الفعل والدلالة على أن القصد من ذكر الفعل أن تثبته
لفاعله لا أن تعلم التباسه بمفعوله وإن أردت أن تزداد تبينا لهذا الأصل

اذا هم
حاشية: [illegible]

اعني وجوب ان يسقط المفعول لتتوفر العناية على اثبات الفعل لفاعله ولا
يدخلها شوب فانظر في قوله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس
يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر
الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل ففيها حذف مفعول في اربعة
مواضع اذ المعنى وجد عليه امة من الناس يسقون اغنامهم او مواشيهم وامراتين
تذودان غنمهما وقالتا لا نسقي غنمنا فسقى لهما غنمهما ثم انه لا يخفى على ذي
بصر انه ليس في ذلك كله الا ان يترك ذكره ويؤتى بالفعل مطلقا وما ذاك الا
ان الغرض في ان يعلم انه كان من الناس في تلك الحال سقي ومن المراتين ذود وانهما
قالتا لا يكون منا سقي حتى يصدر الرعاء وانه كان من موسى عليه السلام من بعد
ذلك سقي فاما ما كان المسقي اغنما ام ابلا ام غير ذلك فخارج عن الغرض وموهم
خلافه وذلك انه لو قيل وجد من دونهم امراتين تذودان غنمهما جاز ان يكون
لم ينكر الذود من حيث هو ذود بل من حيث هو ذود غنم حتى لو كان مكان
الغنم ابل ما انكر كما انك اذا قلت ما لك تمنع اخاك كنت منكرا المنع لا من
حيث هو منع بل من حيث هو منع اخ فاعرفه تعلم انك لم تجد لحذف
المفعول في هذا النحو من الروعة والحسن ما وجدت الا لان في حذفه
وترك ذكره فائدة جليلة وان الغرض لا يصح الا على تركه ومما هو كانه نوع
اخر غير ما مضى قول البحتري اذا بعدت ابلت وان قربت شفت
فهجرانها يبلي ولقيانها يشفي قد علم ان المعنى اذا بعدت عني ابلتني و
ان قربت مني شفتني الا انك تجد الشعر يابى ذكر ذلك ويوجب اطراحه وذلك

لانه اراد ان يجعل البلى كانه واجب في بعادها ان يوجبه ويجلبه وكانه كالطبيعة
فيه وكذلك حال الشفاء من القرب حتى كانه قال اتدري ما بعادها هو الداء
المضني وما قربها هو الشفاء والبرء من كل داء ولا سبيل لك الى هذه اللطيفة
والى هذه النكتة الا بحذف المفعول البتة فاعرفه وليس لنتائج هذا الحذف اعني
حذف المفعول نهاية فانه طريق الى ضروب من الصنعة والى لطائف لا تحصى
وهذا نوع منه اخر اعلم ان ههنا بابا من الاضمار والحذف يسمى الاضمار على شريطة
التفسير وذلك مثل قولهم اكرمني واكرمت عبد الله اردت اكرمني عبد الله
واكرمت عبد الله ثم تركت ذكره في الاول استغناء بذكره في الثاني فهذا طريق
معروف ومذهب ظاهر وشيء لا يعبا به ويظن انه ليس فيه اكثر مما تريك
الامثلة المذكورة منه وفيه اذا انت طلبت الشيء من معدنه من دقيق الصنعة
ومن جليل الفائدة ما لا تجده الا في كلام الفحول فمن لطيف ذلك ونادره
قول البحتري لو شئت لم تفسد سماحة حاتم كرما ولم تهدم مآثر خالد
الاصل لا محالة لو شئت ان لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها ثم حذف ذلك من
الاول استغناء بدلالته في الثاني عليه ثم هو على ما تراه وتعلمه من الحسن والغرابة
وهو على ما ذكرت لك من ان الواجب في حكم البلاغة ان لا ينطق بالمحذوف
ولا يظهر الى اللفظ فليس يخفى انك لو رجعت فيه الى ما هو اصله فقلت لو
شئت ان لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها صرت الى كلام غث والى شيء يمجه
السمع وتعافه النفس وذلك ان في البيان اذا ورد بعد الابهام وبعد التحريك
له لطفا ونبلا لا يكون اذا لم يتقدم ما يحرك وانت اذا قلت لو شئت علم السامع
ابدا

أنك قد علقت هذه المشيئة في المعنى بشيء فهو يضع في نفسه أن ها هنا شيئا تقتضي
مشيئته له أن يكون أو أن لا يكون فإذا قلت لم تفسد سماحة حاتم عرف ذلك الشيء ومجيء
المشيئة بعد لو وبعد حروف الجزاء هكذا موقوفة غير معداة إلى شيء كثير شائع كقوله
تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولو شاء لهداكم أجمعين والتقدير في ذلك كله
على ما ذكرت فالأصل لو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم ولو شاء أن يهديكم أجمعين
لهداكم أجمعين إلا أن البلاغة في أن يجاء به كذلك محذوفا وقد يتفق في بعضه أن يكون
إظهار المفعول هو الأحسن وذلك نحو قول الشاعر ولو شئت أن أبكي دما
لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر واسع ۝ فقياس هذا لو كان على حد ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى أن يقول لو شئت بكيت دما ولكنه كأنه ترك تلك الطريقة و
عدل إلى هذه لأنها أحسن في هذا الكلام خصوصا وسبب حسنه أنه كأنه
بدع عجيب أن يشاء الإنسان أن يبكي دما فلما كان كذلك كان الأولى أن يصرح بذكره
ليقرره في نفس السامع ويؤنسه به وإذا استقريت وجدت الأمر كذلك أبدا
متى كان مفعول المشيئة أمرا عظيما أو بديعا غريبا كان الأحسن أن يذكر ولا يضمر
يقول الرجل يخبر عن عزه لو شئت أن أرد على الأمير رددت ولو شئت
أن ألقى الخليفة كل يوم لقيت فإذا لم يكن مما يكبره السامع فالحذف أحسن
كقولك لو شئت خرجت ولو شئت قمت ولو شئت أنصفت ولو شئت
لقلت وفي التنزيل لو نشاء لقلنا وكذا يقول لو شئت كنت كزيد قال
لو شئت كنت ككرز في عبادته أو كابن طارق حول البيت والحرم ۝ وكذلك
الحكم في غيره من حروف المجازاة تقول إن شئت قلت وإن أردت دفعت

قال الله تعالى فإن يشأ الله يختم على قلبك وقال عز اسمه من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله
على صراط مستقيم ونظائر ذلك من الآي ترى الحذف فيها مستمرا ومما يعلم أن ليس فيه لغير
الحذف وجه قول طرفة وإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت مخافة ملوي
من القد محصد وقال حميد إذا شئت غنتني بأجزاع بيشة أو الزرق من تثليث
أو بيلملما مطوقة ورقاء تسجع كلما دنا الصيف وانجاب الربيع فأنجما
وقال البحتري إذا شاء غادى صرمة أو غدا على عقائل سرب أو تقنص ربربا
وقوله لو شئت عدت بلاد نجد عودة فحللت بين عقيقه وزروده ۝ معلوم
أنك لو قلت وإن شئت أن لا ترقل لم ترقل أو قلت إذا شئت أن تغنيني بأجزاع
بيشة غنتني وإذا شاء أن يغادي صرمة غادى ولو شئت أن تعود بلاد نجد عودة
عدت أذهبت الماء والرونق وخرجت إلى كلام غث ولفظ رث وأما قول
الجوهري فلم يبق مني الشوق غير تفكري فلو شئت أن أبكي بكيت تفكرا فقد
نحا به نحو قوله ولو شئت أن أبكي دما لبكيته فأظهر مفعول شئت ولم يقل فلو
شئت بكيت تفكرا لأجل أن له غرضا لا يتم إلا بذكر المفعول وذلك أنه لم يرد
أن يقول ولو شئت أن أبكي تفكرا بكيت كذلك ولكنه أراد أن يقول قد أفناني
النحول فلم يبق مني وفي غير خواطر تجول حتى لو شئت بكاء فمريت شؤوني
وعصرت عيني ليسيل منها دمع لم أجده ولخرج بدل الدمع التفكر
فالبكاء الذي أراد إيقاع المشيئة عليه مطلق مبهم غير معدى إلى التفكر البتة
والبكاء الثاني مقيد معدى إلى التفكر وإذا كان الأمر كذلك صار الثاني كأنه
شيء غير الأول وجرى مجرى أن تقول لو شئت أن تعطي درهما أعطيت

دون معنى فى ان الثانى لا يصلح ان يكون تفسيراً للاول واعلم ان هذا الذى ذكرنا ليس
بصريح الوجه والذى فى بيت عبد الله ولكنه شبيه به فى انه انما حذف من مفعول
المشيئة والارادة لان الذى ياتى فى جواب لو واخواتها يدل عليه واراد ذكر ما هو
صريح فى ذلك ثم هو نادر لطيف ينطوى على معنى دقيق وفائدة جليلة فانظر الى
بيت البحترى قد طلبنا فلم نجد لك فى السؤدد والمجد والمكارم مثلا المعنى
قد طلبنا لك مثلا ثم حذف لان ذكره فى الثانى يدل عليه ثم ان فى المجيء به كذلك من
الحسن والمزية والروعة ما لا يخفى ولو انه قال طلبنا لك فى السؤدد و
المجد والمكارم مثلا فلم نجده لم تر من هذا الحسن الذى تراه شيئا وسبب
ذلك ان الذى هو الاصل فى المدح والغرض بالحقيقة هو نفى الوجود عن
المثل فاما الطلب فكالشيء يذكر ليبنى عليه الغرض ويؤكد به امره واذا
كان هذا كذلك فلو انه قال قد طلبنا لك فى السؤدد والمجد والمكارم مثلا
فلم نجده لكان يكون قد ترك ان يوقع نفى الوجود على صريح لفظ المثل و
اوقعه على ضميره ولن تبلغ الكناية مبلغ الصريح ابدا ويبين هذا كلام ذكره
ابو عثمن الجاحظ فى كتاب البيان وانا اكتب لك الفصل حتى تستبين
الذى هو المراد قال والسنة فى خطبة النكاح ان يطيل الخاطب ويقصر
المجيب الا ترى ان قيس بن خارجة لما ضرب بسيفه مؤخرة راحلتى
الحاملين فى شان حمالة داحس قال ما لى فيها ايها العشمتان قالا بل
ما عندك قال عندى قرى كل نازل ورضى كل ساخط وخطبة من لدن
تطلع الشمس الى ان تغرب آمر فيها بالتواصل وانهى فيها عن

التقاطع قالوا فخطب يوما الى الليل فما اعاد كلمة ولا معنى فقيل لابى
يعقوب هلا اكتفى بالامر بالتواصل عن النهى عن التقاطع او ليس الامر
بالصلة هو النهى عن القطيعة قال او ما علمت ان الكناية والتعريض لا
يعملان فى العقول عمل الايضاح والتكشيف انتهى الفصل الذى اردت ان
اكتبه فقد بصّرك هذا ان لن يكون ايقاع نفى الوجود على صريح لفظ المثل
كايقاعه على ضميره واذ قد عرفت هذا فان هذا المعنى بعينه قد اوجب
فى بيت ذى الرمة ان يضع اللفظ على عكس ما وضعه البحترى فيعمل
الاول من الفعلين وذلك قوله ولم امدح لارضيه بشعرى لئيما ان يكون
اصاب مالا اعمل لم امدح الذى هو الاول فى صريح لفظ اللئيم وارضى
الذى هو الثانى فى ضميره وذلك ان ايقاع نفى المدح على اللئيم صريحا
والمجيء به مكشوفا ظاهرا هو الواجب من حيث كان اصل
الغرض وكان الارضاء تعليلا له ولو انه قال ولم امدح لارضى بشعرى
لئيما لكان يكون قد ابهم الامر فيما هو الاصل وابانه فيما ليس بالاصل فاعرفه
ولهذا الذى ذكرنا من ان للتصريح عملا لا يكون مثل ذلك للكناية كان
لاعادة اللفظ فى مثل قوله تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وقوله تعالى
قل هو الله احد الله الصمد من الحسن والبهجة ومن الفخامة والنبل ما لا
يخفى موضعه على بصير وكان لو ترك فيه الاظهار الى الاضمار فقيل وبالحق
انزلناه وبه نزل وقل هو الله احد هو الصمد لعدمت الذى انت
واجده الآن

فصل

قد بان الآن واتضح لمن نظر نظر المتثبت

الحصيف الراغب في اقتداح زناد العقل والازدياد من الفضل ومن
شانه التوق الى ان يعرف الاشياء على حقائقها ويتغلغل الى دقائقها ويربا
بنفسه عن مرتبة المقلد الذي يجري مع الظاهر ولا يعدو الذي يقع في اول
الخاطر ان الذي قلت في شان الحذف وفي تفخيم امره والتنويه بذكره وان
ماخذه مما خذ يشبه السحر ويبهر الفكر كالذي قلت وهذا فن اخر من
معانيه عجيب وهو ما اذكره لك قال البحتري في قصيدته التي اولها اعن سفه
يوم الابيرق ام حلم وهو يذكر محاماة الممدوح عليه وصيانته له ودفعه
نوائب الزمان عنه وكم ذدت عني من تحامل حادث وسورة ايام حززن
الى العظم الاصل لا محالة حززن اللحم الى العظم الا ان في مجيئه به محذوفا و
اسقاطه له من النطق وتركه في الضمير مزية عجيبة وفائدة جليلة وذلك
ان من حذق الشاعر ان يوقع المعنى في نفس السامع ابتداء مشبعا به من
ان يتوهم في بدء الامر شيئا غير المراد ثم ينصرف الى المراد ومعلوم انه
لو اظهر المفعول فقال وسورة ايام حززن اللحم الى العظم لجاز ان
يقع في وهم السامع الى ان يجيء الى قوله الى العظم ان هذا الحز كان في بعض
اللحم دون كله وانه قطع ما يلي الجلد ولم ينته الى ما يلي العظم فلما كان كذلك
ترك ذكر اللحم واسقطه من اللفظ ليبرئ السامع من هذا الوهم ويجعله
بحيث يقع المعنى منه في انف الفهم ويتصور في نفسه من اول الامر ان الحز
مضى في اللحم حتى لم يرده الا العظم افيكون دليل اوضح من هذا وابين واجلى
في صحة ما ذكرت لك من انك قد ترى ترك الذكر افصح من الذكر والامتناع من ان

عنه

يبرز اللفظ من الضمير احسن للتصوير والله اعلم **القول على فروق في الخبر**
اول ما ينبغي ان يعلم منه انه ينقسم الى خبر هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة دونه وخبر ليس
بجزء من الجملة ولكنه زيادة في خبر اخر سابق له فالاول خبر المبتدا كمنطلق في قولك
زيد منطلق والفعل كقولك خرج زيد فكل واحد من هذين جزء من الجملة وهو الاصل
في الفائدة والثاني هو الحال كقولك جاءني زيد راكبا وذلك لان الحال خبر في
الحقيقة من حيث انك تثبت بها المعنى لذي الحال كما تثبت بخبر المبتدا للمبتدا
وبالفعل للفاعل الا تراك قد اثبت الركوب في قولك جاءني زيد راكبا لزيد الا ان الفرق
انك جئت به لتزيد معنى في اخبارك عنه بالمجيء وهو ان تجعله بهذه الهيئة في مجيئه و
لم تجرد اثباتك للركوب ولم تباشره به ابتداء بل بدات فاثبت المجيء ثم وصلت الركوب
به فالتبس به الاثبات على سبيل التبع للمجيء وبشرط ان يكون في صلته واما في الخبر المطلق
نحو زيد منطلق وخرج عمرو فانك مثبت للمعنى اثباتا جردته له وجعلته يباشره
من غير واسطة ومن غير ان تتسبب بغيره اليه فاعرفه واذ قد عرفت هذا
الفرق فالذي يليه من فروق الخبر هو الفرق بين الاثبات اذا كان بالاسم وبينه اذا كان
بالفعل وهو فرق لطيف تمس الحاجة في علم البلاغة اليه وبيانه ان موضوع الاسم
على ان يثبت به المعنى للشيء من غير ان يقتضي تجدده شيئا بعد شيء واما الفعل فموضوعه
على انه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء فاذا قلت زيد منطلق فقد اثبت
الانطلاق فعلا له من غير ان تجعله يتجدد ويحدث منه شيئا فشيئا بل يكون المعنى
فيه كالمعنى في قولك زيد طويل وعمرو قصير فكما لا تقصد ههنا الى ان تجعل الطول
والقصر يتجدد ويحدث بل توجبهما وتثبتهما فقط وتقضي بوجودهما على الاطلاق

به م

ولكن لا تتعرض في قولك زيد منطلق لاكثر من اثباته لزيد واما الفعل فانه تقصد فيه الى
ذلك فاذا قلت زيد هاهو ذا ينطلق فقد زعمت ان الانطلاق يقع منه جزءا فجزءا
وجعلته يزاوله ويزجّيه وان شئت ان تحسّ الفرق بينهما من حيث يلطف فتامل
هذا البيت لا يألف الدرهم المضروب صرّتنا لكن يمرّ عليها وهو منطلق
هذا هو الحسن اللائق بالمعنى ولو قلته بالفعل لكن يمرّ عليها وهو ينطلق لم
يحسن واذا اردت ان تعتبره بحيث لا يخفى ان احدهما لا يصلح في موضع صاحبه
فانظر الى قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد فان احدا لا يشك في امتناع الفعل
هاهنا وان قولنا وكلبهم يبسط ذراعيه لا يؤدي الغرض وليس ذلك الا لان الفعل
يقتضي مزاولة وتجدّد الصفة في الوقت ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها
من غير ان يكون هناك مزاولة وتزجية فعل ومعنى يحدث شيئا فشيئا ولا فرق بين
وكلبهم باسط وبين ان يقول وكلبهم واحد مثلا في انك لا تثبت مزاولة ولا تجعل الكلب
يفعل شيئا بل تثبته بصفة هو عليها فالغرض اذا تادية هيئة الكلب ومتى اعتبرت
الحال في الصفات المشبهة وجدت الفرق ظاهرا بيّنا ولم يعترضك الشك في ان
احدهما لا يصلح في موضع صاحبه فاذا قلت زيد طويل وعمرو قصير لم يصلح مكانه
يطول ويقصر وانما تقول يطول ويقصر اذا كان الحديث عن شيء يزيد وينمو كالشجر
والنبات والصبي ونحو ذلك مما يتجدد فيه الطول او يحدث فيه القصر فاما
وانت تحدّث عن هيئة ثابتة وعن شيء قد استقر طوله ولم يكن ثمّ تزايد وتجدّد
فلا يصلح فيه الا الاسم واذا ثبت الفرق بين الشيء والشيء في مواضع كثيرة وظهر
الامر بان ترى احدهما لا يصلح في موضع صاحبه وجب ان تقضي بثبوت الفرق

حيث ترى احدهما قد صلح في مكان الاخر وتعلم ان المعنى مع احدهما غيره مع
الاخر كما هو العبرة في حمل الخفي على الجلي وينعكس لك هذا الحكم اعني انك كما
وجدت الاسم يقع حيث لا يصلح الفعل مكانه كذلك تجد الفعل يقع ثم لا يصلح الاسم
مكانه ولا يؤدي ما كان يؤديه فمن البيّن في ذلك قول الاعشى لعمري لقد لاحت عيون كثيرة
الى ضوء نار في يفاع تحرّق تشبّ لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى
والمحلّق معلوم انه لو قيل الى نار متحرقة لنبا عنه الطبع وانكرته النفس ثم لا يكون
ضوء
ذلك النبوّ وذلك الانكار من اجل القافية وانها تفسد به بل من جهة انه لا يشبه
الغرض ولا يليق بالحال وكذلك قوله اوكلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا اليّ
عريفهم يتوسّم وذلك لان المعنى في بيت الاعشى على ان هناك موقدا يتجدد منه
الالهاب والاشعال حالا فحالا واذا قيل متحرقة كان المعنى ان هناك نارا قد ثبتت
لها وفيها هذه الصفة وجرى مجرى ان يقال الى ضوء نار عظيمة في انه لا يفيد فعلا
يفعل وكذلك الحال في قوله بعثوا اليّ عريفهم يتوسّم وذلك لان المعنى على توسّم
وتامّل ونظر يتجدد من العريف هناك حالا فحالا وتصفّح منه للوجوه واحدا
بعد واحد ولو قيل بعثوا اليّ عريفهم متوسّما لم يفد ذلك حق الافادة ومن ذلك
قوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لو قيل هل من خالق غير
الله رازق لكم لكان المعنى غير ما اريد ولا ينبغي ان يغرّك انا اذا تكلمنا في مسائل المبتدا
والخبر قدرنا الفعل في هذا النحو تقدير الاسم كما نقول في زيد يقوم انه في موضع
قائم فان ذلك لا يقتضي ان يستوي المعنى فيهما استواء لا يكون من بعده افتراق فانهما
لو استويا هذا الاستواء لم يكن احدهما اسما والآخر فعلا بل كان ينبغي ان يكونا جميعا

يكونا ٤

معلناً او مستمراً ومن فروق الاثبات انك تقول زيد منطلق وزيد المنطلق والمنطلق
زيد فيكون لك في كل واحد من هذه الاحوال غرض خاص وفائدة لا تكون في الباقي
وانا افسر لك ذلك ٥ اعلم انك اذا قلت زيد منطلق كان كلامك مع من لم يعلم ان
انطلاقاً كان لا من زيد ولا من عمرو فانت تفيده ذلك ابتداءً واذا قلت زيد المنطلق
كان كلامك مع من عرف ان انطلاقاً كان اما من زيد واما من عمرو فانت تعلمه انه كان
من زيد دون غيره والنكتة انك تثبت في الاول الذي هو قولك زيد منطلق فعلاً
لم يعلم السامع من اصله انه كان وتثبت في الثاني الذي هو زيد المنطلق فعلاً قد علم
السامع انه كان ولكنه لم يعلمه لزيد فافدته ذلك فقد وافق الاول في المعنى الذي له
كان الخبر خبراً وهو اثبات المعنى للشيء وليس يقدح في ذلك انك كنت قد علمت
ان انطلاقاً كان من احد الرجلين لانك اذا لم تصل الى القطع على انه كان من زيد دون
عمرو كان حالك في الحاجة الى من يثبته لزيد كحالك اذا لم تعلم انه كان من اصله وتمام التحقيق
ان هذا كلام يكون معك اذا كنت قد بلغت انه كان من انسان انطلاق من موضع
كذا في وقت كذا لغرض كذا فجوزت ان يكون ذلك كان من زيد فاذا قيل لك زيد هو
المنطلق صار الذي كان معلوماً على جهة الجواز معلوماً على جهة الوجوب ثم انهم
اذا ارادوا تأكيد الوجوب ادخلوا ضمير المسمى فصلاً بين الجزءين فقالوا زيد هو
المنطلق ومن الفرق بين المسئلتين وهو مما تمس الحاجة الى معرفته انك اذا نكرت الخبر
جاز ان تاتي بمبتدأ ثانٍ على ان تشركه بحرف العطف في المعنى الذي اخبرت به
عن الاول واذا عرفت لم يجز ذلك تفسير هذا انك تقول زيد منطلق وعمرو
تريد وعمرو منطلق ايضاً ولا تقول زيد المنطلق وعمرو ذاك لان المعنى مع التعريف

هنا ٤

على انك اردت ان تثبت انطلاقاً مخصوصاً قد كان من واحد فاذا اثبته لزيد لم يصح
اثباته لعمرو ثم ان كان قد كان ذلك الانطلاق من اثنين فانه ينبغي ان تجمع بينهما في الخبر فتقول
زيد وعمرو هما المنطلقان لا ان تفرق فتثبته اولاً لزيد ثم تجيء فتثبته لعمرو ومن الواضح
في تمثيل هذا النحو قولنا هو القائل بيت كذا كقولك جرير هو القائل
وليس لسيفي في العظام بقية فانت لو حاولت ان تشرك في هذا الخبر غيره
فتقول جرير هو القائل هذا البيت وفلان حاولت محالاً لانه قول بعينه فلا
يتصور ان تشرك جريراً فيه غيره ٥ واعلم انك تجد الالف واللام في الخبر على معنى
الجنس ثم ترى له في ذلك وجوهاً احدها ان تقصر جنس المعنى على المخبر عنه لقصدك
المبالغة وذلك قولك زيد هو الجواد وعمرو هو الشجاع تريد انه الكامل الا انك
تخرج الكلام في صورة توهم ان الجود والشجاعة لم توجد الا فيه وذلك لانك لم تعتد
بما كان من غيره لقصوره عن ان يبلغ الكمال فهذا كالاول في امتناع العطف عليه للاشتراك
فلو قلت زيد هو الجواد وعمرو كان خلفاً من القول والوجه الثاني ان تقصر
جنس المعنى الذي تفيده بالخبر على المخبر عنه لا على معنى المبالغة وترك الاعتداد
بوجوده في غير المخبر عنه بل على دعوى انه لا يوجد الا منه ولا يكون ذلك الا اذا
قيدت المعنى بشيء تخصصه وتجعله في حكم نوع برأسه وذلك كنحو ان تقيد بالحال
والوقت كقولك هو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيراً وكذلك اذا كان الخبر
لمعنى يتعدى ثم اشترطت له مفعولاً مخصوصاً كقول الاعشى هو الواهب المائة
المصطفاة اما مخاضاً واما عشاراً ٥ فانت تجعل الوفاء في الوقت الذي لا يفي
فيه احد نوعاً خاصاً من الوفاء وكذلك تجعل هبة المائة من الابل نوعاً خاصاً

وكذلك الحكم ثم انك تجعل كل هذا خبرًا على معنى الاختصاص وانه المذكور دون من
عداه الا ترى ان المعنى في بيت الاعشى انه لا يهب هذه الهبة الا الممدوح وربما ظن
الظان ان اللام في هو الواهب المائة المصطفاة بمنزلتها في نحو زيد هو المنطلق
من حيث كان القصد الى هبة مخصوصة كما كان القصد الى انطلاق مخصوص وليس
الامر كذلك لان القصد هاهنا الى جنس من الهبة مخصوص لا الى هبة مخصوصة
بعينها يدلك على ذلك ان المعنى على انه يتكرر منه وعلى ان يجعله يهب المائة مرة
بعد اخرى واما المعنى في قولك زيد هو المنطلق فعلى القصد الى انطلاق كان مرة
واحدة لا الى جنس من الانطلاق فالتكرر هناك غير متصور كيف وانت تقول
جرير هو القائل وليس لسيفي في العظام بقية تريد ان تثبت له قيل هذا
البيت وتاليفه فافصل بين ان تقصد الى نوع فعل وبين ان تقصد الى فعل واحد
متعين حاله في المعاني حال زيد في الرجال في انه ذات بعينها ۝ والوجه الثالث ان
لا تقصد قصر المعنى في جنسه على المذكور لا كما كان في زيد هو الشجاع تريد ان لا تعتد
بشجاعة غيره ولا كما ترى في قوله هو الواهب المائة المصطفاة ولكن على وجه
ثالث وهو الذي عليه قول الخنساء اذا قبح البكاء على قتيل رايت بكاك الحسن الجميلا ۝
لم ترد ان ما عدا البكاء عليه فليس بحسن ولا جميل ولم تقيد الحسن بشي فيتصور
ان يقصر البكاء كما قصر الاعشى هبة المائة على الممدوح ولكنها ارادت ان
تقره في جنس ما حسنه الحسن الظاهر الذي لا ينكره احد ولا يشك فيه شاك
ومثله قول حسان وان سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
اراد ان يثبت له العبودية ثم يجعله ظاهر الامر فيها ومعروفا بها ولو قال

علي

ووالدك عبد لم يكن قد جعل حاله في العبودية حالة ظاهرة متعارفة وعلى ذلك
قول الآخر اسود اذا ما ابدت الحرب نابها وفي سائر الدهر الغيوث المواطر
واعلم ان للخبر المعرف بالالف واللام معنى غير ما ذكرت لك وله مسلك ثم دقيق و
لمحة كالخلس يكون المتامل عنده كما يقال يعرف وينكر وذلك قولك هو
البطل المحامي وهو المتقى المرتجى وانت لا تقصد شيا مما تقدم فلست
تشير الى معنى قد علم المخاطب انه كان ولم يعلم ممن كان كما مضى في قولك زيد هو
المنطلق ولا تريد ان تقصر معنى عليه على معنى انه لم يحصل لغيره على الكمال كما
كان في قولك زيد هو الشجاع ولا ان تقول ظاهر انه بهذه الصفة كما كان في قولك
ووالدك العبد ولكنك تريد ان تقول لصاحبك هل سمعت بالبطل المحامي
وهل حصلت معنى هذه الصفة وكيف ينبغي ان يكون الرجل حتى يستحق ان
يقال ذلك له وفيه فان كنت قتلته علما وتصورته حق تصوره فعليك صاحبك
واشدد به يدك فهو ضالتك وعنده بغيتك وطريقه طريق قولك هل سمعت
بالاسد وهل تعرف ما هو فان كنت تعرفه فزيد هو هو بعينه ويزداد هذا
المعنى ظهورا بان تكون الصفة التي تريد الاخبار بها عن المبتدا مجراة على
موصوف كقول ابن الرومي هو الرجل المشروك في جل ماله ولكنه بالمجد
والحمد مفرد تقديره كانه يقول للسامع فكر في رجل لا يتميز عفاته وجيرانه
ومعارفه عنه في ماله واخذ ما شاؤوا منه فاذا حصلت صورته في نفسك
فاعلم انه ذلك الرجل وهذا فن عجيب الشان وله مكان من الفخامة والنبل
وهو من سحر البيان الذي تقصر العبارة عن تادية حقه والمعول فيه على

مراجعة النفس واستقصاء التأمل فاذا علمت انه لا بد لقوله الرجل المشترك
في جل ماله ان يقول هو الذي يبلغك حديثه وعرفت من حاله وقصته انه يشرك
في جل ماله على حد قولك هو الرجل الذي بلغك انه انفق كذا وكذا والذي
وهب المائة المصطفاة من الابل ولا ان يقول انه على معنى هو الكامل في هذه
الصفة حتى كأن ها هنا اقواما يشركون في جل اموالهم الا انه في ذلك اكمل وانهم
لا ذلك اقصور وذاك ان يكون الرجل بحيث يشرك في جل ماله ليس بمعنى يقع
فيه تفاضل كما ان بذل الرجل كل ما يملك كذلك ولو قيل الذي يشرك في ماله جاز ان
يتفاوت واذا كان كذلك علمت انه بمعنى ثالث وليس الا ما اشرت اليه من انه يقول
للمخاطب ضع في نفسك معنى قولك رجل مشترك في جل ماله ثم تأمل فلانا
فانك تستملي هذه الصورة منه وتجده يؤديها لك نصا فيأتيك بها كملا وان
اردت ان تسمع في هذا المعنى ما يسكن النفس اليه سكون الصادي الى برد الماء فاسمع
قوله انا الرجل المدعو عاشق فقره اذا لم تكارمني صروف زماني ۞ وان اردت
اعجب من ذلك فقوله يروى حاشيته لارجانبه أهدى اليّ ابو الحسين يدا
ارجو الثواب بها لديه غدا وكذاك عادات الكريم اذا اولى يدا حسبت عليه يدا
ان كان يحسد نفسه احد فلأزعمنك ذلك الاحدا فهذا كله على معنى الوهم
والتقدير وان يصور في خاطره شيئا لم يره ولم يعلمه ثم يجريه مجرى ما عهد وعلم
وليس شيء اغلب على هذا الضرب الموهوم من الذي فانه يجيء كثيرا على انك
تقدر شيئا في وهمك ثم تعبر عنه بالذي ومثال ذلك قوله اخوك الذي ان
تدعه لملمة يجبك وان تغضب الى السيف يغضب وقول الآخر

اوست ٩

اخوك الذي ان ربته قال انما اربت وان عاتبته لان جانبه فهذا ونحوه على انك قدرت
انسانا هذه صفته وهذا شأنه واحلت السامع على من يتعين في الوهم دون ان يكون
قد عرف رجلا بهذه الصفة فاعلمته ان المستحق لاسم الاخوة هو ذلك الذي
عرفه حتى كأنك قلت اخوك زيد الذي عرفت انك ان تدعه لملمة يجبك ولكون هذا
الجنس معهودا من طريق الوهم والتخيل جرى على ما يوصف بالاستحالة كقولك
للرجل وقد تمنى هذا هو الذي لا يكون وهذا ما لا يدخل في الوجود وكقوله
ما لا يكون فلا يكون بحيلة ابدا وما هو كائن سيكون ومن لطيف هذا الباب
قوله واني لمشتاق الى ظل صاحب يرق ويصفو ان كدرت عليه ۞ فقد
قدر كما ترى ما لم يعلمه موجودا ولذلك قال المأمون خذ مني الخلافة واعطني
هذا الصاحب فهذا التعريف الذي تراه في الصاحب لا يعرض فيه شك انه
موهوم واما قولنا المنطلق زيد والفرق بينه وبين ان يقول زيد المنطلق فالقول
في ذلك انك وان كنت ترى في الظاهر انهما سواء من حيث كان الغرض في الحالين
اثبات انطلاق قد سبق العلم به لزيد فليس الامر كذلك بل بين الكلامين فصل
ظاهر وبيانه انك اذا قلت زيد المنطلق فانت في حديث انطلاق قد كان
وعرف السامع كونه الا انه لم يعلم أمن زيد كان ام من عمرو فاذا قلت زيد المنطلق
ازلت عنه الشك وجعلته يقطع بانه كان من زيد بعد ان كان يرى ذلك على
سبيل الجواز وليس كذلك اذا قدمت المنطلق فقلت المنطلق زيد بل يكون
المعنى حينئذ على انك رأيت انسانا ينطلق بالبعد منك فلم تثبت ولم تعلم ازيد
هو ام عمرو فقال لك صاحبك المنطلق زيد اي هذا الشخص الذي تراه من

بعد هو زيد وقد ترى الرجل قائماً بين يديك وعليه ثوب ديباج والرجل ممن
عرفته قديماً ثم بَعُدَ عهدك به فتناسيته فيقال لك اللابس الديباج صاحبك
الذي كان يكون عندك في وقت كذا اما تعرفه لشدّ ما نسيت ولا يكون الغرض
ان يثبت له لبس الديباج لاستحالة ذلك من حيث ان رؤيتك الديباج عليه تغنيك
عن اخبار مخبر واثبات مثبت لبسه له فمتى رأيت اسم فاعل او صفة من
الصفات قد بُدِئ به فجُعل مبتدأً وجُعل الذي هو صاحب الصفة
في المعنى خبراً فاعلم ان الغرض هناك غير الغرض اذا كان اسم الفاعل او الصفة
خبراً كقولك زيد المنطلق واعلم انه ربما اشتبهت الصورة في بعض المسائل
من هذا الباب حتى يُظنّ ان المعرفتين اذا وقعتا مبتدأ وخبراً لم يختلف المعنى
فيهما بتقديم وتأخير ومما يوهم ذلك قول النحويين في باب كان اذا اجتمع
معرفتان كنت بالخيار في جعل ايهما شئت اسماً والآخر خبراً كقولك كان
زيد اخاك وكان اخوك زيداً فيظنّ من ههنا ان تكافؤ الاسمين في التعريف
يقتضي ان لا يختلف المعنى بان تبدأ بهذا وتثني بذاك وحتى كأن الترتيب الذي
يُدّعى بين المبتدأ والخبر وما يوضع لهما من المنزلة في التقدم والتأخر يسقط
ويرتفع اذا كان الجزآن معاً معرفتين ومما يوهم ذلك انك تقول الامير زيد
والخليفة عبد الملك فيكون المعنى على اثبات الامارة لزيد والخلافة
لعبد الملك كما يكون اذا قلت زيد الامير وعبد الملك الخليفة وتقول لمن
تشاهد ومن هو غائب عن حضرة الامارة ومعدن الخلافة وهكذا
يتوهم في نحو قوله ابوك حُباب سارق الضيف بردَه وجدّي يا حجّاج
فارس شمّرا

الا انه لا فصل بينه وبين ان يقال حُباب ابوك وفارس شمّر جدي وهو
موضع غامض والذي يبيّن وجه الصواب ويدل على وجوب الفرق
بين المسألتين انك اذا تأملت الكلام وجدت ما لا يحتمل التسوية وما تجد
الفرق قائماً فيه قياماً لا سبيل الى دفعه هو الاعم الاكثر وان اردت ان
تعرف ذلك فانظر الى ما قدمت لك من قولك اللابس الديباج زيد وانت
تشير له الى رجل بين يديه ثم انظر الى قول العرب ليس الطيب الا المسك و
قول جرير الستم خير من ركب المطايا ونحو قول المتنبي الست ابن الأُلى
سعدوا وسادوا واشباه ذلك مما لا يحصى ولا يعدّ واردد المعنى على ان
تسلّم الكلام قلب طرفي الجملة وقل ليس المسك الا الطيب وليس خير من
ركب المطايا اياكم وليس ابن الأُلى سعدوا وسادوا اياك تعلم ان الامر على
ما عرّفتك من وجوب اختلاف المعنى بحسب التقديم والتأخير وههنا نكتة
يجب القطع معها بوجوب هذا الفرق ابداً وهي ان المبتدأ لم يكن مبتدأً
لانه منطوق به اولاً ولا كان الخبر خبراً لانه مذكور بعد المبتدأ بل كان المبتدأ مبتدأً
لانه مسند اليه ومثبت له المعنى والخبر خبراً لانه مسند ومثبت به المعنى
تفسير ذلك انك اذا قلت زيد منطلق فقد اثبتّ الانطلاق لزيد واسندته
اليه فزيد مثبَت له ومنطلق مثبَت به واما تقدم المبتدأ على الخبر لفظاً
فحكم واجب من هذه الجهة اي من جهة ان كان المبتدأ هو الذي يثبت له المعنى
ويُسنَد اليه والخبر هو الذي يثبت به المعنى ويُسنَد ولو كان المبتدأ مبتدأً
لانه في اللفظ مقدم مبدوء به لكان ينبغي ان يخرج عن كونه مبتدأً بان يقال

منطلق زيد ولو وجب ان يكون قولهم ان الخبر مقدم في اللفظ والنية به التأخير
محالا واذا كان هذا كذلك ثم جئت بمعرفتين فجعلتهما مبتدا وخبرا فقد وجب
وجوبا ان يكون مثبتا بالثاني معنى للاول فاذا قلت زيد اخوك كنت قد اثبت
باخوك معنى لزيد واذا قدمت واخرت فقلت اخوك زيد وجب ان تكون
مثبتا بزيد معنى لاخوك والا كان تسميتك له الآن مبتدا واذ ذاك خبرا تغييرا
للاسم عليه من غير معنى ولادى الى ان لا يكون لقولهم المبتدا والخبر فائدة غير
ان يتقدم اسم في اللفظ على اسم من غير ان ينفرد كل واحد منهما بحكم لا يكون
لصاحبه وذلك مما لا يشك في سقوطه ومما يدل دلالة واضحة على اختلاف
المعنى اذا جئت بمعرفتين ثم جعلت هذا مبتدا وذاك خبرا تارة وتارة
بالعكس قولهم الحبيب انت وانت الحبيب وذلك ان معنى الحبيب انت
انه لا فصل بينك وبين من تحبه اذا صدقت المحبة وان مثل المتحابين مثل نفس
يقتسمها شخصان كما جاء عن بعض الحكماء انه قال الحبيب انت الا انه غيرك
فهذا كما ترى معنى لطيف ونكتة شريفة ولو حاولت ان تفيدها بقولك انت
الحبيب حاولت ما لا يصح لان الذي يعقل من قولك انت الحبيب هو ما عناه المتنبي في
قوله انت الحبيب ولكني اعوذ به من ان اكون محبا غير محبوب ولا يخفى
بعد ما بين الغرضين فالمعنى في قولك انت الحبيب انك الذي اختصصته بالمحبة
من بين الناس واذا كان كذلك عرفت ان الفرق واجب ابدا وانه لا يجوز
ان يكون اخوك زيد وزيد اخوك بمعنى واحد وها هنا شيء يجب النظر فيه و
هو ان قولك انت الحبيب كقولنا انت الشجاع تريد انه الذي كملت فيه الشجاعة

ام كقولنا زيد المنطلق تريد انه الذي كان منه الانطلاق الذي سمع المخاطب به
واذا نظرنا وجدناه لا يحتمل ان يكون كقولنا انت الشجاع لانه يقتضي ان يكون
المعنى انه لا محبة في الدنيا الا ما هو به حبيب كما ان المعنى في هو الشجاع انه لا
شجاعة في الدنيا الا ما تجده عنده وما هو شجاع به وذلك محال وامر آخر و
هو ان الحبيب فعيل بمعنى مفعول فالمحبة اذًا ليست هي له بالحقيقة وانما
هي صفة لغيره قد لابسته وتعلقت به تعلق الفعل بالمفعول والصفة
اذا وصفت بالكمال وصفت به على ان يرجع ذلك الكمال الى من هي صفة له
دون من يلابسه ملابسة المفعول واذا كان كذلك بعد ان يقول انت المحبوب
على معنى انت الكامل في كونك محبوبا كما ان بعيدا ان تقال هو المضروب
على معنى انه الكامل في كونه مضروبا وان جاء شيء من ذلك جاء على تعسف وتأول
لا يتصور ها هنا وذلك ان يقال مثلا زيد هو المظلوم على معنى انه لم يصب
احدا ظلم يبلغ في الشدة والشناعة الظلم الذي لحقه فصار كل ظلم سواه
عدلا في جنبه ولا يجيء هذا التأويل في قولنا انت الحبيب لانا نعلم انهم لا يريدون
بهذا الكلام ان يقولوا ان احدا لم يحب احدا محبتي لك وان ذلك قد ابطل المحبات
كلها حتى صرت الذي لا يعقل للمحبة معنى الا فيه وانما الذي يريدون ان
المحبة الذي مني بجملتها مقصورة عليك وانه ليس لاحد غيرك حظ في محبة
مني واذا كان كذلك بان انه لا يكون بمنزلة انت الشجاع تريد الذي يكمل
الوصف فيه الا انه ينبغي من بعد ان تعلم ان بين انت الحبيب وبين زيد المنطلق
فرقا وهو ان لك في المحبة التي اثبتها طرفا من الجنسية من حيث كان المعنى

ان المحبة منك بجملتها مقصورة عليك ولم تعد الى محبة واحد من محبيك الا
ترى انك قد اعطيت بقولك انت الحبيب انك لا تحب غيره وان لا محبة لاحد
سواه عندك ولا يتصور هذا في زيد المنطلق لانه لا وجه هنالك للجنسية
اذ ليس ثمة الا انطلاق واحد قد عرف المخاطب انه كان واحتاج ان
يعين له الذي كان منه وينص له عليه فان قلت زيد المنطلق في حاجتك
تريد الذي من شانه ان يسعى في حاجاتك عرض فيه معنى الجنسية حينئذ على
حدها في انت الحبيب وههنا اصل يجب ان تحكمه وهو ان من شان اسماء
الاجناس كلها اذا وصفت ان تتنوع بالصفة فيصير الرجل الذي هو جنس
واحد اذا وصفت فقلت رجل ظريف ورجل طويل ورجل قصير ورجل
شاعر ورجل كاتب انواعا مختلفة يعد كل نوع منها شيئا على حدة وتستانف
في اسم الرجل بكل صفة تقرنها اليه جنسية وكذا القول في المصادر تقول
العلم والجهل والضرب والقتل والسير والقيام والقعود فتجد كل
واحد من هذه المعاني جنسا كالرجل والفرس والحمار فاذا وصفت
فقلت علم كذا وعلم كذا كقولك علم ضروري وعلم مكتسب وعلم جلي وعلم
خفي وضرب شديد وضرب خفيف وسير سريع وسير بطي وما شاكل
ذلك انقسم الجنس فيها اقساما وصار انواعا وكان مثلها مثل الشي المجموع
المؤلف تفرقه فرقا وتشعبه شعبا وهذا مذهب معروف عندهم
واصل متعارف في كل جيل وامة ثم ان ههنا اصلا هو كالمتفرع على هذا
الاصل او كالنظير له وهو ان من شان المصدر ان يفرق بالصلات كما يفرق

بالصفات ومعنى هذا الكلام انك تقول الضرب فتراه جنسا واحدا فاذا
قلت الضرب بالسيف صار بتعديتك له الى السيف نوعا مخصوصا الا
تراك تقول الضرب بالسيف غير الضرب بالعصا تريد انهما نوعان مختلفان
وان اجتماعهما في اسم الضرب لا يوجب اتفاقهما لان الصلة قد فصلت بينهما
وفرقتهما ومن المثال البين في ذلك قول المتنبي وتوهموا اللعب الوغى
والطعن في الهيجا غير الطعن في الميدان لولا ان اختلاف صلة المصدر
يقتضي اختلافه في نفسه وان يحدث فيه انقسام وتنوع لما كان لهذا الكلام
معنى ولكان في الاستحالة كقولك والطعن غير الطعن فقد بان اذا انه انما كان
كل واحد من الطعنين جنسا براسه غير الاخر بان كان هذا في الهيجا وذاك
في الميدان وهكذا الحكم في كل شي تعدى اليه المصدر وتعلق به فاختلاف
مفعولي المصدر يقتضي اختلافه وان يكون المتعدي الى هذا المفعول غير
المتعدي الى ذاك وعلى ذلك تقول ليس اعطاؤك الكثير كاعطائك القليل
وهكذا اذا عديته الى الحال كقولك ليس اعطاؤك معسرا كاعطائك موسرا
وليس بذلك وانت مقل كبذلك وانت مكثر واذ قد عرفت هذا من حكم
المصدر فاعتبر به حكم الاسم المشتق منه واذا اعتبرت ذلك علمت ان قولك
هو الوفي حين لا يفي احد وهو الواهب المائة المصطفاة وقوله وهو
الضارب الكتيبة والطعنة تغلو والضرب اغلى واغلى واشباه ذلك
كلها اخبار فيها معنى الجنسية وانها في نوعها الخاص بمنزلة الجنس المطلق
اذا جعلته خبرا فقلت انت الشجاع فكما انك لا تقصد بقولك انت الشجاع

الى شجاعة بعينها قد كانت وعُرفت من انسان واردت ان تعرف ممن كانت
بل تريد ان تقصر جنس الشجاعة عليه ولا تجعل لاحد غيره فيه حظا كذلك
لا تقصد بقولك انت الوفي حين لا يفي احد الى وفاء واحد كيف وانت تقول
لا يفي احدٌ وهكذا محال ان تقصد في قوله هو الواهب المائة المصطفاة
الى هبة واحدة لانه يقتضي ان يقصد الى مائة من الابل قد وهبها مرة ثم لم
يعد لمثلها ومعلوم انه خلاف الغرض لان المعنى انه الذي يهب المائة ابدا
والذي يبلغ عطاؤه هذا المبلغ كما تقول هو الذي يعطي مادحه الالف و
الالفين وكقوله وحاتم الطائي وهّاب المئي ٥ وذلك اوضح من ان يخفى
واصل آخر وهو ان من حقنا ان نعلم ان مذهب الجنسية في الاسم وهو
خبر غير مذهبها وهو مبتدأ تفسير هذا انا وان قلنا ان اللام في قولك
انت الشجاع للجنس كما هو في قولهم الشجاع موقّى والجبان ملقّى
فان الفرق بينهما عظيم وذلك ان المعنى في قولك الشجاع موقّى انك تثبت
الوقاية لكل ذات من صفتها الشجاعة فهو في معنى قولك الشجعان كلهم
موقّون ولست اقول ان الشجاع كالشجعان على الاطلاق وان كان ذلك
ظن كثير من الناس ولكني اريد انك تجعل الوقاية تستغرق الجنس وتشمله
وتشيع فيه واما في قولك انت الشجاع فلا معنى فيه للاستغراق اذ
لست تريد ان تقول انت الشجعان كلهم حتى كانك تذهب به مذهب قولهم
انت الخلق كلهم وانت العالم كما قال ان يجمع العالم في واحد ٥ ولكن
لحديث الجنسية هاهنا ماخذ غير ذلك وهو انك تعمد بها الى المصدر

المصدر المشتق منه الصفة وتوجهها اليه لا الى نفس الصفة ثم لكن في توجيهها
اليه مسلك دقيق وذلك انه ليس القصد ان تاتي الى شجاعات كثيرة فتجمعها
له وتوجدها فيه ولا ان تقول ان الشجاعات التي يتوهم وجودها في
الموصوفين بالشجاعة هي موجودة فيه لا فيهم هذا كله محال بل المعنى على انك
تقول كنا قد عقلنا الشجاعة وعرفنا حقيقتها وما هي وكيف ينبغي ان يكون
الانسان في اقدامه وبطشه حتى يعلم انه شجاع على الكمال واستقرينا الناس فلم
نجد في واحد منهم حقيقة ما عرفناه حتى اذا صرنا الى المخاطب وجدناه قد
استكمل هذه الصفة واستجمع شرائطها واخلص جوهرها ورسخ فيه سنخها
ويبين لك ان الامر كذلك انا والجميع على تفسيرهم له بمعنى الكامل ولو كان المعنى
على انه استغرق الشجاعات التي يتوهم كونها في الموصوفين بالشجاعة لما قالوا
انه بمعنى الكامل في الشجاعة لان الكمال هو ان يكون الصفة على ما ينبغي ان يكون عليه
وان لا تخالطها ما يقدح فيها وليس الكمال ان يجمع احاد الجنس وينضم بعضه الى
بعض في الغرض اذا قولنا انت الشجاع هو الغرض بقولهم هذه هي الشجاعة
على الحقيقة وما عداها جبن وهكذا يكون العلم وما عداه تخييل وهذا هو
الشعر وما سواه فليس بشيء وذلك اظهر من ان يخفى وضرب آخر من الاستدلال
في ابطال ان يكون انت الشجاع بمعنى انك كانك جمع الشجعان على حد انت الخلق
كلهم وهو انك في قولك انت الخلق وانت الناس كلهم وقد جمع العالم منك
في واحد تدعي له جميع المعاني الشريفة المتفرقة في الناس من غير ان تبطل تلك
المعاني وتنفيها عن الناس بل على ان تدعي له امثالها الا ترى انك اذا قلت في

الرجل انه معدود بالف رجل فلست تعني انه معدود بالف لا معنى فيهم ولا فضيلة لهم
بوجه بل تريد انه يعطيك من معاني الشجاعة او العلم او كذا او كذا مجموعا ما لم تجده
مفرقا الا في الف رجل واما في قولك انت الشجاع فانك تدعي له انه قد انفرد
بحقيقة الشجاعة وانه قد اوتي فيها مزية وخاصية لم يؤتها احد حتى صار الذي كان يعده
الناس شجاعة عند شجاعته وحتى كان كل اقدام احجاما وكل قوة عرفت في الحرب ضعفا
وعلى ذلك قالوا جاد حتى بخل كل جواد وحتى منع ان يستحق اسم الجواد احد كما
قال ولك لا تجود دعا جواد هيابتك لن يلقب بالجواد وكما قال جاد حتى لم
يعرف لاحد جود وحتى كان قد كذب الواصفون الغيث بالجود كما قال

اعطيت حتى تركت الريح حاسرة ... وجدت حتى كان الغيث لم يجد

هذا فصل في الذي خصوصا اعلم ان لك في الذي علما كثيرا واسرارا جمة
وخفايا اذا بحثت عنها وتصورتها اطلعت على فوائد تؤنس النفس وتثلج
الصدر بما يفضي بك اليه من اليقين ويؤديه اليك من حسن التبيين والوجه في ذلك
ان تتامل عبارات لهم فيه لم وضع ولاي غرض اجتلب واشياء وصفوه بها فمن
ذلك قولهم ان الذي اجتلبت ليكون وصلة الى وصف المعارف بالجمل كما اجتلب ذو
ليتوصل به الى الوصف باسماء الاجناس يعنون بذلك انك تقول مررت بزيد الذي
ابوه منطلق وبالرجل الذي كان عندنا امس فتجدك قد توصلت بالذي الى ان ابنت
زيدا من غيره بالجملة التي هي قولك ابوه منطلق ولولا الذي لم تصل الى ذلك كما انك تقول
مررت برجل ذي مال فتتوصل بذي الى ان تبين الرجل من غيره ولولا ذو لم يتات لك
ذلك اذ لا تستطيع ان تقول مررت برجل مال فهذه جملة مفهومة الا ان تحتها خبايا

يحتاج الى الكشف عنها فمن ذلك ان تعلم انه انما امتنع ان توصف المعرفة بالجملة ولم
يمكن حالها فيه كحال النكرة التي تصفها بها في قولك مررت برجل ابوه منطلق
ورايت انسانا تقاد الجنائب بين يديه وقالوا ان السبب في امتناع ذلك ان الجمل
نكرات كلها بدلالة انها تستفاد وانما يستفاد المجهول دون المعلوم قالوا
فلما كانت كذلك كانت وفقا للنكرة فجاز وصفها بها ولم يجز ان يوصف بها
المعرفة اذ لم تكن وفقا لها والقول المبين في ذلك ان يقال انه انما اجتلب حتى اذا
كان قد عرف رجل بقصة وامر جرى له فتخصص بتلك القصة وبذلك الامر عند
السامع ثم اريد القصد اليه ذكر الذي تفسير هذا انك لا تصل الذي الا بجملة من
الكلام قد سبق من السامع علم بها وامر قد عرفه له نحو ان ترى عنده رجلا ينشده
شعرا فتقول له من غد ما فعل الرجل الذي كان عندك بالامس ينشدك الشعر هذا
حكم الجملة بعد الذي اذا انت وصفت به شيئا فكان معنى قولهم انه اجتلب ليتوصل
به الى وصف المعارف بالجمل انه جيء به ليفصل بين ان يراد ذكر الشيء بجملة قد عرفها
السامع وبين ان لا يكون الامر كذلك فان قلت قد يؤتى بعد الذي بالجملة غير المعلومة
للسامع وذلك حيث يكون الذي خبرا كقولك هذا الذي كان عندك بالامس وهذا
الذي قدم رسولا من الحضرة انت في هذا وشبهه تعلم المخاطب امرا لم يسبق
له به علم وتفيده في المشار اليه شيئا لم يكن عنده ولو لم يكن كذلك لم يكن الذي خبرا
اذ كان لا يكون الشيء خبرا حتى يفاد به فالقول في ذلك ان الجملة في هذا النحو وان
كان المخاطب لا يعلمها لعين من اشرت اليه فانه لا بد من ان يكون قد علمها على
الجملة وحدث بها فانك على كل حال لا تقول هذا الذي قدم رسولا لمن لم يعلم

يعني اللقب بالجود غيرك
ان كونه هيابك لا تجود
يعني منع ملقب الناس بالجود
وهو لا تجود على الصاحب لا تقل
انتهى م

ان رسولا قدم ولم يبلغه ذلك في جملة ولا تفصيل وكذا لا تقول هذا الذي كان
عندك امس لمن قد نسي انه كان عنده انسان وذهب عنه وهمه وانما تقوله
لمن ذاك على ذكر منه الا انه يرى رجلا يقبل من بعيد فلا يعلم انه ذاك ويظنه انسانا
غيره وعلى الجملة فكل عاقل يعلم بون ما بين الخبر بالجملة مع الذي وبينها مع غير
الذي فليس من احد به طرق الا وهو لا يشك ان ليس المعنى في قولك هذا الذي قدم
رسولا من الحضرة كالمعنى اذا قلت هذا قدم رسولا ولا هذا الذي يسكن في محلة
كذى كقولك هذا يسكن محلة كذى وليس ذلك الا انك في قولك هذا قدم رسولا من
الحضرة مبتدئ خبرا بامر لم يبلغ السامع ولم يعلمه اصلا وفي قولك هذا الذي قدم
رسولا معلم في امر قد بلغه ان هذا صاحبه فلم يخل اذا من الذي بدأنا به امر الجملة
مع الذي من انه ينبغي ان يكون جملة قد سبق من السامع علم بها فاعرفه فانه من
المسائل التي من جهلها جهل كثيرا من المعاني ودخل عليه الغلط في كثير من الامور
والله المعين ه فروق في الحال لها فضل تعلق بالبلاغة اعلم ان اول فرق
في الحال انها تجي مفردا وجملة والقصد هاهنا الى الجملة واول ما ينبغي ان يضبط من
امرها انها تجي تارة مع الواو واخرى بغير الواو فمثال مجيئها مع الواو قولك
اتاني وعليه ثوب ديباج ورايته وعلى كتفه سيف ولقيت الامير والجند حواليه
وجاني زيد وهو متقلد سيفه ومثال مجيئها بغير واو جاني زيد يسعى غلامه
بين يديه واتاني عمرو يقود فرسه وفي تمييز ما يقتضي الواو مما لا يقتضيه صعوبة
والقول في ذلك ان الجملة اذا كانت من مبتدأ وخبر فالغالب عليها ان تجي مع
الواو كقولك جاني زيد وعمرو امامه واتاني وسيفه على كتفه فان كان المبتدأ

من الجملة ضمير ذي الحال لم يصلح بغير الواو البتة وذلك كقولك جاني زيد وهو
راكب ورايت زيدا وهو جالس ودخلت عليه وهو يملي الحديث وانتهيت
الى الامير وهو يعبي الجيش لو تركت الواو في شي من ذلك لم يصلح فلو قلت جاني
زيد هو راكب ودخلت عليه هو يملي الحديث لم يكن كلاما فان كان الخبر في الجملة من
المبتدأ والخبر ظرفا ثم كان قد قدم على المبتدأ كقولنا عليه سيف وفي يده سوط
كثر فيها ان تجي بغير واو فمما جاء كذلك قول بشار اذا انكرتني بلدة او نكرتها
خرجت مع البازي علي سواد وقول امية فاشرب هنيا عليك التاج
مرتفقا في راس غمدان دارا منك محلالا وقول الاخر لقد صبرت للذل
اعواد منبر تقوم عليها في يديك قضيب كل ذلك في موضع الحال وليس
فيه واو كما ترى ولا هو محتمل لها اذا نظرت وقد يجي ترك الواو فيما ليس الخبر
فيه كذلك ولكنه لا يكثر فمن ذلك قولهم كلمته فوه الى فيّ ورجع عوده على
بدئه في قول من رفع ومنه بيت الاصلاح نصف النهار الماء غامره ورفيقه
بالغيب لا يدري ه ومن ذلك انشده الشيخ ابو علي في الاغفال ولولا جنان الليل
ما آب عامر الى جعفر سرباله لم يمزق وما ظاهره انه منه قوله اذا اتيت
ابا مروان تساله وجدته حاضراه الجود والكرم فقوله حاضراه الجود
جملة من المبتدأ والخبر كما ترى وليس فيها واو والموضع موضع حال الا تراك
تقول اتيته فوجدته جالسا فيكون جالسا حالا ذاك لان وجدت في مثل هذا
من الكلام لا يكون المتعدية الى مفعولين ولكن المتعدية الى مفعول واحد كقولك
وجدت الضالة الا انه ينبغي ان تعلم ان لتقديمه الخبر الذي هو حاضراه تاثيرا

في معنى الغني عن الواو وأنه لو قال وجدته الجود والكرم حاضراه لم يحسن حسنه
الآن وكان السبب في حسنه مع العدم أنه يقرب في المعنى من قولك وجدته
حاضرة الجود والكرم أو حاضراً عنده الجود والكرم وإن كانت الجملة من
فعل وفاعل والفعل مضارع مثبت غير منفي لم يكد يجيء بالواو بل ترى الكلام
على مجيئها عارية من الواو كقولك جاءني زيد يسعى غلامه بين يديه وكقوله وقد علوت
قتود الرحل يسفعني يوم قديديمة الجوزاء مسموم وقوله ولقد أغتدي
يدافع ركني أجوذي ذو ميعة إضريج وكذلك قولك جاءني زيد يسرع لا فصل
بين أن يكون الفعل لذي الحال وبين أن يكون لمن هو من سببه فإن ذلك كله يستمر
على الغنى عن الواو وعليه التنزيل والكلام ومثاله في التنزيل قوله تعالى ولا تمنن
تستكثر وقوله وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وقوله تعالى ويذرهم في طغيانهم
يعمهون فأما قول ابن همام السلولي فلما خشيت أظافيره نجوت وأرهنهم
مالكا في رواية من روى وأرهنهم وما شبهوه به من قولهم قمت وأصك وجهه
فليست الواو فيها للحال وليس المعنى نجوت راهنا مالكا وقمت صاكا
وجهه ولكن أرهن وأصك حكاية حال مثل قوله ولقد أمر على اللئيم يسبني فمضيت
ثمت قلت لا يعنيني فكما أن أمر ها هنا في معنى مررت كذلك يكون أرهن وأصك
هاهنا في معنى رهنت وصككت ويبين ذلك أنك ترى الفاء تجيء مكان الواو في مثل
هذا وذلك كنحو ما في الخبر في حديث عبد الله بن عتيك حين دخل على أبي رافع اليهودي
حصنه قال فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم لا أدري أين هو من البيت
فقلت يا أبا رافع فقال من هذا فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف

وأنا دهش فكما أن أضربه مضارع قد عطفه بالفاء على ماض لأنه في المعنى ماض
كذلك يكون أرهنهم معطوفا على الماضي قبله وكما لا يشك في أن المعنى في الخبر
فأهويت فضربت كذلك يكون المعنى في البيت نجوت ورهنت إلا أن الغرض
في إخراجه على لفظ الحال أن يحكي الحال في أحد الخبرين ويدع الآخر على ظاهره
كما كان ذلك في ولقد أمر على اللئيم يسبني فمضيت إلا أن الماضي في هذا
البيت مؤخر معطوف وفي بيت ابن همام وما ذكرناه معه مقدم معطوف
عليه فاعرفه فإن دخل حرف نفي على المضارع تغير الحكم فجاء بالواو وبتركها
كثيرا وذلك مثل قولهم كنت ولا أخشى بالذئب وقول مسكين الدارمي أكسبته
الورق البيض أبا ولقد كان ولا يدعى لأب وقال مالك بن رفيع وكان جنى
جناية فطلبه مصعب بن الزبير أتاني مصعب وبنو أبيه فأين أحيد
عنهم لا أحيد أقادوا من دمي وتوعدوني وكنت وما ينهنهني الوعيد
كان في هذا كله تامة والجملة الداخل عليها الواو في موضع الحال ألا ترى أن
المعنى وجدت غير خاش للذئب ولقد وجد غير مدعو لأب ووجدت
غير منهنه بالوعيد وغير مبال به ولا معنى لجعلها ناقصة وجعل
الواو مزيدة وليس مجيء الفعل المضارع حالا على هذا الوجه بعزيز في
الكلام ألا تراك تقول جعلت أمشي وما أدري أين أضع رجلي وجعل يقول
ولا يدري وقال أبو الأسود يصيب وما يدري وهو شائع كثير فأما مجيء
المضارع منفيا حالا من غير الواو فيكثر أيضا ويحسن فمن ذلك قوله مضوا لا
يريدون الرواح وغالهم من الدهر أسباب جرين على قدر وقال أرطاة بن
سهية

وهو لطيف جداً: إن تلقني لا ترى غيري بناظرةٍ ... تنسَ السلاحَ وتعرفْ جبهةَ الأسدِ

فقوله لا ترى في موضع حال ومثله في اللطف والحسن قول أعشى همدان وصحب
عبادَ بن ورقا الى اصبهان فلم يحمده فقال: أتينا اصبهانَ فهزّلتنا ... وكنّا قبل ذلك في
نعيمِ ... وكان سفاهةً مني وجهلاً ... مسيري لا أسيرُ الى حميمِ ... فقوله لا اسير الى حميم
حالٌ من ضمير المتكلم الذي هو الياء في مسيري وهو فاعل في المعنى فكأنه قال و
كان سفاهةً مني وجهلاً أن سرتُ غيرَ سائرٍ الى حميم وان ذهبتُ غيرَ متوجهٍ
الى قريب وقال خالد بن يزيد بن معاوية: لو أنّ قوماً لارتفاع قبيلةٍ دخلوا السماءَ
دخلتُها لا أُحجبُ ... وهو كثير الا انه لا يهتدي الى وضعه بالموضع المرضيّ الا من
كان صحيحَ الطبع ومما يجيء بالواو وغير الواو الماضي وهو لا يقع حالاً الا مع
قد مظهرةً او مقدّرةً اما مجيئها بالواو فالكثير الشائع كقولك أتاني وقد جهده
السيرُ واما بغير الواو فكقوله: متى أرى الصبحَ قد لاحتْ مخايلُه ... والليلَ
قد مُزّقتْ عنه السرابيلُ ... وقول الآخر: فآبوا بالرماحِ مكسّراتٍ ... وأبنا بالسيوفِ
قد انحنينا ... وقال آخر وهو لطيف جداً: يمشون قد كسروا الجفونَ الى
الوغى ... متبسّمين وفيهم استبشارُ ... ومما يجيء بالواو وفي الأكثر الأشيع ثم يأتي في
مواضعَ بغير الواو فيلطف مكانه ويدل على البلاغة الجملة قد دخلها
ليس تقول أتاني وليس عليه ثوب ورأيته وليس معه غيره فهذا هو المعروف
المستعمل ثم قد جاء بغير الواو فكان من الحسن على ما ترى وهو قول الأعرابي:
لنا فتًى وحبّذا الأفتاءُ ... تعرفُه الأرسانُ والدلاءُ ... إذا جرى في كفّه الرشاءُ
خلّى القليبَ ليس فيه ماءُ ... ومما ينبغي أن يُراعى في هذا الباب أنك ترى الجملة

قد جاءت حالاً بغير واو فيحسن ذلك ثم تنظر فترى ذلك انما حسن من اجل حرف
دخل عليها مثاله قول الفرزدق: فقلتُ عسى أن تُبصريني كأنّما ... بنيّ حواليّ
الأسودُ الحواردُ ... فقوله كأنما بنيّ الى آخره في موضع الحال من غير شبهة
ولو أنك تركت كأنّ فقلت عسى أن تبصريني بنيّ حواليّ كالأسود رأيته لا يحسن
حسنَه الآن ورأيت الكلام يقتضي الواو كقولك عسى أن تبصريني وبنيّ حواليّ
كالأسود الحوارد وشبيه بهذا أنك ترى الجملة قد جاءت حالاً بعقب مفرد
فلطف مكانها ولو أنك أردت أن تجعلها حالاً من غير أن يتقدّمها ذلك المفرد
لم يحسن مثال ذلك قول ابن الرومي: والله يُبقيك لنا سالماً ... برداك تبجيلٌ وتعظيمُ
فقوله برداك تبجيل في موضع حال ثانية ولو أنك أسقطت سالماً من البيت
فقلت والله يبقيك برداك تبجيل لم يكن شيئاً وإذ قد رأيت الجمل الواقعة
حالاً قد اختلف بها الحال هذا الاختلاف الظاهر فلا بدّ من أن يكون ذلك
انما كان من أجل عللٍ توجبه وأسباب تقتضيه فمحالٌ أن يكون هاهنا جملة
لا تصلح الا مع الواو وأخرى لا تصلح فيها الواو وثالثة تصلح أن تجيء فيها بالواو
وأن تدعها فلا تجيء بها ثم لا يكون لذلك سببٌ وعلّة وفي الوقوف على العلة في
ذلك إشكالٌ وغموضٌ ذاك لأن الطريق اليه غير مسلوك والجهة التي منها تُعرف
غير معروفة وأنا أكتب لك أصلاً في الخبر اذا عرفته انفتح لك وجهُ العلة
في ذلك اعلم أن الخبر ينقسم الى خبرٍ هو جزءٌ من الجملة لا تتم الفائدة دونه وخبر
ليس بجزءٍ من الجملة ولكنه زيادة في خبرٍ آخرَ سابقٍ له فالأول خبر المبتدأ
كمنطلق في قولك زيد منطلق والفعل كقولك خرج زيد فكل واحد من هذين

جزء من الجملة وهو الاصل في الفائدة والثاني هو الحال كقولك جاءني زيد راكبا
وذلك لان الحال خبر في الحقيقة من حيث انك تثبت بها المعنى لذي الحال كما
تثبت بخبر المبتدا للمبتدا وبالفعل للفاعل الا تراك قد اثبت الركوب في قولك
جاءني زيد راكبا لزيد الا ان الفرق انك جئت به لتزيد معنى في اخبارك عنه بالمجيء
وهو ان تجعله بهذه الهيئة في مجيئه ولم تجرد اثباتك للركوب ولم تباشره به
ابتداء بل بدات واثبت المجيء ثم وصلت به الركوب فالتبس به الاثبات
على سبيل التبع لغيره وبشرط ان يكون في صلته واما في الخبر المطلق نحو
زيد منطلق وخرج عمرو فانك اثبت المعنى اثباتا جردته له وجعلته
يباشره من غير واسطة ومن غير ان تتسبب بغيره اليه واذ قد عرفت
هذا فاعلم ان كل جملة وقعت حالا ثم امتنعت من الواو فذاك لاجل
انك عمدت الى الفعل الواقع في صدرها فضممته الى الفعل الاول في اثبات
واحد وكل جملة جاءت حالا ثم اقتضت الواو فذاك لانك مستانف بها خبرا وغير
قاصد الى ان تضمها الى الفعل الاول في الاثبات تفسير هذا انك اذا قلت جاءني
زيد يسرع كان بمنزلة قولك جاءني مسرعا في انك تثبت مجيئا فيه اسراع وتصل
احد المعنيين بالآخر وتجعل الكلام خبرا واحدا وتريد ان تقول جاءني
كذلك وجاءني بهذه الهيئة وهكذا قوله وقد علوت قتود الرحل يسفعني
يوم قديديمة الجوزاء مسموم كانه قال وقد علوت قتود الرحل بارزا
للشمس ضاحيا وكذلك قوله متى ارى الصبح قد لاحت مخايله لانه في معنى
متى ارى الصبح باديا لائحا بينا متجليا وعلى هذا القياس ابدا واذا قلت

جاءني وغلامه يسعى بين يديه ورايت زيدا وسيفه على كتفه كان المعنى على انك
بدات فاثبت المجيء والرؤية ثم استانفت خبرا وابتدات اثباتا ثانيا
لسعي الغلام بين يديه ولكون السيف على كتفه ولما كان المعنى على استئناف
الاثبات احتيج الى ما يربط الجملة الثانية بالاولى فجيء بالواو كما جيء بها في
قولك زيد منطلق وعمرو ذاهب والعلم حسن والجهل قبيح وتسميتنا لها واو
حال لا يخرجها عن ان تكون مجتلبة لضم جملة الى جملة ونظيرها في هذا الفاء في جواب
الشرط نحو ان تاتني فانت مكرم فانها وان لم تكن عاطفة فان ذلك لا يخرجها
من ان تكون بمنزلة العاطفة في انها جاءت لتربط جملة ليس من شانها ان ترتبط
بنفسها فاعرف ذلك ونزل الجملة في نحو جاءني زيد يسرع وقد علوت قتود
الرحل يسفعني يوم منزلة الجزاء الذي يستغني عن الفاء لان من شانه ان يرتبط
بالشرط من غير رابط وهو قولك ان تعطني اشكرك ونزل الجملة في جاءني زيد وهو
راكب منزلة الجزاء الذي ليس من شانه ان يرتبط بنفسه ويحتاج الى الفاء كالجملة
في نحو ان تاتني فانت مكرم قياسا سويا وموازنة صحيحة فان قلت
قد علمنا ان علة دخول الواو على الجملة ان تستانف الاثبات ولا تصل المعنى
الثاني بالاول في اثبات واحد ولا تنزل الجملة منزلة المفرد ولكن بقي
ان تعلم لم كان بعض الجمل بان يكون تقديرها تقدير المفرد في ان لا تستانف
بها الاثبات اولى من بعض وما الذي منع في قولك جاءني زيد وهو يسرع
او وهو مسرع ان يدخل الاسراع في صلة المجيء ويضامه في الاثبات كما كان
حين قلت جاءني زيد يسرع فالجواب ان السبب في ذلك ان المعنى

في قولك جاءني زيد وهو مسرع على استئناف إثبات للسرعة ولم يكن ذلك في جاءني
زيد مسرع وذلك أنك إذا أعدت ذكر زيد فجئت بضميره المنفصل المرفوع
كان بمنزلة أن تعيد اسمه صريحا فتقول جاءني زيد وزيد مسرع فإنك لا تجد سبيلا
إلى أن تدخل مسرع في صلة المجيء وتضمه إليه في الإثبات وذلك أن إعادتك ذكر
زيد لا يكون حتى تقصد استئناف الخبر عنه بأنه مسرع وحتى تبتدئ إثباتا
للسرعة لأنك إن لم تفعل ذلك تركت المبتدأ الذي هو ضمير زيد أو اسمه
الظاهر بمضيعة وجعلته لغوا في البين وجرى مجرى أن تقول جاءني
زيد وعمرو مسرع أمامه ثم تزعم أنك لم تستأنف كلاما ولم تبتدئ للسرعة
إثباتا وأن حال مسرع هاهنا حاله إذا قلت جاءني زيد مسرع فجعلت
السرعة له ولم تذكر عمرا وذلك محال فإن قلت إنما استحال في قولك
جاءني زيد وعمرو مسرع أمامه أن ترد مسرع إلى زيد وتنزله منزلة قولك جاءني
زيد مسرع من حيث كان في مسرع ضمير لعمرو وتضمنه ضمير عمرو يمنع
أن يكون لزيد وأن يقدر حالا له وليس كذلك جاءني زيد وهو مسرع لأن السرعة
هناك لزيد لا محالة فكيف ساغ أن يعتبر إحدى المسألتين على الأخرى
قيل ليس المانع أن يكون مسرع في قولك جاءني زيد وعمرو مسرع أمامه
حالا من زيد أنه فعل لعمرو فإنك لو أخرت عمرا فرفعته بمسرع وأوليت
مسرع زيدا فقلت جاءني زيد مسرع عمرو أمامه وجدته قد صلح حالا لزيد
مع أنه فعل لعمرو وإنما المانع ما عرفتك من أنك تدع عمرا بمضيعة وتجيء
به مبتدأ ثم لا تعطيه خبرا ومما يدل على فساد ذلك أنه يؤدي إلى أن يكون

حاشية: استئناف ذكره يعني استئناف القصد إليه

مسرع قد اجتمع في موضعه النصب والرفع وذلك أن جعله حالا من زيد يقتضي
أن يكون في موضع نصب وجعله خبرا عن عمرو المرفوع بالابتداء يقتضي أن
يكون في موضع رفع وذلك بيّن التدافع ولا يجب هذا التدافع إذا أخرت عمرا
فقلت جاءني زيد مسرع أمامه عمرو لأنك حينئذ ترفعه بمسرع على أنه فاعل له و
إذا ارتفع به لم يوجب في موضعه إعرابا فيبقى مفرّغا لأن يقدّر فيه النصب
على أنه حال من زيد وجرى مجرى أن تقول جاءني زيد مسرعا أمامه عمرو فإن
قلت فقد ينبغي على هذا الأصل أن لا يجيء جملة من مبتدأ وخبر حالا إلا مع
الواو وقد ذكرت قبل أن ذلك قد جاء في مواضع من كلامهم فالجواب
أن القياس والأصل أن لا يجيء جملة من مبتدأ وخبر حالا إلا مع الواو وأما الذي
جاء من ذلك فسبيله سبيل الشيء يخرج عن أصله وقياسه والظاهر فيه يضرب
من التأويل ونوع من التشبيه فقولهم كلمته فوه إلى فيّ إنما حسن بغير واو
من أجل أن المعنى كلمته مشافها له وكذلك قولهم رجع عوده على بدئه
إنما جاء الرفع فيه والابتداء من غير واو لأن المعنى رجع ذاهبا في طريقه
الذي جاء فيه وأما قوله وجدته حاضراه الجود والكرم فلأن تقديم الخبر
الذي هو حاضراه يجعله كأنه قال وجدته حاضرا عنده الجود والكرم
وليس الحمل على المعنى وتنزيل الشيء منزلة غيره بعزيز في كلامهم وقد
قالوا زيد اضربه فأجازوا أن يكون مثال الأمر في موضع الخبر لأن
المعنى على النصب نحو اضرب زيدا ووضع الجملة من المبتدأ والخبر موضع
الفعل والفاعل في نحو قوله تعالى أدعوتموهم أم أنتم صامتون لأن الأصل

في المعادلة ان يكون الثانية كالاولى نحو ادعوتموهم ام صمتم ويدل على انه ليس
بمجيء الجملة من المبتدا والخبر حالا بغير الواو اصلا قلته وانه لا يجيء الا في
الشيء بعد الشيء هذا ويجوز ان يكون ما جاء من ذلك انما جاء على ارادة الواو
كما جاء الماضي على ارادة قد واعلم ان الوجه فيما كان مثل قول بشار خرجت
مع البازي علي سواد ان يؤخذ فيه بمذهب ابي الحسن فيرفع سواد
بالظرف دون ان يرفع بالابتداء ويجري الظرف هاهنا مجراه اذا جرت الجملة صفة
على النكرة نحو مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وذلك ان صاحب
الكتاب يوافق ابا الحسن في هذا الموضع فيرفع صقرا بما في معه من معنى
الفعل فكذلك يجوز ان يجري الحال مجرى الصفة فيرفع الظاهر بالظرف
اذا هو جاء حالا فيكون ارتفاع سواد بما في علي من معنى الفعل لا بالابتداء
ثم ينبغي ان يقدر هاهنا خصوصا ان الظرف في تقدير اسم فاعل لا فعل
اعني ان يكون المعنى خرجت كائنا علي سواد او باقيا علي سواد
ولا يقدر خرجت يكون علي سواد او بقي علي سواد اللهم الا ان
تقدر فيه فعلا ماضيا مع قد كقولك خرجت مع البازي قد بقي علي
سواد والاول اظهر واذا تاملت الكلام وجدت الظرف وقد
وقع مواقع لا يستقيم فيها الا ان يقدر تقدير اسم فاعل ولذلك قال ابو بكر
في قولنا زيد في الدار انك مخير بين ان تقدر فيه فعلا فتقول استقر في
الدار وبين ان تقدر اسم فاعل فتقول مستقر في الدار واذا عاد الامر الى
هذا كان الحال في ترك الواو ظاهرة وكان سواد في قوله خرجت علي سواد

مع البازي

بمنزلة قضاء الله في قوله سأغسل عني العار بالسيف جالبا علي قضاء
الله ما كان جالبا في كونه اسما ظاهرا قد ارتفع باسم فاعل قد اعتمد
على ذي حال فعمل عمل الفعل ويدلك على ان التقدير فيه ما ذكرت وانه
من اجل ذلك حسن انك تقول جاءني زيد والسيف على كتفه وخرج والتاج
عليه فتجده لا يحسن الا بالواو وتعلم انك لو قلت جاءني زيد السيف
على كتفه وخرج التاج عليه كان كلاما نافرا لا يكاد يقع في الاستعمال
وذلك لانه بمنزلة قولك جاءني وهو متقلد سيفه وخرج وهو لابس
التاج في ان المعنى على انك استانفت كلاما وابتدات اثباتا وانك لم ترد
جاءني كذلك ولكن جاءني وهو كذلك فاعرفه ○

القول في الفصل والوصل

اعلم ان العلم بما ينبغي ان يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض او ترك العطف فيها والمجيء
بها منثورة تستانف واحدة منها بعد اخرى من اسرار البلاغة ومما لا يتاتى لتمام الصواب
فيه الا الاعراب الخلص والا قوم طبعوا على البلاغة واوتوا فنا من المعرفة في ذوق
الكلام هم بها افراد وقد بلغ من قوة الامر في ذلك انهم جعلوه حدا للبلاغة فقد جاء عن
بعضهم انه سئل عنها فقال معرفة الفصل من الوصل ذاك لغموضه ودقة مسلكه وانه
لا يكمل لاحراز الفضيلة فيه احد الا كمل لسائر معاني البلاغة واعلم ان سبيلنا ان ننظر
الى فائدة العطف في المفرد ثم نعود الى الجملة فننظر فيها ونعرف حالها ومعلوم
ان فائدة العطف في المفرد ان يشرك الثاني في اعراب الاول وانه اذا اشركه في اعرابه
فقد اشركه في حكم ذلك الاعراب نحو ان المعطوف على المرفوع بانه فاعل مثله والمعطوف
على المنصوب بانه مفعول به او فيه او له شريك له في ذلك واذا كان هذا اصله في المفرد

فان الجمل المعطوف بعضها على بعض على ضربين احدهما ان يكون للمعطوف عليها موضع
من الاعراب واذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد اذ لا يكون للجملة موضع من الاعراب
حتى يكون واقعة موقع المفرد واذا كانت الجملة الاولى واقعة موقع المفرد كان عطف
الثانية عليها جاريا مجرى عطف المفرد على المفرد وكان وجه الحاجة الى الواو ظاهرا
والاشتراك بها في الحكم موجودا فاذا قلت مررت برجل خَلقُه حسنٌ وخُلقُه قبيح
كنت قد اشركت الجملة الثانية في حكم الاولى وذلك الحكم كونها في موضع جر بانها
صفة للنكرة ونظائر ذلك يكثر والامر فيه يسهل والذي يشكل امره هو الضرب
الثاني وذلك ان يعطف على الجملة العارية الموضع من الاعراب جملة اخرى كقولك زيد
قائم وعمرو قاعد والعلم حسن والجهل قبيح لا سبيل لنا الى ان ندعي ان الواو اشركت الثانية
في اعراب قد وجب للاولى بوجه من الوجوه واذا كان كذلك فينبغي ان تعلم
المطلوب من هذا العطف والمغزى منه ولم لم يستو الحال بين ان تعطف وبين ان
تدع العطف فتقول زيد قائم عمرو قاعد بعد ان لا يكون هنا امر معقول يؤتى
بالعاطف ليشرك بين الاولى والثانية فيه واعلم انه انما يعرض الاشكال في الواو دون
غيرها من حروف العطف وذلك لان تلك تفيد مع الاشراك معاني مثل ان الفاء
توجب الترتيب من غير تراخ وثم توجبه مع تراخ واو تردد الفعل بين
شيئين وتجعله لاحدهما لا بعينه فاذا عطفت بواحدة منها الجملة على الجملة
ظهرت الفائدة فاذا قلت اعطاني فشكرته ظهر بالفاء ان الشكر كان معقبا على
العطاء ومسببا عنه واذا قلت خرجت ثم خرج زيد افادت ثم ان خروجه
كان بعد خروجك وان مهلة وقعت بينهما واذا قلت يعطيك او يكسوك

دلّت او على انه يفعل واحدًا منهما لا بعينه وليس للواو معنى سوى الاشراك في الحكم
الذي يقتضيه الاعراب الذي اتبعت فيه الثاني الاول فاذا قلت جاءني زيد وعمرو لم
تفد بالواو شيئا اكثر من اشراك عمرو في المجيء الذي اثبته لزيد والجمع بينه وبينه ولا
يتصور اشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الاشراك فيه واذا كان ذلك
كذلك ولم يكن معنا في قولنا زيد قائم وعمرو قاعد معنى نزعم ان الواو اشركت بين هاتين
الجملتين فيه ثبت اشكال المسألة ثم ان الذي يوجبه النظر والتأمل ان يقال في ذلك انا
وان كنا اذا قلنا زيد قائم وعمرو قاعد فانا لا نرى ههنا حكما نزعم ان الواو جاءت
للجمع بين الجملتين فيه فانا نرى امرا آخر نحصل معه على معنى الجمع وذلك انا لا نقول
زيد قائم وعمرو قاعد حتى يكون عمرو بسبب من زيد وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين
وبحيث اذا عرف السامع حال الاول عناه ان يعرف حال الثاني يدلك على ذلك انك
ان جئت فعطفت على الاول شيئا ليس منه بسبب ولا هو مما يذكر بذكره ويتصل
حديثه بحديثه لم يستقم فلو قلت خرجت اليوم من داري ثم قلت واحسن الذي يقول
بيت كذا قلت ما يضحك منه ومن ههنا عابوا ابا تمام في قوله لا والذي هو عالم ان
النوى صبر وان ابا الحسين كريم وذلك لانه لا مناسبة بين كرم ابي الحسين ومرارة النوى
ولا تعلق لاحدهما بالآخر وليس يقتضي الحديث بهذا الحديث بذاك واعلم انه كما
يجب ان يكون المحدث عنه في احدى الجملتين بسبب من المحدث عنه في الاخرى كذلك
ينبغي ان يكون الخبر عن الثاني مما يجري مجرى الشبيه والنظير او النقيض للخبر عن الاول
فلو قلت زيد طويل القامة وعمرو شاعر كان خلفا لانه لا مشاكلة ولا تعلق بين طول
القامة وبين الشعر وانما الواجب زيد كاتب وعمرو شاعر وزيد طويل القامة

وعمرو قصير وجعله لامر اتهما الاثنين حتى يكون المعنى في هذه الجملة لفقًا للمعنى في الأخرى
ومضامًّا له مثل ان زيدا وعمرا اذا كانا اخوين او نظيرين او مشتبكي الاحوال على الجملة
كان الحال التي يكون عليها احدهما من قيام او قعود او ما شاكل ذلك مضمومة في النفس
الى الحال التي يكون عليها الآخر من غير شك وكذا السبيل ابدا والمعاني في ذلك
كالاشخاص فانما قلت مثلا العلم حسن والجهل قبيح لان كون العلم حسنا مضموم
في العقول الى كون الجهل قبيحا واعلم انه اذا كان المخبر عنه في الجملتين واحدا كقولنا
هو يقول ويفعل ويضر وينفع ويسيء ويحسن ويأمر وينهى ويحل ويعقد ويأخذ
ويعطي ويبيع ويشتري ويأكل ويشرب واشباه ذلك ازداد معنى الجمع في الواو
قوةً وظهورًا وكان الامر حينئذ صريحا وذلك انك اذا قلت هو يضر وينفع كنت
قد افدت بالواو انك اوجبت له الفعلين جميعا وجعلته يفعلهما معا
ولو قلت يضر ينفع من غير واو لم يجب ذلك بل قد يجوز ان يكون قولك ينفع
رجوعًا عن قولك يضر وابطالا له واذا وقع الفعلان في مثل هذا في الصلة
ازداد الاشتباك والاقتران حتى لا يتصور تقدير افراد في احدهما عن الآخر وذلك
في مثل قولك العجب من اني احسنت واسأت ويكفيك ما قلت وسمعت و
أيحسن ان تنهى عن شيء وتأتي مثله وذلك لانه لا يشتبه على عاقل ان المعنى على جعل
الفعلين في حكم فعل واحد ومن البين في ذلك قوله شعر لا تطمعوا ان تهينونا
ونكرمكم وان نكف الاذى عنكم وتؤذونا المعنى لا تطمعوا ان تروا اكرامنا قد
وجد مع اهانتكم وجامعها في الحصول ومما له مأخذ لطيف في هذا الباب قول
ابي تمام لهان علينا ان نقول وتفعلا ونذكر بعض الفضل منك وتفضلا

واعلم انه كما كان في الاسماء ما يصله معناه بالاسم قبله فيستغني بصلة معناه له عن
واصل يصله ورابط يربطه وذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف
الى شيء يصلها به وكالتاكيد الذي لا يفتقر كذلك الى ما يصله بالمؤكد كذلك يكون في
الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها وتستغني بربط معناها لها عن حرف
عطف يربطها وهي كل جملة كانت مؤكدةً للتي قبلها ومبينةً لها وكانت اذا
حصلت لم تكن شيئا سواها كما لا تكون الصفة غير الموصوف والتاكيد غير
المؤكد فاذا قلت جاءني زيد الظريف وجاءني القوم كلهم لم يكن الظريف وكلهم غير
زيد وغير القوم ومثال ما هو من الجمل كذلك قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه
قوله لا ريب فيه بيان وتوكيد وتحقيق لقوله ذلك الكتاب وزيادة تثبيت له وبمنزلة
ان تقول هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب فتعيده مرة ثانية لتثبته وليس
تثبيت الخبر غير الخبر ولا شيء يتميز عنه فيحتاج الى ضام يضمه اليه وعاطف
يعطفه عليه ومثل ذلك قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا
يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم
قوله لا يؤمنون تاكيد لقوله سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم وقوله ختم الله على
قلوبهم وعلى سمعهم تاكيد ثان ابلغ من الاول لان من كان حاله اذا انذر مثل حاله اذا
لم ينذر كان في غاية الجهل وكان مطبوعا على قلبه لا محالة وكذى قوله تعالى ومن
الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله انما قيل
يخادعون ولم يقل ويخادعون لان هذه المخادعة ليست شيئا غير قولهم آمنا
بالله من غير ان يكونوا مؤمنين فهو اذا كلام اكد به كلام آخر هو في معناه وليس

شيئا سواه وكذلك قوله عز وجل واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى
شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون وذلك لان معنى قولهم انا معكم انا لم نؤمن
بالنبي ولم نترك اليهودية وقولهم انما نحن مستهزءون خبر بهذا المعنى بعينه
لانه لا فرق بين ان يقولوا انا لم نقل ما قلناه من انا آمنا الا استهزاء وبين ان يقولوا انا
لم نخرج من دينكم وانا معكم بل هما في حكم الشيء الواحد فصار كانهم قالوا انا معكم انا
لم نفارقكم فكما لا يكون انا لم نفارقكم شيئا غير انا معكم كذلك لا يكون انما نحن مستهزءون
غيره فاعرفه ومن الواضح البين في هذا المعنى قوله تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا
كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا لم يأت معطوفا لان المقصود من التشبيه بمن في اذنيه وقر هو بعينه
المقصود من التشبيه بمن لم يسمع الا ان الثاني ابلغ وآكد في الذي اريد وذلك ان المعنى
في التشبيهين جميعا ان ينفي ان يكون لتلاوة ما تلي عليه من الآيات فائدة معه ويكون
لها تأثير فيه وان يجعل حاله اذا تليت عليه كحاله اذا لم تتل ولا شبهة في ان التشبيه
بمن في اذنيه وقر ابلغ وآكد في جعله كذلك من حيث كان من لا يصح منه السمع وان
اراد ذلك ابعد من ان يكون لتلاوة ما يتلى عليه فائدة من الذي يصح منه السمع الا انه
لا يسمع اما اتفاقا واما قصدا الى ان لا يسمع فاعرفه واحسن تدبره ومن اللطيف
في ذلك قوله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وذلك ان قوله ان هذا الا ملك كريم
مشابك لقوله ما هذا بشرا وداخل في ضمنه من ثلاثة اوجه وجهان هو فيهما شبيه
بالتأكيد ووجه هو فيه شبيه بالصفة فاحد وجهي كونه شبيها بالتأكيد هو انه
اذا كان ملكا لم يكن بشرا واذا كان كذلك كان اثبات كونه ملكا تحقيقا لا محالة وتأكيدا
لنفي ان يكون بشرا والوجه الثاني ان الجاري في العرف والعادة انه اذا قيل ما هذا

بشرا وما هذا بآدمي والحال حال تعظيم وتعجب مما يشاهد في الانسان من حسن
خلق او خلق ان يكون الغرض والمراد من الكلام ان يقال انه ملك وان يكنى به عن ذلك حتى
انه يكون مفهوم اللفظ واذا كان مفهوما من اللفظ قبل ان يذكر كان ذكره اذا ذكر تأكيدا
لا محالة لان حد التأكيد ان تحقق باللفظ معنى قد فهم من لفظ آخر قد سبق منك افلا
ترى انه انما كان كلهم في قولك جاءني القوم كلهم تأكيدا من حيث كان الذي فهم منه من الشمول
قد فهم بديا من ظاهر لفظ القوم ولو انه لم يكن فهم الشمول من لفظ القوم ولا كان هو من
موجبه لم يكن كل تأكيدا ولكان الشمول مستفادا من كل ابتداء واما الوجه الثالث
الذي هو شبيه بالصفة فهو انه اذا نفي ان يكون بشرا فقد اثبت له جنس سواه اذ من
المحال ان يخرج من جنس البشر ثم لا يدخل في جنس آخر واذا كان الامر كذلك كان اثباته
ملكا تبيينا وتعيينا لذلك الجنس الذي اريد ادخاله فيه واغناء عن ان يحتاج الى ان
يسأل فيقال فان لم يكن بشرا فما هو وما جنسه كما انك اذا قلت مررت بزيد
الظريف كان الظريف تبيينا وتعيينا للذي اردت من بين من له هذا الاسم وكنت
قد اغنيت المخاطب عن الحاجة الى ان يقول اي الزيدين اردت ومما جاء فيه الاثبات
بان والا على هذا الحد قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن
مبين وقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى افلا ترى ان الاثبات في الآيتين
جميعا تأكيد وتثبيت لنفي ما نفي فاثبات ما علمه النبي عليه السلام واوحي اليه ذكرا
وقرآنا تأكيد وتثبيت لنفي ان يكون قد علم الشعر وكذلك اثبات ما يتلوه عليهم
وحيا من الله تأكيد وتقرير لنفي ان يكون نطق به عن هوى واعلم انه ما من علم من علوم
البلاغة انت تقول فيه انه خفي غامض ودقيق صعب الا وعلم هذا الباب

اغمض منه واخفى وادق واصعب وقد قنع الناس فيه بان يقولوا اذا راوا جملة
قد ترك فيها العطف ان الكلام قد استونف وقطع عما قبله لا تطلب انفسهم منه
زيادة على ذلك ولقد غفلوا غفلة شديدة ومما هو اصل في هذا الباب انك قد
ترى الجملة وحالها مع التي قبلها حال ما يعطف ويقرن الى ما قبله ثم تراها قد وجب
فيها ترك العطف لامر عرض فيها صارت به اجنبية مما قبلها مثال ذلك قول الله تعالى
الله يستهزي بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون الظاهر كما لا يخفى يقتضي ان يعطف على
ما قبله من قوله انما نحن مستهزءون وذلك انه ليس باجنبي منه بل هو نظير ما جاء
معطوفا من قوله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم وقوله ومكروا ومكر الله وما
اشبه ذلك مما يرد فيه العجز على الصدر ثم انك تجده قد جاء غير معطوف وذلك
لامر اوجب ان لا يعطف وهو ان قوله انما نحن مستهزءون حكاية عنهم انهم قالوا
وليس بخبر من الله وقوله تعالى الله يستهزي بهم خبر من الله تعالى انه يجازيهم على كفرهم
واستهزائهم واذا كان كذلك كان العطف ممتنعا لاستحالة ان يكون الذي هو خبر
من الله معطوفا على ما هو حكاية عنهم ولايجاب ذلك ان يخرج من كونه خبرا من الله
تعالى الى كونه حكاية عنهم والى ان يكونوا قد شهدوا على انفسهم بانهم مواخذون وان
الله تعالى معاقبهم عليه وليس كذلك الحال في قوله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم
ومكروا ومكر الله لان الاول من الكلامين فيهما كالثاني في انه خبر من الله وليس بحكاية
وهذا هو العلة في قوله واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون
الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون انما جا انهم هم المفسدون مستانفا مفتتحا
بالا لانه خبر من الله تعالى بانهم كذلك والذي قبله من قوله انما نحن مصلحون حكاية عنهم

الا
بانهم مفسدون

فلو عطف للزم عليه مثل الذي قدمت ذكره من الدخول في الحكاية ولصار خبرا
من اليهود ووصفا منهم لانفسهم بانهم هم المفسدون ولصار كانه قيل قالوا انما نحن
مصلحون وقالوا انهم هم المفسدون وذلك ما لا يشك في فساده وكذلك قوله واذا
قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انومن كما امن السفها الا انهم هم السفها ولكن لا يعلمون
لو عطف انهم هم السفها على ما قبله لكان يكون قد ادخل في الحكاية ولصار حديثا منهم
عن انفسهم بانهم هم السفها من بعد ان زعموا انهم انما تركوا ان يومنوا لئلا يكونوا
من السفها على ان في هذا امرا اخر وهو ان قوله انومن استفهام ولا يعطف
الخبر على الاستفهام فان قلت هل كان يجوز ان يعطف قوله الله يستهزي بهم على
قالوا من قوله قالوا انا معكم لا على ما بعده وكذلك كان يعطف انهم هم المفسدون
وانهم هم السفها وكان يكون نظير قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا
لقضي الامر وذلك ان قوله ولو انزلنا ملكا معطوف من غير شك على قالوا دون
ما بعده قيل ان حكم قالوا فيما نحن فيه مخالف لحكمه في الاية التي ذكرت ~~وذلك ان~~
~~قالوا هاهنا جواب~~ وذلك ان قالوا هاهنا جواب شرط فلو عطف قوله الله يستهزي
بهم عليه للزم ادخاله في حكمه من كونه جوابا وذلك لا يصح وذاك انه متى عطف على
جواب الشرط شي بالواو كان ذلك على ضربين احدهما ان يكونا شيين يتصور وجود
كل واحد منهما من دون الاخر ومثاله قولك ان تاتني اعطك واكسك والثاني ان
يكون المعطوف شيا لا يكون حتى يكون المعطوف عليه ويكون الشرط لذلك سببا
فيه بواسطة كونه سببا للاول ومثاله قولك اذا رجع الامير الى الدار استاذنته
وخرجت فالخروج لا يكون حتى يكون الاستيذان وقد صار الرجوع سببا في

الخروج من أن يكون سببًا في الاستئناف فيكون المعنى في مثل هذا على كلام مر نحو إذا
رجع الأمير استأذنت وإذا استأذنت خرجت وإذ قد عرفت ذلك فإنه لو عطف
قوله الله يستهزئ بهم على ما قالوا لكان عطفًا كان الذي يقصد به لم يكن من هذا الضرب
الثاني وأن يكون المعنى وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون فإذا
قالوا ذلك استهزأ الله بهم ومدهم في طغيانهم وهذا وإن كان يرى أنه يستقيم فليس
هو بمستقيم وذلك أن الجزاء إنما هو على نفس الاستهزاء وفعلهم له وإرادتهم إياه
في قولهم إنا آمنا لا على أنهم حدثوا عن أنفسهم بأنهم مستهزءون والعطف على قالوا
يقتضي أن يكون الجزاء على حديثهم عن أنفسهم بالاستهزاء لا على نفسه ويبين ما ذكرناه
من أن الجزاء ينبغي أن يكون على قصدهم للاستهزاء وفعلهم له لا على حديثهم عن أنفسهم بأنا
مستهزءون أنهم لو كانوا قالوا لكبرائهم إنما نحن مستهزءون وهم يريدون بذلك دفعهم
عن أنفسهم بهذا الكلام وأن يسلموا من شرهم وأن يوهموهم أنهم منهم وإن لم يكونوا
كذلك لكان لا يكون عليهم مؤاخذة فيما قالوه من حيث كانت المؤاخذة تكون على
اعتقاد الاستهزاء والخديعة في إظهار الإيمان لا في القول إنا استهزأنا من غير أن
يقترن بذلك القول اعتقاد ونية وههنا أمر سوى ما مضى يوجب الاستئناف
وترك العطف وهو أن الحكاية عنهم بأنهم قالوا كيت وكيت تحرك السامعين لأن
يعلموا مصير أمرهم وما يصنع بهم وأتنزل بهم النقمة عاجلًا أم لا تنزل ويمهلون
وتوقع في أنفسهم التمني لأن يتبين لهم ذلك وإذا كان كذلك كان هذا الكلام الذي هو
قوله الله يستهزئ بهم في معنى ما صدر جوابًا عن هذا المقدر وقوعه في أنفس السامعين
وإذا كان مصدره كذلك كان حقه أن يؤتى به مبتدأ غير معطوف ليكون في صورته

إذا قيل فإن سألتم قيل لكم الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون وإذا استقريت
وجدت هذا الذي ذكرت لك من تنزيلهم الكلام إذا جاء بعقب ما يقتضي سؤالًا
منزلته إذا صرح بذلك السؤال كثيرًا فمن لطيف ذلك قوله زَعَمَ العواذِلُ أنني في غَمْرَةٍ
صَدَقوا ولكنْ غمرتي لا تنجلي لما حكى عن العواذل أنهم قالوا هو في غمرة وكان ذلك مما
يُحرِّكُ السامع لأن يسأله فيقول فما قولك في ذلك وما جوابك عنه أخرج الكلام مخرجه
إذا كان ذلك قد قيل وصار كأنه قال أقول صدقوا أنا كما قالوا ولكن لا مطمع لهم في
فلاحي ولو قال زعم العواذل أنني في غمرة وصدقوا لكان يكون لم يصح في نفسه أنه
مسؤول وأن كلامه كلام مجيب ومثله قول الآخر في الحماسة زعم العواذل أن ناقة
جُندُبٍ بجنوب خَبْتٍ عُرِّيَتْ وأُجِمَّتِ كذب العواذل لو رأين مُناخنا بالقادسية
قُلْنَ لَجَّ وذَلَّتِ وقد زاد هذا أمر القطع والاستئناف وتقدير الجواب تأكيدًا
بأن وضع الظاهر موضع المُضمَر فقال كَذَبَ العَواذل ولم يقل كذبن وذلك أنه
لما أعاد ذكر العواذل ظاهرًا كان ذلك أبين وأقوى لكونه كلامًا مستأنفًا من
حيث وضعه وضعًا لا يحتاج فيه إلى ما قبله وأتى به مأتى ما ليس قبله كلام ومما
هو على ذلك قول الآخر زعمتم أن إخوتكم قريش لَهُم إلفٌ وليس لكم إلافُ وذلك
أن قوله لهم إلفٌ تكذيبٌ لدعواهم أنهم من قريش فهو إذًا بمنزلة أن يقول كذبتم لهم إلفٌ
وليس لكم ذلك ولو قال زعمتم أن إخوتكم قريش ولهم إلفٌ وليس لكم إلاف لصار
بمنزلة أن يقول زعمتم أن إخوتكم قريش وكذبتم في أنه كان يخرج عن أن يكون موضوعًا
على أنه جواب سائل يقول له فماذا تقول في زعمهم ذلك وفي دعواهم فاعرفه
واعلم أنه لو أظهر كذبتم لكان يجوز له أن يعطف هذا الكلام الذي هو قوله لهم إلفٌ

عليه الفاء فقوله كذبتم فلهم الف وليس لكم ذلك فاما الان فلا امتناع لدخول الفاء البتة
لانه لا يصير حينئذ معطوفا بالفاء على قوله زعمتم اذا خونكم فرس و ذلك يخرج الى
المحال من حيث يصير كانه يستشهد بقوله لهم الف على ان هذا الزعم كان منكم كما انك
اذا قلت كذبتم فلهم الف كنت قد استشهدت به لك على انهم كذبوا فاعرف ذلك
ومن اللطيف من الاستيناف على معنى جعل الكلام جوابا في التقدير قول اليزيدي
ملكته حبلي ولكنه القاه من زهد على غاربي وقال اني في الهوى كاذب انتقم الله من الكاذب
استانف قوله انتقم الله من الكاذب لانه جعل نفسه كانه يجيب سائلا قال له فما تقول
فيما اتهمك به من انك كاذب فقال انتقم الله من الكاذب ومن النادر في ذلك ايضا قول
الاخر قال لي كيف انت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل لما كان في العادة اذا
قيل للرجل كيف انت فقال عليل ان يسال ثانيا فيقال ما بك وما علتك قدر كانه قد
قيل له ذلك فاتى بقوله سهر دائم جوابا عن هذا السوال المفهوم من فحوى الحال فاعرفه
ومن الحسن البين في ذلك قول المتنبي وما عفت الرياح له محلا عفاه من حدا بهم
وساقا لما نفى ان يكون الذي نرى به من الدروس والعفاء من الرياح وان تكون التي فعلت
ذلك وكان في العادة اذا نفي الفعل الموجود الحاصل عن واحد فقيل لم يفعله
فلان ان يقال فمن فعله قدر كان قائلا قال قد زعمت ان الرياح لم تعف له محلا
فما عفاه اذا فقال مجيبا له عفاه من حدا بهم وساقا ومثله قول الوليد بن يزيد
عرفت المنزل الخالي عفا من بعد احوال عفاه كل حنان عسوف الوبل هطال
لما قال عفا من بعد احوال قدر كانه قيل له فما عفاه فقال عفاه كل حنان واعلم
ان السوال اذا كان ظاهرا مذكورا في مثل هذا كان الاكثر ان لا يذكر الفعل في الجواب

ويقتصر على الاسم وحده فاما مع الاضمار فلا يجوز الا ان يذكر الفعل تفسير هذا
انه يجوز لك اذا قيل لك ان كانت الرياح لم تعفه فما عفاه ان تقول من حدا بهم وساق
ولا تقول عفاه من حدا كما تقول في جواب من يقول من فعل هذا زيد ولا يجب
ان تقول فعله زيد واما اذا لم يكن السوال مذكورا كالذي عليه البيت فانه لا يجوز ان
يترك ذكر الفعل فلو قلت مثلا وما عفت الرياح له محلا من حدا بهم وساقا تزعم
انك اردت عفاه من حدا بهم ثم تركت ذكر الفعل احلت لانه انما يجوز تركه حيث يكون
السوال مذكورا لان ذكره فيه يدل على ارادته في الجواب فاما مع ترك السوال المذكور
الى العلم به سبيل فاعرف ذلك واعلم ان الذي تراه في التنزيل من لفظ قال مفصولا غير
معطوف هذا هو التقدير فيه والله اعلم اعني مثل قوله تعالى هل اتيك حديث ضيف
ابرهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله
فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف جاء على
ما يقع في انفس المخلوقين من السوال فلما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين
اذا قيل لهم دخل قوم على فلان فقالوا كذا ان يقولوا فما قال هو ويقول المجيب قال
كذا اخرج الكلام ذلك المخرج لان الناس خوطبوا بما يتعارفونه وسلك باللفظ
معهم المسلك الذي يسلكونه وكذلك قوله قال الا تاكلون وذلك ان قوله فجاء بعجل
سمين فقربه اليهم يقتضي ان يتبع هذا الفعل بقول فكانه قيل والله اعلم فما قال حين
وضع الطعام بين ايديهم فاتى قوله قال الا تاكلون جوابا عن ذلك وكذا قوله قالوا لا تخف
لان قوله فاوجس منهم خيفة يقتضي ان يكون من الملائكة كلام في تانيسه وتسكينه مما خامره
فكانه قيل فما قالوا حين راوه وقد تغير ودخلته الخيفة فقالوا لا تخف وذلك والله اعلم

المعنى في جميع ما يجيء منه على كثرته كالذي يجيء في قصة فرعون في رد موسى عليه السلام عليه
قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن
حوله الا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال
رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك
من المسجونين قال اولو جئتك بشيء مبين قال فات به ان كنت من الصادقين جاء ذلك كله والله
اعلم على تقدير السؤال والجواب كالذي جرت به العادة فيما بين المخلوقين فلما كان
السامع منا اذا سمع الخبر عن فرعون بانه قال وما رب العالمين وقع في نفسه ان يقول
فما قال موسى له اتى قوله قال رب السموات والارض مأتى الجواب مبتدأ مفصولا غير
معطوف وهكذا التقدير والتفسير ابدا في كل ما جاء فيه لفظ قال مثل هذا المجيء وقد
يكون الامر في بعض ذلك اشد وضوحا فمما هو في غاية الوضوح قوله تعالى قال فما
خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين وذلك انه لا يخفى على عاقل
انه جاء على معنى الجواب وعلى ان نزل السامعون كانهم قالوا فما قال له الملائكة
فقيل قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين وكذلك قوله عز وجل في سورة يس واضرب
لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث
فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون
قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم لئن
لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم بل انتم قوم
مسرفون وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا
يسألكم اجرا وهم مهتدون التقدير الذي قدرناه من معنى السؤال والجواب بين ظاهر

في ذلك كله ونسأل الله التوفيق للصواب والعصمة من الزلل

فصل

واذ قد عرفت هذه الاصول والقوانين في شأن فصل الجمل ووصلها فاعلم انا قد حصلنا
من ذلك على ان الجمل على ثلاثة اضرب جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف
والتاكيد مع المؤكد فلا يكون فيها العطف البتة لشبه العطف فيها لو عطفت بعطف
الشيء على نفسه وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله الا انه
يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى مثل ان يكون كلا الاسمين فاعلا او مفعولا او
مضافا اليه فيكون حقها العطف وجملة ليست في شيء من الحالين بل سبيلها مع التي
قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء فلا يكون اياه ولا مشاركا له في معنى بل
هو شيء ان ذكر لم يذكر الا بامر ينفرد به ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله
لعدم التعلق بينه وبينه راسا وحق هذا ترك العطف البتة و العطف يكون اما
للاتصال الى الغاية او الانفصال الى الغاية والعطف لما هو واسطة بين الامرين و
كان له حال بين حالين فاعرفه

فصل هذا فن من القول خاص دقيق اعلم ان مما
يقل نظر الناس فيه من امر العطف انه قد يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها ولكن تعطف
على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة او جملتان مثال ذلك قول المتنبي تولوا بغتة
فكان بينا تهيبني ففاجاني اغتيالا فكان مسير عيسهم ذميلا وسير الدمع اثرهم انهمالا
قوله فكان مسير عيسهم معطوف على تولوا بغتة دون ما يليه من قوله ففاجاني
لانا ان عطفناه على هذا الذي يليه افسدنا المعنى من حيث انه يدخل في معنى كان وذلك
يؤدي الى ان لا يكون مسير عيسهم حقيقة ويكون متوهما كما كان تهيب البين كذلك وهذا
اصل كبير والسبب في ذلك ان الجملة المتوسطة بين هذه المعطوفة اخيرا وبين المعطوف

على حو

فترك

عليها الاولى لم ترتبط من معناها بتلك الاولى كالذي تراه في قوله وكأنّ بيننا تهيّبني مرتبط
بقوله تولّوا بغتةً وذلك ان الثانية مسبَّب والاولى سبب الا ترى ان المعنى تولّوا بغتة
فتوهّمت ان بيننا تهيّبني ولا شك ان هذا التوهم كان بسبب ان كان التولّي بغتة واذا
كانت كذلك كانت مع الاولى كالشيء الواحد وكان منزلتها منها منزلة المفعول و
الظرف وسائر ما يجي بعد تمام الجملة من معمولات الفعل مما لا يمكن افراده عن الجملة
وان يعتدّ كلاما على حدته وهاهنا شي آخر دقيق وهو انك اذا نظرت الى قوله
فكان مسير عيسهم ذميلا وجدته لم يعطف هو وحده على ما عطف عليه ولكن تجد
العطف قد تناول جملة البيت مربوطا آخره باوله الا ترى ان الغرض من هذا الكلام
ان يجعل توليهم بغتةً وعلى الوجه الذي توهّم من اجله ان البين تهيّبه مستدعيا
بكاه وموجبا ان ينهمل دمعه فلم يعنه ان يذكر ذملان العيس الا ليذكر هملان
الدمع وان يوفّق بينهما وكذلك الحكم في الاول فنحن وان كنا قلنا ان العطف على تولّوا بغتةً
فانا لا نعني ان العطف عليه وحده مقطوعا عما بعده بل العطف عليه مضموما
اليه ما بعده الى آخره فانما اردنا بقولنا ان العطف عليه ان نعلمك انه الاصل والقاعدة
وان نصرفك عن ان تطرحه وتجعل العطف على ما يلي هذا الذي تعطفه فتزعم ان قوله
فكان مسير عيسهم ذميلا معطوف على فاجأني فتقع في الخطا كالذي اريناك
فامر العطف اذًا موضوع على انك تارةً تعطف جملة على جملة وتعمد اخرى الى
جملتين او جمل فتعطف بعضا على بعض ثم تعطف مجموع هذي على مجموع تلك و
ينبغي ان تجعل ما تصنع في الشرط والجزاء اصلا تعتبر به وذلك انك ترى متى شئت جملتين
قد عطف احداهما على الاخرى ثم جعلتا بمجموعهما شرطا ومثال ذلك قوله تعالى

ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا الشرط كما لا يخفى
في مجموع الجملتين لا في كل واحدة منهما على الانفراد ولا في واحدة دون الاخرى لانا
ان قلنا انه في كل واحدة منهما على الانفراد جعلناهما شرطين واذا جعلناهما شرطين
اقتضتا جزاءين وليس معنا الا جزاء واحد وان قلنا انه في واحدة منهما دون الاخرى
لزم منه اشراك ما ليس بشرط في الجزم بالشرط وذلك ما لا يخفى فساده ثم انا نعلم
من طريق المعنى ان الجزاء الذي هو احتمال البهتان والاثم المبين امر يتعلق ايجابه بمجموع
ما حصل من الجملتين فليس هو لاكتساب الخطيئة على الانفراد ولا لرمي البريء بالخطيئة
او الاثم على الاطلاق بل لرمي الانسان البريء بخطيئة او اثم كان من الرامي وكذلك الحكم ابدا
فقوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره
على الله لم يعلق الحكم فيها بالهجرة على الانفراد بل بها مقرونا اليها ان يدركه الموت عليها
واعلم ان سبيل الجملتين في هذا وجعلهما بمجموعهما بمنزلة الجملة الواحدة سبيل
الجزئين تعقد منهما الجملة ثم يجعل المجموع خبرا او صفةً او حالا كقولك زيد قام
غلامه وزيد ابوه كريم ومررت برجل ابوه كريم وجاءني زيد يعدو به فرسه فكما يكون
الخبر والصفة والحال لا محالة في مجموع الجزئين لا في احدهما كذلك يكون الشرط
في مجموع الجملتين لا في احدهما واذا علمت ذلك في الشرط فاحتذه في العطف فانك
تجده مثله سواء ومما لا يكون فيه العطف الا على هذا الحد قوله تعالى وما كنت
بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشانا قرونا
فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين
لو جريت على الظاهر فجعلت كل جملة معطوفة على ما يليها منع منه المعنى وذلك

انه يلزم منه ان يكون قوله وما كنت ثاويا في اهل مدين معطوفا على قوله فتطاول عليهم
العمر وذلك يقتضي دخوله في معنى لكن ويصير كانه قيل ولكنك ما كنت ثاويا وذلك ما
لا يخفى فساده واذا كان كذلك بان منه انه ينبغي ان يكون قد عطف مجموع وما كنت ثاويا
في اهل مدين الى مرسلين على مجموع قوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر
الى قوله العمر فان قلت فهلا قدرت ان يكون وما كنت ثاويا في اهل مدين معطوفا
على وما كنت من الشاهدين دون ان تزعم انه معطوف عليه مضموما اليه ما بعده الى قوله
العمر قيل لانا ان قدرنا ذلك وجب ان ينوى به التقديم على قوله ولكنا انشانا قرونا
وان يكون الترتيب وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين
وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم ولكنا
كنا مرسلين وفي ذلك ازالة لكن عن موضعها الذي ينبغي ان تكون فيه ذاك لان سبيل
لكن سبيل الا فكما لا يجوز ان تقول جاءني القوم وخرج اصحابك الا زيدا والا عمرا
تجعل الا زيدا استثناء من جاءني القوم والا عمرا من خرج اصحابك كذلك لا يجوز ان
تصنع مثل ذلك بلكن فتقول ما جاءني زيد وما خرج عمرو ولكن بكرا حاضر ولكن اخاك
خارج فاذا لم يجز ذلك وكان تقديرك الذي زعمت يؤدي اليه وجب ان تحكم بامتناعه
لذا لا احله
فاعرف هذا وانما يجوز تقدير التاخير في شيء معناه يقتضي له ذلك التاخير مثل
ان يكون الاسم مفعولا يقتضي له ان يكون بعد الفاعل فاذا قدم على الفاعل نوي به
التاخير ومعنى لكن في الآية يقتضي ان تكون في موضعها الذي هي فيه فكيف يجوز ان
ينوى بها التاخير عنه الى موضع آخر والله اعلم هذه فصول شتى في
امر اللفظ والنظم فيها فضل تشحذ للبصيرة وزيادة كشف عما فيهما من السريرة

فصل وغلط الناس في هذا الباب كثير فمن ذلك انك تجد كثيرا ممن يتكلم في شأن
البلاغة اذا ذكر ان للعرب الفضل والمزية في حسن النظم والتأليف وان لها في ذلك شأوا
لا يبلغه الدخلاء في كلامهم والمولدون جعل يعلل ذلك بان يقول لا غرو فان اللغة لها بالطبع
ولنا بالتكلف ولن يبلغ الدخيل في اللغات والالسنة مبلغ من نشأ عليها وبدئ من
اول خلقه بها واشباه هذا مما يوهم ان المزية اتتها من جانب العلم باللغة وهو خطأ عظيم
وغلط منكر يفضي بقائله الى رفع الاعجاز من حيث لا يعلم وذلك انه لا يثبت اعجاز حتى
تثبت مزايا تفوق علوم البشر وتقصر قوى نظرهم عنها ومعلومات ليس في منن
افكارهم وخواطرهم ان تفضي بهم اليها وتطلعهم عليها وذلك محال فيما كان علما باللغة
لانه يؤدي الى ان يحدث في دلائل اللغة ما لم يتواضع عليه اهل اللغة وذلك ما لا يخفى
امتناعه على عاقل واعلم انا لم نوجب المزية من اجل العلم بالفروق والوجوه
بانفس الـ
فتستند الى اللغة ولكنا اوجبناها للعلم بمواضعها وما ينبغي ان تصنع فيها فليس
الفضل للعلم بان الواو للجمع والفاء للتعقيب بغير تراخ وثم له بشرط التراخي
وان لكذا واذا لكذا ولكن لان يتأتى لك اذا نظمت شعرا او الفت رسالة ان تحسن
التخير وان تعرف لكل من ذلك موضعه وامر آخر اذا تأمله الانسان انف من حكاية
هذا القول فضلا عن اعتقاده وهو ان المزية لو كانت تجب من اجل اللغة والعلم
باوضاعها وما اراده الواضع فيها لكان ينبغي ان لا تجب الا بمثل الفرق بين
الفاء وثم وان واذا وما اشبه ذلك مما يعبر عنه وضع لغوي فكانت لا تجب بالفصل
وترك العطف وبالحذف والتكرار والتقديم والتأخير وسائر ما هو هيئة
يحدثها لك التأليف ويقتضيها الغرض الذي تؤم والمعنى الذي تقصد وكان ينبغي

ان الاعجب المزية مما يبدى به الشاعر والخطيب في كلامه من استعارة اللفظ للشئ
لم يستعمل له وان لا يكون الفضيلة الا في الاستعارة وقد تعورفت في كلام العرب
وكفى بذلك جهلا ولم يكن هذا الاشتباه وهذا الغلط الا لانه ليس في جملة الخفايا
والمشكلات اغرب مذهبا في الغموض ولا اعجب شانا من هذه التي نحن
بصددها ولا اكثر تفلتا من الفهم وانسلالا منها وان الذي قاله العلماء والبلغاء
في صفتها والاخبار عنها رموز لا يفهمها الا من هو في مثل حالهم من لطف الطبع
ومن هو مهيأ لفهم تلك الاشارات حتى كان تلك الطباع اللطيفة وتلك القرائح
والاذهان قد تواضعت فيما بينها على ما سبيله سبيل الترجمة يتواطؤ عليها قوم
فلا تعدوهم ولا يعرفها من ليس منهم وليت شعري من اين لمن لم يتعب في هذا
الشان ولم يمارسه ولم يوفر عنايته عليه ان ينظر في قول الجاحظ وهو يذكر
اعجاز القران ولو ان رجلا قرا على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة قصيرة
قصيرة او طويلة لتبين له في نظامها ومخرجها من لفظها وطابعها انه عاجز
عن مثلها ولو تحدى بها ابلغ العرب لاظهر عجزه عنها وقوله وهو يذكر رواة
الاخبار ورايت عامتهم فقد طالت مشاهدتي لهم وهم لا يقفون الا على الالفاظ
المتخيرة والمعاني المنتخبة والمخارج السهلة والديباجة الكريمة وعلى الطبع
المتمكن وعلى السبك الجيد وعلى كل كلام له ماء ورونق وقوله في بيت الحطيئة
متى تاته تعشو الى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد وما كان ينبغي ان
يمدح بهذا البيت الا من هو خير اهل الارض على انى لم اعجب بمعناه اكثر من
عجبي بلفظه وطبعه ونحته وسبكه فتفهم منه شيئا او تقف للطابع و

النظام والنحت والسبك والمخارج السهلة على معنى او يجلي منه بشئ وكيف
بان يعرفه ولربما خفي على كثير من اهله واعلم ان الداء الدوي والذي اعيا امره في هذا الباب
غلط من قدم الشعر بمعناه واقل الاحتفال باللفظ وجعل لا يعطيه من المزية ان
هو اعطى الا ما فضل عن المعنى يقول ما في اللفظ لولا المعنى وهل الكلام الا بمعناه
فانت تراه لا يقدم شعرا حتى يكون قد اودع حكمة او ادبا واشتمل على تشبيه غريب
ومعنى نادر فان مال الى اللفظ شيئا وراى ان ينحله بعض الفضيلة لم تعرف غير
الاستعارة ثم لا ينظر في حال تلك الاستعارة احسنت بمجردكونها استعارة
ام من اجل فرق ووجه ام للامرين لا يحفل بهذا وشبهه قد قنع بظواهر الامور
وبالجمل وبان يكون كمن يجلب المتاع للبيع انما همه ان يروج عنه يرى انه اذا تكلم
في الاخذ والسرقة واحسن ان يقول اخذه من فلان والم فيه بقول فلان فقد
استكمل الفضل وبلغ اقصى ما يراد واعلم انا وان كنا اذا اتبعنا العرف والعادة
وما يهجس في الضمير وما عليه العامة ارانا ذلك ان الصواب معهم وان التعويل
ينبغي ان يكون على المعنى وانه الذي لا يسوغ القول بخلافه فان الامر بالضد اذا
جئنا الى الحقائق والى ما عليه المحصلون لانا لا نرى متقدما في علم البلاغة مبرزا
في شاوها الا وهو ينكر هذا الراي ويعيبه ويزري على القائل به ويغض منه
ومن ذلك ما روي عن البحتري روي ان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ساله عن مسلم
وابي نواس ايهما اشعر فقال ابو نواس فقال ان ابا العباس ثعلبا لا يوافقك على
هذا فقال ليس هذا من شان ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون
عمله انما يعلم ذلك من دفع في مسلك طريق الشعر الى مضايقه وانتهى الى ضروراته

حاشية
العرض من هذا انه نقل ان حسن
المحاسن التي حرت العادة بان
ينسب الى اللفظ وتجعل فيه
فعال كلام حسن اللفظ و
يراد بذلك حسن سبكه ونو
معاني الفحو جامد الكلام
وجه صدق ودفعه فاما
مجرد اللفظ الذي هو نطق
اللسان فانا ندعو الى العلم الا ينتفع
به فلا ذكره واهلا [illegible]

وعن بعضهم انه قال رآني البحتري ومعي دفتر شعر فقال ما هذا فقلت شعر
الشنفرى فقال والى اين تمضي فقلت الى ابي العباس اقرأه عليه فقال قد رأيت
ابا عباسكم هذا منذ ايام عند ابن ثوابة فما رأيته ناقدا للشعر ولا مميزا للالفاظ
ورأيته يستجيد شيئا وينشده وما هو بافضل الشعر فقلت له اما نقده وتمييزه فهذه
صناعة اخرى ولكنه اعرف الناس باعرابه وغريبه فما كان ينشد قال قول الحارث
بن وعلة: قومي هم قتلوا اميم اخي فاذا رميت يصيبني سهمي فلئن عفوت لاعفون
جللا ولئن سطوت لاوهنن عظمي فقلت والله ما احسن شعر في احسن
معنى ولفظ فقال اين الشعر الذي فيه عروق الذهب فقلت مثل ماذا فقال
مثل قول ابي ذؤاب: ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب
باشدهم كلبا على اعدائه واعزهم فقدا على الاصحاب انتهى الحكاية عن البحتري
وفي مثل هذا قال الشاعر: زوامل للاشعار لا علم عندهم بجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدري البعير اذا غدا باوساقه او راح ما في الغرائر وقال الآخر: يا ابا جعفر
انحكم في الشعر وما فيك آلة الحكام ان نقد الدينار الا على الصيرف صعب
فكيف نقد الكلام وقد رأينا كيف تفرق في الاشعار بين الارواح والاجسام
واعلم انهم لم يعيبوا تقديم الكلام بمعناه من حيث جهلوا ان المعنى اذا كان ادبا وحكمة
وكان غريبا نادرا فهو اشرف مما ليس كذلك بل عابوه من حيث كان من حكم من قضى
في جنس من الاجناس بفضل او نقص ان لا يعتبر في قضيته تلك الا الاوصاف التي
تخص ذلك الجنس ويرجع الى حقيقته وان لا ينظر فيها الى جنس آخر وان كان من
الاول بسبيل او متصلا به اتصال ما لا ينفك منه ومعلوم ان سبيل الكلام

انشد الا

سبيل التصوير والصياغة وان سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع
التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم او سوار فكما ان
محالا اذا انت اردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته الى الفضة
الحاملة لتلك الصورة او الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصنعة كذلك
محال اذا اردت ان تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام ان تنظر في مجرد
معناه وكما انا لو فضلنا خاتما على خاتم بان يكون فضة هذا اجود او فصه انفس
لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم كذلك ينبغي اذا فضلنا بيتا على بيت من اجل
معناه ان لا يكون ذلك تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام وهذا قاطع فاعرفه
واعلم انك لست تنظر في كتاب صنف في شأن البلاغة وكلام جاء عن القدماء
الا وجدته يدل على فساد هذا المذهب ورأيتهم يتشددون في انكاره وعيبه و
العيب به واذا نظرت في كتب الجاحظ وجدته يبلغ في ذلك كل مبلغ ويتشدد
غاية التشدد وقد انتهى في ذلك الى ان جعل العلم بالمعاني مشتركا وسوى فيه بين
الخاصة والعامة فقال ورأيت ناسا يبهرجون اشعار المولدين ويستسقطون
من رواها ولم ار ذلك قط الا في راوية غير بصير بجوهر ما يروي ولو كان له بصر لعرف
موضع الجيد ممن كان وفي اي زمان كان وانا سمعت ابا عمرو الشيباني وقد بلغ
من استجادته لهذين البيتين ونحن في المسجد الجامع يوم الجمعة ان كلف رجلا
حتى احضره قرطاسا ودواة حتى كتبهما قال الجاحظ وانا ازعم ان صاحب
هذين البيتين لا يقول شعرا ابدا ولولا ان ادخل في الحكومة بعض العيب لزعمت
ان ابنه لا يقول الشعر ايضا وهما قوله لا تحسبن الموت موت البلى وانما الموت سؤال

الرجال

كلاما انوقا ولكن ذا اشد من ذا على كل حال ثم قال وذهب الشيخ الى استحسان
المعاني والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي
وانما الشان في اقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وصحة الطبع وكثرة
الماء وجودة السبك فانما الشعر صياغة وضرب من التصوير فقد تراه كيف
اسقط امر المعاني وابى ان يجب لها فضل فقال وهي مطروحة في الطريق ثم
قال وانا ازعم ان صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا ابدا فاعلمك ان فضل
الشعر بلفظه لا بمعناه وانه اذا عدم الحسن في لفظه ونظمه لم يستحق هذا
الاسم بالحقيقة واعاد طرفا من هذا الحديث في البيان فقال ولقد رايت
ابا عمرو الشيباني يكتب اشعارا من افواه جلسائه ليدخلها في باب التحفظ
والتفكر وربما خيل اليّ ان ابناء اولئك الشعراء لا يستطيعون ابدا ان يقولوا شعرا
جيدا لمكان اعراقهم من اولئك الآباء ثم قال ولولا ان اكون عيابا ثم للعلماء خاصة
لصورت لك بعض ما سمعت من ابي عبيدة ومن هو ابعد في وهمك من ابي عبيدة
واعلم انهم لم يبلغوا في انكار هذا المذهب ما بلغوه الا لان الخطا فيه عظيم
وانه يفضي بصاحبه الى ان ينكر الاعجاز ويبطل التحدي من حيث لا يشعر وذلك
انه ان كان العمل على ما يذهبون اليه من ان لا يجب فضل ومزية الا من جانب
المعنى وحتى يكون قد قال حكمة او ادبا او استخرج معنى غريبا او تشبيها
نادرا فقد وجب اطراح جميع ما قاله الناس في الفصاحة والبلاغة وفي
شان النظم والتاليف وبطل ان يجب بالنظم فضل وان تدخله المزية وان تتفاوت
فيه المنازل واذا بطل ذلك فقد بطل ان يكون في الكلام معجز وصار الامر الى

ما يقوله اليهود ومن قال بمثل مقالهم في هذا الباب ودخل في مثل تلك الجهالات
ونعوذ بالله من العمى بعد الابصار فصل لا يكون لاحدى العبارتين
مزية على الاخرى حتى يكون لها في المعنى تاثير لا يكون لصاحبتها فان قلت
فاذا افادت هذه ما لا تفيد تلك فليستا عبارتين عن معنى واحد بل هما عبارتان
عن معنيين اثنين قيل لك انا نعني بقولنا المعنى في مثل هذا الغرض والذي
اراد المتكلم ان يثبته او ينفيه نحو ان تقصد تشبيه الرجل بالاسد فتقول زيد
كالاسد ثم تريد هذا المعنى بعينه فتقول كان زيدا الاسد فتفيد تشبيهه ايضا
بالاسد الا انك تزيد في تشبيهه به زيادة لم تكن في الاول وهي ان تجعله من فرط شجاعته
وقوة قلبه وانه لا يروعه شي بحيث لا يتميز عن الاسد ولا يقصر عنه حتى يتوهم
انه اسد في صورة آدمي واذا كان هذا كذلك فانظر هل كانت هذه الزيادة وهذا
الفرق الا بما توخي في نظم اللفظ وترتيبه حيث قدم الكاف الى صدر الكلام
وركبت مع ان واذا لم يكن الى الشك سبيل ان ذلك كان بالنظم فاجعله العبرة
في الكلام كله ورض نفسك على تفهم ذلك وتتبعه واجعل فيها انك تزاول منه
امرا عظيما لا يقادر قدره وتدخل في بحر عميق لا يدرك قعره فصل
هو في آخره يرجع الى هذا الكلام قد علم ان المعارض للكلام معارض له من الجهة
التي منها يوصف بانه فصيح وبليغ ومتخير اللفظ جيد السبك ونحو ذلك
من الاوصاف التي نسبوها الى اللفظ واذا كان هذا هكذا فبنا ان ننظر فيما اذا
اتى به كان معارضا ما هو اكثر من ان يجي بلفظ فيضعه مكان لفظ آخر نحو ان
يقول بدل اسد ليث وبدل بعد ناي ومكان قرب دنا ام ذلك ما لا يذهب

الله عاقل ولا يقوله من به طرق كيف ولو كان ذلك معارضة لكان الناس لا
يفصلون بين الترجمة والمعارضة ولكان كل من فسر كلاما معارضا له واذا بطل
ان يكون جهة للمعارضة وان يكون الواضع نفسه في هذه المنزلة معارضا
على وجه من الوجوه علمت ان الفصاحة والبلاغة وسائر ما يجري في طريقهما
اوصاف راجعة الى المعاني والى ما يدل عليه بالالفاظ دون الالفاظ انفسها لانه
اذا لم يكن في القسمة الا المعاني والالفاظ وكان لا يعقل تعارض في الالفاظ المجردة
الا ما ذكرت لم يبق الا ان تكون المعارضة معارضة من جهة ترجع الى معاني
الكلام المعقولة دون الفاظه المسموعة واذا عادت المعارضة الى المعنى
وكان الكلام يعارض من حيث هو فصيح وبليغ ومتخير اللفظ حصل من
ذلك ان الفصاحة والبلاغة وتخير اللفظ عبارة عن خصائص ووجوه
تكون معاني الكلام عليها وعن زيادات تحدث في اصول المعاني كالذي اريتك فيما
بين زيد كالاسد وكان زيدا الاسد وبان ان لا نصيب للالفاظ من حيث هي الفاظ
فيها بوجه من الوجوه واعلم انك لا تشفي الغلة ولا تنتهي الى ثلج اليقين حتى تتجاوز
حد العلم بالشيء مجملا الى العلم به مفصلا وحتى لا يقنعك الا النظر في زواياه
والتغلغل في مكامنه وحتى تكون كمن تتبع الماء حتى عرف منبعه وانتهى في النجر
عن جوهر العود الذي يصنع فيه الى ان يعرف منبته ومجرى عروق الشجر
الذي هو منه واما لنراهم يقيسون الكلام في معنى المعارضة على الاعمال الصناعية
كنسج الديباج وصوغ الشنف والسوار وانواع ما يصاغ وكل ما هو
صنعة وعمل يد بعد ان يبلغ مبلغا يقع التفاضل فيه ثم يعظم حتى يزيد فيه

البحث

الصانع على الصانع زيادة يكون له بها صيت ويدخل في حد ما يعجز عنه الاكثرون
وهذا القياس وان كان قياسا ظاهرا معلوما وكالشيء المركوز في الطباع حتى ترى
العامة فيه كالخاصة فان فيه امرا يجب العلم به وهو انه يتصور ان يبدا هذا
فيعمل ديباجا ويبدع في نقشه وتصويره فيجيء آخر ويعمل ديباجا آخر مثله في
نقشه وهيئته وجملة صفته حتى لا يفصل الرائي بينهما ولا يقع لمن لم يعرف القصة
ولم يخبر الحال الا انهما صنعة رجل واحد وخارجان من تحت يد واحدة وهكذا
الحكم في سائر المصنوعات كالسوار يصوغه هذا ويجيء ذاك فيعمل سوارا مثله
ويؤدي صنعته كما هي حتى لا يغادر منها شيئا البتة وليس يتصور مثل ذلك في الكلام
لانه لا سبيل الى ان تجيء الى معنى بيت من الشعر او فصل من النثر فتؤديه بعينه
وعلى خاصيته وصفته بعبارة اخرى حتى يكون المفهوم من هذه هو المفهوم
من تلك لا يخالفه في صفة ولا وجه ولا امر من الامور ولا يغرنك قول الناس قد اتى
بالمعنى بعينه واخذ معنى كلامه فاداه على وجهه فانه تسامح منهم والمراد انه ادى
الغرض فاما ان يؤدي المعنى على الوجه الذي يكون عليه في كلام الاول حتى لا تعقل
هاهنا الا ما تعقله هناك وحتى يكون حالهما في نفسك حال الصورتين المشتبهتين
في عينك كالسوارين والشنفين ففي غاية الاحالة وظن يفضي بصاحبه الى جهالة
عظيمة وهي ان تكون الالفاظ مختلفة المعاني اذا فرقت ومتفقتها اذا جمعت
والف منها كلام وذلك ان ليس كلامنا فيما تفهم من لفظتين مفردتين نحو قعد
وجلس ولكن فيما فهم من مجموع كلام ~~ومجموع كلام~~ ومجموع كلام آخر نحو ان
ننظر في قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقول الناس احيا للجميع فانه

قتل البعض صح

وان كان قد جرت عادة الناس بان يقولوا في مثل هذا انهما عبارتان معبرتها
واحد فليس هذا القول منهم قولا يمكن الاخذ بظاهره او يقع لعاقل شك ان
ليس المفهوم من احد الكلامين المفهوم من الآخر فصل الكلام على
ضربين ضرب انت تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك اذا قصدت
ان تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت خرج زيد وبالانطلاق عن عمرو
فقلت عمرو منطلق وعلى هذا القياس وضرب آخر انت لا تصل منه الى
الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه
موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها الى الغرض ومدار
هذا الامر على الكناية والاستعارة والتمثيل وقد مضت الامثلة فيها مشروحة
مستقصاة اولا ترى انك اذا قلت هو كثير رماد القدر او قلت طويل النجاد
او قلت في المراة نؤوم الضحى فانك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من
مجرد اللفظ ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره ثم يعقل السامع
من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيا هو غرضك كمعرفتك من كثير رماد
القدر انه مضياف ومن طويل النجاد انه طويل القامة ومن نؤوم الضحى في المراة
انها مترفة مخدومة لها من يكفيها امرها وكذا اذا قال رايت اسدا وذلك
الحال على انه لم يرد السبع علمت انه اراد التشبيه الا انه بالغ فجعل الذي راه
بحيث لا يتميز عن الاسد في شجاعته وكذلك تعلم من قوله بلغني انك تقدم رجلا
وتؤخر اخرى انه اراد به التردد في امر البيعة واختلاف العزم في الفعل
وتركه على ما مضى الشرح فيه واذ قد عرفت هذه الجملة فههنا عبارة

عن م

مختصرة وهي ان تقول المعنى ومعنى المعنى نعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ
والذي تصل اليه بغير واسطة وبمعنى المعنى ان تعقل من اللفظ ثم يفضي بك ذلك المعنى
الى معنى آخر كالذي فسرت لك واذ قد عرفت ذلك فاذا رايتهم يجعلون الالفاظ
زينة للمعاني وحلية عليها او يجعلون المعاني كالجواري والالفاظ كالمعارض لها و
كالوشي المحبر واللباس الفاخر والكسوة الرائعة الى اشباه ذلك مما يفخمون به امر اللفظ
ويجعلون المعنى ينبل به ويشرف فاعلم انهم يصفون كلاما قد اعطاك المتكلم اغراضه
فيه من طريق معنى المعنى فكنى وعرض ومثل واستعار ثم احسن في ذلك كله و
اصاب ووضع كل شيء منه في موضعه واصاب به شاكلته وعمد فيما كنى
وشبه ومثل لما حسن ماخذه ودق مسلكه ولطفت اشارته وان المعرض
وما في معناه ليس هو اللفظ المنطوق به ولكن معنى اللفظ الذي دللت به على
المعنى الثاني كمعنى قوله فاني جبان الكلب مهزول الفصيل الذي هو دليل على
انه مضياف فالمعاني الاول المفهومة من انفس الالفاظ هي المعارض والوشي
والحلي واشباه ذلك والمعاني الثواني التي يومى اليها بتلك المعاني هي التي
تكسى تلك المعارض وتزين بذلك الوشي والحلي وكذلك اذا جعلوا المعنى يتصور
من اجل اللفظ بصورة ويبدو في هيئة ويتشكل بشكل يرجع المعنى في ذلك كله
الى الدلالات المعنوية ولا يصلح شيء منه حيث الكلام على ظاهره وحيث لا
يكون كناية وتمثيل ولا استعارة ولا استعانة في الجملة بمعنى على معنى وتكون
الدلالة على الغرض من مجرد اللفظ فلو ان قائلا قال رايت الاسد وقال آخر لقيت
الليث لم يجز ان يقال ان الثاني انه صور المعنى في غير صورته الاولى ولا ان يقال

معنی م

أبرزه في معرض سوى معرضه ولا شيئا من هذا الجنس وجملة الأمر أن صور المعاني لا تتغير
بنقلها من لفظ إلى لفظ حتى يكون هناك اتساع ومجاز وحتى لا يراد من الألفاظ ظواهر ما
وضعت له في اللغة ولكن يشار بمعانيها إلى معان أخر واعلم أن هذا كذلك ما دام
النظم واحدا فأما إذا تغير النظم فلا بد حينئذ من أن يتغير المعنى على ما مضى البيان في
مسائل التقديم والتأخير وعلى ما رأيت في المسألة التي مضت الآن أعني قولك إن زيدا كالأسد
وكأن زيدا الأسد ذاك لأنه لم يتغير من اللفظ شيء وإنما تغير النظم فقط وأما فتحك أن عند
تقديم الكاف وكانت مكسورة فلا اعتداد بها لأن معنى الكسر باق بحاله واعلم أن
السبب في أن أحالوا في أشباه هذه المحاسن التي ذكرتها لك على اللفظ أنها ليست
بأنفس المعاني بل هي زيادات فيها وخصائص ألا ترى أن ليست المزية التي تجدها لقولك
كأن زيدا الأسد على قولك زيد كالأسد شيئا خارجا عن التشبيه الذي هو أصل المعنى وإنما
هو زيادة فيه وفي حكم الخصوصية في الشكل نحو أن يصاغ خاتم على وجه وآخر على
وجه تجمعهما صورة الخاتم ويفترقان بخاصة وشيء يعلم إلا أنه لا يعلم منفردا
ولما كان الأمر كذلك لم يمكنهم أن يطلقوا اسم المعاني على هذه الخصائص إذ كان لا
يفترق الحال حينئذ بين أصل المعنى وبين ما هو زيادة في المعنى وكيفية له وخصوصية
فيه فلما امتنع ذلك توصلوا إلى الدلالة عليها بأن وصفوا اللفظ في ذلك بأوصاف
يعلم أنها لا تكون أوصافا له من حيث هو لفظ كنحو وصفهم له بأنه لفظ شريف
وأنه قد زان المعنى وأن له ديباجة وأن عليه طلاوة وأن المعنى منه في مثل الوشي وأنه
عليه كالحلي إلى أشباه ذلك مما يعلم ضرورة أنه لا يعنى بمثله الصوت والحرف
ثم إنه لما جرت به العادة واستمر عليه العرف وصار الناس يقولون اللفظ

واللفظ لزم من ذلك بأن تعتبر أقوام باب من الفساد وخامرهم منه شيء لست أحسن
وصفه

فصل

ومن الصفات التي تجدهم يجرونها على اللفظ ثم لا
يعترضك شبهة ولا يكون منك توقف في أنها ليست له ولكن لمعناه قولهم لا يكون
الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ولا يكون لفظه
أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك وقولهم يدخل في الأذن بلا إذن فهذا مما لا يشك
العاقل في أنه يرجع إلى دلالة المعنى على المعنى وأنه لا يتصور أن يراد به دلالة اللفظ على
معناه الذي وضع له في اللغة ذلك لأنه لا يخلو السامع من أن يكون عالما باللغة وبمعاني
الألفاظ التي يسمعها أو يكون جاهلا بذلك فإن كان عالما لم يتصور أن يتفاوت حال
الألفاظ معه فيكون معنى لفظ أسرع إلى قلبه من معنى لفظ آخر وإن كان جاهلا كان
ذلك في وصفه أبعد وجملة الأمر أنه إنما يتصور أن يكون لمعنى أسرع فهما منه لمعنى آخر
إذا كان ذلك مما يدرك بالفكر وإذا كان مما يتجدد له العلم به عند سمعه للكلام و
ذلك محال في دلالات الألفاظ اللغوية لأن طريق معرفتها التوقيف والتقدم
بالتعريف وإذا كان كذلك علم علم الضرورة أن مصرف ذلك إلى دلالات المعاني
على المعاني وأنهم أرادوا أن من شرط البلاغة أن يكون المعنى الأول الذي تجعله
دليلا على المعنى الثاني ووسيطا بينك وبينه متمكنا في دلالته مستقلا بوساطته
يسفر بينك وبينه أحسن سفارة ويشير لك إليه أبين إشارة حتى يخيل إليك أنك
فهمته من حاق اللفظ وذلك لقلة الكلفة عليك فيه وسرعة وصوله إليك فكان من
الكناية مثل قوله لا أمتع العوذ بالفصال ولا أبتاع إلا قريبة الأجل ومن الاستعارة
مثل قوله وصدر أراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب ومن التمثيل

عن

مثل قوله لا اذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره ٥ وان اردت ان تعرف
ما حاله بالضد من هذا فكان منقوض القوة في تادية ما اريد منه لانه يعترضه ما
يمنعه ان يقضي حق السفارة فيما بينك وبين معناك ويوضح تمام الايضاح عن مغزاك
فانظر الى قول العباس بن الاحنف سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب
عيناي الدموع لتجمدا ٥ بدا فبدأ بما يسكب الدموع على ما يوجبه الفراق من
الحزن والكمد فاحسن واصاب لان من شان البكا ابدا ان يكون امارة للحزن
وان يجعل دلالة عليه وكناية عنه كقولهم ابكاني واضحكني على معنى ساءني وسرني
وكما قال ابكاني الدهر ويا ربما اضحكني الدهر بما يرضي ثم ساق هذا القياس
الى نقيضه فالتمس ان يدل على ما يوجبه دوام التلاقي من السرور بقوله لتجمدا
وظن ان الجمود يبلغ له في افادة المسرة والسلامة من الحزن ما بلغ سكب الدموع
في الدلالة على الكآبة والوقوع في الحزن ونظر الى ان الجمود خلو العين من
البكا وانتفا الدموع عنها وانه اذا قال لتجمدا فكانه قد قال احزن اليوم لئلا احزن
غدا وتبكي عيناي جهدهما لئلا تبكيا ابدا وغلط فيما ظن وذلك لان الجمود هو
ان لا تبكي العين مع ان الحال حال بكا ومع ان العين يراد منها ان تبكي وتستراد
في ان لا تبكي ولذلك لا ترى احدا يذكر عينه بالجمود الا وهو يشكوها ويذمها
وينسبها الى البخل ويعد امتناعها من البكا تركا لمعونة صاحبها على ما به من
الهم الا ترى الى قوله الا ان عينا لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود
فاتى بالجمود تاكيدا لنفي الجود ومحال ان يجعلها لا تجود بالبكاء وليس هناك
التماس بكاء لان الجود والبخل يقتضيان مطلوبا يبذل او يمنع ولو كان الجمود

يصلح لان يراد به السلامة من البكا ويصح ان يدل به على ان الحال حال مسرة وحبور
لجاز ان يدعى به للرجل فيقال لا زالت عينك جامدة كما يقال لا ابكى الله عينك و
ذلك مما لا يشك في بطلانه وعلى ذلك قول اهل اللغة عين جمود لا ماء فيها وسنة
جماد لا مطر فيها وناقة جماد لا لبن فيها فكما لا تجعل السنة والناقة جمادا الا
على معنى ان السنة بخيلة بالقطر والناقة لا تسخو بالدر كذلك حكم العين لا
تجعل جمودا الا وهناك ما يقتضي ارادة البكا منها وما يجعلها اذا بكت محسنة
موصوفة بان قد جادت وسخت واذا لم تبك مسيئة موصوفة بان قد ضنت
وبخلت فان قيل انه اراد ان يقول اني اليوم اتجرع غصص الفراق و
احمل نفسي على مره واحتمل ما يؤديني اليه من حزن يفيض الدموع من عيني ويسكبها
لكي اتسبب بذلك الى وصل يدوم ومسرة تتصل حتى لا اعرف بعد ذلك الحزن
اصلا ولا تعرف عيني البكا وتصير في ان لا ترى باكية ابدا كالجمود التي لا يكون لها
دمع فان ذلك لا يستقيم ولا يستتب لانه يوقعه في التناقض ويجعله كانه قال احتمل
البكا لهذا الفراق عاجلا لاصير في الآجل بدوام الوصل واتصال السرور في صوره
صوره من يريد من عينه ان تبكي ثم لا تبكي لانها خلقت جامدة لا ماء فيها وذلك من
التهافت والاضطراب بحيث لا تنجع الحيلة في اصلاحه وجملة الامر انا لا نعلم احدا جعل
جمود العين دليل سرور وامارة غبطة وكناية عن ان الحال حال فرح فهذا مثال
فيما هو بالضد مما شرطوا من ان لا يكون لفظه اسبق الى سمعك من معناه الى قلبك
لانك ترى اللفظ يصل الى سمعك وتحتاج الى ان تخب وتوضع في طلب المعنى ويجري
لك هذا الشرح والتفسير في النظم كما جرى في اللفظ لانه اذا كان النظم سويا و

والتأليف مستقيما كان وصول المعنى إلى قلبك تلو وصول اللفظ إلى سمعك وإذا كان على
خلاف ما ينبغي وصل اللفظ إلى السمع وبقيت في المعنى تطلبه وتتعب فيه وإذا
أفرط الأمر في ذلك صار إلى التعقيد الذي قالوا إنه يستهلك المعنى واعلم أن لم تضق
العبارة ولم يقصر اللفظ ولم ينغلق الكلام في هذا الباب إلا لأنه قد تناهى في
الغموض والخفاء إلى أقصى الغايات وإنك لا ترى أغرب مذهبا وأعجب طريقا
وأحرى بأن تضطرب فيه الآراء منه وما قولك في شيء قد بلغ من أمره أن يدّعى على الكبار
العلماء أنهم لم يعلموه ولم يفطنوا له فقد ترى أن البحتري قال حين سئل عن مسلم
وأبي نواس أيهما أشعر فقال أبو نواس فقيل إن أبا العباس ثعلبا لا يوافقك على هذا فقال
ليس هذا من شأن ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله إنما يعلم ذلك
من دُفع في مسلك طريق الشعر إلى مضايقه وانتهى إلى ضروراته ثم لم ينفك العالمون به والذين
هم من أهله من دخول الشبهة فيه عليهم ومن اعتراض السهو والغلط لهم روي عن الأصمعي
أنه قال كنت أشدو من أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر وكانا يأتيان بشارا فيسلمان
عليه بغاية الإعظام ثم يقولان يا أبا معاذ ما أحدثت فيخبرهما وينشدهما ويسألانه
ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الزوال ثم ينصرفان وأتياه يوما فقالا
ما هذه القصيدة التي أحدثتها في سلم بن قتيبة قال هي التي بلغتكم قالوا بلغنا أنك
أكثرت فيها من الغريب قال نعم بلغني أن سلم بن قتيبة يتباصر بالغريب فأحببت
أن أورد عليه ما لا يعرف قالوا فأنشدناها يا أبا معاذ فأنشدها
بكّرا صاحبيّ قبل الهجير إنّ ذاك النجاح في التبكير حتى فرغ منها فقال له خلف
لو قلت يا أبا معاذ مكان إن ذاك النجاح في التبكير بكّرا فالنجاح في التبكير كان أحسن

حاشية[*]

فقال بشار إنما بنيتها أعرابية وحشية فقلت إن ذاك النجاح في التبكير كما يقول
الأعراب البدويون ولو قلت بكّرا فالنجاح كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذاك
الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة قال فقام خلف فقبّل بين عينيه فهل كان هذا
القول من خلف والنقد على بشار إلا للطف المعنى في ذلك وخفائه واعلم أن من شأن
إنّ إذا جاءت على هذا الوجه أن تغني غناء الفاء العاطفة مثلا وأن تفيد من ربط
الجملة بما قبلها أمرا عجيبا فأنت ترى الكلام بها مستأنفا غير مستأنف ومقطوعا
موصولا معا أفلا ترى أنك لو أسقطت إنّ من قوله إن ذاك النجاح في التبكير لم تر الكلام
يلتئم ولرأيت الجملة الثانية لا تتصل بالأولى ولا تكون منها بسبيل حتى تجيء بالفاء فتقول
بكّرا صاحبيّ قبل الهجير فذاك النجاح في التبكير ومثله قول بعض العرب فغنّها وهي
لك الفداء إنّ غناء الإبل الحداء فانظر إلى قوله إن غناء الإبل الحداء وإلى ملاءمته الكلام
قبله وحسن تشبثه به وإلى حسن تعطّف الكلام الأول عليه ثم انظر إذا تركت إنّ
فقلت فغنّها وهي لك الفداء غناء الإبل الحداء كيف تكون الصورة وكيف ينبو أحد
الكلامين عن الآخر وكيف يشئم هذا ويعرق ذاك حتى لا تجد حيلة في ائتلافهما
حتى تجتلب لهما الفاء فتقول فغنّها وهي لك الفداء فغناء الإبل الحداء ثم تعلم أن ليست
الألفة بينهما من جنس ما كان وأن قد ذهبت الأنسة التي كنت تجد والحسن الذي كنت
ترى وروي عن عنبسة أنه قال قدم ذو الرمة الكوفة فوقف ينشد الناس بالكناسة
قصيدته الحائية التي منها هي البرء والأسقام والهمّ والمنى وموت الهوى في القلب
منّي المبرّح وكان الهوى بالنأي يمحى فيمّحي وحبّك عندي يستجدّ ويربح إذا غيّر النأي
المحبّين لم يكد رسيس الهوى من حبّ ميّة يبرح قال فلما انتهى إلى هذا البيت ناداه

[*] قال الشيخ [illegible] إذا احتفا
اللفظ وحصل لم يكن [illegible]
أنه لا يكون المعنى اللطيف الذي
[illegible] أسبق إلى فهم
السامع من المعنى الجلي
الذي هو المكني عنه
ثعلبا

ابن شبرمة يا غيلان أراه قد برح قال فشنق ناقته وجعل يتأخر بها ويفكر ثم قال
إذا غير النأي المحبين لم أجد رسيس الهوى من حب مية يبرح قال فلما انصرفت
حدثت أبي فقال أخطأ ابن شبرمة حين أنكر على ذي الرمة ما أنشد وأخطأ
ذو الرمة حين غير شعره لقول ابن شبرمة إنما هذا كقول الله تعالى ظلمات
بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها وإنما هو لم يرها ولم يكد واعلم
أن سبب الشبهة في ذلك أنه قد جرى في العرف أن يقال ما كاد يفعل ولم يكد
يفعل في فعل قد فعل على معنى أنه لم يفعل إلا بعد الجهد وبعد أن كان بعيدا
في الظن أن يفعله كقوله فذبحوها وما كادوا يفعلون فلما كان مجيء النفي في كاد على
هذا السبيل توهم ابن شبرمة أنه إذا قال لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح
فقد زعم أن الهوى قد برح ووقع لذي الرمة مثل هذا الظن وليس الأمر كالذي ظناه
فإن الذي يقتضيه اللفظ إذا قيل لم يكد يفعل وما كاد يفعل أن يكون المراد أن الفعل
لم يكن من أصله ولا قارب أن يكون ولا ظن أنه يكون وكيف بالشك في ذلك وقد
علمنا أن كاد موضوع لأن يدل على شدة قرب الفعل من الوقوع وعلى أنه قد شارف
الوجود وإذا كان كذلك كان محالا أن يوجب نفيه وجود الفعل لأنه يؤدي إلى
أن يوجب نفي مقاربة الفعل الوجود وجوده وأن يكون قولك ما قارب أن
يفعل مقتضيا على البت أنه قد فعل وإذ قد ثبت ذلك فمن سبيلك أن تنظر فمتى
لم يكن المعنى على أنه قد كانت هناك صورة تقتضي أن لا يكون الفعل وحال يبعد معها
أن يكون ثم تغير الأمر كالذي تراه في قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون فليس إلا
أن تلزم الظاهر وتجعل المعنى على أنك تزعم أن الفعل لم يقارب أن يكون فضلا

عن أن يكون فالمعنى إذا في بيت ذي الرمة على أن الهوى من رسوخه في القلب وثبوته
فيه وغلبته على طباعه بحيث لا يتوهم عليه البراح وأن ذلك لا يقارب أن يكون
فضلا عن أن يكون كما تقول إذا سلا المحبون وفتروا في محبتهم لم يقع لي وهم
أني أجري على بالي أنه يجوز على ما يشبه السلوة وما يعد فترة فضلا عن أن يوجد
ذلك مني وأصير إليه وينبغي أن تعلم أنهم إنما قالوا في التفسير لم يرها ولم يكد
فبدأوا فنفوا الرؤية ثم عطفوا لم يكد عليه ليعلموك أن ليس سبيل لم يكد ههنا
سبيل ما كادوا في قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون في أنه نفي معقب على إثبات
وأن ليس المعنى على أن رؤية كانت من بعد أن كادت لا تكون ولكن المعنى على أن رؤيتها
لا تقارب أن تكون فضلا عن أن تكون ولو كان لم يكد يوجب وجود الفعل لكان
هذا الكلام منهم محالا جاريا مجرى أن تقول لم يرها ورآها فاعرفه وههنا
نكتة وهي أن لم يكد في الآية والبيت واقع في جواب إذا والماضي إذا وقع في
جواب الشرط على هذا السبيل كان مستقبلا في المعنى فإذا قلت إذا خرجت
لم أخرج كنت قد نفيت خروجا فيما يستقبل وإذا كان الأمر كذلك استحال أن
يكون المعنى في البيت أو الآية على أن الفعل قد كان لأنه يؤدي إلى أن يجيء بلم أفعل
ماضيا صريحا في جواب الشرط فتقول إذا خرجت لم أخرج أمس وذلك محال
ومما يتضح فيه هذا المعنى قول الشاعر دياف الجهضمية ما المنخني شقاقهن من تجز
باكر وراح عليهن ذو هيدب ضعيف القوى ما أوه زاجر إذا دام نهضاتها
لم يكد كذي الساق أخطأها الجابر وأعود إلى الغرض فإذا بلغ من دقة هذه
المعاني أن يشتبه الأمر فيها على مثل خلف الأحمر وابن شبرمة وحتى يشتبه على

حاشية
إذا لم يقع في جواب إذا
وحده لم يستقم نفي
كمقاربة فعل ولا كاد
بفعل

ذي الرمة في صواب قاله فنوى انه غير صواب فما أنكر بغيرهم وما تعجبك
من ان يكثر التخليط فيه ومن العجب في هذا المعنى قول ابي النجم قد اصبحت ام الخيار تدعي
عليّ ذنبا كله لم اصنع قد حمله الجميع على انه ادخل نفسه من رفع كل في شيء انما يجوز عند
الضرورة من غير ان كانت به اليه ضرورة قالوا لانه ليس في نصب كل ما يكسر له وزنا
او يمنعه من معنى اراده واذا تأملت وجدته لم يرتكبه ولم يحمل نفسه عليه الا لحاجة
له الى ذلك والا لانه راى النصب يمنعه ما يريد وذلك انه اراد انها تدعي عليه ذنبا لم
يصنع منه شيئا البتة لا قليلا ولا كثيرا ولا بعضا ولا كلا والنصب يمنع من هذا المعنى
ويقتضي ان يكون قد اتى من الذنب الذي ادعته بعضه وذلك انا اذا تأملنا وجدنا اعمال
الفعل في كل والفعل منفي لا يصلح الا حيث يراد ان بعضا كان وبعضا لم يكن تقول لم القَ
كل القوم ولم آخذ كل الدراهم فيكون المعنى انك لقيت بعضا من القوم ولم تلق الجميع
واخذت بعضا من الدراهم وتركت الباقي ولا يكون ان تريد انك لم تلق واحدا من القوم
ولم تأخذ شيئا من الدراهم وتعرف ذلك بان تنظر الى كل في الاثبات وتتعرف فائدته
فيه واذا نظرت وجدته قد اجتلب لان يفيد الشمول في الفعل الذي تسنده الى
الجملة او توقعه بها تفسير ذلك انك اذا قلت جاءني القوم كلهم لانك لو قلت جاءني
القوم وسكتّ لكان يجوز ان يتوهم السامع انه قد تخلف عنك بعضهم الا انك لم
تعتد بهم او انك جعلت الفعل اذا وقع من بعض القوم فكانما وقع من الجميع
لكونهم في حكم الشخص الواحد كما يقال للقبيلة فعلتم وصنعتم يراد فعل قد كان
من بعضهم او واحد منهم وهكذا الحكم ابدا فاذا قلت رايت القوم كلهم ومررت
بالقوم كلهم كنت قد جئت بكل لئلا يتوهم انه قد بقي عليك من لم تره ولم تمرر به وينبغي

ان تعلم انا لا نعني بقولنا يفيد الشمول ان سبيله في ذلك سبيل الشيء يوجب المعنى من اصله
وانه لولا مكان كل لما عقل الشمول ولم يكن فيما سبق من اللفظ دليل عليه كيف ولو كان
كذلك لم يكن يسمى تأكيدا فالمعنى انه يمنع ان يكون اللفظ المقتضي الشمول مستعملا على خلاف
ظاهره ومتجوزا فيه واذ قد عرفت ذلك فههنا اصل وهو ان من حكم النفي اذا دخل
على كلام ثم كان في ذلك الكلام تقييد على وجه من الوجوه ان يتوجه الى ذلك التقييد و
ان يقع له خصوصا تفسير ذلك انك اذا قلت اتاني القوم مجتمعين فقال قائل لم يأتك
القوم مجتمعين كان نفيه ذلك متوجها الى الاجتماع الذي هو تقييد في الاتيان دون
الاتيان نفسه حتى انه اذا اراد ان ينفي الاتيان من اصله كان من سبيله ان يقول انهم لم يأتوك
اصلا فما معنى قولك مجتمعين هذا مما لا يشك فيه عاقل واذا كان هذا حكم النفي اذا
دخل على كلام فيه تقييد فان التأكيد ضرب من التقييد فمتى نفيت كلاما فيه تأكيد فان
نفيك ذلك يتوجه الى التأكيد خصوصا ويقع له فاذا قلت لم ار القوم كلهم او لم يأتني
القوم كلهم او لم يأتني كل القوم ولم ار كل القوم كنت عمدت بنفيك الى معنى كل خاصة
وكان حكمه حكم مجتمعين في قولك لم يأتني القوم مجتمعين واذا كان النفي يقع لكل خصوصا
فواجب اذا قلت لم يأتني القوم كلهم او لم يأتني كل القوم ان يكون قد اتاك بعضهم كما يجب
اذا قلت لم يأتني القوم مجتمعين ان يكونوا قد اتوك اشتاتا وكما يستحيل ان تقول لم يأتني
القوم مجتمعين وانت تريد انهم لم يأتوك اصلا لا مجتمعين ولا منفردين كذلك محال ان
تقول لم يأتني القوم كلهم وانت تريد انهم لم يأتوك اصلا فاعرفه واعلم انك اذا نظرت
وجدت الاثبات كالنفي فيما ذكرت لك ووجدت النفي قد احتذاه فيه وتبعه
وذلك انك اذا قلت جاءني القوم كلهم كان كل فائدة خبرك هذا والذي يتوجه اليه

اثباتك بذلالة ان المعنى على ان الشك الى نعم في نفس المجي انه كان من القوم على الجملة وانما وقع
في شموله الكل وذلك الذي عناك امره من كلامك وجملة الامر انه متى كان الكلام كان فيه امر
زائد على مجرد اثبات المعنى للشي الا كان الغرض الخاص من الكلام والذي تقصد
اليه ويزجى القول فيه فاذا قلت جاءني زيد راكبا وما جاءني زيد راكبا كنت وضعت
كلامك لان تثبت مجيئه راكبا او تنفي ذلك لا لان تثبت المجي وتنفيه مطلقا هذا
ما لا سبيل الى الشك فيه واعلم انه يلزم من شك في هذا فتوهم انه يجوز ان يقول لم آت
القوم كلهم على معنى انك لم تأت واحدا منهم ان يجري النهي هذا المجرى فيقول لا تضرب
القوم كلهم على معنى لا تضرب واحدا منهم وان يقول لا تضرب الرجلين كليهما
على معنى لا تضرب واحدا منهما فاذا قال ذلك لزمه ان يحيل قول الناس لا تضربهما
معا ولكن اضرب احدهما ولا تأخذهما جميعا ولكن واحدا منهما وكفى بذلك فسادا
واذ قد بان لك من حال النصب انه يقتضي ان يكون المعنى على انه قد صنع من الذنب
بعضا وترك بعضا فاعلم ان الرفع على خلاف ذلك وانه يقتضي نفي ان يكون قد صنع
منه شيئا واتى منه قليلا او كثيرا وانك اذا قلت كلهم لا يأتيك وكان ذلك لا يكون في
كل هذا لا يحسن كنت نفيت ان يأتيه واحد منهم وابيت ان يكون او يحسن شي
مما اشرت اليه ومما يشهد لك بذلك من الشعر قوله فكيف وكل ليس يعدو حمامه
ولا للمرء عما قضى الله مزحل المعنى على نفي ان يعدو واحد من الناس حمامه بلا
شبهة ولو قلت فكيف وليس يعدو كل حمامه فاخرت كلا لافسدت المعنى و
صرت كانك تقول ان من الناس من يسلم من الحمام ويبقى خالدا لا يموت ومثله
قول دعبل فوالله ما ادري بأي سهامها رمتني وكل عندنا ليس بالمكدي ابا لجيد

ابالجيد ام مجرى الوشاح وانني لاتهم عينيها من الفاتر الجعد المعنى على نفي
ان يكون في سهامها مكدٍ على وجه من الوجوه ومن البين في ذلك ما جاء في حديث ذي
اليدين حين قال للنبي عليه السلام أقصرت الصلاة ام نسيت يا رسول الله فقال
النبي عليه السلام كل ذلك لم يكن فقال ذو اليدين بعض ذلك قد كان المعنى لا محالة على
نفي الامرين جميعا وعلى ان النبي عليه السلام اراد انه لم يكن واحد منهما لا القصر ولا
النسيان ولو قيل لم يكن كل ذلك لكان المعنى انه قد كان بعضه واعلم انه لما كان
المعنى مع اعمال الفعل المنفي في كل نحو لم يأتني القوم كلهم ولم ار القوم كلهم على ان
الفعل قد كان من البعض ووقع على البعض قلت لم يأتني القوم كلهم ولكن اتاني بعضهم
ولم ار القوم كلهم ولكن رأيت بعضهم فاثبت بعد ما نفيت ولا يكون ذلك مع رفع كل
بالابتداء فلو قلت كلهم لم يأتني ولكن اتاني بعضهم وكل ذلك لم يكن ولكن كان بعض ذلك
لم يجز لانه يؤدي الى التناقض وهو ان تقول لم يأتني واحد منهم ولكن اتاني بعضهم واعلم
انه ليس التأثير لما ذكرنا من اعمال الفعل وترك اعماله على الحقيقة وانما التأثير لامر آخر وهو
دخول كل في حيز النفي وان لا يدخل فيه وانما علقنا الحكم في البيت وسائر ما مضى
باعمال الفعل وترك اعماله من حيث كان اعماله فيه يقتضي دخوله في حيز النفي
وترك اعماله يوجب خروجه منه من حيث كان الحرف النافي في البيت حرفا لا ينفصل
عن الفعل وهو لم لا ان كونه معمولا للفعل وغير معمول يقتضي ما رأيت من الفرق
الا ترى انك لو جئت بحرف نفي يتصور انفصاله عن الفعل لرأيت المعنى في كل
مع ترك اعمال الفعل مثله مع اعماله ومثال ذلك قوله ما كل ما يتمنى المرء يدركه
وقول الآخر ما كل رأي الفتى يدعو الى رشد كل كان غير معمل فيه الفعل

ومرفوع اما بالابتدا واما بانه اسم ما ثم ان المعنى مع ذلك على ما يكون عليه اذا اعملت فيه الفعل
فقلت ما يدرك المرء كل ما يتمناه وما يدعو الى راى الفتى الى رشد وذلك لان التاثير لوقوعه
في حيز النفي وذلك حاصل في الحالين ولو قدمت كلا من هذا فقلت كل ما يتمنى المرء لا
يدركه وكل راى الفتى لا يدعوه الى رشد لتغير المعنى ولصار بمنزلة ان يقال ان المرء لا يدرك
شيا مما يتمناه ولا يكون في راى الفتى ما يدعو الى رشد بوجه من الوجوه واعلم انك اذا
ادخلت كلا في حيز النفي وذلك بان يقدم النفي عليه لفظا او تقديرا فالمعنى على نفي الشمول
دون نفي الفعل والوصف نفسه واذا اخرجت كلا من حيز النفي ولم يدخله فيه لا لفظا
ولا تقديرا كان المعنى على انك تتبعت الجملة فنفيت الفعل والوصف عنها واحدا واحدا
والعلة في ان كان ذلك كذلك انك اذا بدات بكل كنت قد بنيت النفي عليه وسلطت الكلية
على النفي واعملتها فيه واعمال معنى الكلية في النفي يقتضي ان لا يشذ شيء عن النفي فاعرفه
واعلم ان من شان الوجوه والفروق ان لا تزال تحدث بسببها وعلى حسب الاغراض و
المعاني التي تقع فيها دقائق وخفايا لا الى حد ونهاية وانها خفايا تكتم انفسها جهدها
حتى لا تتنبه لاكثرها ولا تعلم انها هي وحتى لا تزال ترى العالم يعرض له السهو فيه وحتى انه
ليقصد الى الصواب فيقع في اثنا كلامه ما يوهم الخطا كل ذلك لشدة الخفا وفرط الغموض

فصل واعلم انه اذا كان بينا في الشيء انه لا يحتمل الا الوجه الذي هو عليه حتى لا
يشكل وحتى لا يحتاج في العلم بان ذلك حقه وانه الصواب الى فكر وروية فلا مزية وانما
تكون المزية ويجب الفضل اذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جا عليه وجها اخر
ثم رايت النفس تنبو عن ذلك الوجه الاخر ورايت للذي جا عليه حسنا وقبولا يعدمهما اذا
انت تركته الى الثاني ومثال ذلك قوله تعالى وجعلوا لله شركا الجن ليس بخاف ان لتقديم

الشركا حسنا وروعة وماخذا من القلوب انت لا تجد شيا منه ان انت اخرت فقلت
وجعلوا الجن شركا لله وانك ترى حالك حال من نقل عن الصورة المبهجة والمنظر الرائق
والحسن الباهر الى الشيء الغفل الذي لا تحلى منه بكثير طائل ولا تصير النفس به الى حاصل والسبب
في ان كان ذلك كذلك هو ان للتقديم فائدة شريفة ومعنى جليلا لا سبيل اليه مع التاخير بيانه
انا وان كنا نرى جملة المعنى ومحصوله انهم جعلوا الجن شركا وعبدوهم مع الله وكان هذا المعنى
يحصل مع التاخير حسب حصوله مع التقديم فان تقديم الشركا يفيد هذا المعنى ويفيد معه
معنى اخر وهو انه ما كان ينبغي ان يكون لله شريك لا من الجن ولا من غير الجن واذا اخر فقيل
جعلوا الجن شركا لله لم يفد ذلك ولم يكن فيه شيء اكثر من الاخبار عنهم بانهم عبدوا الجن مع الله فاما
انكار ان يعبد مع الله غيره وان يكون له شريك من الجن وغير الجن فلا يكون في اللفظ مع تاخير
الشركا دليل عليه وذلك ان التقدير مع التقديم ان شركا مفعول اول لجعل ولله في موضع
المفعول الثاني ويكون الجن على كلام ثان وعلى تقدير انه كانه قيل فمن جعلوا شركا لله فقيل
الجن واذا كان التقدير في شركا انه مفعول اول ولله في موضع المفعول الثاني وقع
الانكار على كون شركا لله على الاطلاق من غير اختصاص شيء دون شيء وحصل من ذلك ان
اتخاذ الشريك من غير الجن قد دخل في الانكار دخول اتخاذه من الجن لان الصفة اذا
ذكرت مجردة غير مجراة على شيء كان الذي تعلق بها من النفي عاما في كل ما يجوز ان
يكون له تلك الصفة فاذا قلت ما في الدار كريم كنت نفيت الكينونة في الدار عن كل من
يكون الكرم صفة له وحكم الانكار ابدا حكم النفي واذا اخر فقيل جعلوا الجن شركا
لله كان الجن مفعولا اول والشركا مفعولا ثانيا واذا كان كذلك كان الشركا مخصوصا
غير مطلق من حيث كان محالا ان يجري خبرا عن الجن ثم يكون عاما فيهم وفي غيرهم

وإذا كان كذلك كان محالاً أن يكون القصد بالإنكار إلى الجن خصوصاً أن يكونوا شركاء دون غيرهم
تعالى الله عز وجل عن أن يكون له شريك وشبيه بحال فانظر الآن إلى شرف ما حصل من
المعنى بأن قدّم الشركاء واعتبره فإنه ينبّهك لكثير من الأمور ويدلك على عظم شأن النظم
وتعلم به كيف يكون الإيجاز وما صورته وكيف يزاد في المعنى من غير أن يزاد في اللفظ إذ
قد ترى أن ليس إلا تقديم وتأخير وأنه قد حصل لك بذلك من زيادة المعنى ما إن حاولته
مع تركه لم يحصل لك واحتجت إلى أن تستأنف له كلاماً نحو أن تقول وجعلوا الجن شركاء
لله وما ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا من غيرهم ثم لا يكون له إذا عقل من كلامين من
الشرف والفخامة ومن كرم الموقع في النفس ما تجده له الآن وقد عقل من هذا الكلام
الواحد قوله تعالى ولتجدنهم أحرص الناس على حياة إذا أنت راجعت نفسك وأذكيت
حسّك وجدت لهذا التنكير وأن قيل على حياة ولم يقل على الحياة حسناً وروعة
ولطف موقع لا يقادر قدره وتجدك تعدم ذلك مع التعريف وتخرج عن الأريحية والأنس
إلى خلافهما والسبب في ذلك أن المعنى على الازدياد من الحياة لا الحياة من أصلها
وذلك أنه لا يحرص إلا الحي فأما العادم للحياة فلا يصح منه الحرص على الحياة
ولا على غيرها وإذا كان كذلك صار كأنه قيل ولتجدنهم أحرص الناس ولو عاشوا ما
عاشوا على أن يزدادوا إلى حياتهم الحياة في ماضي الوقت وراهنه حياة في الذي
يستقبل فكما أنك لا تقول ها هنا أن يزدادوا إلى حياتهم الحياة بالتعريف وإنما تقول
حياة إذ كان التعريف يصلح حيث تراد الحياة على الإطلاق كقولنا كل أحد يحب
الحياة ويكره الموت كذلك الحكم في الآية والذي ينبغي أن يراعى أن المعنى الذي يوصف
الإنسان بالحرص عليه إذا كان موجوداً حال وصفك له بالحرص عليه لم يتصور أن يجعل

حريصاً عليه من أصله كيف ولا يحرص على الراهن ولا الماضي وإنما يكون الحرص على
ما لم يوجد بعد وشبيه بتنكير الحياة في هذه الآية تنكيرها في قوله جل وعز ولكم في القصاص
حياة وذلك أن السبب في حسن التنكير وأن لم يحسن التعريف أن ليس المعنى على الحياة
نفسها ولكن على أنه لما كان الإنسان إذا علم أنه إذا قَتل قُتل ارتدع بذلك عن القتل فسلم
صاحبه صارت حياة هذا المهموم بقتله في مستأنف الوقت مستفادة بالقصاص
وصار كأنه قد حيي في باقي عمره به وإذا كان المعنى على حياته في بعض أوقاته وجب
التنكير وامتنع التعريف من حيث كان التعريف يقتضي أن تكون الحياة قد كانت
بالقصاص من أصلها وأن يكون القصاص قد كان سبباً في كونها في كافة الأوقات و
ذلك خلاف المعنى وغير ما هو المقصود ويبيّن ذلك أنك تقول لك في هذا غنى فتنكر
إذا أردت أن تجعل ذلك من بعض ما يستغنى به فإن قلت لك فيه الغنى كان الظاهر
أنك جعلت كل غناه به وأمر آخر وهو أنه لا يكون ارتداع حتى يكون همّ وإرادة
وليس بواجب أن لا يكون إنسان في الدنيا إلا وله عدو يهمّ بقتله ثم يردعه خوف القصاص
وإذا لم يجب ذلك فمن لم يهمّ إنسان بقتله وكفي ذلك الهمّ بخوف القصاص فليس هو
ممن حيي بالقصاص وإذا دخل الخصوص فقد وجب أن يقال حياة ولا يقال الحياة
كما وجب أن يقال شفاء ولا يقال الشفاء في قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه
شفاء للناس حيث لم يكن شفاء للجميع واعلم أنه لا يتصور أن يكون الذي همّ بالقتل فلم
يقتل خوف القصاص داخلاً في الجملة وأن يكون القصاص أفاده الحياة كما أفاد
المقصود قتله وذلك أن هذه الحياة إنما هي لمن كان يقتل لولا القصاص وذلك محال
في صفة القاصد للقتل فإنه يصح في صفته ما هو كالضد لهذا وهو أن يقال إنه كان لا

يخاف عليه القتل لولا القصاص واذا كان هذا كذلك كان وجها بالتامل وحسن التنكير

فصل واعلم انه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ولا يجد لديه قبولا
حتى يكون من اهل الذوق والمعرفة وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بان لما يومي اليه من
الحسن واللطف اصلا وحتى يختلف الحال عليه عند تامل الكلام فيجد الاريحية تارة
ويعرى منها اخرى وحتى اذا عجبته عجب واذا نبهته لموضع المزية انتبه فاما من كانت
كانت الحالان والوجهان عنده ابدا على سواء وكان لا يتفقد من امر النظم الا الصحة
المطلقة والا اعرابا ظاهرا فما اقل ما يجدي الكلام معه فليكن من هذه صفته عندك
بمنزلة من عدم الاحساس بوزن الشعر والذوق الذي يقيمه به والطبع الذي يميز صحيحه
من مكسوره ومزاحفه من سالمه وما خرج من البحر مما لم يخرج منه في انك لا تتصدى
له ولا تتكلف تعريفه لعلمك انه قد عدم الاداة التي معها يعرف والحاسة التي بها
يجد فليكن قدحك في زند وار والحك في عود انت تطمع منه في نار واعلم ان هؤلاء
وان كانوا هم الآفة العظمى في هذا الباب فان من الآفة ايضا من زعم انه لا سبيل الى معرفة
العلة في قليل ما تعرف المزية فيه وكثيره وان ليس الا ان تعلم ان هذا التقديم او
هذا التنكير او هذا العطف او هذا الفصل حسن وان له موقعا من النفس وحظا
من القبول فاما ان تعلم لم كان كذلك وما السبب فمما لا سبيل اليه ولا مطمع في الاطلاع
عليه فهو بتوانيه والكسل فيه في حكم من قال ذلك واعلم انه ليس اذا لم يمكن معرفة الكل وجب
ترك النظر في الكل وان تعرف العلة والسبب فيما يمكنك معرفة ذلك فيه وان
قل فتجعله شاهدا فيما لم تعرف احرى من ان تسد باب المعرفة على نفسك وتاخذها
عن الفهم والتفهم وتعودها الكسل والهوينا قال الجاحظ وكلام كثير قد جرى

على السنة الناس وله مضرة شديدة وثمرة مرة فمن اضر ذلك قولهم لم يدع الاول للآخر
شيا قال فلو ان علماء كل عصر مذ جرت هذه الكلمة في اسماعهم تركوا الاستنباط
لما لم ينته اليهم عمن قبلهم لرايت العلم مختلا الى ههنا كلام الجاحظ واعلم ان العلم انما
هو معادن فكما انك لا يمنعك ان ترى الوف وقر قد اخرجت من معدن تبر ان تطلب
فيه وان تاخذ ما تجد ولو كقدر تومة كذلك ينبغي ان يكون رايك في طلب العلم ومن الله
نسال التوفيق

فصل هذا فن من المجاز لم نذكره فيما تقدم اعلم ان طريق المجاز
والاتساع في الذي ذكرناه قبل انك ذكرت الكلمة وانت لا تريد معناها ولكن تريد معنى ما هو
ردف له او شبيه له فتجوزت بذلك في ذات الكلمة وفي اللفظ نفسه واذ قد عرفت
ذلك فاعلم ان في الكلام مجازا على غير هذا السبيل وهو ان يكون التجوز في حكم يجري على
الكلمة فقط وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها ويكون معناها مقصودا في نفسه و
مرادا من غير تورية ولا تعريض والمثال فيه قولهم نهارك صائم وليلك قائم ونام ليلي و
تجلى همي وقوله تعالى فما ربحت تجارتهم وقول الفرزدق سقتها خروق في المسامع
لم تكن علاطا ولا مخبوطة في الملاغم انت ترى مجازا في هذا كله ولكن لا في ذوات
الكلم وانفس الالفاظ ولكن اجريت عليها الا ترى انك لم تتجوز في قولك نهارك صائم
وليلك قائم في نفس صائم وقائم ولكن في ان اجريتهما خبرين على النهار والليل وكذلك ليس
المجاز في الآية في لفظة ربحت نفسها ولكن في اسنادها الى التجارة وهكذا الحكم
في قوله سقتها خروق ليس التجوز في نفس سقتها ولكن في ان اسندها الى الخروق
افلا ترى انك لا ترى شيئا منها الا وقد اريد به معناه الذي وضع له على وجهه
وحقيقته فلم يرد بصائم غير الصوم ولا بقائم غير القيام ولا بربحت غير الربح

في احكام

ولا سقت عمر الشقي كما اريد بقوله سالت في قوله وسالت باعناق المطي
الاباطح غير السيل واعلم ان الذي ذكرت لك في المجاز هنا من ان من شأنه ان يفخم
عليه المعنى وتحدث فيه النباهة قائم لك مثله هاهنا فليس يشتبه على عاقل
ان ليس حال المعنى وموقعه في قوله فنام ليلي وتجلى همي كحاله وموقعه اذا
انت تركت المجاز وقلت فنمت في ليلي وتجلى همي كما لم يكن الحال في قولك رايت
اسدا كالحال في رايت رجلا كالاسد ومن ذا الذي يخفى عليه مكان العلو وموضع
المزية وصورة الفرقان بين قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وبين ان يقال فما ربحوا
في تجارتهم وان اردت ان تزداد للامر تبيينا فانظر الى بيت الفرزدق
يحمي اذا اخترط السيوف نساءنا ضرب تطير له السواعد ارعل والى رونقه
ومائه والى ما عليه من الطلاوة ثم ارجع الى الذي هو الحقيقة وقل نحمي اذا
اخترط السيوف نساءنا بضرب تطير له السواعد ارعل ثم اسبر حالك
هل ترى ما كنت تراه شيئا وهذا الضرب من المجاز على حدته كنز من كنوز
البلاغة ومادة الشاعر المفلق والكاتب البليغ في الابداع والاحسان و
الاتساع في طرق البيان وان يجيء بالكلام مطبوعا مصنوعا وان يضعه
بعيد المرام قريبا من الافهام ولا يغرنك من امره انك ترى الرجل يقول اتى
بي الشوق الى لقائك وسار بي الحنين الى رؤيتك واقدمني بلدك حق لي على
انسان واشباه ذلك مما تجده لشعبه وشهرته يجري مجرى الحقيقة التي
لا يشكل امرها فليس هو كذلك ابدا بل يدق ويلطف حتى يمتنع مثله الا
على الشاعر المفلق والكاتب البليغ وحتى ياتيك بالبديعة لم تعرفها

النادرة تأنق لها وجملة الامر ان سبيله سبيل الضرب الاول الذي هو مجاز في نفس
اللفظ وذات الكلمة فكما ان من الاستعارة والتمثيل عاميا مثل رايت اسدا و
وردت بحرا وشاهدت بدرا وسل من رايه سيفا ماضيا وخاصيا لا يكمل
له كل احد مثل قوله وسالت باعناق المطي الاباطح كذلك الامر في هذا المجاز
الحكمي والله اعلم واعلم انه ليس بواجب في هذا ان يكون للفعل فاعل في التقدير
اذا انت نقلت الفعل اليه عدت به الى الحقيقة مثل انك تقول في ربحت تجارتهم
ربحوا في تجارتهم وفي يحمي نساءنا ضرب نحمي نساءنا بضرب فان ذلك لا يتاتى في
كل شيء الا ترى انه لا يمكنك ان تثبت للفعل في قولك اقدمني بلدك حق لي على
انسان فاعلا سوى الحق وكذلك لا تستطيع في قوله وصيرني هواك وبي لحيني
يضرب المثل وقوله يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا ان تزعم ان
لصيرني فاعلا قد نقل عنه الفعل فجعل للهوى كما فعل ذلك في ربحت تجارتهم
ويحمي نساءنا ضرب ولا تستطيع كذلك ان تقدر ليزيد في قوله يزيدك وجهه
فاعلا غير الوجه فالاعتبار اذن بان يكون المعنى الذي يرجع اليه الفعل موجودا
في الكلام على حقيقته معنى ذلك ان القدوم في قولك اقدمني بلدك حق لي على
انسان موجود على الحقيقة وكذلك الصيرورة في قوله وصيرني هواك والزيادة
في قوله يزيدك وجهه موجودتان على الحقيقة واذا كان معنى اللفظ موجودا
على الحقيقة لم يكن المجاز فيه نفسه واذا لم يكن المجاز في نفس اللفظ كان لا محالة
في الحكم فاعرف هذه الجملة واحسن ضبطها حتى تكون على بصيرة من الامر
ومن اللطيف في ذلك قول حاجز بن عوف ابي نعم داج وعجى ما لكم وضع السها

فلو صبا جبتنا لرضيت منا اذا لم يغبق المائة الغلاما يريد اذا كان العام
عام جدب وجفت ضروع الابل وانقطع الدر حتى ان حلب منها مائة
لم يحصل من لبنها ما يكون غبوق غلام واحد فالفعل الذي هو غبق مستعمل
في نفسه على حقيقته غير مخرج عن معناه واصله الى معنى شيء آخر فيكون
قد دخله مجاز في نفسه وانما المجاز في ان اسند الى الابل وجعل فعلا لها و
اسناد الفعل الى الشيء حكم في الفعل وليس هو نفس معنى الفعل فاعرفه و
اعلم ان من سبب اللطف في ذلك انه ليس كل شيء يصلح لان يتعاطى فيه هذا المجاز
الحكمي بسهولة بل تجدك في كثير من الامر وانت تحتاج الى ان تهيئ الشيء
وتصلحه لذلك بشيء تتوخاه في النظم وان اردت مثالا في ذلك فانظر الى
قوله تناس طلاب العامرية اذ نأت باسجح مرقال الضحى قلق الضفر
اذا ما احسته الافاعي تحيزت شواة الافاعي من مثلمة سمر تجوب له
الظلماء عين كانها زجاجة شرب غير ملأى ولا صفر يصف جملا ويريد انه
يهتدي بنور عينه في الظلماء ويمكنه بها ان يخرقها ويمضي فيها ولولاها لكانت
الظلماء كالسد والحاجز الذي لا يجد شيئا يفرجه به ويجعل لنفسه فيه سبيلا
فانت الآن تعلم انه لولا انه قال تجوب له فعلق تجوب بـ له لما صلحت العين لان يسند
تجوب اليها ولكان لا يتبين جهة التجوز في جعل الجوب فعلا للعين كما ينبغي
وكذلك تعلم انه لو قال مثلا تجوب له الظلماء عينه لم يكن له هذا الموقع ولاضطرب
عليه معناه وانقطع السلك من حيث كان يعيبه حينئذ ان يصف العين بما
وصفها به الآن فتامل هذا واعتبره فهذه التهيئة وهذا الاستعداد في هذا

ان صح

له صح

المجاز

فاذا بلغنا آخر الكلام علمنا حينئذ انها كانت فيه حين نطقنا به فسل هذا فن آخر
من العجب وهو ان يكون ههنا صفة موجودة في شيء ثم لا يكون في الامكان ولا يسع في
الجواز ان نعلم وجود تلك الصفة في ذلك الشيء الا من بعد ان يعدم ويكون العلم بها
وبكونها فيه محجوبا عنا حتى يعدم فاذا عدم علمنا حينئذ انها كانت فيه حين كان ثم
انه لا شبهة في ان هذه الفصاحة التي يدعونها للفظ هي مدعاة لمجموع الكلمة دون
آحاد حروفها اذ ليس يبلغ بهم تهافت الراي الى ان يدعوا لكل واحد من حروف
اشتعل فصاحة فيجعلوا الشين على حدته فصيحا وكذلك التاء والعين واللام
واذا كانت الفصاحة مدعاة لمجموع الكلمة لم يتصور حصولها لها الا من بعد ان
تعدم كلها وينقضي امر النطق بها ذاك لانه لا يتصور ان يدخل الحروف بجملتها
في النطق دفعة واحدة حتى تجعل الفصاحة موجودة فيها في حال وجودها
وما بعد هذا الا ان نسال الله تعالى العصمة والتوفيق فقد بلغ الامر في الشناعة الى حد
اذا تنبه العاقل لفكره استحيا من العقل حين يراه قد قال بقول هذا مؤداه
وسلك مسلكا الى هذا مفضاه وما مثل من يزعم ان الفصاحة صفة للفظ من
حيث هو لفظ ونطق لسان ثم يزعم انه يدعيها لمجموع حروفه دون آحادها
الا مثل من يزعم ان ههنا غزلا اذا نسج منه ثوب كان احمر واذا فرق ونظر
اليه خيطا خيطا لم يكن فيه حمرة اصلا ومن طريف امرهم انك ترى كافتهم لا
ينكرون ان اللفظ المستعار اذا كان فصيحا كانت فصاحته تلك من اجل
استعارته ومن اجل لطفها وغرابتها كانا فيها وتراهم مع ذلك لا يشكون في ان
الاستعارة لا تحدث في حروف اللفظ صفة ولا تغير اجراسها عما يكون

عليه اذا لم يكن مستعارا او كان متروكا على حقيقته وان التاثير من الاستعارة انما يكون
في المعنى كيف وهم يعتقدون ان اللفظ اذا استعير لشيء نقل عن معناه الذي وضع
له بالكلية واذا كان الامر كذلك فلولا اهمالهم انفسهم وتركهم النظر لقد كان يكون في هذا
ما يوقظهم من غفلتهم ويكشف الغطاء عن اعينهم **فصل** ومما ينبغي
ان يعلمه الانسان ويجعله منه على ذكر انه لا يتصور ان يتعلق الفكر بمعاني الكلم افرادا
ومجردة من معاني النحو فلا يقوم في وهم ولا يصح في عقل ان يتفكر متفكر في
معنى فعل من غير ان يريد اعماله في اسم ولا ان يتفكر في معنى اسم من غير ان يريد اعمال فعل
فيه وجعله فاعلا له او مفعولا او يريد فيه حكما سوى ذلك من الاحكام
مثل جعله مبتدا او خبرا او صفة او حالا او ما شاكل ذلك وان اردت ان ترى
ذلك عيانا فاعمد الى اي كلام شئت وازل اجزاءه عن مواضعها وضعها
وضعا يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها فقل في قفا نبك من ذكرى
حبيب ومنزل من نبك قفا حبيب ذكرى منزل ثم انظر هل يتعلق منك فكر
بمعنى كلمة منها واعلم اني لست اقول ان الفكر لا يتعلق بمعاني الكلم المفردة اصلا
ولكني اقول انه لا يتعلق بها مجردة من معاني النحو ومنطوقا بها على وجه لا يتاتى
معه تقدير معاني النحو وتوخيها فيها كالذي اريتك والا فانك اذا فكرت في
الفعلين او الاسمين تريد ان تخبر باحدهما عن الشيء ايهما اولى ان تخبر به عنه واشبه
بغرضك مثل ان تنظر ايهما امدح او اذم او فكرت في الشيئين تريد ان تشبه
الشيء باحدهما ايهما اشبه به كنت قد فكرت في معاني انفس الكلم الا ان فكرك
ذلك لم يكن الا من بعد ان توخيت فيها معنى من معاني النحو وهو ان اردت جعل

الاسم الذي فكرت فيه خبرا عن شيء اردت فيه مدحا او ذما او تشبيها او
غير ذلك من الاغراض ولم تجئ الى فعل او اسم ففكرت فيه فردا ومن غير ان
كان لك قصد ان تجعله خبرا او غير خبر فاعرف ذلك وان اردت مثالا فخذ
بيت بشار كان مثار النقع فوق رؤوسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه
وانظر هل يتصور ان يكون بشار قد اخطر معاني هذه الكلم بباله افرادا عارية
عن معاني النحو التي تراها فيها وان يكون قد وقع كان في نفسه من غير ان يكون
قصد ايقاع التشبيه منه على شيء وان يكون فكر في مثار النقع من غير ان يكون
اراد اضافة الاول الى الثاني وفكر في فوق رؤوسنا من غير ان يكون اراد ان
يضيف فوق الى الرؤوس وفي الاسياف من دون ان يكون اراد عطفها بالواو
على مثار وفي الواو من دون ان يكون اراد العطف بها وان يكون كذلك فكر في الليل
من دون ان يكون اراد ان يجعله خبرا لكان وفي تهاوى كواكبه من دون ان يكون
اراد ان يجعل تهاوى فعلا للكواكب ثم يجعل الجملة صفة لليل ليتم الذي اراد
من التشبيه ام لم يخطر هذه الاشياء بباله الا مرادا فيها هذه الاحكام والمعاني
التي تراها فيها وليت شعري كيف يتصور وقوع قصد منك الى معنى كلمة من
دون ان تريد تعليقها بمعنى كلمة اخرى ومعنى القصد الى معاني الكلم ان تعلم
السامع بها شيئا لا يعلمه ومعلوم انك ايها المتكلم لست تقصد ان تعلم السامع
معاني الكلم المفردة التي تكلمه بها فلا تقول خرج زيد لتعلمه معنى خرج في اللغة
ومعنى زيد كيف ومحال ان تكلمه بالفاظ لا يعرف هو معانيها كما تعرف ولهذا
لم يكن الفعل وحده من دون الاسم ولا الاسم وحده من دون اسم اخر او فعل كلاما

تأت

ولكنك لو قلت خرج ولم تأت باسم ولا قدرت فيه ضمير الشيء او قلت زيد ولم تأت
بفعل ولا اسم آخر ولم تضمره في نفسك كان ذلك وصوتاً تصوّته سواء فاعرفه
واعلم ان مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعاً من الذهب او الفضة فيذيب
بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة وذلك انك اذا قلت ضرب زيد عمرا
يوم الجمعة ضربا شديدا تأديبا له فانك تحصل من مجموع هذه الكلم كلها
على مفهوم هو معنى واحد لا عدة معان كما يتوهمه الناس وذلك انك لم تأت
بهذه الكلم لتفيده انفس معانيها وانما جئت بها لتفيده وجوه التعلق التي
بين الفعل الذي هو ضرب وبين ما عمل فيه والاحكام التي هي محصول التعلق
واذا كان الامر كذلك فينبغي لنا ان ننظر في المفعولية من عمرو وكون الجمعة زمانا للضرب
وكون الضرب ضربا شديدا وكون التأديب علة للضرب أيتصور فيها ان تفرد عن
المعنى الاول الذي هو اصل الفائدة وهو اسناد ضرب الى زيد واثبات الضرب
به له حتى تعقل كون عمرو مفعولا به وكون يوم الجمعة مفعولا فيه وكون ضربا شديدا
مصدرا وكون التأديب مفعولا له من غير ان يخطر ببالك كون زيد فاعلا للضرب
واذا نظرنا وجدنا ذلك لا يتصور لان عمرا مفعول لضرب وقع من زيد عليه و
يوم الجمعة زمان لضرب وقع من زيد وضربا شديدا بيان لذلك الضرب
كيف هو وما صفته والتأديب علة له وبيان انه كان الغرض منه واذا كان
ذلك كذلك بان منه وثبت ان المفهوم من مجموع الكلم معنى واحد لا عدة معان
وهو اثباتك زيدا فاعلا ضربا لعمرو في وقت كذا وعلى صفة كذا ولغرض
كذا ولهذا المعنى تقول انه كلام واحد واذ قد عرفت هذا فهو العبرة ابدا

فبيت بشار اذا تأملته وجدته كالحلقة المفرغة التي لا تقبل التقسيم ورأيته قد
صنع في الكلم التي فيه ما يصنعه الصانع حين يأخذ كسرا من الذهب فيذيبها ثم
يصبها في قالب ويخرجها لك سوارا او خلخالا وان انت حاولت قطع بعض
الفاظ البيت عن بعض كنت كمن يكسر الحلقة ويفصم السوار وذلك انه لم يرد ان
يشبه النقع بالليل على حدة والاسياف بالكواكب على حدة ولكنه اراد ان يشبه
النقع والاسياف تجول فيه بالليل في حال ما تنكدر الكواكب وتتهاوى فيه
فالمفهوم من الجميع مفهوم واحد والبيت من اوله الى آخره كلام واحد
فانظر الآن ما تقول في اتحاد هذه الكلم التي هي اجزاء البيت أتقول ان الفاظها
اتحدت فصارت لفظة واحدة ام تقول ان معانيها اتحدت فصارت الالفاظ
من اجل ذلك كأنها لفظة واحدة فان كنت لا تشك ان الاتحاد الذي تراه هو في
المعاني اذ كان من فساد العقل ومن الذهاب في الخبل ان يتوهم متوهم ان الالفاظ
يندمج بعضها في بعض حتى تصير لفظة واحدة فقد اراك ذلك ان لم تكابر عقلك
ان النظم يكون في معاني الكلم دون الفاظها وان نظمها هو توخي معاني النحو
فيها وذلك انه اذا ثبت الاتحاد وثبت انه في المعاني فينبغي ان ننظر الى الذي
اتحدت المعاني في بيت بشار واذا نظرنا لم نجدها اتحدت الا بان جعل
مثار النقع اسم كان وجعل الظرف الذي هو فوق رؤوسنا معمولا لمثار و
معلقا به واشرك الاسياف في كأن بعطفه لها على مثار ثم بان قال ليل تهاوى
كواكبه فاتى بالليل نكرة وجعل جملة قوله تهاوى كواكبه له صفة ثم جعل مجموع
ليل تهاوى كواكبه خبرا لكأن فانظر هل ترى شيئا كان الاتحاد به غير ما عددناه

وهل يعرف له موجبا سواه فلولا الإخلاد إلى الهوينا وترك النظر و
غطاء ألقي على عيون أقوام لكان ينبغي أن يكون في هذا وحده الكفاية وما فوق
الكفاية ونسأل الله تعالى التوفيق واعلم أن الداء الدوي والآفة هو أن الذين لهجوا بالأباطيل
في أمر اللفظ أنهم قوم قد أسلموا أنفسهم إلى التخيل وألقوا مقادتهم إلى الأوهام
حتى عدلت بهم عن الصواب كل معدل ودخلت بهم من فحش الغلط في كل
مدخل وتعسفت بهم في كل مجهل وجعلتهم يرتكبون في نصرة رأيهم الفاسد
القول بكل محال ويقتحمون في كل جهالة حتى إنك لو قلت لهم إنه لا يتأتى للناظم
نظمه إلا بالفكر والروية فإذا جعلتم النظم في الألفاظ لزمكم من ذلك أن تجعلوا
فكر الإنسان إذا هو فكر في نظم الكلام فكرا في الألفاظ التي يريد أن ينطق بها
دون المعاني لم يبالوا أن يرتكبوا ذلك وأن يتعلقوا بما في العادة ومجرى
الجبلة من أن الإنسان يخيل إليه إذا هو فكر أنه كأنه ينطق في نفسه بالألفاظ
التي يفكر في معانيها حتى يرى أنه يسمعها سماعه لها حين يخرجها من فيه و
حين يجري بها اللسان وهذا تجاهل لأن سبيل ذلك سبيل إنسان يتخيل
دائما في الشيء قد رآه وشاهده أنه كأنه يراه وينظر إليه وأن مثاله نصب
عينيه فكما لا يوجب هذا أن يكون رائيا له وأن يكون الشيء موجودا في نفسه
كذلك لا يكون تخيله أنه كأنه ينطق بالألفاظ موجبا أن يكون ناطقا بها وأن تكون
موجودة في نفسه حتى يجعل ذلك سببا إلى جعل الفكر فيها ثم إنا نعمل على أنه
ينطق بالألفاظ في نفسه وأنه يجدها فيها على الحقيقة فمن أين لنا أنه إذا فكر
كان الفكر منه فيها أم ماذا يروم ليت شعري بذلك الفكر ومعلوم أن الفكر

من

من الإنسان يكون في أن يخبر عن شيء بشيء أو يصف شيئا بشيء أو يضيف شيئا إلى
شيء أو يشرك شيئا في حكم شيء أو يخرج شيئا من حكم قد سبق منه لشيء أو يجعل
وجود شيء شرطا في وجود شيء وعلى هذا السبيل وهذا كله فكر في أمور
معقولة زائدة على اللفظ وإذا كان هذا كذلك لم يخل هذا الذي يجعل في الألفاظ
فكرا من أحد أمرين إما أن يخرج هذه المعاني من أن يكون لواضع الكلام فيها
فكر ويجعل الفكر كله في الألفاظ وإما أن يجعل له فكرا في اللفظ مفردا عن الفكر
في هذه المعاني فإن ذهب إلى الأول لم يكلم وإن ذهب إلى الثاني لزمه أن يجوز
وقوع فكر من الأعجمي الذي لا يعرف معاني الألفاظ العربية أصلا في الألفاظ
وذلك مما لا يخفى مكان الشنعة والفضيحة فيه وشبيه بهذا التوهم منهم
أنك قد ترى أحدهم يعتبر حال السامع فإذا رأى المعاني لا تترتب في نفسه
إلا بترتب الألفاظ في سمعه ظن عند ذلك أن المعاني تبع للألفاظ وأن الترتب
فيها مكتسب من الألفاظ ومن ترتبها في نطق المتكلم وهذا ظن فاسد ممن
يظنه فإن الاعتبار ينبغي أن يكون بحال الواضع للكلام والمؤلف له والواجب
أن ينظر إلى حال المعاني معه لا مع السامع وإذا نظرنا علمنا ضرورة أنه محال
أن يكون الترتب فيها تبعا لترتب الألفاظ ومكتسبا عنه لأن ذلك يقتضي أن
تكون الألفاظ سابقة للمعاني وأن تقع في نفس الإنسان أولا ثم تقع المعاني من
بعدها تالية لها بالعكس مما يعلمه كل عاقل إذا هو لم يؤخذ عن نفسه ولم
يضرب حجاب بينه وبين عقله وليت شعري هل كانت الألفاظ إلا من
أجل المعاني وهل هي إلا خدم لها ومصرفة على حكمها أوليست هي

سمات لها واوضاعًا قد وضعت لتدل عليها فكيف يتصور ان يسبق المعاني
وان تتقدمها في تصور النفس ان جاز ذلك جاز ان يكون اسامي قد وضعت
قبل ان عرفت الاشيا وقبل ان كانت وما ادري ما اقول في شي تجرّ الذاهب
اليه الى اشباه هذا من فنون المحال وردي الاقوال وهذا سوال لهم من جنس
اخر في النظم قالوا لو كان النظم يكون في معاني النحو لكان البدوي الذي لم يسمع
بالنحو قط ولم يعرف المبتدا والخبر وشيا مما يذكرونه لا يتاتى له نظم كلام وانا
لنراه ياتي في كلامه بنظم لا يحسنه المتقدم في علم النحو قيل هذه شبهة
من جنس ما عرض للذين عابوا المتكلمين فقالوا انا نعلم ان الصحابة رضي الله عنهم
والعلما في الصدر الاول لم يكونوا يعرفون الجوهر والعرض وصفة النفس
وصفة المعنى وسائر العبارات التي وضعتموها فان كان لا تتم الدلالة على حدث
العالم والعلم بوحدانية الله تعالى الا بمعرفة هذه الاشيا التي ابتداتموها
فينبغي لكم ان تدعوا انكم قد علمتم في ذلك ما لم يعلموه وان منزلتكم في العلم اعلى
من منازلهم وجوابنا هو مثل جواب المتكلمين وهو ان الاعتبار بمعرفة
مدلول العبارات لا بمعرفة العبارات فاذا عرف البدوي الفرق بين ان يقول
جاني زيد راكبا وبين قوله جاني زيد الراكب لم يضره ان لا يعرف انه اذا قال
راكبا كان عبارة النحويين فيه ان يقولوا في راكب انه حال واذا قال الراكب
انه صفة جارية على زيد واذا عرف في قوله زيد منطلق ان زيدا المخبر عنه
ومنطلق خبر لم يضره ان لا يعلم انا نسمي زيدا مبتدا واذا عرف في قولنا
ضربته تاديبا له ان المعنى في التاديب انه غرضه من الضرب وانه ضربه

ليتادب لم يضره ان لا يعلم انا نسمي التاديب مفعولا له ولو كان عدم العلم بهذه
العبارات يمنعه العلم بما وضعناها له واردناه بها لكان ينبغي ان لا يكون له سبيل
الى بيان اغراضه وان لا يفصل فيما يتكلم به بين نفي واثبات وبين ما اذا كان استفهاما
وبينه اذا كان بمعنى الذي واذا كان بمعنى المجازاة لانه لم يسمع عباراتنا في الفرق
بين هذه المعاني اترى الاعرابي حين سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدًا رسولَ الله
بالنصب فانكر وقال صنع ماذا انكر عن غير علم ان النصب يخرجه عن ان
يكون خبرا ويجعله والاول في حكم اسم واحد وانه اذا صار والاول في حكم
اسم واحد احتيج الى اسم آخر او فعل حتى يكون كلاما وحتى يكون قد ذكر ماله
فائدة ان كان لم يعلم ذلك فلماذا قال صنع ماذا فطلب ما يجعله خبرا
ويكفيك انه يلزم على ما قالوه ان يكون امرؤ القيس حين قال قفا نبك من ذكرى
حبيب ومنزل قاله وهو لا يعلم ما نعنيه بقولنا ان قفا امر ونبك جواب الامر
وذكرى مضاف الى حبيب ومنزل معطوف على الحبيب وان يكون هذه
الالفاظ قد رتبت له من غير قصد منه الى هذه المعاني وذلك يوجب ان يكون
قد قال نبك بالجزم من غير ان يكون عرف معنى يوجب الجزم واتى به مؤخرا عن
قفا من غير ان عرف لتاخيره موجبا سوى طلب الوزن ومن افضت به
الحال الى امثال هذه الشناعات ثم لم يرتدع ولم يتبين انه على خطا فليس
الا تركه والاعراض عنه ولولا انا نحب ان لا يبقى لاحد في معنى السوال والاعتراض
بحرف الا ادّيناه الذي اشتهوه لكان ترك التشاغل بايراد هذا وشبهه اولى
ذاك لانا قد علمنا علم ضرورة انا لو بقينا الدهر الاطول نصعّد ونصوّب

ونبحث وننقب بتتبع كلمة قد اتصلت بصاحبة لها ولفظة قد انتظمت مع اختها
من غير ان نتوخى فيما بينهما معنى من معاني النحو طلبنا ممتنعا وثنينا مطايا الفكر ظلعا فان
كان ههنا من يشك في ذلك ويزعم انه قد علم لاتصال الكلم بعضها ببعض وانتظام
الالفاظ بعضها مع بعض معاني غير معاني النحو فانا نسوله ان يبين لنا تلك المعاني
وابانا مكانها واهدنا لها فلعله يجد ذلك او يثبت علما قد حجب عنا وفتح لكل باب قد اغلق دوننا و
ذاك له اذا العنقاء صارت مربية وشب ابن الخصي فصل وقد اردت ان اجيد
العوام من سبب هو اصل الفساد ومعظم الافة والذي صار حجازا بين القوم وبين التامل واخذ بهم
عن طريق النظر وحال بينهم وبين ان يصغوا الى ما يقال لهم وان يفتحوا للذي تنسق اعينهم
ذلك قولهم ان العقلاء قد اتفقوا على انه يصح ان يعبر عن المعنى الواحد بلفظين ثم يكون احدهما فصيحا
والاخر غير فصيح وذلك قالوا يقتضي ان يكون للفظ نصيب في المزية لانها لو كانت مقصورة
على المعنى لكان محالا ان يجعل لاحد اللفظين فضل على الاخر مع ان المعبر عنه واحد و
هذا شيء تراهم يعجبون به ويكثرون ترداده مع انهم يوكدونه فيقولون لولا ان الامر كذلك
لكان ينبغي ان لا يكون للبيت من الشعر فضل على تفسير المفسر له لانه ان كان اللفظ انما
يشرف من اجل معناه فان لفظ المفسر ياتي على المعنى ويوديه لا محالة اذ لو كان لا يوديه
لكان لا يكون تفسيرا له ثم يقولون واذا لزم ذلك في تفسير البيت من الشعر لزم مثله في الاية
من القران وهم اذا انتهوا في الحجاج الى هذا الموضع ظنوا انهم قد اتوا بما لا يجوز ان يسمع
عليه كلام وانه نقض ليس بعده ابرام وربما اخرجهم الاعجاب به الى الضحك والتعجب
ممن يرى ان الى الكلام عليه سبيلا وانه يستطيع ان يقيم على بطلان ما قالوه دليلا
والجواب وبالله التوفيق ان يقال لهم خبرونا عن قولكم انه يصح ان يعبر عن المعنى الواحد

بلفظين يحتمل امرين احدهما ان يريد باللفظين كلمتين معناهما واحد في اللغة مثل الليث
والاسد ومثل شحط وبعد واشباه ذلك مما وضع اللفظان فيه لمعنى والثاني ان يريد كلامين
فان اردت الاول خرجت من المسئلة لان كلامنا نحن في فصاحة تحدث بعد التاليف دون
الفصاحة التي توصف بها اللفظة مفردة ومن غير ان يعتبر حالها مع غيرها وان اردت
الثاني ولابد لكم من ان تريدوه فان ههنا اصلا من عرفه عرف سقوط هذا الاعتراض وهو
ان يعلم ان سبيل المعاني سبيل اشكال الحلي كالخاتم والشنف والسوار فكما ان من شان
هذه الاشكال ان يكون الواحد منها غفلا ساذجا لم يعمل صانعه فيه شيئا اكثر من ان
اتى بما يقع عليه اسم الخاتم ان كان خاتما والشنف ان كان شنفا وان يكون مصنوعا
بديعا قد اغرب صانعه فيه كذلك سبيل المعاني ان ترى الواحد منها غفلا ساذجا
عاميا موجودا في كلام الناس كلهم ثم تراه نفسه وقد عمد اليه البصير بشان البلاغة
واحداث الصور في المعاني فيصنع فيه ما يصنع الصنع الحاذق حتى يغرب
في الصنعة ويدق في العمل ويبدع في الصياغة وشواهد ذلك حاضرة لك
كيف شئت وامثلته نصب عينك من اين نظرت تنظر الى قول الناس الطبع لا يتغير
ولست تستطيع ان تخرج الانسان عما جبل عليه فترى معنى غفلا عاميا معروفا
في كل جيل وامة ثم تنظر اليه في قول المتنبي يراد من القلب نسيانكم وتابى الطباع
على الناقل فتجده قد خرج في احسن صورة وتراه قد تحول جوهرة بعد ان كان
خرزة وصار اعجب شيء بعد ان لم يكن شيئا واذ قد عرفت ذلك فان العقلاء الى
هذا قصدوا حين قالوا انه يصح ان يعبر عن المعنى الواحد بلفظين ثم يكون احدهما
فصيحا والاخر غير فصيح كانهم قالوا انه يصح ان تكون ههنا عبارتان اصل المعنى فيهما

واحد ثم يكون لاحدهما في تحسين ذلك المعنى وتزيينه واحداث خصوصية فيه ما لا يكون
للآخر واعلم ان المخالف لهم لم ينكر ان يكون للمعنى في احدى العبارتين حسن ومزية لا
يكون له في الاخرى وان يحدث فيه على الجملة صورة لم يكن تعرف ذلك وان انكر لم يكلم لانه
يؤديه الى ان لا يجعل للمعنى في قوله وباتى الطباع على الناقل مزية على الذي يعقل من قولهم
الطبع لا يتغير ولا تستطيع ان تخرج الانسان عما جبل عليه وان لا يرى لقول ابي نواس وليس
لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد مزية على ان يقال غير بديع في قدرة الله تعالى ان يجمع
فضائل الخلق كلهم في رجل واحد ومن اداه قوله الى مثل هذا كان الكلام معه محالا
وكنت اذا كلفته ان يعرف كمن يكلف ان يميز بحور الشعر بعضها من بعض فيعرف المديد
من الطويل والبسيط من السريع من ليس له ذوق يقيم به الشعر من اصله وان اعترف بان ذلك
يكون قلنا له اخبرنا عنك اتقول في قوله وباتى الطباع على الناقل انه غاية في الفصاحة
فاذا قال نعم قيل له او كان ذلك عندك من اجل حروفه ام من اجل حسن ومزية حصلا
في المعنى فان قال من اجل حروفه دخل في الهذيان وان قال من اجل حسن ومزية حصلا في
المعنى قيل له فذاك ما اردناك عليه حين قلنا ان اللفظ يكون فصيحا من اجل مزية تقع في
معناه لا من اجل جرسه وصداه واعلم انه ليس شيء ابين واوضح واحرى ان يكشف الشبهة
عن متاملها في صحة ما قلناه من التشبيه فانك تقول زيد كالاسد او مثل الاسد او شبيه
بالاسد فتجد ذلك كله تشبيها غفلا ساذجا ثم تقول كان زيدا الاسد فيكون تشبيها
ايضا الا انك ترى بينه وبين الاول بونا بعيدا لانك ترى له صورة خاصة وتجدك قد
فخمت المعنى وزدت فيه بان افدت انه من الشجاعة وشدة البطش وان قلبه قلب
لا يخامره الذعر ولا يدخله الروع بحيث يتوهم انه الاسد بعينه ثم تقول لئن لقيته

ليلقينك منه الاسد فتجده قد افاد هذه المبالغة لكن في صورة احسن وصفة اخص
وذلك انك تجعله في كان يتوهم انه الاسد وتجعله هاهنا يرى منه الاسد على القطع
فتخرج الامر عن حد التوهم الى حد التيقن ثم ان نظرت الى قوله ان ارعشت كفا
ابيك واصبحت يداك يدي ليث فانك غالبه وجدته قد بدا لك في صورة آنق و
احسن ثم ان نظرت الى قول ارطاة بن سهية ان تلقني لا ترى غيري بناظرة
تنس السلاح وتعرف جبهة الاسد وجدته قد فضل الجميع ورايته قد اخرج في
صورة غير تلك الصور كلها واعلم ان من الباطل المحال ما يعلم الانسان بطلانه واستحالته
بالرجوع الى النفس حتى لا يشك ثم انه اذا اراد بيان ما يجد في نفسه والدلالة عليه
رأى المسلك اليه يغمض ويدق وهذه الشبهة اعني قولهم انه لو كان يجوز ان يكون الامر
على خلاف ما قالوه من ان الفصاحة وصف للفظ من حيث هو لفظ لكان ينبغي
ان لا يكون للبيت من الشعر فضل على تفسير المفسر الى آخره من ذاك وقد علقت ذلك
بالنفوس وقويت فيها حتى انك لا تلقى الا احدا من المتعلقين بامر اللفظ كلمه ما يجز
غير الانكار هذا او كلامه والتعجب وقال ان المفسر بان للمفسر ولا يجوز ان يبقى من
معنى المفسر شيء لا يكون الى العلم به سبيل واذا كان الامر كذلك ثبت ان الصحيح ما قلناه
من انه لا يجوز ان يكون للفظ المفسر فضل من حيث المعنى على لفظ التفسير واذا
لم يجز ان يكون الفضل من حيث المعنى لم يبق الا ان يكون من حيث اللفظ نفسه فهذا
جملة ما يمكنهم ان يقولوه في نصرة هذه الشبهة قد استقصيته لك واذ قد عرفته
فاسمع الجواب والله تعالى الموفق للصواب اعلم ان قولهم ان التفسير يجب
ان يكون كالمفسر دعوى لا تصح لهم الا من بعد ان ينكروا الذي بيناه من ان من شان المعاني

[illegible]

ان يختلف بها الصور ويدفعوه اصلا وحتى يدعوا انه لا فرق بين الكناية والتصريح
وان حال المعنى مع الاستعارة كحاله مع ترك الاستعارة وحتى يبطلوا ما اطبق عليه
العقلاء من ان المجاز يكون ابدا ابلغ من الحقيقة فيزعموا ان قولنا طويل النجاد وطويل
القامة واحد وان حال المعنى في بيت ابي هريرة ولا ابتاع الا قريبة الاجل كحاله في قولك
انا مضياف وانك اذا قلت رايت اسدا لم يكن الامر اقوى من ان يقول رايت رجلا
هو من الشجاعة بحيث لا ينقص عن الاسد ولم يكن ازددت في المعنى بان ادعيت له انه
اسد بالحقيقة ولا بالغت فيه وحتى يزعموا انه لا فضل ولا مزية لقولهم القيت حبله
على غاربه على قولك هو يفسره خليته وما يريد وتركته يفعل ما يشا وحتى لا يجعلوا
للمعنى في قولهم واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم مزية على ان يقال اشتدت محبتهم
للعجل وغلبت على قلوبهم وان يكون صورة المعنى في قوله عز وجل واشتعل الراس
شيبا صورته في قول من يقول وشاب راسي كله وحتى لا يروا فرقا بين قوله تعالى
فما ربحت تجارتهم وبين فما ربحوا في تجارتهم وحتى يرتكبوا جميع ما اريناك الشناعة
فيه من ان لا يكون فرق بين قول المتنبي وتابى الطباع على الناقل وبين قولهم انك لا تقدر
ان تغير طباع الانسان ويجعلوا حال المعنى في قول ابي نواس وليس لله بمستنكر ان يجمع
العالم في واحد كحاله في قولنا انه ليس ببديع في قدرة الله تعالى ان يجمع فضائل الخلق
كلهم في واحد ويرتكبوا ذلك في الكلام كله حتى يزعموا انا اذا قلنا في قوله تعالى ولكم
في القصاص حيوة ان المعنى فيها انه لما كان الانسان اذا هم بقتل اخر لشيء غاظه
منه فذكر انه ان قتله قتل ارتدع فصار المهموم بقتله كانه قد استفاد حيوة فيما
يستقبل بالقصاص كنا قد ادينا المعنى في تفسيرنا هذا على صورته التي هو عليها

في الاية حتى لا يعرف فضلا وحتى يكون حال الاية والتفسير حال اللفظين احدهما
غريب والاخر مشهور فيفسر الغريب بالمشهور مثل ان يقول في الشرجب انه
الطويل وفي القط انه الكتاب وفي الدسر انها المسامير ومن صار الامر به الى هذا
كان الكلام معه محالا واعلم انه ليس عجب اعجب من حال من يرى كلاما يبين اجزا احدهما
مخالفة في معانيها لاجزا الاخر ثم يرى انه يسع في العقل ان يكون معنى احد الكلامين
مثل معنى الاخر سوا حتى يتعدى فيقول انه لو كان يكون الكلام فصيحا من اجل مزية
يكون في معناه لكان ينبغي ان يوجد تلك المزية في تفسيره ومثله في العجب انه ينظر الى
قوله تعالى فما ربحت تجارتهم فيرى اعراب الاسم الذي هو التجارة قد تغير فصار مرفوعا
بعد ان كان مجرورا ويرى انه قد حذف من اللفظ بعض ما كان فيه وهو الواو في ربحوا
وفي في قولنا في تجارتهم ثم لا يعلم ان ذلك يقتضي ان يكون المعنى قد تغير كما تغير واعلم انه
ليس للحجج والدلايل في صحة ما نحن فيه حد ونهاية وكلما انتهى منه باب انفتح فيه باب
اخر وقد اردت ان اخذ في نوع اخر من الحجاج ومن البسط والشرح فتامل ما اكتبه
لك اعلم ان الكلام الفصيح ينقسم قسمين قسم تعزى المزية والحسن فيه الى اللفظ وقسم
يعزى ذلك فيه الى النظم فالقسم الاول الكناية والاستعارة والتمثيل الكاين على حد
الاستعارة وكل ما كان فيه على الجملة مجاز واتساع وعدول باللفظ عن الظاهر فما
من ضرب من هذه الضروب الا وهو اذا وقع على الصواب وعلى ما ينبغي اوجب
الفضل والمزية فاذا قلت هو كثير رماد القدر كان له موقع وحظ من القبول لا يكون
اذا قلت هو كثير القرى والضيافة وكذا اذا قلت هو طويل النجاد كان له تاثير في
النفس لا يكون اذا قلت هو طويل القامة وكذلك اذا قلت رايت اسدا كان له مزية

لا يكون اذا قلت رايت رجلا يشبه الاسد ويساويه في الشجاعة وكذلك اذا قلت
اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى كان له موقع لا يكون اذا قلت اراك تتردد في
الذي دعوتك اليه كمن يقول اخرج ولا اخرج فيقدم رجلا ويؤخر اخرى وكذلك اذا
قلت القى حبله على غاربه كان له مأخذ من القلب لا يكون اذا قلت هو كالبعير
الذي يلقى حبله على غاربه حتى يرعى كيف يشاء ويذهب حيث يريد لا يجهل المزية فيه الا
عديم الحس ميت النفس والا من لا يكلم لانه من مبادي المعرفة التي من عدمها لم يكن
للكلام معه معنى واذ قد عرفت هذه الجملة فينبغي ان ينظر الى هذه المعاني واحدا
واحدا ويعرف محصولها وحقائقها وان ينظر اولا الى الكناية واذا نظرت اليها
وجدت حقيقتها ومحصول امرها انها اثبات لمعنى انت تعرف ذلك المعنى من
طريق المعقول دون طريق اللفظ الا ترى انك لما نظرت الى قولهم هو كثير رماد القدر
وعرفت منه انهم ارادوا انه كثير القرى والضيافة لم تعرف ذلك من اللفظ ولكنك
عرفته بان رجعت الى نفسك فقلت انه كلام قد جاء عنهم في المدح ولا معنى للمدح
بكثرة الرماد فليس الا انهم ارادوا ان يدلوا بكثرة الرماد على انه تنصب له القدور
الكثيرة ويطبخ فيها للقرى والضيافة وذلك لانه اذا كثر الطبخ في القدور كثر احراق
الحطب تحتها واذا كثر احراق الحطب كثر الرماد لا محالة وهكذا السبيل في كل
ما كان كناية فليس من لفظ الشعر عرفت ان ابن هرمة اراد بقوله ولا ابتاع الا قريبة
الاجل التمدح بانه مضياف ولكنك عرفته بالنظر اللطيف وبان علمت انه لا معنى
للتمدح بظاهر ما يدل عليه اللفظ من قرب اجل ما يشتريه فطلبت له تاويلا
فعلمت انه اراد انه يشتري ما يشتريه للاضياف فاذا اشترى شاة او بعيرا كان

قد اشترى ما قد دنا اجله لانه يذبح وينحر عن قريب واذ قد عرفت هذا في الكناية
فالاستعارة في هذه القضية وذلك ان موضوعها على انك تثبت بها معنى لا يعرف
السامع ذلك المعنى من اللفظ ولكنه يعرفه من معنى اللفظ بيان هذا انك لا تقول رايت
اسدا الا وغرضك ان تثبت للرجل انه مساو للاسد في شجاعته وجرأته وشدة
بطشه واقدامه وفي ان الذعر لا يخامره والخوف لا يعرض له ثم تعلم ان السامع اذا
عقل هذا المعنى لم يعقله من لفظ اسد ولكنه يعقله من معناه وهو انه يعلم انه لا معنى
لجعله اسدا مع العلم بانه رجل الا انك اردت انه بلغ من شدة مشابهته للاسد
ومساواته اياه مبلغا يتوهم معه انه اسد بالحقيقة فاعرف هذه الجملة واحسن
تأملها واعلم انك ترى الناس وكانهم يرون انك اذا قلت رايت اسدا وانت تريد
التشبيه كنت نقلت لفظ اسد عما وضع له في اللغة واستعملته في معنى غير معناه
حتى كان ليس الاستعارة الا ان تعمد الى اسم الشيء فتجعله اسما للشبيه وحتى كان لا فصل
بين الاستعارة وبين تسمية المطر سماء والنبت غيثا والمزادة راوية واشباه ذلك
مما يوقع فيه اسم الشيء على ما هو منه بسبب ويذهبون عما هو مركوز في الطباع من
ان المعنى فيه المبالغة وان يدعى في الرجل انه ليس برجل ولكنه اسد بالحقيقة وانه
انما يعار اللفظ من بعد ان يعار المعنى وانه لا يشرك في اسم الاسد الا من بعد ان
يدخل في جنس الاسد لا ترى احدا يعقل الا ويعرف ذلك اذا رجع الى نفسه ادنى
رجوع ومن اجل ان كان الامر كذلك رايت العقلاء كلهم يثبتون القول بان من شان
الاستعارة ان يكون ابدا ابلغ من الحقيقة والا فان كان ليس ها هنا الا نقل اسم من
شيء الى شيء فمن اين يجب ليت شعري ان يكون الاستعارة ابلغ من الحقيقة ويكون

انا نعلم ح

لقولنا رايت اسدا مزيه على قولنا رايت شبيها بالاسد وقد علمنا انه محال ان يتغير
الشي في نفسه بان ينقل اليه اسم قد وضع لغيره من بعد ان لا يراد من معنى ذلك الاسم
فيه شي بوجه من الوجوه بل يجعل كانه لم يوضع لذلك المعنى الاصلي اصلا وفي اي
عقل يتصور ان يتغير معنى تشبيهه بالاسد بان يوضع لفظ اسد عليه وينقل اليه
واعلم ان العقلا بنوا كلامهم اذا قاسوا وشبهوا على ان الاشيا تستحق الاسامي
لخواص معان هي فيها دون ما عداها فاذا اثبتوا خاصة شي لشي اثبتوا له اسمه
فاذا جعلوا الرجل بحيث لا تنقص شجاعته من شجاعة الاسد ولا يعدم منها شيا
قالوا هو اسد واذا وصفوه بالتناهي في الخير والخصال الشريفة او بالحسن
الذي يبهر قالوا هو ملك واذا وصفوا الشي بغاية الطيب قالوا هو مسك
وكذلك الحكم ابدا ثم انهم اذا استقصوا في ذلك نفوا عن المشبه اسم جنسه فقالوا
ليس هو بانسان وانما هو اسد وليس هو ادميا وانما هو ملك كما قال تعالى ما
هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ثم ان لم يريدوا ان يخرجوه عن جنسه جملة
قالوا هو اسد في صورة انسان وهو ملك في صورة ادمي وقد خرج هذا للمتنبي
في احسن عبارة وذلك في قوله نحن ركب ملجن في زي ناس فوق طير لها
شخوص الجمال ففي هذه الجملة بيان لمن عقل ان ليست الاستعارة نقل اسم
عن شي الى شي ولكنها ادعا معنى الاسم لشي اذ لو كانت نقل اسم وكان قولنا
رايت اسدا بمعنى رايت شبيها بالاسد ولم يكن ادعا انه اسد بالحقيقة لكان
محالا ان يقال ليس هو بانسان ولكنه اسد وان يقال هو اسد في صورة انسان
كما انه محال ان يقال ليس هو بانسان ولكنه شبيه باسد او يقال هو شبيه

باسد في صوره انسان واعلم انه قد كثر في كلام الناس استعمال لفظ النقل في
الاستعارة فمن ذلك قولهم ان الاستعارة تعليق العباره على غير ما وضعت له في
اصل اللغة على سبيل النقل وقال القاضي ابو الحسن الاستعارة ما اكتفي فيه بالاسم
المستعار عن الاصلي ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها ومن شان ما غمض
من المعاني ولطف ان يصعب تصويره على الوجه الذي هو عليه لعامة الناس
فيقع لذلك في العبارات التي يعبر بها عنه ما يوهم الخطا واطلاقهم في الاستعارة
انها نقل للعباره عما وضعت له من ذلك فلا يصح الاخذ به وذلك انك اذا كنت لا
تطلق اسم الاسد على الرجل الا من بعد ان تدخله في جنس الاسد من الجهة التي بينا
لم تكن قد نقلت الاسم عما وضع له بالحقيقة لانك انما تكون ناقلا اذا انت اخرجت
معناه الاصلي من ان يكون مقصودك ونفضت به يدك فاما ان تكون ناقلا له
عن معناه مع اراده معناه فمحال متناقض واعلم ان في الاستعاره ما لا يتصور
تقدير النقل فيه البته وذلك مثل قول لبيد وغداة ريح قد كشفت وقرة
اذ اصبحت بيد الشمال زمامها لا خلاف في ان اليد استعارة ثم انك لا تستطيع
ان تزعم ان لفظ اليد قد نقل عن شي الى شي وذلك انه ليس المعنى على انه شبه
شيا باليد فيمكنك ان تزعم انه نقل لفظ اليد اليه وانما المعنى على انه اراد ان
يثبت للشمال في تصريفها الغداة على طبيعتها شبه الانسان قد اخذ الشي
بيده يقلبه ويصرفه كيف يريد فلما اثبت لها مثل فعل الانسان باليد استعار
لها اليد وكما لا يمكنك تقدير النقل في لفظ اليد كذلك لا يمكنك ان تجعل الاستعارة
فيه من صفة اللفظ الا ترى انه محال ان تقول انه استعار لفظ اليد للشمال

وكذلك سبيل نظائره مما تجدهم قد اثبتوا فيه للشيء عضواً من اعضاء الانسان من اجل
اثباتهم له المعنى الذي يكون في ذلك العضو من الانسان كبيت الحماسة اذا هزّه
في عظم قرنٍ تهلّلت نواجذ افواه المنايا الضواحكِ فانه لما جعل المنايا تضحك
جعل لها الافواه والنواجذ التي يكون الضحك فيها وكبيت المتنبي خميسٌ بشرق
الارض والغرب زحفه وفي اذن الجوزاء منه زمازم لما جعل الجوزاء تسمع
على عادتهم في جعل النجوم تعقل ووصفهم لها بما يوصف به الاناسي اثبت
لها الاذن التي بها يكون السمع من الاناسي فانت الان لا تستطيع ان تزعم في بيت الحماسة
انه استعار لفظ النواجذ ولفظ الافواه لان ذلك يوجب المحال وهو ان يكون
في المنايا شيء قد شبّهه بالنواجذ وشيء قد شبّهه بالافواه فليس الا ان تقول انه لما
ادّعى ان المنايا تسرّ وتستبشر اذا هو هزّ السيف وجعلها لسرورها بذلك
تضحك اراد ان يبالغ في الامر فجعلها في صورة من يضحك حتى تبدو نواجذه من شدّة
السرور وكذلك لا تستطيع ان تزعم ان المتنبي قد استعار لفظ الاذن لانه يوجب
ان يكون في الجوزاء شيء قد اراد تشبيهه بالاذن وذلك من شنيع المحال فقد تبيّن من
غير وجهٍ ان الاستعارة انما هي ادّعاء معنى الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء واذا
ثبت انها ادّعاء معنى الاسم للشيء علمت ان الذي قالوه من انها تعليق للعبارة على
غير ما وضعت له في اللغة ونقل لها عما وضعت له كلام قد تسامحوا فيه لانه
اذا كانت الاستعارة ادعاء معنى الاسم لم يكن الاسم مزالاً عما وضع له بل مقرّاً
عليه واعلم انك تراهم لا يمتنعون اذا تكلموا في الاستعارة من ان يقولوا انه اراد
المبالغة فجعله اسداً بل هم يلجؤون الى القول به وذلك صريح في ان الاصل فيها

المعنى وانه المستعار في الحقيقة وان قولنا استعير له اسم الاسد اشارة الى انه استعير
له معناه وانه جعل اياه وذلك انا لو لم نقل ذلك لم يكن لجعل هاهنا معنى لان جعل
لا يصلح الا حيث يراد اثبات صفة للشيء كقولنا جعلته اميراً وجعلته لصّاً تريد
انك اثبتّ له الامارة ونسبته الى اللصوصية وادّعيتها عليه ورميته بها وحكم
جعل اذا تعدّى الى مفعولين حكم صيّر فكما لا تقول صيّرته اميراً الا على معنى
انك اثبتّ له صفة الامارة كذلك لا تقول جعلته اسداً الا على معنى انك اثبتّ له
معاني الاسد واما ما تجده في بعض كلامهم من ان جعل يكون بمعنى سمّى فمما تسامحوا
فيه ايضاً لان المعنى معلوم وهو مثل ان تجد الرجل يقول انا لا اسمّيه انساناً
وغرضه ان يقول انّي لا اثبت له المعاني التي بها كان الانسان انساناً فاما ان يكون
جعل في معنى سمّى هكذا غفلاً فمما لا يخفى فساده الا ترى انك لا تجد عاقلاً يقول
جعلته زيداً بمعنى سمّيته زيداً ولا يقال للرجل اجعل ابنك زيداً بمعنى سمّه زيداً و
ولد لفلان ابن فجعله عبد الله اي سمّاه عبد الله هذا ما لا يشكّ فيه ذو عقل اذا
نظر واكثر ما يكون منهم هذا التسامح اعني قولهم ان جعل يكون بمعنى سمّى في قوله تعالى
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً فقد ترى في التفسير ان جعل يكون
بمعنى سمّى وعلى ذلك فلا شبهة في ان ليس المعنى على مجرّد التسمية ولكن على الحقيقة
التي وصفتها لك وذاك انهم اثبتوا للملائكة صفة الاناث واعتقدوا وجودها
فيهم وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم ما صدر من الاسم اعني اطلاق اسم البنات
وليس المعنى انهم وضعوا لها لفظ الاناث او لفظ البنات من غير اعتقاد
معنى واثبات صفة هذا محال او لا ترى الى قوله اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون

فلو كانوا لم يزيدوا على اجرآء الاسم على الملائكة ولم يعتقدوا اثبات صفة لما قال تعالى
اشهدوا خلقهم هذا ولو كانوا لم يقصدوا اثبات صفة ولم يكن غير ان وضعوا اسما
لا يريدون به معنى لما استحقوا الا اليسير من الذم ولما كان هذا القول منهم كفرا والتفسير
الصحيح والعبارة المستقيمة ما قاله ابو اسحق الزجاج رحمه الله فانه قال ان الجعل
هاهنا في معنى القول والحكم على الشيء تقول قد جعلت زيدا اعلم الناس اي وصفته
بذلك وحكمت به ونرجع الى الغرض فنقول اذا ثبت ان ليست الاستعارة نقل
الاسم ولكن ادعاء معنى الاسم وكنا اذا عقلنا من قول الرجل رايت اسدا انه اراد به المبالغة
في وصفه بالشجاعة وان يقول انه من قوة القلب ومن فرط البسالة وشدة البطش و
في ان الخوف لا يخامره والذعر لا يعرض له بحيث لا ينقص عن الاسد لم نعقل ذلك من لفظ اسد
ولكن من ادعائه معنى الاسد للذي رآه ثبت بذلك ان الاستعارة كالكناية في انك تعرف المعنى
فيهما من طريق المعقول دون طريق اللفظ واذ قد عرفت ان طريق العلم بالمعنى في الاستعارة
والكناية معا المعقول فاعلم ان حكم التمثيل في ذلك حكمهما بل الامر في التمثيل اظهر وذلك انه
ليس من عاقل يشك اذا نظر في كتاب يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد حين بلغه انه يتلكأ في بيعته
اما بعد فاني اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فاذا اتاك كتابي هذا فاعتمد على ايهما شئت والسلم
يعلم ان المعنى انه يقول له انك في امر البيعة بين امرين تخلط فيه تريد تارة ان تبايع واخرى
ان تمتنع من البيعة واذا اتاك كتابي هذا فاعمل على اي الامرين شئت انه لم يعرف ذلك من
لفظ التقديم والتاخير او من لفظ الرجل ولكن بان علم انه لا معنى لتقديم الرجل وتاخيرها
في رجل يدعى الى البيعة وان المعنى على انه اراد ان يقول ان مثلك في ترددك بين ان تبايع وبين ان
تمتنع مثل رجل قائم ليذهب في امر فجعلت نفسه تريه تارة ان الصواب في ان يذهب

واخرى انه في ان لا يذهب فجعل يقدم رجلا تارة ويؤخر اخرى وهكذا كل كلام كان
ضرب مثل لا يخفى على من له ادنى تمييز ان الاغراض التي تكون للناس في ذلك لا تعرف من الفاظ
ولكن تكون المعاني الحاصلة من مجموع الكلام ادلة على الاغراض والمقاصد ولو كان الذي يكون
غرض المتكلم يعلم من اللفظ ما كان لقولهم ضرب كذا مثلا لكذا معنى فما اللفظ يضرب مثلا
ولكن المعنى فاذا علمنا في قوله صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن انه عليه السلم ضرب
خضراء الدمن مثلا للمراة الحسناء في منبت السوء لم نعلم ذلك من انه صلى الله عليه ضرب
لفظ خضراء الدمن مثلا لها هذا ما لا تظنه من به مس فضلا عن العاقل فقد زال الشك
وارتفع في ان طريق العلم بما يراد اثباته والخبر به في هذه الاجناس الثلاثة التي هي الكناية و
الاستعارة والتمثيل المعقول دون اللفظ من حيث يكون القصد بالاثبات فيها الى
معنى ليس هو معنى اللفظ ولكنه معنى يستدل بمعنى اللفظ عليه ويستنبط منه كنحو ما
ترى من ان القصد في قولهم هو كثير رماد القدر الى كثرة القرى وانت لا تعرف ذلك من
هذا اللفظ الذي تسمعه ولكنك تعرفه بان تستدل عليه بمعناه على ما مضى الشرح فيه
واذ قد عرفت ذلك فينبغي ان يقال لهؤلاء الذين اعترضوا علينا في قولنا ان الفصاحة
وصف يجب للكلام من اجل مزية تكون في معناه وانها لا تكون وصفا له من حيث اللفظ
مجردا عن المعنى واحتجوا بان قالوا انه لو كان اذا وصف بانه فصيح كان ذلك من اجل
مزية تكون في معناه لوجب ان يكون تفسيره فصيحا مثله اخبرونا عما عملتم اترون
ان من شان هذه الاجناس اذا كانت في الكلام ان يكون له بها مزية توجب له الفصاحة
ام لا ترون ذلك فان قالوا لا نرى ذلك لم يكلمونا وان قالوا نرى للكلام اذا كانت فيه
مزية توجب له الفصاحة قيل لهم فاخبرونا عن ذلك

المزية انكون من اللفظ ام من المعنى فان قالوا في اللفظ دخلوا في الجهالة من حيث يلزم
من ذلك ان تكون الكناية والاستعارة والتمثيل اوصافا للفظ لانه لا يتصور ان يكون مزيتها في
اللفظ حتى تكون اوصافا له وذلك محال من حيث يعلم كل عاقل انه لا يكنى باللفظ عن اللفظ
وانه انما يكنى بالمعنى عن المعنى وكذلك يعلم انه لا يستعار اللفظ مجردا عن المعنى ولكن يستعار
المعنى ثم اللفظ يكون تبع المعنى على ما قدمنا الشرح فيه ونعلم كذلك انه محال ان يضرب
المثل باللفظ وان يكون قد ضرب لفظ اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى مثلا للتردد
في امر البيعة وان قالوا هي في المعنى قيل لهم فهو ما اردناكم عليه فدعوا الشك عنكم
وانتبهوا من رقدتكم فانه علم ضرورة قد ادى التقسيم اليه وكل علم كان كذلك فانه يجب
القطع على كل سؤال يسأل فيه بانه خطأ وان السائل ملبوس عليه ثم ان الذي يعرف
به وجه دخول الغلط عليهم في قولهم انه لو كان الكلام يكون فصيحا من اجل مزية تكون في
معناه لوجب ان يكون تفسيره فصيحا مثله هو انك اذا نظرت الى كلامهم هذا وجدتهم
كانهم قالوا انه لو كان الكلام اذا كان فيه كناية او استعارة او تمثيل كان لذلك فصيحا
لوجب ان يكون اذا لم يوجد فيه هذه المعاني فصيحا ايضا ذاك لان تفسير الكناية
ان تتركها وتصرح بالمكنى عنه فتقول ان المعنى في قولهم هو كثير رماد القدر انه كثير
القرى وكذلك الحكم في الاستعارة فان تفسيرها ان تتركها وتصرح بالتشبيه فتقول
في رأيت اسدا ان المعنى رأيت رجلا يساوي الاسد في الشجاعة وكذلك الامر في التمثيل
لان تفسيره ان تذكر المتمثل به فتقول في قوله اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى ان المعنى
انه قال اراك تتردد في امر البيعة فتقول تارة افعل واخرى لا افعل كمن يريد الذهاب
في وجه فتريه نفسه تارة ان الصواب في ان يذهب واخرى انه في ان لا يذهب فهو يقدم

رجلا ويؤخر اخرى وهذا خروج عن المعقول لانه بمنزلة ان يقول الرجل قد نصب لوصف
علة ان كان هذا الوصف يجب لتلك العلة فينبغي ان يجب مع عدمها ثم ان الذي استهواهم
هو انهم نظروا الى تفسير الفاظ اللغة بعضها ببعض فلما راوا اللفظ اذا فسر بلفظ مثل
ان يقال في الشرجب انه الطويل لم يجز ان يكون في المفسر من حيث المعنى مزية لا تكون
في التفسير ظنوا ان سبيل ما نحن فيه ذلك السبيل وذلك غلط منهم لانه انما كان
للمفسر فيما نحن فيه الفضل والمزية على التفسير من حيث كانت الدلالة في المفسر
دلالة معنى على معنى وفي التفسير دلالة لفظ على معنى وكان من المركوز في الطباع
والراسخ في غرائز العقول انه متى اريد الدلالة على معنى فترك ان يصرح به ويذكر
باللفظ الذي هو له في اللغة وعمد الى معنى آخر فاشير به اليه وجعل دليلا
عليه كان للكلام بذلك حسن ومزية لا يكونان اذا لم يصنع ذلك وذكر بلفظه صريحا
ولا يكون هذا الذي ذكرت انه سبب فضل المفسر على التفسير من كون الدلالة
في المفسر دلالة معنى على معنى وفي التفسير دلالة لفظ على معنى حتى يكون للفظ المفسر
معنى معلوم يعرفه السامع وهو غير معنى لفظ التفسير في نفسه وحقيقته
كما ترى من ان الذي هو معنى اللفظ في قولهم هو كثير رماد القدر غير الذي هو معنى
اللفظ في قولهم هو كثير القرى ولو لم يكن كذلك لم يتصور ان يكون هاهنا دلالة معنى على معنى
واذ قد عرفت هذه الجملة فقد حصل لنا منها ان المفسر يكون له دلالتان دلالة
اللفظ على المعنى ودلالة المعنى الذي دل اللفظ عليه على معنى لفظ آخر ولا يكون للتفسير
الا دلالة واحدة وهي دلالة اللفظ وهذا الفرق هو سبب ان كان للمفسر الفضل
والمزية على التفسير ومحال ان يكون هذا قضية التفسير والمفسر في الفاظ اللغة

ذاك لأن معنى المفسَّر يكون أولا مجهولا عند السامع ومحال أن يكون للمجهول دلالة ثم
أن معنى المفسِّر يكون هو معنى المفسَّر بعينه ومحال إذا كان المعنى واحدا أن يكون
للمفسِّر فضل على المفسَّر لأن الفضل كان في مسألتنا بأن دلّ لفظ المفسَّر على معناه ثم
دلّ معناه على معنى آخر وذلك لا يكون مع كون المعنى واحدا ولا يتصور بيان هذا أنه
محال أن يقال إن معنى السرحب الذي هو المفسَّر يكون دليلا على معنى تفسيره
الذي هو الطويل على وزان قولنا إن معنى كثير الرماد العود يدل على معنى تفسيره
الذي هو كثير القرى لأمرين أحدهما أنك لا تفسر الشرحب حتى يكون معناه مجهولا
عند السامع ومحال أن يكون للمجهول دلالة والثاني أن المعنى في تفسيرنا الشرحب
بالطويل أن نُعلم السامع أن معناه هو معنى الطويل بعينه وإذا كان كذلك كان محالا
أن يقال إن معناه يدل على معنى الطويل بل الذي يعقل أن يقال إن معناه هو معنى الطويل
فاعرف ذلك وانظر إلى العجب من الغفلة بالقوم والذي دار في أوهامهم من الأحلام الكاذبة
ولو أنهم تركوا الاستنامة إلى التقليد والأخذ بالهوينا وترك النظر وأشعروا
قلوبهم أن هاهنا كلاما ينبغي أن يصغى إليه لعلموا ولعاد إعجابهم بأنفسهم في سؤالهم
هذا ومن سائر أقوالهم عجبا منها ومن تطويح الظنون بها وإذ قد بان سقوط
ما اعترض به القوم وفحش غلطهم فينبغي أن تعلم أن ليست المزايا التي تجدها
لهذه الأجناس على الكلام المتروك على ظاهره والمبالغة التي تحسها فيها في
أنفس المعاني التي يقصد المتكلم بخبره إليها ولكنها في طريق إثباته لها وتقريره
إياها وأنك إذا سمعتهم يقولون أن من شأن هذه الأجناس أن تكسب المعاني
مزية وفضلا وتوجب لها شرفا ونبلا وأن تفخمها في نفوس السامعين فإنهم

لا يعنون أنفس المعاني التي يقصد المتكلم بخبره إليها كالقرى والشجاعة والتردد في الرأي
وإنما يعنون إثباتها لما تثبت له ويخبر بها عنه فإذا جعلوا للكناية مزية على التصريح
لم يجعلوا تلك المزية في المعنى المكنى عنه ولكن في إثباته للذي ثبت له وذلك أنا نعلم أن المعاني
التي يقصد الخبر بها لا تتغير في أنفسها بأن يكنى عنها بمعان سواها ويترك أن يذكر الألفاظ
التي هي لها في اللغة ومن هذا الذي يشك أن معنى الطول القامة وكثرة القرى لا
يتغيران بأن يكنى عنهما بطول النجاد وكثرة رماد القدر وتقدير التغيير فيهما
يؤدي إلى أن لا تكون الكناية عنهما ولكن عن غيرهما وقد ذكرت هذا في صدر الكتاب وذكرت
أن السبب في أن كان يكون للإثبات إذا كان من طريق الكناية مزية لا تكون إذا كان من طريق
التصريح أنك إذا كنيت عن كثرة القرى بكثرة رماد القدر كنت قد أثبت كثرة القرى
بإثبات شاهدها ودليلها وما هو علم على وجودها وذلك لا محالة يكون أبلغ من
إثباتها بنفسها وذلك لأنه يكون حينئذ سبيلها سبيل الدعوى تكون معها شاهد
وذكرت أن السبب في أن كانت للاستعارة مزية أنها أبلغ من الحقيقة أنك إذا ادعيت للرجل
أنه أسد بالحقيقة كان ذلك أبلغ وأشد في تسويته بالأسد في الشجاعة ذاك لأنه محال أن
يكون من الأسود ثم لا تكون له شجاعة الأسود وكذلك الحكم في التمثيل فإذا قلت أراك تقدم
رجلا وتؤخر أخرى كان أبلغ في إثبات التردد له من أن تقول أنك تقدم رجلا وتؤخر
أخرى واعلم أنه قد يهجس في نفس الإنسان شيء يظن من أجله أنه ينبغي أن يكون الحكم في
المزية التي تحدث بالاستعارة أنها تحدث في المثبت دون الإثبات وذلك أن يقول إذا
نظرنا إلى الاستعارة وجدناها إنما كانت أبلغ من أجل أنها تدل على قوة الشبه وأنه
قد تناهى إلى أن صار المشبه لا يتميز عن المشبه به في المعنى الذي من أجله شبه به وإذا كان

كذلك كان المزية الحادثة بها حادثة في الشبه واذا كانت حادثة في الشبه كانت في المثبت
دون الاثبات والجواب عن ذلك ان يقال ان الاستعارة لعمري تقتضي قوة الشبه وكونه بحيث
لا يتميز المشبه عن المشبه به ولكن ليس ذاك سبب المزية وذلك لانه لو كان ذلك سبب
المزية لكان ينبغي اذا جئت به صريحا فقلت رايت رجلا مساويا للاسد في الشجاعة
وبحيث لولا صورته لظننت انك رايت اسدا وما شاكل ذلك من ضروب المبالغة ان تجد
لكلامك المزية التي تجدها لقولك رايت اسدا وليس يخفى على عاقل ان ذلك لا يكون (كان) فاذ
قد بان ان المزية من اجل ان المساواة تعلم في رايت اسدا من طريق المعنى وفي رايت رجلا
مساويا للاسد من طريق اللفظ فقيل قد علمنا فيما تقدم انه محال ان يتغير حال
المعنى في نفسه بان يكنى عنه بمعنى آخر وانه لا يتصور ان يتغير معنى طول القامة
بان يكنى عنه بطول النجاد ومعنى كثرة القرى بان يكنى عنه بكثرة الرماد وكما ان ذلك لا
يتصور فكذلك لا يتصور ان يتغير معنى مساواة الرجل الاسد في الشجاعة بان يكنى
عن ذلك ويدل عليه بان تجعله اسدا فانت الآن اذا نظرت الى قوله فاسبلت
لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد فرايته قد افادك ان الدمع
كان لا يحرم من شبه اللؤلؤ والعين من شبه النرجس شيئا فلا تحسبن ان سبب الحسن
الذي تراه فيه والاريحية التي تجدها عنده انه افادك ذلك فحسب وذلك انك تستطيع
ان تجيء به صريحا فتقول فاسبلت دمعا كانه اللؤلؤ بعينه من عين كانها النرجس
حقيقة ثم لا ترى من ذلك الحسن شيئا ولكن اعلم ان سبب ان راقك وادخل الاريحية
عليك انه افادك في اثبات شدة الشبه مزية واوجدك فيه خاصة قد غرز في
طبع الانسان ان يرتاح لها ويجد في نفسه هزة عندها وهكذا حكم نظائره كقوله

والاصل في هذا ان المبالغة التي
هي الغرض انما تحصل بايهام
ان الشبه هو الحقيقة وانك
لم تذكر الا [illegible] الا
[illegible] في الحقيقة
[illegible]
[illegible]
[illegible] الى الحقيقة كان
لا [illegible]

يبكي فيذري الدر عن نرجس ويلطم الورد بعناب وقول المتنبي بدت قمرا ومالت
خوط بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا واعلم ان من شان الاستعارة انك كلما
زدت ارادتك التشبيه اخفاء ازدادت الاستعارة حسنا حتى انك تراها اغرب
ما تكون اذا كان الكلام قد الف تاليفا ان اردت ان تفصح فيه بالتشبيه خرجت
الى شيء تعافه النفس ويلفظه السمع ومثال ذلك قول ابن المعتز اثمرت اغصان
راحته لجناة الحسن عنابا الا ترى انك لو حملت نفسك على ان تظهر التشبيه و
تفصح به احتجت الى ان تقول اثمرت اصابع يده التي هي كالاغصان لطالبي الحسن
شبيه العناب من اطرافها المخضوبة وهذا ما لا تخفى غثاثته ومن اجل ذلك كان
موقع العناب في هذا البيت احسن منه في قوله وعضت على العناب بالبرد
وذلك لان اظهار التشبيه فيه لا يقبح هذا القبح المفرط لانك لو قلت وعضت على
اطراف اصابع كالعناب بثغر كالبرد كان شيئا يتكلم بمثله وان كان مرذولا وهذا
موضع لا يتبين سره الا من كان ملتهب الطبع حاد القريحة وفي الاستعارة
علم كثير ولطائف معان ودقائق فروق وسنقول فيها ان شاء الله في موضع
آخر واعلم انا حين اخذنا في الجواب عن قولهم انه لو كان الكلام يكون فصيحا من
اجل مزية تكون في معناه لكان ينبغي ان يكون تفسيره فصيحا مثله قلنا ان الكلام
الفصيح ينقسم قسمين قسم تعزى المزية فيه الى اللفظ وقسم تعزى فيه الى النظم
وقد ذكرنا في القسم الاول من الحجج ما لا يبقى معه لعاقل اذا تاملها شك في بطلان
ما تعلقوا به من انه يلزمنا في قولنا ان الكلام يكون فصيحا من اجل مزية تكون في
معناه ان يكون تفسير الكلام الفصيح فصيحا مثله وانه تهوس منهم وتقحم في

المجالات واما العشر الذي تعزى فيه المزية الى النظم فانهم لم يظنوا ان سوء الفهم الذي اعتروا
به نتيجة لهم فقد كان امرهم اعجب وكان جهلهم من ذلك اغرب وذلك ان النظم كما اعلمناه هو
توخي معاني النحو واحكامه وفروقه ووجوهه والعمل بقوانينه واصوله وليست
معاني النحو معاني الالفاظ فيتصور ان يكون لها تفسير وجملة الامر ان النظم انما هو
من ان الحمد من قوله تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مبتدا ولله خبر ورب
صفة لاسم الله ومضاف الى العالمين والعالمين مضاف اليه والرحمن الرحيم صفتان
كالرب ومالك من قوله مالك يوم الدين صفة ايضا ومضاف الى يوم ويوم مضاف
الى الدين واياك ضمير اسم الله تعالى وهو ضمير يقع موقع الاسم اذا كان الاسم
منصوبا معنى ذلك انك لو ذكرت اسم الله مكانه لقلت الله نعبد ثم ان نعبد هو
المقتضي معنى النصب فيه وكذلك حكم اياك نستعين ثم ان جملة اياك نستعين معطوفة
بالواو على جملة اياك نعبد والصراط مفعول والمستقيم صفة للصراط وصراط
الذين بدل من الصراط المستقيم وانعمت عليهم صلة الذين وغير المغضوب عليهم
صفة الذين ولا الضالين معطوف على المغضوب عليهم فانظر الان هل يتصور في شيء
من هذه المعاني ان يكون معنى اللفظ وهل يكون كون الحمد مبتدا معنى لفظ الحمد
ام يكون كون رب صفة وكونه مضافا الى العالمين معنى لفظ الرب فان قيل
انه ان لم تكن هذه المعاني معاني انفس الالفاظ فانها تعلم على كل حال من ترتيب
الالفاظ ومن الاعراب فبالرفع في الدال من الحمد تعلم انه مبتدا وبالجر في الباء من
رب تعلم انه صفة وبالياء في العالمين تعلم انه مضاف اليه وعلى هذا قياس الكل
قيل ترتيب اللفظ لا يكون لفظا والاعراب وان كان يكون لفظا فانه لا يتصور

ان يكون ها هنا لفظان كلاهما علامة اعراب ثم يكون احدهما تفسيرا للاخر وزيادة
القول في هذا من خطل الراي فانه مما يعلمه العاقل ببديهة النظر ومن لم يتنبه له في
اول ما يسمع لم يكن اهلا لان يكلم ونعود الى راس الحديث فنقول قد بطل الان من
كل وجه وكل طريق ان يكون الفصاحة وصفا للفظ من حيث هو لفظ ونطق
لسان واذا كان هذا صورة الحال وجملة الامر ثم لم نر القوم تفكروا في شيء مما
شرحناه بحال ولا اخطروه لهم ببال بان وظهر انهم اتوا الامر من بابه ولم
يطلبوه من معدنه ولم يسلكوا اليه طريقه وانهم لم يزيدوا على ان اوهموا انفسهم
وهما كاذبا انهم قد ابانوا الوجه الذي به كان القران معجزا والوصف الذي به
بان من كلام المخلوقين من غير ان يكونوا قد قالوا فيه قولا يشفي من شاك غليلا
ويكون على علم لطالبه دليلا والى معرفة ما قصدوا له سبيلا واعلم انه اذا نظر
العاقل الى هذه الادلة فراى ظهورها استبعد ان يكون قد ظن ظان في الفصاحة
انها من صفة اللفظ صريحا ولعمري انه كذلك ينبغي الا انا ننظر الى جدهم
وتشددهم وبتهم الحكم بان المعاني لا تتزايد وانما تتزايد الالفاظ فلئن كانوا قد قالوا
الالفاظ وهم لا يريدونها انفسها وانما يريدون لطائف معاني تفهم منها لقد كان
ينبغي ان يتبعوا ذلك من قولهم ما ينبئ عن غرضهم وان يذكروا انهم عنوا بالالفاظ
ضربا من المعنى وان غرضهم مفهوم خاص هذا وامر النظم في انه ليس شيئا غير
توخي معاني النحو فيما بين الكلم وانك ترتب المعاني اولا في نفسك ثم تحذو على
ترتيبها الالفاظ في نطقك وانا لو فرضنا ان تخلو الالفاظ من المعاني لم يتصور
ان يجب فيها نظم وترتيب في غاية القوة والظهور ثم ترى الذين لهجوا بامر اللفظ

قد ابوا الا ان يجعلوا النظم في الالفاظ ترى الرجل منهم يرى ويعلم ان الانسان لا يستطيع
ان يجيء بالالفاظ مرتبة الا من بعد ان يفكر في المعاني ويرتبها في نفسه على ما اعلمناك
ثم تفتشه فتراه لا يعرف الامر بحقيقته وتراه ينظر الى حال السامع فاذا راى
المعاني لا تقع مرتبة في نفسه الا من بعد ان تقع الالفاظ مرتبة في سمعه نسي حال
نفسه واعتبر حال من يسمع منه وسبب ذلك قصر الهمة وضعف العناية و
ترك النظر والانس بالتقليد وما يغني وضوح الدلالة مع من لا ينظر فيها وان
الصبح ليملأ الافق ثم لا يراه النائم ومن قد اطبق جفنه واعلم انك لا ترى في الدنيا
علما قد جرى الامر فيه بديا واخيرا على ما جرى عليه في علم الفصاحة والبيان
اما البدي فهو انك لا ترى نوعا من انواع العلوم الا واذا تاملت كلام الاولين
الذين علموا الناس وجدت العبارة فيه اكثر من الاشارة والتصريح اغلب
من التلويح والامر في علم الفصاحة بالضد من هذا فانك اذا قرات ما قاله العلماء
فيه وجدت جله او كله رمزا ووحيا وكناية وتعريضا وايماء الى الغرض من وجه
لا يفطن له الا من غلغل الفكر وادق النظر ومن يرجع من طبعه الى المعية
يقوى معها على الغامض ويصل بها الى الخفي حتى كان بسلا حراما ان تتجلى
معانيهم سافرة الاوجه لا نقاب لها وبادية الصفحة لا حجاب دونها وحتى
كان الافصاح بها حراما وذكرها الا على سبيل الكناية والتعريض غير سائغ و
اما الاخير فهو انا لم نر العقلاء قد رضوا من انفسهم في شيء من العلوم ان يحفظوا
كلاما للاولين ويتدارسوه ويكلم به بعضهم بعضا من غير ان يعرفوا له معنى
ويقفوا منه على غرض صحيح ويكون عندهم ان يسالوا عنه بيان له وتفسير

الا علم الفصاحة فانك ترى طبقات من الناس يتداولون فيما بينهم الفاظا للقدماء
وعبارات من غير ان يعرفوا لها معنى اصلا او يستطيعوا ان يسالوا عنها ان يذكروا
لها تفسيرا يصح فمن اقرب ذلك انك تراهم يقولون اذا هم تكلموا في مزية كلام على كلام
ان ذلك يكون بجزالة اللفظ واذا تكلموا في زيادة نظم على نظم ان ذلك يكون
لوقوعه على طريقة مخصوصة وعلى وجه دون وجه ثم لا تجدهم يفسرون الجزالة
بشيء ويقولون في المراد بالطريقة والوجه ما يحلى منه السامع بطائل ويقرؤون في
كتب البلغاء ضروب كلام قد وصفوا اللفظ فيها باوصاف يعلم ضرورة انها لا
ترجع اليه من حيث هو لفظ ونطق لسان وصدى حرف كقولهم لفظ متمكن
غير قلق ولا ناب به موضعه وانه جيد السبك صحيح الطابع وانه ليس
فيه فضل عن معناه وكقولهم ان من حق اللفظ ان يكون طبقا للمعنى لا يزيد عليه
ولا ينقص عنه وكقول بعض من وصف من البلغاء رجلا كانت الفاظه قوالب
لمعانيه هذا اذا مدحوه وقولهم اذا ذموه هو لفظ معقد وانه تعقيده
قد استهلك المعنى واشباه لهذا ثم لا يخطر ببالهم انه لا يجب ان يطلب لما
قالوه معنى ويعلم له فائدة ويجشم فيه فكر وان يعتقد على الجملة اقل ما في الباب
انه كلام لا يصح حمله على ظاهره وان يكون المراد باللفظ فيه نطق اللسان
فالوصف بالتمكن والقلق في اللفظ محال فانما يتمكن الشيء ويقلق اذا
كان شيئا يثبت في مكان والالفاظ حروف لا يوجد منها حرف حتى يعدم
الذي كان قبله وقولهم متمكن وقلق وصف للكلمة باسرها لا حرف حرف
منها ثم انه لو كان يصح في حروف الكلمة ان يكون بها فيه مجموعها لكان ذلك

يسئلوا

فهما يجيء لا ايضاً من حيث لم الشيء انما يتمكن ويقلق في مكانه الذي يوجد فيه و
مكان الحروف انما هو الحلق والفم واللسان والشفتان فلو كان يصح عليها
ان توصف بانها تتمكن وتقلق لكان يكون ذلك التمكن وذلك القلق منها في اماكنها
من الحلق والفم واللسان والشفتين وكذلك قولهم لفظ ليس فيه فضل عن معناه
محال ان يكون المراد به اللفظ لانه ليس هاهنا اسم او فعل او حرف يزيد على معناه
او ينقص عنه كيف وليس بالذرع وضعت الالفاظ وان اعتبرنا المعاني
المستفادة من الجمل فكذلك وذلك انه ليس هاهنا جملة من مبتدا وخبر او فعل
وفاعل يحصل بها الاثبات او النفي اتم او انقص مما يحصل باخرى وانما فضل
اللفظ عن المعنى ان يريد الدلالة بمعنى على معنى فيدخل في اثناء ذلك شيئا لا حاجة
بالمعنى المدلول عليه اليه وكذلك السبيل في السبك والطابع واشباههما
لا يحتمل شيء منها ان يكون المراد به اللفظ من حيث هو لفظ فان اردت
الصدق فانك لا ترى في الدنيا شانا اعجب من شان الناس مع اللفظ و
لا فساداً داءٍ مازج النفوس وخامرها واستحكم فيها وصار كاحد
طبائعها من رايهم في اللفظ فقد بلغ من ملكه لهم وقوته عليهم ان تركهم
وكانهم اذا نوظروا فيه اخذوا عن انفسهم وغيبوا عن عقولهم وحيل
بينهم وبين ان يكون لهم فيما يسمعونه نظر وترى لهم ايراداً عن الاصغاء وصدداً
فلست ترى الا نفوسا قد جعلت ترك النظر دابها ووصلت بالهوينا
اسبابها فهي تغتر بالاضاليل وتتباعد عن التحصيل وتلقي بايديها الى
الشبه وتسرع الى القول المموه ولقد بلغ من قلة نظرهم ان قوما منهم

لما راوا الكتب المصنفة في اللغة قد شاع فيها ان توصف الالفاظ المفردة
بالفصاحة وراوا ابا العباس ثعلبا قد سمى كتابه الفصيح مع انه لم يذكر فيه
الا اللغة والالفاظ المفردة وكان محالا اذا قيل ان الشمَع بفتح الميم افصح من
الشمْع باسكانه ان يكون ذلك من اجل المعنى اذ ليس تفيد الفتحة في الميم شيئا
في الذي سمي به سبقوا الى ظنونهم ان حكم الوصف بالفصاحة اينما كان وفي اي شيء
كان ان لا يكون له مرجع الى المعنى البتة وان يكون وصفا للفظ في نفسه ومن حيث
هو لفظ ونطق لسان ولم يعلموا ان المعنى في وصف الالفاظ المفردة بالفصاحة
انها في اللغة اثبت وفي استعمال الفصحاء اكثر او انها اجرى على مقاييس اللغة
والقوانين التي وضعوها وان الذي هو معنى الفصاحة في اصل اللغة هو الابانة
عن المعنى بدلالة قولهم فصيح واعجم وقولهم افصح الاعجمي وفصح اللحان وافصح
الرجل بكذا اذا صرح به وانه لو كان وصفهم الكلمات المفردة بالفصاحة
من اجل وصف يكون لها من حيث هي الفاظ ونطق لسان لوجب اذا وجد كلمة
يقال انها فصيحة على صفة في اللفظ ان لا توجد كلمة على تلك الصفة الا وجب
لها ان يكون فصيحة وحتى يجب اذا كان نقهت الحديث بالكسر افصح منه بالفتح
ان يكون سبيل كل فعل مثله في الزنة ان يكون الكسر فيه افصح من الفتح ثم ان فيما ذكره
ثعلب كتابه ما هو افصح من اجل انه لم يكن فيه حرف كان مما جعله افصح منه
مثال ذلك ان وقفت افصح من اوقفت افترى انه حدث في الواو والقاف والفاء
بان لم يكن معها الهمزة فضيلة وجب لها ان يكون افصح وكفى براي هذا مؤداه
تهافتا وخطلا وجملة الامر انه لا بد لقولنا الفصاحة من معنى يعرف

فان كان ذلك المعنى وصفًا في الفاظ الكلمات المفردة فسبيل ان يشار لنا اليه ويوضع اليد
عليه ومن ابين ما يدل على قلة نظرهم انه لا شبهة على من نظر في كتاب تذكر فيه الفصاحة
ان الاستعارة عنوان ما يجعل اللفظ فصيحًا وان المجاز جملة والايجاز من معظم ما
يوجب للفظ الفصاحة وانت تراهم يذكرون ذلك ويعتمدونه ثم يذهب عنهم ان ايجابهم
الفصاحة للفظ بهذه المعاني اعتراف بصحة ما ندعوهم اليه من انه يكون فصيحًا
لمعناه اما الاستعارة فانهم ان اغفلوا فيها الذي قلناه من ان المستعار بالحقيقة يكون
معنى اللفظ واللفظ تبع من حيث انا لا نقول رأيت اسدًا ونحن نعني رجلًا الا على
انا ندعي انا رأينا اسدًا بالحقيقة من حيث نجعله لا يتميز عن الاسد في بأسه وبطشه
وجرأة قلبه فانهم على كل حال لا يستطيعون ان يجعلوا الاستعارة وصفًا للفظ
من حيث هو لفظ مع ان اعتقادهم انك اذا قلت رأيت اسدًا كنت نقلت اسم
الاسد الى الرجل او جعلته هكذا غفلًا ساذجًا في معنى شجاع افترى ان لفظ الاسد
لما نقل عن السبع الى الرجل المشبه به احدث هذا النقل في اجراس حروفه ومذاقتها
وصفًا صار بذلك الوصف فصيحًا ان من الاستعارة قبيلًا لا يصح ان يكون المستعار
فيه اللفظ البتة ولا يصح ان يقع الاستعارة فيه الا على المعنى وذلك ما كان مثل اليد في
قول لبيد وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها ذاك انه
ليس ههنا شيء يزعم انه شبهه باليد حتى يكون لفظ اليد مستعارًا له وكذلك ليس
فيه شيء يتوهم ان يكون قد شبهه بالزمام وانما المعنى على انه شبه الشمال في تصريفها
الغداة على طبيعتها بالانسان يكون زمام البعير في يده فهو يصرفه على ارادته ولما
اراد ذلك جعل للشمال يدًا وعلى الغداة زمامًا وقد شرحت هذا قبل شرحًا شافيًا

وليس هذا الضرب من الاستعارة بدون الضرب الاول في ايجاب وصف الفصاحة
للكلام لا بل هو اقوى منه في اقتضائها والمحاسن التي يظهر به والصور التي يحدث
للمعاني بسببه آنق واعجب وان اردت ان تزداد علمًا بالذي ذكرت لك من امره فانظر
الى قوله سقته كف الليل اكواس الكرى وذلك انه ليس يخفى على عاقل انه لم يرد ان
يشبه شيئًا بالكف ولا اراد ذلك في الاكواس ولكن لما كان يقال سكر الكرى وسكر النوم
استعار للكرى الاكواس كما استعار الآخر الكأس في قوله وقد سقى القوم كأس
النعسة السهر ثم انه لما كان الكرى يكون في الليل جعل الليل ساقيًا ولما جعله
ساقيًا جعل له كفًا اذ كان الساقي يناول الكأس بالكف ومن اللطيف النادر في ذلك
ما تراه في آخر هذه الابيات وهي للحكم بن قنبر ولولا اعتصامي بالمنى كلما بدا لي
اليأس منها لم يقم بالهوى صبري ولولا انتظاري كل يوم جدى غد لراح بنعشي الاقبر
الى قبري وقد رابني وهن المنى وانقباضها وبسط جديد اليأس كفيه في صدري
ليس المعنى على انه استعار لفظ الكفين لشيء ولكن على انه اراد ان يصف اليأس بانه قد
غلب على نفسه وتمكن في صدره ولما اراد ذلك وصفه بما يصفون به الرجل بفضل
القدرة على الشيء وبانه متمكن منه وانه يفعل فيه كل ما يريد كقولهم قد بسط يده في
المال ينفقه ويصنع فيه ما يشاء وقد بسط العامل يده في الناحية وفي ظلم
الناس فليس لك الا ان تقول انه لما اراد ذلك جعل لليأس كفين واستعارهما له
فاما ان يوقع الاستعارة فيه على اللفظ فمما لا يخفى استحالته على عاقل والقول في
المجاز هو القول في الاستعارة لانه ليس هو بشيء غيرها وانما الفرق ان
المجاز اعم من حيث ان كل استعارة مجاز وليس كل مجاز استعارة واذا نظرنا من

المجاز ومما لا يطلق عليه انه استعارة ازداد خطأ القوم قبحا وشناعة وذلك انه يلزم
على قياس قولهم ان يكون انما كان قوله تعالى هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
مبصرا افصح من اجل انه الذي هو قولنا والنهار لتبصروا انتم فيه او مبصرا انتم فيه
من اجل ان حدث في حروف مبصر بأن جعل الفعل للنهار على سعة الكلام وصف لم يكن
وكذلك يلزم ان يكون السبب في ان كان قول الشاعر فنام ليلي وتجلى همي افصح من قولنا فنمت
في ليلي من اجل ان كسب هذا المجاز لفظ نام ولفظ الليل مذاقة لم تكن لهما وهذا مما ينبغي
للعاقل ان يستحيي منه وان يأنف من ان يهمل النظر اهمالا يؤديه الى مثله ونسأل الله تعالى
التوفيق والعصمة واذ قد عرفت ما لزمهم في الاستعارة والمجاز فالذي يلزمهم في الايجاز
اعجب وذلك انه يلزمهم ان كان اللفظ يكون فصيحا لأمر يرجع اليه نفسه دون معناه لزم
ان يكون كذلك هو جزلا لأمر يرجع الى نفسه وذلك من المحال الذي يضحك منه لانه لا معنى للايجاز
الا ان يدل بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى واذا لم تجعله وصفا للفظ من اجل
معناه ابطلت معناه اعني ابطلت معنى الايجاز ثم ان هاهنا معنى شريفا قد كان
ينبغي ان يكون قد ذكرناه في اثناء ما مضى من كلامنا وهو ان العاقل اذا نظر علم علم
ضرورة انه لا سبيل له الى ان يكثر معاني الالفاظ او يقللها لان المعاني المودعة في
الالفاظ لا تتغير على الجملة عما اراده واضع اللغة واذا ثبت ذلك ظهر منه انه لا
معنى لقولنا كثرة المعنى مع قلة اللفظ غير ان المتكلم يتوصل بدلالة المعنى على المعنى
الى فوائد لو انه اراد الدلالة عليها باللفظ لاحتاج الى لفظ كثير واعلم ان القول
الفاسد والرأي المدخول اذا كان صدره عن قوم لهم نباهة وصيت وعلو منزلة
في انواع من العلوم غير العلم الذي قالوا ذلك القول فيه ثم وقع في الالسن فتداولته

ونشرته وفشا وظهر وكثر الناقلون له والمشيدون بذكره صار ترك النظر فيه سنة و
التقليد دينا ورأيت الذين هم اهل ذلك العلم وخاصته والممارسون له والذين هم
خلقاء ان يعرفوا وجه الغلط والخطأ فيه لو انهم نظروا فيه كالاجانب الذين ليسوا
من اهله في قبوله والعمل به والركون اليه ووجدتهم قد اعطوه مقادتهم والانوا له
جانبهم واوهمهم النظر الى منتماه ومنتسبه ثم اشتهاره وانتشاره واطباق الجمع بعد
الجمع عليه ان الظن به اصوب والمحاماة عليه اولى ولربما بل كلما ظنوا انه لم يشع ولم
يتسع ولم يروه خلف عن سلف وآخر عن اول الا لان له اصلا صحيحا وانه اخذ من
معدن صدق واشتق من نبعة كريمة وانه لو كان مدخولا لظهر الدخل الذي فيه على
تقادم الزمان وكرور الايام وكم من خطأ ظاهر ورأي فاسد قد حظي بهذا السبب
عند الناس حتى بوّؤوه في اخص موضع من قلوبهم ومنحوه المحبة الصادقة من
قلوبهم ونفوسهم وعطفوا عليه عطف الام على واحدها وكم من داء دوي قد استحكم
بهذه العلة حتى اعيا علاجه وحتى بعل به الطبيب ولولا سلطان هذا الذي وصف
على الناس وان له اخذة تمنع القلوب عن التدبر وتقطع عنها دواعي التفكر لما كان
لهذا الذي ذهب اليه القوم في امر اللفظ هذا التمكن وهذه القوة ولا كان يرسخ في
النفوس هذا الرسوخ وتتشعب عروقه هذا التشعب مع الذي بان من تهافته
وسقوطه وفحش الغلط فيه وانك لا ترى في اديمه من اين نظرت وكيف صرفت
وقلبت مصحا ولا تراه باطلا فيه شوب من الحق وزيفا فيه شيء من الفضة ولكن
ترى الغش بحتا والغلط صرفا ونسأل الله تعالى التوفيق وكيف لا يكون في اسار الاخذة
ومحولا بينه وبين الفكرة من يسلم ان الفصاحة لا تكون في افراد الكلمات وانها

انما يكون فيها اذا ضم بعضها الى بعض ثم لا يعلم لذلك مقتضى الا ان يكون وصفا لها من اجل
معانيها لا من اجل انفسها ومن حيث هي الفاظ ونطق لسان ذاك لانه ليس من عاقل
يفتح عين قلبه الا وهو يعلم ضرورة ان المعنى في ضم بعضها الى بعض تعليق بعضها ببعض
وجعل بعضها بسبب من بعض لا ان ينطق بعضها في اثر بعض من غير ان يكون فيما
بينها تعلق ويعلم كذلك ضرورة اذا فكر ان التعلق يكون فيما بين معانيها لا فيما بين انفسها
الا ترى انا لو جهدنا كل الجهد لم نتصور تعلقا فيما بين لفظين لا معنى تحتهما لم يتصور
ومن اجل ذلك انقسمت الكلم قسمين مؤتلف وهو الاسم مع الاسم والفعل مع الاسم
وغير مؤتلف وهو ما عدا ذلك كالفعل مع الفعل والحرف مع الحرف ولو كان
التعلق يكون بين الالفاظ لكان ينبغي ان لا يختلف حالها في الائتلاف وان لا يكون في الدنيا
كلمتان الا ويصح ان يأتلفا لانه لا تنافي بينهما من حيث هي الفاظ واذا كان كل منهم قد اعطى
يده بان الفصاحة لا تكون في الكلم افرادا وانها انما تكون اذا ضم بعضها الى بعض وكان
يكون المراد بضم بعضها الى بعض تعليق معانيها بعضها ببعض لا كون بعضها في النطق
على اثر بعض وكان واجبا اذا علم ذلك ان يعلم ان الفصاحة تجب لها من اجل معانيها
لا من اجل انفسها لانه محال ان يكون سبب ظهور الفصاحة فيها تعلق معانيها بعضها
ببعض ثم تكون الفصاحة وصفا لها لا لانفسها لا لمعانيها واذا كان العلم بهذا ضرورة ثم
رأيتهم لا يعلمونه فليس الا ان اعتزامهم على التقليد قد حال بينهم وبين الفكرة وعرض
لهم منه شبه الاخذة واعلم انك اذا نظرت وجدت مثلهم مثل من يرى خيال
الشيء فيحسبه الشيء وذاك انهم قد اعتمدوا في كل امرهم على النسق الذي يرونه في
الالفاظ وجعلوا لا يحفلون بغيره ولا يعولون في الفصاحة والبلاغة على شيء

سواه حتى انتهوا الى ان زعموا ان من عمد الى شعر فصيح فقرأه ونطق بالفاظه على
النسق الذي وضعها الشاعر عليه كان قد اتى بمثل ما اتى به الشاعر في فصاحته وبلاغته
الا انهم زعموا انه يكون في اتيانه به محتذيا لا مبتدئا ونحن اذا تأملنا وجدنا الذي يكون في الالفاظ
من تقديم شيء منها على شيء انما يقع في النفس انه نسق اذا اعتبرنا ما توخي من معاني النحو في
معانيها فاما مع ترك اعتبار ذلك فلا يقع ولا يتصور بحال الا ترى انك لو فرضت في قوله
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ان لا يكون نبك جوابا للامر ولا يكون معدى بمن الى ذكرى
ولا يكون ذكرى مضافة الى حبيب ولا يكون منزل معطوفا بالواو على حبيب لخرج ما ترى
من التقديم والتأخير عن ان يكون نسقا ذاك لانه انما يكون تقديم الشيء على الشيء نسقا
وترتيبا اذا كان ذلك التقديم قد كان لموجب اوجب ان يقدم هذا ويؤخر ذاك فاما
ان يكون مع عدم الموجب نسقا فمحال لانه لو كان يكون تقديم اللفظ على اللفظ من
غير ان يكون له موجب نسقا لكان ينبغي ان يكون توالي الالفاظ في النطق على اي وجه
كان نسقا حتى انك لو قلت نبك قفا حبيب ذكرى لم تكن قد اعدمته النسق والنظم
وانما اعدمته الوزن فقط وقد تقدم هذا فيما مضى ولكنا اعدناه هاهنا لان الذي
اخذناه فيه من استلام القوم انفسهم الى التقليد اقتضى اعادته واعلم ان الاحتذاء
عند الشعراء واهل العلم بالشعر ونقده ان يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض اسلوبا
والاسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه فيعمد شاعر آخر الى ذلك الاسلوب
فيجيء به في شعره فيشبه بمن يقطع من اديمه نعلا على مثال نعل قد قطعها صاحبها
فيقال قد احتذى على مثاله وذلك مثل ان الفرزدق قال ايرجو ربيع ان يجيء
صغارها بخير وقد اعيا ربيعا كبارها واحتذاه البعيث فقال

ارجو كليبا لم يجن جدثها بخير وقد اعيا كليبا قديمها وقال الوار العرود فلما سمع
هذا البيت قال اذا ما قلت قافية شرودا تنحلها ابن حمراء العجان وقال لكن
البعيث قال في هذه القصيدة كليب لئام الناس قد يعلمونه وانت اذا عدت كليب
لئيمها وقال البحتري بنو هاشم في كل شرق ومغرب كرام بني الدنيا وانت
كريمها وحكى العسكري في صنعة الشعر ان ابن الرومي قال لي البحتري قول ابي نواس
ولم ادر ما هم غير ما شهدت لهم بشرقي ساباط الديار البسابس ماخوذ من
قول ابي خراش ولم ادر من القى عليه رداءه سوى انه قد سل من ماجد محض
قال فقلت قد اختلف المعنى فقال اما ترى حذو الكلام حذوا واحدا وهذا
الذي كتبت من جلي الاخذ في الحذو ومما هو في حد الخفي قول البحتري
ولن ينقل الحساد مجدك بعدما تمكن رضوى واطمأن متالع وقول ابي تمام
ولقد جهدتم ان تزيلوا عزه فاذا ابان قد رسا ويلملم فقد احتذى كل واحد
منهما على قول الفرزدق فادفع بكفك ان اردت بناءنا ثهلان ذا الهضبات
هل يتحلحل وهذا الامر انهم لا يجعلون الشاعر محتذيا الا بما يجعلونه آخذا
ومسترقا قال ذو الرمة وشعر قد ارقت له غريب اجنبه المساند والمحالا
فبت اقيمه واقد منه قوافي لا اريد لها مثالا قال يقول لا احذوها
على شيء سمعته فاما ان يجعل انشاد الشعر وقراءته احتذاء فما لا يعلمونه
كيف واذا عمد عامد الى بيت شعر فوضع مكان كل لفظة لفظا في معناه
كمثل ان يقول في قوله دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي
ذر المآثر لا تذهب لمطلبها واجلس فانك انت الآكل اللابس لم يجعلوا

ارادوا

ذلك احتذاء ولم يؤهلوه لان يسموه محتذيا ولكن يسمون هذا الصنيع
سلخا ويرذلونه ويسخفون المتعاطي له فمن ابن يجوز لنا ان يقول في صبي يقرأ
قصيدة امرئ القيس انه احتذاه في قوله فقلت له لما تمطى بصلبه واردف اعجازا
وناء بكلكل والعجب انهم لم ينظروا فيعلموا انه لو كان منشد الشعر يكون
محتذيا لكان يكون قائل شعر كما ان الذي يحذو النعل بالنعل يكون قاطع نعل وهذا
تفسير يصلح لان يحفظ للمناظرة متى لم يقل المرء زعم لنا ان المنشد اذا انشد شعر امرئ
القيس كان قد اتى بمثله على سبيل الاحتذاء اخبرنا عنك لماذا زعمت ان المنشد
قد اتى بمثل ما قاله امرؤ القيس الا انه نطق بانفس الالفاظ التي نطق بها ام لانه
راعى النسق الذي راعاه في النطق بها فان قلت ان ذلك لانه نطق بانفس الالفاظ
التي نطق بها احلت لانه انما يصح ان يقال في الثاني انه اتى بمثل ما اتى به الاول اذا كان
الاول قد سبق الى شيء فاحدثه ابتداء وذلك في الالفاظ محال اذ ليس يمكن ان يقال
انه لم ينطق بهذه الالفاظ التي هي قوله قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل قبل امرئ
القيس احد وان قلت ان ذلك لانه قد راعى في نطقه بهذه الالفاظ النسق الذي راعاه
امرؤ القيس قيل ان كنت لهذا قضيت في المنشد انه اتى بمثل شعره فاخبرنا
عنك اذا قلت ان التحدي وقع في القرآن الى ان يؤتى بمثله على جهة الابتداء ما
تعني به اتعني انه يأتي بالفاظ غير الفاظ القرآن يطلب الترتيب والنسق الذي تراه
في الفاظ القرآن فان قال ذاك اعني قيل له اعلمت انه لا يكون الاتيان بالاشياء
بعضها في اثر بعض على التوالي نسقا وترتيبا حتى يكون الاشياء مختلفة في
انفسها ثم يكون للذي يجيء بها مضموما بعضها الى بعض غرض فيها ومقصود

لا يتم ذلك الغرض و ذلك المقصود الا بان يتخير لها مواضع فيجعل هذا اولا وذاك ثانيا
فان هذا ما لا شبهة فيه على عاقل و اذا كان الامر كذلك لزمك ان تبين الغرض الذي اقتضى
ان تكون الفاظ القرآن منسوقة النسق الذي تراه و لا مخلص لك من هذه المطالبة لانه
اذا ابى ان يكون المقتضي والموجب للذي تراه من النسق المعاني وجعله قد وجب لامر يرجع
الى اللفظ لم تجد شيئا يحيل في وجوبه عليه البتة اللهم الا ان يجعل الاعجاز في
الوزن ويزعم ان النسق الذي تراه في الفاظ القرآن انما كان معجزا من اجل ان كان
قد حدث عنه ضرب من الوزن يعجز الخلق عن ان يأتوا بمثله و اذا قال ذلك
لم يمكنه ان يقول ان التحدي وقع الى ان يأتوا بمثله في فصاحته و بلاغته لان الوزن
ليس هو من الفصاحة والبلاغة في شيء اذ لو كان يكون له مدخل فيهما لكان يجب في كل
قصيدتين اتفقتا في الوزن ان يتفقا في الفصاحة والبلاغة فان دعا بعض الناس
طول الالف لما سمع من ان الاعجاز في اللفظ الى ان يجعله في مجرد الوزن كان قد
دخل في امر شنيع و هو انه يكون قد جعل القرآن معجزا لا من حيث هو كلام
ولا بما به كان لكلام فضل على كلام فليس بالوزن ما كان الكلام كلاما و لا به كان كلام خيرا
من كلام وهكذا السبيل ان زعم زاعم ان الوصف المعجز هو الجريان والسهولة ثم
يعني بذلك سلامته من ان يلتقي فيه حروف تثقل على اللسان لانه ليس بذلك كان الكلام
كلاما ولا هو بالذي يتناهى امره ان عد في الفضيلة الى ان يكون الاصل والى ان يكون
المعول عليه في المفاضلة بين كلام وكلام فما به كان الشاعر مفلقا والخطيب
مصقعا والكاتب بليغا ورأيت العقلاء حيث ذكروا عجز العرب عن معارضة
القرآن قالوا ان النبي صلى الله عليه تحداهم وفيهم الشعراء والخطباء والذين يدلون

بفصاحة اللسان والبراعة والبيان وقوة القرائح والاذهان والذين اوتوا الحكمة
وفصل الخطاب ولم نرهم قالوا ان النبي عليه السلام تحداهم وهم العارفون بما يسوغ
ان يصنع حتى يسلم الكلام من ان يلتقي فيه حروف تثقل على اللسان و لما ذكروا معجزات
الانبياء عليهم السلام و قالوا ان الله تعالى قد جعل معجزة كل نبي فيما كان اغلب على
الذين بعث فيهم و فيما كانوا يتباهون به وكانت عوامهم تعظم فيه خواصهم قالوا
انه لما كان السحر الغالب على قوم فرعون ولم يكن قد استحكم في زمان استحكامه
في زمانه جعل تعالى معجزة موسى عليه السلام في ابطاله وتوهينه ولما كان
الغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب جعل تعالى معجزته في ابراء الاكمه و
الابرص واحياء الموتى ولما انتهوا الى ذكر نبينا صلى الله عليه وذكروا ما كان الغالب على
زمانه لم يذكروا الا البلاغة والبيان والتصرف في ضروب النظم وقد ذكرت في
الذي تقدم غير ما ذكرته ها هنا ما يدل على سقوط هذا القول وما دعاني الى اعادة ذكره
الا انه ليس فيما لكل الناس من حديث اللفظ والمحاماة على الاعتقاد الذي اعتقدوه
فيه وضن انفسهم به الى حد فاحببت ان لا ادع شيئا مما يجوز ان يتعلق به
متعلق ويلجأ اليه لاجئ ويقع منه في نفس سامع شك الا استقصيت في
الكشف عن بطلانه وها هنا امر عجيب وهو انه معلوم لكل من نظر ان الالفاظ
من حيث هي الفاظ وكلم ونطق لسان لا تختص بواحد دون آخر وانها انما تختص
اذا توخي فيها النظم واذا كان كذلك كان من رفع النظم من البين وجعل الاعجاز
بجملته في سهولة الحروف وجريانها جاعلا له فيما لا يصح اضافته الى الله تعالى
وكفى بهذا دليلا على عدم التوفيق وشدة الضلال عن الطريق وقد بلغنا في حد

مداواة الناس من دائهم وعلاج الفساد الذي عرض في آرائهم كل مبلغ وانتهينا الى
كل غاية واخذنا بهم عن المجاهل التي كانوا يتعسفون فيها الى السنن اللاحب و
نقلناهم عن الآجن المطروق الى النمير الذي يشفي غليل الشارب ولم ندع لباطلهم
عرقا ينبض الا كويناه ولا للخلاف لسانا ينطق الا اخرسناه ولم نترك غطاء كان
على بصر ذي عقل الا حسرناه فيا ايها السامع لما قلناه والناظر فيما كتبناه و
المتصفح لما دوناه ان كنت سمعت سماع صادق الرغبة في ان تكون في امرك على
بصيرة ونظرت نظر تام العناية في ان تورد وتصدر عن معرفة وتصفحت
تصفح من اذا مارس بابا من العلم لم يقنعه الا ان يكون على ذروة السنام ويضرب
بالمعلى من السهام فقد هديت لضالتك وفتح لك الطريق الى بغيتك وهيئ
لك الاداة التي بها تبلغ واوتيت الآلة التي معها تصل فخذ لنفسك بالتي هي املأ
ليديك واعود بالحظ عليك ووازن بين حالك الآن وقد تنبهت من رقدتك و
افقت من غفلتك وصرت تعلم اذا انت خضت في امر اللفظ والنظم
معنى ما تذكر وتعلم كيف تورد وتصدر وبينها وانت من امرهما في عمياء
وخابط عشواء قصاراك ان تكرر الفاظا لا تعرف لشيء منها تفسيرا و
ضروب كلام للبلغاء ان سئلت عن اغراضهم فيها لم تستطع لها تبيينا فانك
تراك تطيل التعجب من غفلتك وتكثر الاعتذار الى عقلك من الذي كنت عليه طول
مدتك ونسال الله تعالى ان يجعل كل ما نأتيه ونقصده وننتحيه لوجهه خالصا
والى رضاه عز وجل مؤديا ولثوابه مقتضيا وللزلفى عنده موجبا بمنه
وفضله ورحمته ۞ بسم الله الرحمن الرحيم اعلم انه لما كان الغلط الذي دخل على الناس في حديث

اللفظ كالداء الذي يسري في العروق ويفسد مزاج البدن وجب ان يتوخى
دائبا فيهم ما يتوخاه الطبيب في الناقه من تعهده بما يزيد في منته ويبقيه
على صحته ويؤمنه النكس في علته وقد علمنا ان اصل الفساد وسبب الآفة
هو ذهابهم عن ان من شان المعاني ان يختلف عليها الصور وتحدث فيها
خواص ومزايا من بعد ان لا تكون وانك ترى الشاعر قد عمد الى معنى مبتذل
فصنع فيه ما يصنع الصانع الحاذق اذا هو اغرب في صنعة خاتم وعمل
شنف وغيرهما من اصناف الحلي فان جهلهم بذلك من حالها هو الذي اغواهم
واستهواهم وورطهم فيما تورطوا فيه من الجهالات واداهم الى التعلق
بالمحالات وذلك انهم لما جهلوا شان الصورة وضعوا لانفسهم اساسا
وبنوا على قاعدة فقالوا انه ليس الا المعنى واللفظ ولا ثالث وانه اذا
كان كذلك وجب اذا كان لاحد الكلامين فضيلة لا تكون للآخر ثم كان الغرض
من احدهما هو الغرض من صاحبه ان يكون مرجع تلك الفضيلة الى اللفظ
خاصة وان لا يكون لها مرجع الى المعنى من حيث ان ذلك زعموا يؤدي الى
التناقض وان يكون معناهما متغايرا وغير متغاير معا ولما اقروا
هذا في نفوسهم حملوا كلام العلماء في كل ما نسبوا فيه الفضيلة الى
اللفظ على ظاهره وابوا ان ينظروا في الاوصاف التي اتبعوها نسبتهم
الفضيلة الى اللفظ مثل قولهم لفظ متمكن غير قلق ولا ناب به موضعه
الى سائر ما ذكرناه قبل فيعلموا انهم لم يوجبوا للفظ ما اوجبوه
من الفضيلة وهم يعنون نطق اللسان واجراس الحروف ولكن جعلوا

العقلاء

كالمواضعة فما ينبغي ان يقولوا اللفظ وهم يريدون الصورة التي تحدث في المعنى
والخاصة التي حدثت فيه ويعنون الذي عناه الجاحظ حيث قال وذهب الشيخ
الى استحسان المعاني والمعاني مطروحة وسط الطريق يعرفها العربي و
العجمي والحضري والبدوي وانما الشعر صياغة وضرب من التصوير وما يعنونه
اذا قالوا انه ياخذ الحديث فيشنفه ويقرطه وياخذ المعنى خرزة فيرده
جوهرة وعباءة فيجعله ديباجة وياخذه عاطلا فيرده حاليا وليس كون
هذا مرادهم بحيث كان ينبغي ان يخفى هذا الخفاء ويشتبه هذا الاشتباه
ولكن اذا تعاطى الشيء غير اهله وتولى الامر غير البصير به اعضل الداء
واشتد البلاء ولو لم يكن من الدليل على انهم لم ينحلوا اللفظ الفضيلة وهم يريدونه
نفسه وعلى الحقيقة الا واحد وهو وصفهم له بانه يزين المعنى وانه حلي
له لكان فيه الكفاية وذاك ان الالفاظ ادلة على المعاني وليس للدليل الا ان
يعلمك الشيء على ما يكون عليه فاما ان يصير الشيء بالدليل على صفة لم يكن عليها
فما لا يقوم في عقل ولا يتصور في وهم ومما اذا تفكر فيه العاقل اطال
التعجب من امر الناس ومن شدة غفلتهم قول العلماء حيث ذكروا الاخذ والسرقة
ان من اخذ معنى عاريا فكساه لفظا من عنده كان احق به وهو كلام
مشهور متداول يقرؤه الصبيان في اول كتاب عبد الرحمن ثم لا ترى احدا
من هؤلاء الذين لهجوا بجعل الفضيلة في اللفظ يفكر في ذلك فيقول من
اين يتصور ان يكون ههنا معنى عار من لفظ يدل عليه ثم من اين يعقل ان
يجي الواحد منا لمعنى من المعاني بلفظ من عنده ان كان المراد باللفظ

نطق اللسان ثم هب انه يصح له ان يفعل ذلك فمن اين يجب اذا وضع
لفظا على معنى ان يصير احق به من صاحبه الذي اخذه منه ان كان هو لا يصنع
بالمعنى شيئا ولا يحدث فيه صفة ولا يكسبه فضيلة واذا كان كذلك فهل يكون لكلامهم هذا
وجه سوى ان يكون اللفظ في قولهم فكساه لفظا من عنده عبارة عن صورة يحدثها
الشاعر او غير الشاعر للمعنى فان قالوا بلى يكون وهو ان يستعير للمعنى لفظا قيل
الشان في انهم قالوا اذا اخذ معنى عاريا فكساه لفظا من عنده كان احق به والاستعارة
عندكم مقصورة على مجرد اللفظ ولا ترون المستعير يصنع بالمعنى شيئا وترون انه
انه لا يحدث فيه مزية على وجه من الوجوه واذا كان كذلك فمن اين ليت شعري يكون
احق به فاعرفه ثم ان اردت مثالا في ذلك فان من احسن شيء فيه ما صنع ابو تمام في
بيت ابي نخيلة وذلك ان ابا نخيلة قال في مسلمة بن عبد الملك امسلم اني يا ابن كل خليفة
ويا جبل الدنيا ويا واحد الارض شكرتك ان الشكر حبل من التقى وما كل من اوليته صالحا
يقضي وانبهت لي ذكري وما كان خاملا ولكن بعض الذكر انبه من بعض فعمد ابو تمام الى
هذا البيت الاخير فقال لقد زدت اوضاحي امتدادا ولم اكن بهيما ولا ارضي من
الارض مجهلا ولكن ايادي صادفتني جسامها اغر فاوفت بي اغر محجلا وفي كتاب
الشعر والشعراء للمرزباني فصل في هذا المعنى حسن قال ومن الامثال القديمة قولهم
حرا اخاف على جاني كماة لا قرا يضرب مثلا للذي يخاف من شيء فيسلم منه ويصيبه
غيره مما لم يخفه فاخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال وحذرت من امر فمر بجانبي
لم ينكني ولقيت ما لم احذر وقال لبيد اخشى على اربد الحتوف ولا ارهب نوء السماك
والاسد قال واخذه البحتري فاحسن وطغى اقتدارا على العبارة واتساعا في المعنى

فقال لو انني اوفي التجارب حقها فيما ارت لرجوت ما اخشاه وشبيه بهذا
الفصل فصل آخر من هذا الكتاب ايضا انشد لابرهيم بن المهدي يا من لقلبي صيغ
من صخرة في جسد من لؤلؤ رطب جرحت خديه بلحظي فما برحت حتى اقتص
من قلبي ثم جاز على هروز اخذه احمد بن ابي فنن معنى ولفظا فقال
ادميت باللحظات وجنته فاقتص ناظره من القلب قال ولكنه بنقصان عبارته
وحسن مأخذه قد صار اولى به ففي هذا دليل لمن عقل انهم لا يعنون بحسن العبارة
مجرد اللفظ ولكن صورة وصفة وخصوصية تحدث في المعنى وشيئا طريق
معرفته على الجملة العقل دون السمع فانه على كل حال لم يقل في البحتري انه احسن
وطغى اقتدارا على العبارة من اجل حروف لو انني اوفي التجارب حقها وكذلك لم
يصف ابن ابي فنن بنقصان العبارة من اجل حروف ادميت باللحظات وجنته واعلم
انك اذا سبرت احوال هولاء الذين زعموا انه اذا كان المعبر عنه واحدا والعبارة اثنين
ثم كانت احدى العبارتين افصح من الاخرى واحسن فانه ينبغي ان يكون السبب في كونها
افصح واحسن اللفظ نفسه وجدتهم قد قالوا ذلك من حيث قاسوا الكلامين على
الكلمتين فلما راوا انه اذا قيل في الكلمتين ان معناهما واحد لم يكن بينهما تفاوت و
لم يكن للمعنى في احدهما حال لا يكون له في الاخرى ظنوا ان سبيل الكلامين هذا السبيل
ولقد غلطوا فافحشوا لانه لا يتصور ان يكون صورة المعنى في احد الكلامين او
البيتين مثل صورته في الاخر البتة اللهم الا ان يعمد عامد الى بيت فيضع مكان كل لفظة
منه لفظة في معناها ولا يعرض لنظمه وتاليفه كمثل ان يقول في بيت الحطيئة
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي ذر المفاخر لا تذهب لمطلبها

واجلس فانك انت الآكل اللابس وما كان هذا سبيله كان بمعزل عن ان يكون به
اعتداد وان يدخل في قبيل ما يفاضل فيه بين عبارتين بل لا يصح ان يجعل ذلك عبارة
ثانية ولا ان يجعل الذي يتعاطاه بمحل من يوصف بانه اخذ معنى ذلك لانه لا يكون
بذلك صانعا شيئا يستحق ان يدعى من اجله واضع كلام ومستانف عبارة
وقائل شعر ذلك لان بيت الحطيئة لم يكن كلاما وشعرا من اجل معاني الالفاظ المفردة
التي تراها فيه مجردة معراة من معاني النظم والتاليف بل منها متوخى فيها ما ترى
من كون المكارم مفعولا لدع وكون قوله لا ترحل لبغيتها جملة اكدت الجملة قبلها
وكون اقعد معطوفا بالواو على مجموع ما مضى وكون جملة انك انت الطاعم الكاسي
معطوفا بالفاء على اقعد فالذي يجيء لا يغير شيئا من هذا الذي به كان كلاما وشعرا
لا يكون قد اتى بكلام ثان وعبارة ثانية بل لا يكون قد قال من عند نفسه شيئا البتة
وجملة الامر انه كما لا يكون الفضة او الذهب خاتما او سوارا او غيرهما من اصناف
الحلي بانفسهما ولكن بما يحدث فيهما من الصورة كذلك لا يكون الكلم المفردة التي هي
اسماء وافعال وحروف كلاما وشعرا من غير ان يحدث فيها النظم الذي حقيقته
توخي معاني النحو واحكامه فاذا ليس لمن يتصدى لما ذكرنا من ان يعمد الى بيت فيضع
مكان كل لفظة منه لفظة في معناها الا ان يستتر كعقله ويستخف ويعد معه
الذي حكي انه قال اني قد قلت بيتا هو اشعر من بيت حسان قال حسان يغشون
حتى ما تهر كلابهم لا يسالون عن السواد المقبل وقلت يغشون حتى ما تهر
كلابهم ابدا ولا يسالون من ذا المقبل فقيل له هو بيت حسان ولكنك قد افسدته
واعلم انه انما اتى القوم من قلة نظرهم في الكتب التي وضعها العلماء في اختلاف

العبارتين على المعنى الواحد وفي كلامهم في اخذ الشاعر من الشاعر وفي ان يقول
الشاعران على الجملة في معنى واحد وفي الاشعار التي دونوها في هذا المعنى ولو
انهم كانوا اخذوا انفسهم بالنظر في تلك الكتب وتدبروا ما فيها حق التدبر لكان
يكون ذلك قد ايقظهم من غفلتهم وكشف الغطاء عن اعينهم وقد اردت ان اكتب
جملة من الشعر الذي انت ترى الشاعرين فيه قد قالا في معنى واحد وهو ينقسم قسمين
قسم انت ترى احد الشاعرين فيه قد اتى بالمعنى غفلا ساذجا وترى الآخر قد اخرجه
في صورة تروق وتعجب وقسم انت ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع في المعنى و
صوّر وابدأ بالقسم الاول الذي يكون المعنى في احد البيتين غفلا وفي الآخر مصوّرا
مصنوعا ويكون ذلك اما لان متأخرا قصّر عن متقدم واما لان هُدي متأخر لشيء لم يهتد
اليه المتقدم ومثال ذلك قول المتنبي بئس الليالي سهدت من طربي شوقا الى من يبيت
يرقدها مع قول البحتري ليلا يصادفني ومرهفة الحشا ضدين اسهره لها وتنامه
وقول البحتري ولو ملكت زماعا ظلّ يجذبني قودا لكان ندى كفيك من عقلي مع قول
المتنبي وقيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا وقول المتنبي
اذا اعتلّ سيف الدولة اعتلت الارض ومن فوقها والبأس والكرم المحض مع
قول البحتري ظللنا نعود الجود من وعكك الذي وجدت وقلنا اعتلّ عضو
من المجد وقول المتنبي يعطيك مبتدئا فان اعجلته اعطاك معتذرا كمن قد اجرما
مع قول ابي تمام اخو عزمات فعله فعل محسن اليها ولكن عذره عذر مذنب
وقول المتنبي كريم متى استوهبت ما انت راكب وقد لقحت حرب فانك نازل
مع قول البحتري ماض على عزمه في الجود لو وهب الشباب يوم لقاء البيض ما

وقول المتنبي والذي يشهد الوغى ساكن القلب كان القتال فيها ذمام مع قول البحتري
لقد كان ذاك الجاش جاش مسالم على ان ذاك الزي زي محارب وقول ابي تمام
الصبح مشهور بغير دلائل من غيره ابتغيت ولا اعلام مع قول المتنبي وليس يصح في
الافهام شيء اذا احتاج النهار الى دليل وقول ابي تمام وفي شرف الحديث دليل صدق
لمختبر على شرف القديم مع قول المتنبي افعاله نسب لو لم يقل معها جدّي الخصيب
عرفنا العرق بالغصن وقول البحتري واحب آفاق البلاد الى الفتى ارض
ينال بها كريم المطلب مع قول المتنبي وكل امرئ يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب
وقول المتنبي يعترف بالفضل من لا يودّه ويقضي له بالسعد من لا ينجم مع قول البحتري
لا ادّعي لابي العلاء فضيلة حتى يسلّمها اليه عداه وقول خالد الكاتب رقدت ولم
ترث للساهر وليل المحب بلا آخر مع قول بشار لخديك من كفيك في كل ليلة الى ان
ترى ضوء الصباح وساد تبيت تراعي الليل ترجو نفاده وليس لليل العاشقين نفاد
وقول ابي تمام ثوى بالمشرقين لهم ضجاج اطار قلوب اهل المغربين وقول البحتري
تناذر اهل الشرق منه وقائعا اطاع لها العاصون في بلد الغرب مع قول مسلم
لما نزلت على ادنى ديارهم القى اليك الاقاصي بالمقاليد وقول محمد بن بشير افرغ
لحاجتنا ما دمت مشغولا فلو فرغت لكنت الدهر مبذولا مع قول ابي علي
البصير فقل للسعيد اسعد الله جده لقد رثّت حتى كاد ينصرم الحبل
فلا تعتذر بالشغل عنا فانما تناط بك الآمال ما اتصل الشغل وقول البحتري
من غادة منعت وتمنع وصلها فلو انها بذلت لنا لم تبذل مع قول ابن الرومي
ومن البلية انني علقت ممنوعا منوعا وقول ابي تمام لئن كان ذنبي ان احسن
مطلبي اساءة في غيري فاني الى العذر

مع قول البحتري اذا محاسني اللاتي ادل بها كانت ذنوبي فقل لي كيف اعتذر
وقول ابي تمام قد يقدم العير من ذعر على الاسد مع قول البحتري فجاء مجيء العير
قادته حيرة الى اهرت الشدقين تدمى اظافره ٥ وقول معن بن اوس
اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد اليه بوجه آخر الدهر تقبل مع قول العباس
بن الاحنف نقل الجبال الرواسي من اماكنها اخف من رد نفس حين تنصرف
وقول امية بن ابي الصلت عطاؤك زين لامرئ ان اصبته بخير وما كل العطاء يزين
مع قول ابي تمام تدعى عطاياه وفرا وهي ان شهرت كانت فخارا لمن يعفوه مؤتنفا
مازلت منتظرا اعجوبة عننا حتى رايت سؤالا يجتني شرفا ٥ وقول جرير
بعثن الهوى ثم ارتمين قلوبنا باسهم اعداء وهن صديق مع قول ابي نواس
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق ٥ وقول كثير
اذا ما اردت خلة ان تزيلنا ابينا وقلنا الحاجبية اول مع قول ابي تمام
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول وقول المتنبي
وعند من اليوم الوفاء لصاحب شبيب واوفى من ترى اخوان مع قول
ابي تمام فلا تحسبا هندا لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند ٥
وقول البحتري ولم ارض في رنق الصرى لي موردا فحاولت ورد النيل عند
احتفاله مع قول المتنبي قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر
استقل السواقيا ٥ وقول المسر كانما لولا الذي معهم لاصغر عاذر ولا هرم
مع قول البحتري عن تفوق في الافضال يؤتنف الذي لنا شيم من حيث يؤتنف الكرم
وقول البحتري فلا تغلين بالسيف كل غلائه ليمضي فان الكف لا السيف يقطع ٥

مع قول المتنبي اذا الهند سوت بين سيفي كريهة فسيفك في كف تزيل التساويا
وقول البحتري ساموك من حسد فافضل منهم غمر الجواد وجاد غير المفضل
فبذلت فينا ما بذلت سماحة وتكرما وبذلت ما لم تبذل مع قول ابي تمام
ارى الناس منهاج الندى بعد ما عفت مهايعه المثلى ومحت لواحبه
ففي كل نجد في البلاد وغائر مواهب ليست منه وهي مواهبه ٥ وقول المتنبي
بيضاء تطمع فيما تحت حلتها وعز ذلك مطلوبا اذا طلبا مع قول البحتري
تبدو بعطفة مطمع حتى اذا شغل الخلي ثنت بصدفة مويس ٥ وقول المتنبي
اذكار مثلك ترك اذكاري له اذ لا تريد لما اريد مترجما مع قول ابي تمام
واذا المجد كان عوني على المرء تقاضيته بترك التقاضي ٥ وقول ابي تمام
فنعمت من شمس اذا حجبت بدت من خدرها فكانها لم تحجب مع قول
قيس بن الخطيم قضى لها الله حين صورها الخالق ان لا يكنها سدف
وقول المسمى راميات باسهم ريشها الهدب تشق القلوب قبل الجلود
مع قول كثير رمتني بسهم ريشها الكحل لم يجز ظواهر جلدي وهو في
القلب جارح ٥ وقول بعض شعراء الجاهلية ودعوت ربي بالسلامة
جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء مع قول ابي العتاهية اسرع
في نقص امرئ تمامه تدبر في اقبالها اياما ٥ وقول
اقلل زيارتك الحبيب تكون كالثوب استجده ان الصديق يمله ان لا يزال
يراك عنده مع قول ابي تمام وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد
وقول الخزيمي زاد معروفك عندي عظما انه عندك محقور صغير

تمناشاه كان لم تاته وهو عند الناس مشهور كبير مع قول المتنبي يظن من فقدك
اعتدادهم انهم انعموا وما علموا ۝ وقول البحتري الم تر للنوائب كيف
تسمو الى اهل النوافل والفضول مع قول المتنبي افاضل الناس
اغراض لذا الزمن يخلو من الهم اخلاهم من الفطن ۝ وقول المتنبي
تذلل لها واخضع على القرب والنوى فما عاشق من لا يذل ويخضع
مع قول بعض المحدثين كن اذا احببت عبدا للذي تهوى مطيعا
لن تنال الوصل حتى تلزم النفس الخضوعا وقول مضرس بن ربعي
لعمرك انى بالخليل الذى له على دلالا واجب لمفجع وانى بالمولى الذى ليس نافعى
ولا ضائرى فقدانه لممتع مع قول المتنبي اما تغلط الايام فى بان ارى
بغيضا تنائى او حبيبا تقرب ۝ وقول المتنبي مظلومة القد فى تشبيهه غصنا
مظلومة الريق فى تشبيهه ضربا مع قول اذا نحن شبهناك بالبدر طالعا
بخسناك حظا انت ابهى واجمل ۝ ونظلم ان قسناك بالليث فى الوغى
لانك احمى للحريم وابسل ۝ ذكر ما انت ترى فيه فى كل واحد من البيتين
صنعة وتصويرا واستاذية على الجملة ثم ذلك وهو من النادر قول لبيد
واكذب النفس اذا حدثتها ان صدق النفس يزرى بالامل ۝ مع قول نافع بن لقيط
واذا صدقت النفس لم تترك لها املا ويامل ما اشتهى المكذوب وقول
رجل من الخوارج اتى به الحجاج فى جماعة من اصحاب قطرى فقتلهم ومن
عليه ليد كانت له عنده وعاد الى قطرى فقال له قطرى عاود قتال عدو
الله الحجاج فابى وقال لا اقاتل الحجاج عن سلطانه بيد تقر بانها مولاته

علموا
النوافل
لذى
بعضهم

ماذا اقول اذا وقفت ازاءه فى الصف واحتجت له فعلاته مع قول ابى تمام
اسربل هجر القول من لو هجوته اذا لهجانى عنه معروفه عندى ۝ وقول النابغة اذا ما
غزا بالجيش حلق فوقه عصائب طير تهتدى بعصائب جوانح قد ايقن ان قبيله
اذا ما التقى الجمعان اول غالب مع قول ابى نواس واذا مج القنا علقا
وتراءى الموت فى صوره راح فى ثنيى مفاضته اسد يدمى شبا ظفره
تتايا الطير غدوته ثقة بالشبع من جزره المقصود البيت الاخير وحكى المرزبانى
قال حدثنى عمرو الوراق قال رايت ابا نواس ينشد قصيدته التى اولها ايها المنتاب
عن عفره بحسرته فلما بلغ الى قوله تتايا الطير غدوته ثقة بالشبع من جزره
قلت له ما تركت للنابغة شيئا حيث يقول اذا ما غزا بالجيش البيتين فقال اسكت
فلئن كان سبق لما اسات فى الاتباع وهذا الكلام من ابى نواس دليل بين على ان المعنى ينقل
من صورة الى صورة ذاك لانه لو كان يكون قد صنع بالمعنى شيئا لكان قوله لما اسات
فى الاتباع مما لا وجه له على كل حال لم يتبعه فى اللفظ ثم ان الامر ظاهر لمن نظر فى انه
قد نقل المعنى عن صورته التى هو عليها فى شعر النابغة الى صورة اخرى وذلك ان هاهنا
معنيين احدهما اصل وهو علم الطير بان الممدوح اذا غزا عدوا كان الظفر له و
كان هو الغالب والاخر فرع وهو طمع الطير فى ان تتسع عليها المطاعم من لحوم
القتلى وقد عمد النابغة الى الاصل الذى هو علم الطير بان الممدوح يكون الغالب
فذكره صريحا وكشف عن وجهه واعتمد فى الفرع الذى هو طمعها فى لحوم العدى
وانها لذلك تحلق فوقه على دلالة الفحوى وعكس ابو نواس القضية فذكر الفرع الذى
هو طمعها فى لحوم القتلى صريحا فقال كما ترى ثقة بالشبع من جزره وعول فى

القول
الجمعان
الجيش

الاصل الذي عليها ان الظفر يكون للممدوح على الفحوى و دلالة الفحوى على عليها ان
الظفر يكون للممدوح هي من أنه قال من جنده وهي لا تتوهم ان شبعها يكون من جود الممدوح
حتى يعلم ان الظفر يكون له افيكون شيء اظهر من هذا النقل عن صورة الى صورة ارجع
في م
الى النسق ومن ذلك قول ابي العتاهية شيم فتحت من المدح ما قد كان مستغلقا
على المداح مع قول ابي تمام نظمت له خرز المديح مواهب ينفثن في عقد اللسان
المفحم وقول ابي وجزة اتاك المجد من هنا وهنا وكنت له بمجتمع السيول
مع قول المنصور النمري ان المكارم والمعروف اودية احلك الله منها حيث
تجتمع وقول بشار الشيب كره وكره ان يفارقني اعجب بشيء على البغضاء
مودود مع قول البحتري تعيب الغانيات علي شيبي ومن لي ان امتع
بالمعيب وقول ابي تمام يشتاقه من كماله غده ويكثر الوجد نحوه الامس
مع قول ابن الرومي امام من تظل الامس تعمل نحوه تلفت ملهوف ويشتاقه الغد
لم سطر الى ابد قال ويشتاقه الغد فاعاد لفظ ابي تمام ولكن انظر الى قوله تعمل
نحوه تلفت ملهوف وقول ابي تمام لمن ذممت الاعداء سوء صباحها
فليس يؤدي شكرها الذئب والنسر مع قول المتنبي وأنبتت منهم ربيع
السباع فاثنت باحسانك الشامل وقول ابي تمام وربت نائي المغاني
روحه ابدا لصيق روحي ودان ليس بالداني مع قول المتنبي لنا ولاهله
ابدا قلوب تلاقى في جسوم ما تلاقى وقول ابن دهقان اصبح الدهر
مسيئا كله ماله الا ابن يحيى حسنة مع قول المتنبي ازالت بك الايام عتبي
كانما بنوها لها ذنب وانت لها عذر وقول علي بن جبلة واذكى

الليالي ما طوت من قوتي رددته في عظتي وفي افهامي مع قول ابن المعتز
وما ينتقص من شباب الرجال يزد في نهاها والبابها وقول بكر بن النطاح
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله مع قول المتنبي
انك من معشر اذا وهبوا ما دون اعمارهم فقد بخلوا وقول البحتري
ومن ذا يلوم البحر ان بات زاخرا يفيض وصوب المزن ان راح يهطل
مع قول المتنبي وما ثناك كلام الناس عن كرم ومن يسد طريق العارض الهطل
وقول الكندي عزوا وعز بعزهم من جاوروا فهم الذرى وجماجم الهامات
ان يطلبوا بتراتهم يعطوا بها او يطلبوا لا يدركوا بترات مع قول المتنبي
تفيت الليالي كل شيء اخذته وهن لما يأخذن منك غوارم وقول ابي تمام
اذا سيفه اضحى على الهام حاكما غدا العفو منه وهو في السيف حاكم
مع قول المتنبي له من كريم الطبع في الحرب منتض ومن عادة الاحسان
والصفح غامده فانظر الآن نظر من نفى الغفلة عن نفسه فانك تراك عيانا ان
للمعنى في كل واحد من البيتين من جميع ذلك صورة وصفة غير صورته وصفته
في البيت الاخر وان العلماء لم يريدوا حيث قالوا ان المعنى في هذا هو المعنى
في ذاك ان الذي يعقل من هذا لا يخالف الذي يعقل من ذاك وان المعنى عائد عليك
في البيت الثاني على هيئته وصفته التي كان عليها في البيت الاول وان لا فرق
ولا فصل ولا تباين بوجه من الوجوه وان حكم البيتين مثلا حكم الاسمين قد وضعا
في اللغة لشيء واحد كالليث والاسد ولكن قالوا ذلك على حسب ما يقوله
العقلاء في الشيئين يجمعهما جنس واحد ثم يفترقان بخواص ومزايا وصفات

كالخاتم والخاتم والشنف والشنف والسوار والسوار وسائر اصناف الحلي
التي يجمعها جنس واحد يكون بينها الاختلاف الشديد في الصنعة والعمل ومن هذا
الذي ينظر الى بيت الخارجي وبيت ابي تمام فلا يعلم ان صوره المعنى في ذلك غير
صورته في هذا كيف والخارجي يقول واصبحت له بعلاته ويقول ابو تمام اذا
الهجاني عنه معروفه عندي ومتى كان اخذ وهما واحدا في المعنى وكذلك الحكم
في جميع ما ذكرنا فليس يتصور في نفس عاقل ان يكون قول البحتري واحب آفاق
البلاد الى الفتى ارض ينال بها كريم المطلب وقول المتنبي وكل مكان ينبت العز
طيب سواء واعلم ان قولنا الصوره انما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا
على الذي نراه بابصارنا فلما راينا البينونه بين آحاد الاجناس تكون من جهة
الصوره فكان بين انسان من انسان وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة
هذا لا تكون في صورة ذاك وكذلك كان الامر في المصنوعات فكان بين خاتم
من خاتم وسوار من سوار بذلك ثم وجدنا بين المعنى في احد البيتين وبينه في
الآخر بينونة في عقولنا وفرقا عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونه بان قلنا
للمعنى في هذا صوره غير صورته في ذلك وليس العباره عن ذلك بالصورة
شيئا نحن ابتداناه فينكره منكر بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء و
يكفيك قول الجاحظ وانما الشعر صياغة وضرب من التصوير واعلم انه
لو كان المعنى في احد البيتين يكون على هيئته وصفته في البيت الآخر وكان القائل
من الشاعرين يجيئك به معادا على وجهه لم يحدث فيه شيئا ولم يغير له صفة
لكان قول العلماء في شاعر انه اخذ المعنى من صاحبه فاحسن واجاد وفي آخر

انه اساء وقصر لغوا من القول من حيث كان محالا ان يحسن او يسيء في شيء لا يصنع
به شيئا وكذلك كان يكون جعلهم البيت نظيرا للبيت ومناسبا له خطا منهم
لانه محال ان يناسب الشيء نفسه وان يكون نظيرا لنفسه وامر ثالث وهو انهم
يقولون في واحد انه اخذ المعنى فظهر اخذه وفي آخر انه اخذه فاخفى اخذه
ولو كان المعنى يكون معادا على صورته وهيئته وكان الآخذ له من صاحبه لا
يصنع شيئا غير ان يبدل لفظا مكان لفظ لكان الاخفاء فيه محالا لان اللفظ لا
يخفي المعنى وانما يخفيه اخراجه في صورة غير التي كان عليها مثال ذلك ان
القاضي ابا الحسن ذكر فيما ذكر فيه تناسب المعاني بيت ابي نواس خليت و
الحسن تاخذه تنتقي منه وتنتخب وبيت عبد الله بن مصعب كانك جئت
محتكما عليهم تخير في الابوة ما تشاء وذكر انهما معا من بيت بشار
خلقت على ما في غير مخير هواي ولو خيرت كنت المهذبا والامر
في تناسب هذه الثلثة ظاهر ثم انه ذكر ان ابا تمام قد تناوله فاخفاه وقال
فلو صورت نفسك لم تزدها على ما فيك من كرم الطباع ومن العجيب
في ذلك ما تراه اذا انت تاملت قول ابي العتاهية جزى البخيل علي صالحة
عني لخفته على ظهري اعلي واكرم عن يديه يدي فعلت ونزه قدره قدري
ورزقت من جدواه عافية ان لا يضيق بشكره صدري وغنيت خلوا من
تفضله احنو عليه باحسن العذر ما فاتني خير امرئ وضعت عني
يداه مؤونة الشكر ثم نظرت الى قول الذي يقول اعتقني سوء ما صنعت
من الرق فيا بردها على كبدي فصرت عبدا للسوء فيك وما احسن سوء

وما هو في غاية الندرة من هذا الباب ما صنعه الجاحظ بقول نصيب ولو
سكتوا اثنت عليك الحقائب حسن نشره فعاد وكتب به الى ابن الزيات نحن
اعزك الله نسحر بالبيان ونموه بالقول والناس ينظرون الى الحال و
يقضون بالعيان فأثر في أمرنا أثراً ينطق اذا اسكتنا فان المدعي بغير بينة
متعرض للتكذيب وهذه جملة من صفتهم الشعر وعمله واذلالهم به
ابو حية النميري ان القصائد قد علمن بانني صنع اللسان بهن لا اتنحل
واذا ابتدأت عروض نسج ريض جعلت تذل لما اريد وتسهل
حتى تطاوعني ولو يرومها غيري لحاول صعبة لا تقبل تميم بن مقبل
اذا مت عن ذكر القوافي فلن ترى لها قائلا بعدي اطب واشعرا
واكثر بيتا سائرا ضربت له حزون جبال الشعر حتى تيسرا اغر غريبا
تمسح الناس وجهه كما تمسح الايدي الاغر المشهرا عدي بن الرقاع
وقصيدة قد بت اجمع بينها حتى اقوم ميلها وسنادها نظر
المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منآدها كعب بن زهير
من للقوافي شانها من يحوكها اذا ما ثوى كعب وفوز جرول
يقومها حتى يلين متونها فيقصر عنها كلما يتمثل بشار
عميت جنينا والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للعلم رافدا لقلب اذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنور الروض لاءمت بينه بقول اذا ما اجزن الشعر اسهلا ه
وله ذو زملوك عليه ابهة يعرف من شعره ومن خطبه لله ما

النميري

المجلس

ربيعه

راح في جوانحه من لؤلؤ لا ايتام عن طلبه تخرج من فيه للندي كما تخرج ضوء
السراج من لهبه ابو الشريح العميري فان اهلك فقد ابقيت بعدي
قوافي تعجب المتمثلينا لذيذات المقاطع محكمات لو ان الشعر يلبس
لارتدينا الفرزدق بلغن الشمس حين تكون شرقا ومسقط قرنها من
حيث غابا بكل ثنية وبكل ثغر غرائبهن تنتسب انتسابا ابن ميادة
فجرنا ينابيع الكلام وبحره فاصبح فيه ذو الرواية يسبح وما الشعر
الا شعر قيس وخندف وشعر سواهم كلفة وتملح وقال عقال بن هشام
يرد عليه الا ابلغ الرماح نقض مقاله بها خطل الرماح او كان يمزح
لقد خرق الحي اليمانون قبلهم بحور الكلام تستقي وهي طفح
وهم علموا من بعدهم فتعلموا وهم اعربوا هذا الكلام واوضحوا فللسابقين
الفضل لا يجحدونه وليس لمسبوق عليهم تبجح ابو تمام كشفت قناع
الشعر عن حر وجهه وطيرته عن وكره وهو واقع بغر يراها من
يراها بسمعه ويدنو اليها ذو الحجى وهو شاسع يود وداد لو ان اعضاء
جسمه اذا انشدت شوقا اليها مسامع وله حذاء تملأ كل اذن حكمة
وبلاغة وتدر كل وريد كالدر والمرجان الف نظمه بالشذر في عنق الفتاة
الرود كشقيقة البرد المنمنم وشيه في ارض مهرة او بلاد تزيد
يعطي بها البشرى الكريم ويرتدي برداءها في المحفل المشهود بشرى الغني
ابي البنات تتابعت بشراؤه بالفارس المولود وله جاءتك من نظم
اللسان قلادة سمطان فيها اللؤلؤ المكنون احذاكها صنع الضمير يمده

هاشم القيني

جفر اذا نضب الكلام معين ه

قول

اخذ لفظ الصنع من ابي حية في قوله صنع اللسان بهن لا انتحل ونقله الى
الضمير وقد جعل حسان ايضا اللسان صنعا وذلك في قوله اهدى لهم
مدحا قلب موازرة فيما احب لسان حائك صنع ولابي تمام البك
ارجنا جازت الشعر بعدما تمهل في روض المعاني العجائب غرائب لاقت
في فنائك انسها من المجد فهي الان غير غرائب ولو كان يفنى الشعر افناه ما قرت
حياضك منه في السنين الذواهب ولكنه صوب العقول اذا انجلت
سحائب منه اعقبت بسحائب البحتري الست الموالي فيك نظم قصائد
هي الانجم اقتادت مع الليل انجما ثنا كان الروض منه منورا ضحى وكان الوشي
منه منمنما وله احسن ابا حسن بالشعر اذ جعلت عليك انجمه بالمدح تنتثر
فقد اتتك القوافي غب فائدة كما تفتح غب الوابل الزهر وله البك القوافي
نازعات قواصد يسير ضاحي وشيها وينمنم ومشرقة في النظم غر يزينها
بهاء وحسنا انها لك تنظم وله منقوشة نقش الدنانير ينتقى لها اللفظ مختارا
كما ينتقى التبر وله ايذهب هذا الدهر لم ير موضعي ولم يدر مقدار حلي و
عقدك ويكسد مثلي وهو تاجر سودد يبيع ثمينات المكارم والمجد
سوائر شعر جامع بدد العلى تعلقن من قبلي واتعبن من بعدي يقدر فيها
صانع متعمل لاحكامها تقدير داود في السرد وله الله يسهر في مديحك
ليله متململا وتنام دون ثوابه يقظان ينتخل الكلام كانه جيش لديه يريد
ان يلقى به فاتى به كالسيف رقرق صيقل ما بين قائم سنخه وذبابه
ومن نادر وصفه للبلاغة قوله في نظام من البلاغة ما شك امرؤ انه نظام فريد

وبديع

المجاز الحكمي يظهر انك تراك في الاستعارة التي هي مجاز في نفس الكلمة وانت
تحتاج في الامر الاكثر الى ان تجدد لها وتقدم او تؤخر ما يعلم به انك مستعير و
مشبه وتفتح طريق المجاز الى الكلمة الاترى الى قوله وصاعقة من نصله تنكفي بها
على ارؤس الاقران خمس سحائب عنى بخمس السحائب اناملة ولكنه لم يأت
بهذه الاستعارة دفعة ولم يرمها اليك بغتة بل ذكر ما ينبئ عنها ويستدل
به عليها فذكر ان هناك صاعقة وقال من نصله فبين ان تلك الصاعقة من
نصل سيفه ثم قال على ارؤس الاقران ثم قال خمس فذكر الخمس التي هي عدد
انامل اليد فبان من مجموع هذه الامور غرضه وانشدوا لبعض العرب
فان تعافوا العدل والايمانا فان في ايماننا نيرانا يريد فان في ايماننا سيوفا
نضربكم بها ولولا قوله اولا فان تعافوا العدل والايمان وان في ذلك دلالة
على ان جوابه انهم يحاربون ويقسرون على الطاعة بالسيف ثم قوله فان في
ايماننا لما عقل مراده ولما جاز ان يستعير النيران للسيوف لانه كان لا يعقل
الذي يريد لا انا وان كنا نقول في ايديهم سيوف تلمع كانها شعل نار كما قال
ناهضتهم والبارقات كانها شعل على ايديهم تتلهب فان هذا التشبيه
لا يبلغ مبلغ ما يعرف مع الاطلاق كمعرفتنا اذا قال رايت اسدا انه يريد
الشجاعة واذا قال لقيت شمسا وبدرا انه يريد الحسن ولا يقوى تلك القوة
فاعرفه ومما طريق المجاز فيه الحكم قول الخنساء ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت
فانما هي اقبال وادبار وذلك انها لم ترد بالاقبال والادبار غير معناهما
فتكون قد تجوزت في نفس الكلمة وانما تجوزت في ان جعلتها لكثرة ما

تقبل وتدبر ولغلبة ذاك عليها واتصاله منها وانه لم يكن لها حال غيرهما كانها
قد تجسمت من الاقبال والادبار وانما كان يكون المجاز في نفس الكلمة لو انها
كانت قد استعيرت للاقبال والادبار بالمعنى غير معناهما الذي وضعا له في اللغة
ومعلوم ان ليس الاستعارة مما ارادته في شيء واعلم انه ليس بالوجه ان نعد
هذا على الاطلاق معدّ ما حذف منه المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
مثل قوله عز وجل وسل القرية ومثل قول النابغة وكيف تواصل من اصبحت
خلالته كابي مرحب وقول الاعرابي حسبت بغام راحلتي عناقا وما
هي ويب غيرك بالعناق وان كنا نراهم يذكرونه حيث يذكرون حذف المضاف
ويقولون انه في تقدير فانما هي ذات اقبال وادبار ذاك لان المضاف المحذوف
من نحو الاية والبيتين في سبيل ما يحذف من اللفظ ويراد في المعنى كمثل ان يحذف
خبر المبتدا او المبتدا اذا دل الدليل عليه الى سائر ما اذا حذف كان في حكم
المنطوق به وليس الامر كذلك في بيت الخنساء لانا اذا جعلنا المعنى فيه الآن
كالمعنى اذا نحن قلنا فانما هي ذات اقبال وادبار افسدنا الشعر على انفسنا و
خرجنا الى شيء مغسول والى كلام عامي مرذول وكان سبيلنا سبيل من
يزعم مثلا في بيت المتنبي بدت قمرا ومالت خوط بان وفاحت عنبرا
ورنت غزالا انه في تقدير محذوف وان معناه الآن كالمعنى اذا قلت
بدت مثل قمر ومالت مثل خوط بان وفاحت مثل عنبر ورنت مثل
غزال في انا نخرج الى الغثاثة والى شيء يعزل البلاغة عن سلطانها و
يخفض من شانها ويصد اوجهنا عن محاسنها ويسد باب المعرفة بها

معنى

وبلطائفها علينا فالوجه ان يكون تقدير المضاف في هذا على انه لو كان الكلام
قد جيء به على ظاهره ولم نقصد الى الذي ذكرنا من المبالغة والاتساع وان
نجعل الناقة كانها قد صارت بجملتها اقبالا وادبارا حتى كانها قد تجسمت
منها لكان حقه حينئذ ان يجاء فيه بلفظ الذات فيقال فانما هي ذات اقبال وادبار
فاما ان يكون الشعر الآن موضوعا على ارادة ذلك وعلى تنزيله منزلة المنطوق
به حتى يكون الحال فيه كالحال في حسبت بغام راحلتي عناقا حين كان المعنى
والقصد ان يقول حسبت بغام راحلتي بغام عناق فمما لا مساغ له عند من كان
صحيح الذوق صحيح المعرفة نسابة للمعاني فصل هذه مسألة
قد كنت عملتها قديما وقد كتبتها هاهنا لان لها اتصالا بهذا الذي
صار بنا القول اليه قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي
لمن اعمل قلبه فيما خلق القلب له من التدبر والتفكر والنظر فيما ينبغي ان ينظر
فيه فهذا على ان يجعل الذي لا يعي ولا يسمع ولا ينظر ولا يتفكر كانه قد عدم القلب
من حيث عدم الانتفاع به وفاته الذي هو فائدة القلب والمطلوب منه كما جعل
الذي لا ينتفع ببصره وسمعه ولا يفكر فيما يؤديان اليه ولا يحصل من رؤية
ما يرى وسماع ما يسمع على فائدة بمنزلة من لا سمع له ولا بصر فاما
تفسير من يفسره على انه بمعنى من كان له عقل فانه انما يصح على ان يكون قد اراد
الدلالة على الغرض على الجملة فاما ان يؤخذ به على هذا الظاهر حتى كان القلب
اسم للعقل كما يتوهمه الحشو ومن لا يعرف مخارج الكلام فمحال باطل
لانه يؤدي الى ابطال الغرض من الاية والى تحريف الكلام عن صورته وازالة المعنى

عن جهته وذلك ان المراد به الحث على النظر والتقريع على تركه وذم من يخل
به ويغفل عنه ولا يحصل ذلك الا بالطريق الذي قدمته ولا بان يكون قد جعل
من لا يعقد بقلبه ولا ينظر ولا يتذكر كانه ليس بذي قلب كما يجعل كانه جماد وكانه
ميت لا يشعر ولا يحس وليس سبيل من فسر القلب ههنا على العقل الا
سبيل من فسر عليه العين والسمع في قول الناس هذا بين لمن كانت له عين ولمن
كان له سمع وفسر العمى والصمم والموت في صفة من يوصف بالجهالة على
مجرد الجهل واجرى جميع ذلك على الظاهر فاعرفه ومن عادة قوم ممن يتعاطى
التفسير بغير علم ان يتوهموا ابدا في الالفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل
انها على ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا الغرض ويمنعوا انفسهم
والسامع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرف وناهيك بهم اذا
هم اخذوا في ذكر الوجوه وجعلوا يكثرون في غير طائل هناك ترى ما
شئت من باب جهل قد فتحوه وزند ضلالة قد قدحوا به ونسال الله
العصمة والتوفيق **فصل** هذا فن من القول دقيق المسلك لطيف
المأخذ وهو انا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بان يذهبوا بها مذهب الكناية و
التعريض كذلك يذهبون في اثبات الصفة هذا المذهب واذا فعلوا ذلك بدت
هناك محاسن تملا الطرف ودقائق تعجز الوصف ورايت هناك شعرا شاعرا
وسحرا ساحرا وبلاغة لا يكمل لها الا الشاعر المفلق والخطيب المصقع وكما
ان الصفة اذا لم تاتك مصرحا بذكرها مكشوفا عن وجهها ولكن مدلولا عليها بغيرها
كان ذلك افخم لشانها والطف لمكانها كذلك اثباتك الصفة للشيء تثبتها له اذا لم تلقه

الى السامع صريحا وجئت اليه من جانب التعريض والكناية والرمز والاشارة كان
له من الفضل والمزية ومن الحسن والرونق ما لا يقل قليله ولا يجهل موضع الفضيلة
فيه وتفسير هذه الجملة وشرحها انهم يرومون وصف الرجل ومدحه واثبات معنى
من المعاني الشريفة له فيدعون التصريح بذلك ويكنون عن جعلها فيه بجعلها في شيء
يشتمل عليه ويتلبس به ويتوصلون في الجملة الى ما ارادوا من الاثبات لا من الجهة الظاهرة
المعروفة بل من طريق يخفى ومسلك يدق ومثاله قول زياد الاعجم ان السماحة والمروة
والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج اراد كما لا يخفى ان يثبت هذه المعاني والاوصاف
خلالا للممدوح وضرائب فيه فترك ان يصرح فيقول ان السماحة والمروة والندى مجموعة
في ابن الحشرج او مقصورة عليه او مختصة به وما شاكل ذلك مما هو صريح في اثبات الاوصاف
للمذكورين بها وعدل الى ما ترى من الكناية والتلويح فجعل كونها في القبة المضروبة عليه
عبارة عن كونها فيه واشارة اليه فخرج كلامه بذلك الى ما خرج اليه من الجزالة وظهر
فيه ما انت ترى من الفخامة ولو انه اسقط هذه الواسطة من البين لما كان الا كلاما
غفلا وحديثا ساذجا وهذه الصنعة في طريق الاثبات هي نظير الصنعة في المعاني
اذا جاءت كنايات عن معان اخر نحو قوله وما يك في من عيب فاني جبان الكلب مهزول
الفصيل فكما انه انما كان من فاخر الشعر ومما يقع في الاختيار لاجل انه اراد ان يذكر
نفسه بالقرى والضيافة فكنى عن ذلك بجبن الكلب وهزال الفصيل وترك ان يصرح
فيقول قد عرف ان جنابي مالوف وكلبي مؤدب لا يهر في وجوه من يغشاني من
الاضياف واني انحر المتالي من ابلي وادع فصالها هزلى كذلك انما راقك بيت زياد لانه
كنى عن اثباته السماحة والمروة والندى كائنة في الممدوح بجعلها كائنة في القبة المضروبة

علم هذا وكما أن من شأن الكناية الواقعة في نفس الصفة أن يجيء على صور مختلفة
كذلك من شأنها إذا وقعت في طريق إثبات الصفة أن يجيء على هذا الحد ثم يكون في
ذلك ما يتناسب كما كان ذلك في الصفة نفسها تفسير هذا أنك تنظر إلى قول يزيد بن
الحكم يمدح يزيد بن المهلب وهو في حبس الحجاج أصبح في قيدك السماحة والجود
وفضل الصلاح والحسب فتراه نظير البيت زياد وتعلم أن مكان القيد ها هنا
هو مكان القبة هناك كما أنك تنظر إلى قوله جبان الكلب فتعلم أنه نظير لقوله
زجرت كلابي أن يهر عقورها من حيث لم يكن ذلك الجبن منه إلا لأن دام منه الزجر
واستمر حتى أخرج الكلب بذلك عما هو عادته من الهرير والنبح في وجه من
يدنو من دار هو مرصد لأن يعس دونها وتنظر إلى قول يزيد والفضل فتعلم أنه
نظير قول ابن هرمة لا أمتع العوذ بالفصال وتنظر إلى قول نصيب لعبد العزيز
على قومه وغيرهم منن ظاهرة فبابك ألين أبوابهم ودارك مأهولة عامرة
وكلبك آنس بالزائرين من الأم بالابنة الزائرة فتعلم أنه من قول الآخر يكاد إذا ما
أبصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو أعجم وأن بينهما قرابة شديدة ونسبا
لاصقا وأن صورتهما في فرط التناسب صورة بيتي زياد ويزيد ومما هو إثبات
الصفة على طريق الكناية والتعريض قولهم المجد بين ثوبيه والكرم في برديه وذلك
أن قائل هذا يتوصل إلى إثبات المجد والكرم للممدوح بأن يجعلهما في ثوبه الذي يلبسه
كما توصل زياد إلى إثبات السماحة والمروة والندى لابن الحشرج بأن جعلها في
القبة التي هو جالس فيها ومن ذلك قوله وحيثما يك أمر صالح فكن وما جاء في معناه
من قوله يصير أبان قرين السماح والمكرمات معا حيث صارا وقول أبي نواس

الكناية عن صح

أسهل صح

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير كل ذلك توصل إلى إثبات
الصفة في الممدوح بإثباتها في المكان الذي يكون فيه وإلى لزومها له بلزومها الموضع
الذي يحله وهكذا إن اعتبرت قول الشنفرى يصف امرأة بالعفة يبيت
بمنجاة من اللوم بيتها إذا ما بيوت بالملامة حلت وجدته يدخل في معنى بيت
زياد وذلك أنه توصل إلى نفي اللوم عنها وإبعادها عنه بأن نفاه عن بيتها وباعد
بينه وبينه فكان مذهبه في ذلك مذهب زياد في التوصل إلى جعل السماحة و
المروة والندى في ابن الحشرج بأن جعلها في القبة المضروبة عليه وإنما الفرق
أن هذا ينفي وذاك يثبت وذاك أفرد بيتها في موضع الجمع فهو لا يمنع أن يكونا من
نصاب واحد ومما هو في حكم المتناسب بيت زياد وأمثاله التي ذكرت وإن كان في
صورة أغرب وأبدع قول حسان بنى المجد بيتا فاستقرت عماده علينا
فأعيا الناس أن يتحولا وقول البحتري أو ما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحة
ثم لم يتحول ذاك لأن مدار الأمر على أنه جعل المجد والممدوح في مكان وجعله يكون
حيث يكون واعلم أنه ليس كل ما جاء كناية في إثبات الصفة يصلح أن يحكم عليه
بالتناسب معنى هذا أن جعلهم الجود والكرم والمجد يمرض بمرض الممدوح كما
قال البحتري ظللنا نعود الجود من وعكك الذي وجدت وقلنا اعتل عضو
من المجد وإن كان يكون القصد منه إثبات الجود والمجد للممدوح فإنه لا يصح أن
يقال إنه نظير لبيت زياد كما قلنا ذلك في بيت أبي نواس ولكن يصير الجود حيث
يصير وغيره مما ذكرنا أنه نظير له كما أنه لا يجوز أن يجعل قوله وكلبك آنس
بالزائرين مثلا نظيرا لقوله مهزول الفصيل وإن كان الغرض منهما جميعا الوصف

قد أخرج صح

بالقرى والضيافة وكلتاهما جميعًا وكانا جميعًا كنايتين عن معنى واحد لان تعاقب الكنايات
على المعنى الواحد لا يوجب تناسبها لانه في عروض ان تتفق الاشعار الكثيرة في كونها
مدحًا بالشجاعة مثلًا او بالجود او ما اشبه ذلك وقد يجتمع في البيت الواحد كنايتان
المغزى منهما شيء واحد ثم لا تكون احديهما في حكم النظير للاخرى مثال ذلك انه لا يكون قوله
جبان الكلب نظيرًا لقوله مهزول الفصيل بل كل واحدة من هاتين الكنايتين اصل
بنفسه وجنس على حدة وكذلك قول ابن هرمة لا امتع العوذ بالفصال ولا
ابتاع الا قريبة الاجل ليس احدى كنايتيه في حكم النظير للاخرى مثال ذلك انه لا يكون
قوله جبان الكلب وان كان المكني بهما عنه واحدًا فاعرفه وليس لشعب هذا
الاصل وفروعه وامثلته وصوره وطرقه ومسالكه حد ونهاية ومن لطيف ذلك
ونادره قول ابي تمام ابين فما يزرن سوى كريم وحسبك ان يزرن ابا سعيد
ومثله وان لم يبلغ مبلغه قول الاخر متى تخلو تميم من كريم ومسلمة بن عمرو من تميم
وكذلك قول بعض العرب اذا الله لم يسق الا الكرام فسقى وجوه بني حنبل
وسقى ديارهم باكرًا من الغيث في الزمن الممحل وفن منه غريب قول بعضهم
في البرامكة سألت الندى والجود ما لي اراكما تبدلتما ذلًا بعز مؤبد وما بال
ركن المجد امسى مهدمًا فقالا اصبنا بابن يحيى محمد فقلت فهلا متما عند موته
فقد كنتما عبديه في كل مشهد فقالا اقمنا كي نعزى بفقده مسافة يوم ثم نتلوه في غد

فصل واعلم ان مما اغمض الطريق الى معرفة ما نحن بصدده ان ههنا
فروقًا خفية تجهلها العامة وكثير من الخاصة ليس انهم يجهلونها في موضع و
يعرفونها في اخر بل لا يدرون انها هي ولا يعلمونها في جملة ولا تفصيل روي عن ابن

الانباري انه قال ركب الكندي المتفلسف الى ابي العباس وقال له اني اجد في كلام العرب
حشوًا فقال له ابو العباس في اي موضع وجدت ذلك فقال اجد العرب يقولون عبد
الله قائم ثم يقولون ان عبد الله قائم ثم يقولون ان عبد الله لقائم فالالفاظ متكررة و
المعنى واحد فقال له ابو العباس بل المعاني مختلفة لاختلاف الالفاظ فقولهم عبد الله
قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم ان عبد الله
لقائم جواب عن انكار منكر قيامه فقد تكررت الالفاظ لتكرر المعاني قال فما احار
المتفلسف جوابًا واذا كان الكندي يذهب هذا عليه حتى يركب فيه ركوب مستفهم
او معترض فما ظنك بالعامة ومن هو في عداد العامة ممن لا يخطر شبه هذا بباله
واعلم ان ههنا دقائق لو ان الكندي استقرى وتصفح وتتبع مواقع ان ثم الطف
النظر واكثر التدبر لعلم علم ضرورة ان ليس سواء دخولها وان لا تدخل فاول ذلك و
اعجبه ما قدمت لك ذكره في بيت بشار بكرا صاحبي قبل الهجير ان ذاك النجاح في التبكير
ومما اشبهه من قول العرب فغنها وهي لك الفداء ان غناء الابل الحداء وذلك
انه هل شيء ابين في الفائدة وادل على ان ليس سواء دخولها وان لا تدخل انك ترى الجملة
اذا هي دخلت ترتبط بما قبلها وتأتلف معه وتتحد به حتى كان الكلامين قد افرغا
افراغًا واحدًا وكان احدهما قد سبك في الاخر وهذه هي الصورة حتى اذا جئت
الى ان فاسقطتها رايت الثاني منهما قد نبا عن الاول وتجافى معناه عن معناه و
رايته لا يتصل به ولا يكون منه بسبيل حتى تجيء بالفاء فتقول بكرا صاحبي قبل الهجير فذاك
النجاح في التبكير وغنها وهي لك الفداء فغناء الابل الحداء ثم لا ترى الفاء تعيد الجملتين
الى ما كانتا عليه من الالفة ولا ترد عليك الذي كنت تجد بان من المعنى وهذا الضرب كثير

في الشعر جدًّا ومن ذلك قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقوله تعالى
يا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور
وقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم ومن
اسرار ذلك قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقد تكرر في الاية الواحدة كقوله
وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم وهي على الجملة من
الكثرة بحيث لا تدركها الاحصاء ومن خصائصها انك ترى لضمير الامر والشأن معها
من الحسن واللطف ما لا تراه اذا هي لم تدخل عليه بل تراه لا يصلح حيث يصلح الا بها وكذلك
في مثل قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله انه من يحادد
الله ورسوله وقوله انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب وقوله انه لا يفلح الكافرون
ومن ذلك قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار واجاز ابو الحسن (اخفش) فيها وجها آخر وهو ان
يكون الضمير في انها للابصار اضمرت قبل الذكر على شريطة التفسير والحاجة
في هذا الوجه ايضا الى ان قائمة كما كانت في الوجه الاول فانه لا يقال هي لا تعمى
الابصار كما لا يقال هي من يتق ويصبر فان الله لا يضيع فان قلت اوليس
قد جاء ضمير الامر مبتدأ به معرّى من العوامل في قوله تعالى قل هو الله احد
قيل هو وان جاء هنا فانه لا يكاد يوجد مع الجملة من الشرط والجزاء بل تراه
لا يجيء الا بان على انهم قد اجازوا في قل هو الله احد ان لا يكون الضمير للامر ومن
لطيف ما جاء في هذا الباب ونادره ما تجده في آخر هذه الابيات انشدها الجاحظ
لبعض الحجازيين اذا طمع يوما عراني قريته كتائب يأس كرّها وطرادها اكدّ
ثمادي والمياه كثيرة اعالج منها حفرها واكتدادها وارضى بها من بحر آخر انه

هو الريّ ان ترضى النفوس ثمادها المقصود قوله انه هو الري وذلك ان الهاء
في انه يحتمل امرين احدهما ان يكون ضمير الامر ويكون قوله هو ضمير ان ترضى وقد اضمر
قبل الذكر على شريطة التفسير الاصل انّ الامر ان ترضى النفوس ثمادها الري من اصحر
قبل الذكر كما اضمرت الابصار في فانها لا تعمى الابصار على مذهب ابي الحسن من انّ المضمر
مفسّر بما في آخر الكلام فيعلم بذلك ان الضمير السابق له وانه المراد به والثاني
ان يكون الهاء في انه ضمير ان ترضى قبل الذكر ويكون هو فصلا ويكون اصل الكلام انّ ان
ترضى النفوس ثمادها هو الري ثم اضمر على شريطة التفسير واي الامرين كان فانه
لا بد فيه من انّ ولا سبيل الى اسقاطها لانك ان اسقطتها افضى ذلك بك الى شيء شنيع
وهو ان تقول وارضى بها من بحر آخر هو هو الري لن ترضى النفوس ثمادها هذا وفي
انّ هذه شيء آخر توجب الحاجة اليها وهو انها تتولى من ربط الجملة بما قبلها امرا عجيبا
ذكرت لك في بيت بشار الا ترى انك لو اسقطت انّ والضمير معا واقتصرت على
ما ذكر ما بقي من الكلام لم يعلم الا ان الفاكه ولك وارضى بها من بحر آخر فالري لن
ترضى النفوس ثمادها فلو ان الفيلسوف قد كان تتبع هذه المواضع لما ظن الذي ظن
هذا واذا كان خلف الاحمر وهو القدوة ومن يؤخذ عنه ومن هو بحيث يقول الشعر
فينحله الفحول والجاهليين فيخفى ذلك له ويجوز ان تشتبه ما لحن فيه عليه حتى يقع له ان
ان ينتقد على بشار فلا غرو ان تدخل الشبهة في ذلك على الكندي ومما تصنعه انّ
في الكلام انك تراها تهيئ النكرة وتصلحها لان يكون لها حكم المبتدأ اعني ان يكون
محدّثا عنها بحديث من بعدها ومثال ذلك قوله ان شواء ونشوة وخبب البازل
الامون لم يكن كلاما فان كانت النكرة موصوفة وكانت لذلك تصلح ان يبتدأ بها فانك

قوله ويجوز ان يقطع الكلام ثم تبتدئ الكلام بقوله يشتبه

تراها مع إن أحسن وترى المعنى حسنًا أولى بالصحة وأمكن أفلا ترى إلى قوله
إن دهرًا يلف شملي بسعدى لزمان يهم بالإحسان ليس يخفى أن كان يستقيم
أن يقول دهر يلف شملي بسعدى دهر صالح أن ليس الحال على سواء وكذلك
ليس يخفى أنك لو عمدت إلى قوله إن امرأً فادحًا عن جوابي شغلك فأسقطت
منه إن لعدمت الحسن والطلاوة والتمكن الذي أنت واجده الآن و
وجدت ضعفًا وفتورًا ومن شأن إن في الجملة أنها تغني إذا كانت فيها عن
الخبر في بعض الكلام ووضع صاحب الكتاب في ذلك بابًا فقال هذا باب
ما يحسن عليه السكوت في هذه الأحرف الخمسة لإضمارك ما يكون مستقرًا
لها وموضعًا لو أظهرته وليس هذا المضمر بنفس المظهر وذلك إن مالاً وإن ولدًا
وإن عددًا أي إن لهم مالاً فالذي أضمرت هو لهم وتقول الرجل للرجل هل لكم
أحد إن الناس ألب عليكم فيقول إن زيدًا وإن عمرًا أي إن لنا وقال إن محلاً وإن
مرتحلاً وإن في السفر إذ مضوا مهلا ويقول إن غيرها إبلاً وشاء كأنه
قال إن لنا أو عندنا غيرها قال وانتصب الإبل والشاء كانتصاب الفارس إذا
قلت ما في الناس مثله فارسًا قال ومثل ذلك قوله يا ليت أيام الصبا رواجعا
قال فهذا كقولهم ألا ماء باردًا كأنه قال ألا ماء لنا باردًا وكأنه قال يا ليت أيام الصبا
أقبلت رواجعا فقد أراك في هذا أن الخبر محذوف وقد ترى حسن الكلام
وصحته مع حذفه وترك النطق به ثم إنك إن عمدت إلى إن فأسقطتها وجدت
الذي كان حسن من حذف الخبر لا يحسن أو لا يسوغ فلو قلت مال وعدد
ومحل ومرتحل وغيرها إبلاً وشاء لم يكن شيئًا وذلك أن إن كانت السبب

في أن حسن حذف الذي حذف من الخبر وأنها حاضنته والمترجم عنه و
المتكفل بشأنه واعلم أن الذي قلنا في إن من أنها تدخل على الجملة من شأنها إذا
هي أسقطت منها أن يحتاج فيها إلى الفاء لا يطرد في كل شيء وفي كل موضع بل يكون
في موضع دون موضع وفي حال دون حال فإنك قد تراها قد دخلت على الجملة ليست
هي مما يقتضي الفاء وذلك فيما لا يحصى كقوله تعالى إن المتقين في مقام أمين في جنات
وعيون وذلك أن قبله إن هذا ما كنتم به تمترون ومعلوم أنك لو قلت إن هذا
ما كنتم به تمترون فالمتقون في جنات وعيون لم يكن كلامًا وكذلك قوله إن الذين
سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لأنك لو قلت لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون
فالذين سبقت لهم منا الحسنى لم تجد لإدخالك الفاء فيه وجهًا وكذا قوله إن
الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل
بينهم يوم القيامة الذين آمنوا اسم إن وما بعده معطوف عليه وقوله إن الله يفصل
بينهم يوم القيامة جملة في موضع الخبر ودخول الفاء فيها محال لأن الخبر لا يعطف
على المبتدأ ومثله سواء إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن
عملاً فإذًا إنما يكون الذي ذكرنا في الجملة من حديث اقتضاء الفاء إذا كان مصدرها
مصدر الكلام يصحح به ما قبله ويحتج له ويبين وجه الفائدة فيه ألا ترى أن الغرض
من قوله إن ذاك النجاح في التبكير أن يبين المعنى في قوله لصاحبيه بكرا وأن يحتج
لنفسه في الأمر بالتبكير ويبين وجه الفائدة فيه وكذلك الحكم في الآي التي تلوناها
وقوله إن زلزلة الساعة شيء عظيم بيان للمعنى في قوله يا أيها الناس اتقوا ربكم ولم
أمروا بأن يتقوا وكذلك قوله إن صلوتك سكن لهم بيان للمعنى في أمر النبي صلى الله عليه وسلم

بالصلوة عليهم اي بالدعا لهم وهذا سبيل كل ما ترى فيه الجملة تحتاج فيها الى الفا [انت]
فاعرف ذلك فاما الذي ذكر عن ابي العباس من جعله لها جواب سائل اذا كانت
وحدها وجواب منكر اذا كانت معها اللام فالذي يدل على ان لها اصلاً في الجواب
انا رأيناهم قد الزموها الجملة من المبتدا والخبر اذا كانت جوابا للقسم نحو
والله ان زيدا منطلق وامتنعوا من ان يقولوا والله زيد منطلق ثم انا اذا استقرينا
الكلام وجدنا الامر بيّنا في الكثير من مواقعها انه يقصد بها الى الجواب كقوله
تعلى ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض
وكقوله تعلى نحن نقص عليك ~~احسن القصص~~ نبأهم بالحق انهم فتية امنوا بربهم و
كقوله تعلى فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وقوله قل اني نهيت ان اعبد الذين
تدعون من دون الله وقل اني انا النذير المبين واشباه ذلك مما يعلم انه كلام امر
النبي عليه السلام بان يجيب به الكفار في بعض ما جادلوا وناظروا فيه وعلى ذلك
قوله فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين وذلك انه يعلم ان المعنى فاتياه
فاذا قال لكما ما شانكما وما جاءكما وما تقولان فقولا انا رسول رب العالمين
وكذا قوله تعلى وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين هذا سبيله ومن
البين في ذلك قوله تعلى في قصة السحرة قالوا انا الى ربنا منقلبون وذلك لانه
عيان انه جواب فرعون عن قوله آمنتم له قبل ان اذن لكم فهذا هو وجه القول في
نصرة هذه الحكاية ثم ان الاصل الذي ينبغي ان يكون عليه البناء هو الذي دوّن في الكتب
من انها للتاكيد واذا كان قد ثبت ذلك فاذا كان الخبر بامر ليس للمخاطب ظن في
خلافه البتة ولا يكون قد عقد في نفسه ان الذي تزعم انه كائن غير كائن وان

الذي تزعم انه لم يكن كائن فانك لا تحتاج هناك الى ان وانما تحتاج اليها اذا كان له
ظن في الخلاف وعقد قلب على نفي ما تثبت او اثبات ما تنفي ولذلك تراها
تزداد حسنا اذا كان الخبر بامر يبعد مثله في الظن وبشيء قد جرت عادة
الناس فيه بخلافه كقول ابي نواس عليك باليأس عن الناس ان غنى نفسك في اليأس
قد ترى حسن موقعها وكيف قبول النفس لها وليس ذلك الا لان الغالب على
الناس انهم لا يحملون انفسهم على اليأس ولا يدعون الرجا والطمع ولا يعترف
كل احد ولا يسلم ان الغنى في اليأس فلما كان كذلك كان الموضع موضع فقر الى
التاكيد فلذلك كان من حسنها ما ترى ومثله سواء قول محمد بن وهيب اجارتنا
ان التعفف باليأس وصبرا على استدرار دنيا بابساس حريان ان لا يقذفا بمذلة
كريما وان لا يحوجاه الى الناس اجارتنا ان القداح كواذب واكثر اسباب النجاح مع الياس [اليأس]
هو كما لا يخفى كلام مع من لا يرى ان الامر كما قال بل ينكره ويعتقد خلافه ومعلوم
انه لم يقله الا والمراة تحدوه وتبعثه على التعرض للناس وعلى الطلب ومن
لطيف مواقعها ان يدعى [على المخاطب] ظن لم يظنه ولكن يراد التهكم به وان يقال ان
حالك والذي صنعت يقتضي ان تكون قد ظننت ذلك ومثال ذلك قول الاول
جاء شقيق عارضا رمحه ان بني عمك فيهم رماح يقول ان مجيئه هكذا مدلا
بنفسه وشجاعته قد وضع رمحه عرضا دليل على اعجاب شديد وعلى
اعتقاد منه انه لا يقوم له احد حتى كان ليس مع احد منا رمح يدفعه به وكانا
كلنا عزل واذا كان كذلك وجب اذا قيل انها جواب سائل ان يشترط فيه
ان يكون للسائل ظن في المسؤول عنه على خلاف ما انت تجيبه به فاما ان يجعل

مجرّداً الجواب اصلاً فيها فلا لانه يؤدّي الى ان لا يستقيم لنا اذا قال الرجل كيف
زيد ان نقول صالح واذا قيل اين هو ان نقول في الدار وان لا يصح حتى نقول انّه صالح
وانه في الدار وذلك مما لا يقوله احدٌ واما جعلها اذا جمع بينها وبين اللام نحو ان
عبد الله لقائم للكلام مع المنكر فجيّدٌ لانه اذا كان الكلام مع المنكر كانت الحاجة
الى التاكيد اشدّ وذلك انك احوج ما تكون الى الزيادة في تثبيت خبرك اذا
كان هناك من يدفعه وينكر صحّته الا انه ينبغي ان تعلم انه كما يكون للانكار قد
كان من السامع فانه يكون للانكار تعلم او ترى انه يكون من السامعين وجملة
الامر انك لا تقول انه كذلك حتى تريد ان تضع كلامك وضع من يزع فيه عن
الانكار واعلم انها قد تدخل للدلالة على ان الظنّ كان منك ايّها المتكلم في الذي كان
انه لا يكون وذلك قولك للشيء هو بمرأى من المخاطب ومسمع انه كان من الامر
ما ترى وكان مني الى فلانٍ احسانٌ ومعروفٌ ثم انّه جعل جزائي ما رأيت
فتجعلك كانك تردّ على نفسك ظنّك الذي ظننت وتبيّن الخطأ في الذي توهّمت
وعلى ذلك والله اعلم قوله تعالى حكاية عن امّ مريم عليها السلام قالت ربّ انّي
وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وكذلك قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام
قال ربّ انّ قومي كذّبون وليس الذي يعرض بسبب هذا الحرف من الدقائق
والامور الخفيّة بالشيء يدرك بالهوينا ونحن نقتصر الان على ما ذكرناه ونأخذ في
القول عليها اذا اتّصلت بها ما. مسائل انّما قال ابو علي الشيخ في
الشيرازيات يقول ناس من النحويين في نحو قوله تعالى قل انّما حرّم ربّي
الفواحش ما ظهر منها وما بطن ان المعنى ما حرّم ربّي الا الفواحش قال

ما اتى ابو علي في الشيراز

واصبت ما يدلّ على صحّة قولهم في هذا وهو قول الفرزدق انا الذائد الحامي الذمار وانّما
يدافع عن احسابهم انا او مثلي فليس يخلو هذا الكلام من ان يكون موجباً او منفيّاً فلو
كان فلو كان المراد به الايجاب لم يستقم الا ترى انك لا تقول يدافع انا ولا يقاتل انا
وانما تقول اُدافع واُقاتل الا ان المعنى لما كان ما يدافع الا انا فصلت الضمير كما تفصله
من الفعل اذا الحقت معه الا حملاً على المعنى وقال ابو اسحق الزجّاج في قوله انّما حرّم
عليكم الميتة والدم النصب في الميتة هو القراءة ويجوز انما حُرّم عليكم الميتةُ قال ابو اسحق
والذي اختاره ان تكون ما هي التي تمنع انّ من العمل ويكون المعنى ما حرّم عليكم الا الميتة
لان انما تأتي اثباتاً لما يذكر بعدها ونفياً لما سواه وقول الشاعر وانما يدافع عن احسابهم
انا ومثلي المعنى ما يدافع عن احسابهم الا انا او مثلي انتهى كلام الشيخ ابي علي اعلم انهم و
ان كانوا قالوا هذا الذي كتبته لك فانهم لم يعنوا بذلك ان المعنى في هذا هو المعنى في ذلك
بعينه وان سبيلهما سبيل اللفظين يوضعان لمعنىً واحدٍ وفرقٌ بين ان يكون في الشيء معنى
الشيء وبين ان يكون الشيء الشيء على الاطلاق يبيّن لك انهما لا يكونان سواءً انه ليس كل كلام
يصلح فيه ما والا يصلح فيه انّما الا ترى انها لا تصلح في مثل قوله تعالى وما من اله الا الله ولا
في نحو قولنا ما احدٌ الا وهو يقول ذاك اذ لو قلت انّما من اله الله وانما احدٌ وهو
يقول ذاك قلت ما لا يكون له معنى فان قلت ان سبب ذلك ان احداً لا يقع الا في النفي
وما يجري مجرى النفي من النهي والاستفهام وان من المزيدة في ما من اله الا الله كذلك
لا يكون الا في النفي وما يجري مجرى النفي من النهي والاستفهام قيل فيعمّ هذا كفاية
فانه اعترافٌ بانهما ليسا سواءً لانهما لو كانا سواءً لكان ينبغي ان يكون في انّما من النفي مثل ما
يكون في ما والا وكما وجدت انّما لا تصلح فيما ذكرنا كذلك تجد ما والا لا تصلح في ضرب

من الكلام قد صلح فيه انما ولكنه مثل قولك انما هو درهم لا دينار لو قلت ما هو
الا درهم لا دينار لم يكن شيئا واذ قد بان بهذه الجملة انهم حين جعلوا انما في معنى ما والا
لم يعنوا ان المعنى فيهما واحد على الاطلاق وان يسقطوا الفرق فاني ابين لك امرهما و
ما هو اصل في كل واحد منهما بعون الله وتوفيقه اعلم ان موضوع انما على ان تجيء
لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته او لما ينزل هذه المنزلة تفسير ذلك انك
تقول للرجل انما هو اخوك انما هو صاحبك القديم لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع
صحته ولكن لمن يعلمه ويقر به الا انك تريد ان تنبهه للذي يجب عليه من حق الاخ
وحرمة الصاحب ومثله قول الاخر انما انت والد والاب القاطع احنى من واصل
الاولاد لم يرد ان يعلم كافورا انه والد ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه الى الاعلام
ولكنه اراد ان يذكره منه بالامر المعلوم ليبني عليه استدعاء ما يوجبه كونه
له بمنزلة الوالد ومثل ذلك قولهم انما يعجل من يخشى الفوت وذلك ان من المعلوم
الثابت في النفوس ان من لم يخش الفوت لم يعجل ومثاله من التنزيل قوله تعالى انما
يستجيب الذين يسمعون وقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب وقوله
انما انت منذر من يخشاها كل ذلك تذكير بامر معلوم ثابت وذلك ان كل عاقل يعلم
انه لا تكون استجابة الا ممن يسمع ويعقل ما يقال له ويدعى اليه وان من لم يسمع ولم
يعقل لم يستجب وكذلك معلوم ان الانذار انما يكون انذارا ويكون له تأثير اذا كان
مع من يؤمن بالله ويخشاه ويصدق بالبعث والساعة فاما الكافر الجاهل
فالانذار وترك الانذار معه واحد فهذا مثال ما الخبر فيه خبر بامر يعلمه المخاطب
ولا ينكره بحال واما مثال ما ينزل هذه المنزلة فكقوله انما مصعب شهاب من الله

تجلت عن وجهه الظلماء ادعى كون الممدوح بهذه الصفة امرا ظاهرا معلوما للجميع على
عادة الشعراء اذا مدحوا ان يدعوا في الاوصاف التي يذكرون بها الممدوحين انها
ثابتة لهم وانهم قد شهروا بها وانهم لم يوصفوا الا بالمعلوم والظاهر الذي لا يدفعه احد
كما قال وتعذلني افناء سعد عليهم وما قلت الا بالتي علمت سعد وكما قال البحتري
لا ادعي لابي العلاء فضيلة حتى يسلمها اليه عداه ○ ومثله قولهم انما هو اسد
وانما هو نار وانما هو سيف صارم اذا ادخلوا انما جعلوا ذلك في حكم الظاهر المعلوم
الذي لا ينكر ولا يدفع ولا يخفى واما الخبر بالنفي والاثبات نحو ما هو الا كذا و
ان هو الا كذا فيكون للامر الذي ينكره المخاطب ويشك فيه فاذا قلت ما هو الا
مصيب او ما هو الا مخطئ قلته لمن يدفع ان يكون الامر على ما قلته واذا رايت
شخصا من بعيد فقلت ما هو الا زيد لم تقله الا وصاحبك يتوهم انه ليس بزيد
وانه انسان اخر ويجد في الانكار ان يكون زيدا واذا كان الامر ظاهرا كالذي مضى
لم تقله كذلك فلا تقول للرجل ترققه على اخيه وتنبهه للذي يجب عليه من صلة
الرحم ومن حسن التجافي ما هو الا اخوك وكذلك لا يصلح في انما انت والد ما انت
الا والد فاما نحو انما مصعب شهاب فيصلح ان تقول ما مصعب الا شهاب
لانه ليس من المعلوم على الصحة وانما ادعى الشاعر فيه انه كذلك واذا كان هذا
هكذا جاز ان تقوله بالنفي والاثبات الا انك تخرج المدح حينئذ عن ان يكون على
حد المبالغة من حيث لا تكون قد ادعيت فيه انه معلوم وانه بحيث لا ينكره
منكر ولا يخالف فيه مخالف وقوله تعالى ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما
كان يعبد اباؤنا انما جاء والله اعلم بان والا دون انما فلم يقل انما انتم بشر مثلنا لانهم

جعلوا الرسل كأنهم بادعائهم النبوة قد أخرجوا أنفسهم عن أن يكونوا بشرا مثلهم
وادعوا أمرا لا يجوز أن يكون لمن هو بشر ولما كان الأمر كذلك أخرج اللفظ مخرجه
حيث يراد إثبات أمر يدفعه المخاطب ويدعي خلافه ثم جاء الجواب من الذي هو قوله
الرسل
الذي هو قوله قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم كذلك بإن وإلا دون إنما لأن من حكم
من ادعى عليه خصمه الخلاف في أمر هو لا يخالف فيه أن يعيد كلام الخصم على وجهه
ويجيء به على هيئته ويحكيه كما هو فإذا قلت للرجل أنت من شأنك كيت وكيت قال نعم
أنا من شأني كيت وكيت ولكن لا ضير علي ولا يلزمني من أجل ذلك ما ظننت أنه يلزم
فالرسل عليهم السلام كأنهم قالوا إن ما قلتم من أنا بشر مثلكم كما قلتم لسنا ننكر ذلك
ولا نجهله ولكن ذلك لا يمنعنا أن يكون الله تعالى قد من علينا وأكرمنا بالرسالة وأما قوله
تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم فجاء بإنما لأنه ابتداء كلام قد أمر النبي صلى الله عليه بأن يبلغه
إياهم ويقوله معهم وليس هو جوابا لكلام سابق قد قيل فيه إن أنت إلا بشر فيجب أن
يؤتى به على وفق ذلك الكلام ويراعى فيه حذوه كما كان ذلك في الآية وجملة الأمر أنك متى
رأيت شيئا هو من المعلوم الذي لا يشك فيه قد جاء بالنفي فذلك لتقدير معنى صار به
في حكم المشكوك فيه فمن ذلك قوله تعالى وما أنت بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذير إنما
جاء والله أعلم بالنفي والإثبات لأنه لما قال تعالى وما أنت بمسمع من في القبور وكان المعنى
في ذلك أن يقال للنبي عليه السلام إنك لا تستطيع أن تحول قلوبهم عما هي عليه من الإباء
ولا تملك أن توقع الإيمان في نفوسهم مع إصرارهم على كفرهم واستمرارهم على
جهلهم وصدهم بأسماعهم عما تقوله لهم وتتلوه عليهم كان اللائق بهذا أن يجعل حال النبي
عليه السلام حال من قد ظن أنه يملك ذلك ومن لا يعلم يقينا أنه ليس في وسعه شيء أكثر

من أن ينذر ويحذر فأخرج اللفظ مخرجه إذا كان الخطاب مع من يشك فقيل إن
أنت إلا نذير ويبين ذلك أنك تقول للرجل يطيل مناظرة الجاهل ومقاولته إنك
لا تستطيع أن تسمع الميت وأن تفهم الجماد وأن تحول الأعمى بصيرا وليس بيدك إلا
أن تبين وتحتج ولست تملك أكثر من ذلك لا تقول ههنا فإنما الذي بيدك أن تبين وتحتج
ذاك لأنك لم تقل له إنك لا تستطيع أن تسمع الميت حتى جعلته بمثابة من يظن أنه يملك
وراء الاحتجاج والبيان شيئا وهذا واضح فاعرفه ومثل هذا في أن الذي تقدم من الكلام اقتضى
أن يكون اللفظ كالذي تراه من كونه بإن وإلا قوله تعالى قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا
إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا
نذير وبشير لقوم يؤمنون

فصل

هذا بيان آخر في إنما اعلم أنها تفيد في الكلام
بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره فإذا قلت إنما جاءني زيد عقل منه أنك أردت
أن تنفي أن يكون الجائي غيره فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك جاءني زيد لا عمرو إلا
أن لها مزية وهي أنك تعقل معها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة وفي
حال واحدة وليس كذلك الأمر في جاءني زيد لا عمرو فإنك تعقلهما في حالين ومزية ثانية وهي
أنها تجعل الأمر ظاهرا في أن الجائي زيد ولا يكون هذا الظهور إذا جعلت الكلام بلا
فقلت جاءني زيد لا عمرو ثم اعلم أن قولنا في لا العاطفة إنها تنفي عن الثاني ما وجب للأول
ليس المراد به أنها تنفي عن الثاني أن يكون قد شارك الأول في الفعل بل أنها تنفي أن يكون
الفعل الذي قلت إنه كان من الأول قد كان من الثاني دون الأول ألا ترى أن ليس المعنى في
قولك جاءني زيد لا عمرو أنه لم يكن من عمرو مجيء إليك مثل ما كان من زيد حتى كأنه عكس قولك
جاءني زيد وعمرو بل المعنى أن الجائي هو زيد لا عمرو فهو كلام تقوله مع من يغلط في الفعل

قال الشيخ الامام ابو زيد ... [illegible]
لا ... هذا العام ... [illegible]
كان الاولى في القران ... [illegible]
من ... [illegible]
بلفظ ... فاعل ... [illegible]
ذكر في القران واخرج ... [illegible]
كذا ولا تقل ذلك الا ... [illegible]
اللفظ لانه اقرب الى اللفظ

وقد كان من هذا فيتوهم أنه كان من ذلك، والنكتة أنه لا شبهة في أن ليس ها هنا جائيان
وأنه ليس إلا جاءٍ واحد، وإنما الشبهة في أن ذلك الجائي زيد أم عمرو، فأنت تحقق على
المخاطب بقولك جاءني زيد لا عمرو أنه زيد وليس بعمرو، ونكتة أخرى وهي أنك لا تقول
جاءني زيد لا عمرو حتى يكون قد بلغ المخاطب أنه كان مجيء إليك من جاءٍ إلا أنه ظن أنه كان من
عمرو، فأعلمته أنه لم يكن من عمرو ولكن من زيد، وإذ قد عرفت هذه المعاني في الكلام بلا
العاطفة فاعلم أنها بحالها قائمة لك في الكلام بإنما، فإذا قلت إنما جاءني زيد لم يكن غرضك
أن تنفي أن يكون قد جاء مع زيد غيره، ولكن أن تنفي أن يكون المجيء الذي قلت إنه كان منه
كان من عمرو، وكذلك تكون الشبهة مرتفعة في أن ليس ها هنا جائيان وأن ليس إلا جاءٍ واحد
وإنما تكون الشبهة في أن ذلك الجائي زيد أم عمرو، فإذا قلت إنما جاءني زيد حققت الأمر في
أنه زيد، وكذلك لا تقول إنما جاءني زيد حتى يكون قد بلغ المخاطب أن قد جاءك جاءٍ ولكنه
ظن أنه عمرو مثلاً فأعلمته أنه زيد، فإن قلت فإنه قد يصح أن تقول إنما جاءني من بين
القوم زيد وحده، وإنما أتاني من جملتهم عمرو فقط، فإن ذلك شيء كالتكلف، والكلام
هو الأول، ثم لا اعتبار بها إذا أطلق علم بتقييد بوحده وما في معناه، ومعلوم أنك
إذا قلت إنما جاءني زيد ولم تزد على ذلك أنه لا يسبق إلى القلب من المعنى إلا ما
قدمنا شرحه من أنك أردت النص على زيد أنه الجائي، وأن تبطل ظن المخاطب أن المجيء
لم يكن منه ولكن كان من عمرو حسب ما يكون إذا قلت جاءني زيد لا عمرو فاعرفه، وإذ قد
عرفت هذه الجملة فإنا نذكر جملة من القول في ما وإلا وما يكون من حكمهما، اعلم أنك
إذا قلت ما جاءني إلا زيد احتمل أمرين أحدهما أن تريد اختصاص زيد بالمجيء وأن تنفيه
عمن عداه، وأن يكون كلاماً تقوله لا لأن بالمخاطب حاجة إلى أن يعلم أن زيداً قد جاءك

ولكن لأن به حاجة إلى أن يعلم أنه لم يجئ إليك غيره، والثاني أن تريد الذي ذكرناه في إنما
ويكون كلاماً تقوله ليعلم أن الجائي زيد لا غيره، فمن ذلك قولك للرجل يدعي أنك قلت قولاً
ثم قلت خلافه ما قلت اليوم إلا ما قلته أمس بعينه، وتقول لم تر زيداً وإنما رأيت
عمراً فتقول بل لم أر إلا زيداً، وعلى ذلك قوله تعالى ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا
الله ربي وربكم، لأنه ليس المعنى أني لم أزد على ما أمرتني به شيئاً، ولكن المعنى أني لم أدع ما
أمرتني به أن أقوله لهم وقلت خلافه، ومثال ما جاء في الشعر من ذلك قوله قد علمت
سلمى وجاراتها ما قطّر الفارسَ إلا أنا، المعنى أنا الذي قطّر الفارس، وليس المعنى على
أنه يريد أن يزعم أنه انفرد بأن قطّره وأنه لم يشركه فيه غيره، وها هنا كلام ينبغي
أن تعلمه، إلا أنا نكتب لك من قبله مسألة لأن فيها عوناً عليه، قوله تعالى إنما يخشى اللهَ
من عباده العلماء، في تقديم اسم الله تعالى معنى خلاف ما يكون لو أُخّر، وإنما يبين لك
ذلك إذا اعتبرت الحكم في ما وإلا، وحصّلت الفرق بين أن تقول ما ضرب زيداً
إلا عمرو وبين قولك ما ضرب عمرو إلا زيداً، والفرق بينهما أنك إذا قلت ما ضرب
زيداً إلا عمرو فقدمت المنصوب كان الغرض بيان الضارب من هو، والإخبار
بأنه عمرو خاصة دون غيره، وإذا قلت ما ضرب عمرو إلا زيداً فقدمت المرفوع
كان الغرض بيان المضروب من هو، والإخبار بأنه زيد خاصة دون غيره، وإذ قد
عرفت ذلك فاعتبر به الآية، وإذا اعتبرتها به علمت أن تقديم اسم الله تعالى إنما كان
لأجل أن الغرض أن يبين الخاشون من هم، ويخبر بأنهم العلماء خاصة دون غيرهم،
ولو أُخّر ذكر اسم الله تعالى وقدّم العلماء فقيل إنما يخشى العلماءُ اللهَ لصار
المعنى على ضد ما هو عليه الآن، ولصار الغرض بيان المخشيّ من هو والإخبار

بأنه الله دون غيره ولم يجب حينئذ أن يكون الخشية من الله مقصورة على العلماء وأن
يكونوا مخصوصين بها كما هو الغرض في الآية بل كان يكون المعنى أن غير العلماء يخشون
الله تعالى أيضاً إلا أنهم مع خشيتهم لله تعالى يخشون معه غيره والعلماء لا يخشون غير
الله وهذا المعنى وإن كان قد جاء في التنزيل في غير هذه الآية كقوله تعالى ولا يخشون
أحداً إلا الله فليس هو الغرض في الآية ولا اللفظ بمحتمل له البتة ومن أجاز
حملها عليه كان قد أبطل فائدة التقديم وسوّى بين قوله تعالى إنما يخشى الله من عباده
العلماء وبين أن يقال إنما يخشى العلماء الله وإذا سوّى بينهما لزمه أن يسوّي بين قولنا
ما ضرب زيداً إلا عمرو وبين ما ضرب عمرو إلا زيداً وذلك ما لا شبهة في امتناعه فهذه
هي المسألة وإذا عرفتها عرفت الأمر فيها بين أن الكلام بما وإلا قد يكون في معنى الكلام
بإنما ألا ترى إلى وضوح الصورة في قولك ما ضرب زيداً إلا عمرو وما ضرب عمرو إلا زيداً
أنه في الأول لبيان من الضارب وفي الثاني لبيان من المضروب وإن كان تكلفاً أن تحمله
على نفي الشركة فتريد بما ضرب زيداً إلا عمرو أنه لم يضربه اثنان وبما ضرب عمرو إلا زيداً
أنه لم يضرب اثنين ثم اعلم أن السبب في أن لم يكن تقديم المفعول في هذا كتأخيره ولم يكن
ما ضرب عمرو إلا زيداً وما ضرب زيداً إلا عمرو سواء في المعنى أن الاختصاص يقع في
واحد من الفاعل والمفعول ولا يقع فيهما جميعاً ثم إنه يقع في الذي يكون بعد إلا
منهما دون الذي قبلها لاستحالة أن يحدث معنى الحرف في الكلمة من قبل أن يجيء
الحرف وإذا كان الأمر كذلك وجب أن يفترق الحال بين أن تقدم المفعول على إلا
فتقول ما ضرب زيداً إلا عمرو وبين أن تقدم الفاعل عليها فتقول ما ضرب عمرو إلا
زيداً لأنا إن زعمنا أن الحال لا يفترق جعلنا المتقدم كالمتأخر في جواز حدوث

فيه وذلك يقتضي المحال الذي هو أن يحدث معنى إلا في الاسم قبل أن تجيء بها فاعرفه وإذا
عرفت أن الاختصاص مع إلا يقع في الذي تؤخره من الفاعل والمفعول فكذلك يقع مع
إنما في المؤخر منهما دون المقدم فإذا قلت إنما ضرب زيداً عمرو كان الاختصاص في
الضارب وإذا قلت إنما ضرب عمرو زيداً كان الاختصاص في المضروب وكما لا
يجوز أن يستوي الحال بين التقديم والتأخير مع إلا كذلك لا يجوز مع إنما وإذا استبنت
هذه الجملة عرفت منها أن الذي صنعه الفرزدق في قوله وإنما يدافع عن أحسابهم
أنا أو مثلي شيء لو لم يصنعه لم يصح له المعنى ذاك لأن غرضه أن يخص المدافع لا المدافع
عنه ولو قال وإنما أدافع عن أحسابهم لصار المعنى أنه يخص المدافع عنه
وأنه يزعم أن المدافعة منه تكون عن أحسابهم لا عن أحساب غيرهم كما يكون إذا قال
وما أدافع إلا عن أحسابهم وليس ذلك معناه إنما معناه أن يزعم أن المدافع هو لا
غيره فاعرف ذلك فإن الغلط كما أظن يدخل على كثير ممن تسمعهم يقولون إنه فصل
الضمير للحمل على المعنى فيرى أنه لو لم يفصله لكان يكون معناه مثله الآن هذا و
لا يجوز أن ينسب فيه إلى الضرورة فيجعل مثلاً نظيراً لقول الآخر كأنا يوم قرّى إنما
نقتل إيانا لأنه ليس به ضرورة إلى ذلك من حيث أن أدافع ويدافع واحد في الوزن
فاعرف هذا أيضاً وجملة الأمر أن الواجب أن يكون اللفظ على وجه يجعل الاختصاص
فيه للفرزدق وذلك لا يكون إلا بأن يقدم الأحساب على ضميره وهو لو قال وإنما
أدافع عن أحسابهم استكن ضميره في الفعل فلم يتصور تقديم الأحساب عليه
ولم يقع الأحساب إلا مؤخراً عن ضمير الفرزدق وإذا تأخرت انصرف الاختصاص
إليها لا محالة فإن قلت إنه كان يمكنه أن يقول وإنما أدافع عن أحسابهم أنا فيقدم

للاحتياج على انا فعل انه اذا قال انا فعلت كان الفاعل الضمير المستكن في الفعل
وكان انا الظاهر تأكيدا له اعني للمستكن والحكم يتعلق بالمؤكد دون التأكيد لان التأكيد
كالتكرير فهو يجي من بعد نفوذ الحكم ولا يكون تقديم الجار مع المجرور الذي هو قوله عن
احتيابهم على الضمير الذي هو تأكيد تقديما للفعل على الفاعل لان تقديم المفعول على الفاعل
انما يكون اذا ذكرت المفعول قبل ان تذكر الفاعل ولا يكون لك اذا قلت وانما اذا فع
عن احتيابهم سبيل الى ان تذكر المفعول قبل ان تذكر الفاعل لان ذكر الفاعل ها هنا
هو ذكر الفعل من حيث ان الفاعل مستكن في الفعل فكيف يتصور تقديم شي
عليه فاعرفه واعلم انك ان عمدت الى الفاعل والمفعول فاخرتهما جميعا الى ما بعد
الا فان الاختصاص يقع حينئذ في الذي يلي الا منهما فاذا قلت ما ضرب الا عمرو زيدا
كان الاختصاص في الفاعل وكان المعنى انك قلت ان الضارب عمرو لا غيره وان قلت ما
ضرب الا زيدا عمرو كان الاختصاص في المفعول وكان المعنى انك قلت ان المضروب
زيد لا من سواه وحكم المفعولين حكم الفاعل والمفعول فيما ذكرت لك تقول لم
يكس الا زيدا جبة فيكون المعنى انه خص زيدا من بين الناس بكسوة الجبة فان قلت
لم يكس جبة الا زيدا كان المعنى انه خص الجبة من اصناف الكسوة وكذلك الحكم
حيث يكون بدل احد المفعولين جار ومجرور كقول السيد الحميري
لو خير المنبر فرسانه ما اختار الا منكم فارسا الاختصاص في منكم دون فارسا
ولو قلت ما اختار فارسا الا منكم صار الاختصاص في فارسا واعلم ان الامر
في المبتدا والخبر اذا كانا بعد انما على العبرة التي ذكرت لك في الفاعل والمفعول
اذا انت قدمت احدهما على الاخر معنى ذلك انك ان تركت الخبر في موضعه فلم

تقدمه على المبتدا كان الاختصاص فيه وان قدمته على المبتدا صار الاختصاص
الذي كان فيه في المبتدا تفسير هذا انك تقول انما هذا لك فيكون الاختصاص في لك
بدلالة انك تقول انما هذا لك لا لغيرك وتقول انما لك هذا فيكون الاختصاص في هذا
بدلالة انك تقول انما لك هذا لا ذاك والاختصاص يكون ابدا في الذي اذا جئت بلا
العاطفة كان العطف عليه وان اردت ان يزداد ذلك وضوحا عندك فانظر الى قوله
تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقوله عز وجل انما السبيل على الذين
يستاذنونك وهم اغنياء فانك ترى الامر ظاهرا ان الاختصاص في الاية الاولى في المبتدا
الذي هو البلاغ والحساب دون الخبر الذي هو عليك وعلينا وانه في الاية الثانية
في الخبر الذي هو على الذين دون المبتدا الذي هو السبيل واعلم انه اذا كان الكلام
بما والا كان الذي ذكرته من ان الاختصاص يكون في الخبر اذا لم تقدمه وفي المبتدا
ان قدمت الخبر اوضح وابين تقول ما جاء زيد الا قائما فيكون المعنى انك اختصصت
القيام من بين الاوصاف التي يتوهم كون زيد عليها بجعله صفة له وتقول ما
قائم الا زيد فيكون المعنى انك اختصصت زيدا بكونه موصوفا بالقيام فقد
قصرت في الاول الصفة على الموصوف وفي الثاني الموصوف على الصفة و
اعلم ان قولنا في الخبر اذا اخر نحو ما زيد الا قائم انك اختصصت القيام من
بين الاوصاف التي يتوهم كون زيد عليها ونفيت ما عدا القيام عنه فانما نعني
انك نفيت عنه الاوصاف التي تنافي القيام نحو ان يكون جالسا او مضطجعا او
متكئا او ما شاكل ذلك ولم ترد انك نفيت ما ليس من القيام بسبيل اذ لسنا
ننفي عنه بقولنا ما هو الا قائم ان يكون اسود او ابيض او طويلا او قصيرا

او عالما او جاهلا كما انا اذا قلنا ما قام الا زيد لم نرد انه ليس في الدنيا قائم سواه
وانما نعني ما قام حيث نحن وبحضرتنا وما اشبه ذلك واعلم ان الامر بيّن في قولنا ما زيد الا
قائم ان ليس المعنى على نفي الشركة ولكن على نفي ان لا يكون المذكور ويكون زيد له شيء آخر الا
ترى ان ليس المعنى انه ليس له مع القيام صفة اخرى بل المعنى انه ليس له بدل القيام صفة
ليست بالقيام وان ليس القيام منفيا عنه وكائنا مكانه فيه القعود او الاضطجاع
او نحوهما فان قلت فصورة المعنى اذا صورته اذا وضعت الكلام بانما
فقلت انما هو قائم ونحن نرى انه يجوز في هذا ان تعطف بلا فتقول انما هو
قائم لا قاعد ولا نرى ذلك جائزا مع ما والا اذ ليس من كلام الناس ان يقولوا ما
زيد الا قائم لا قاعد فان ذلك انما لم يجز من حيث انك اذا قلت ما زيد الا قائم
فقد نفيت عنه كل صفة تنافي القيام وصرت كانك قلت ليس هو بقاعد و
لا مضطجع ولا متكئ وهكذا حتى لا تدع صفة يخرج بها من القيام فاذا قلت
من بعد ذلك لا قاعد كنت قد نفيت بلا العاطفة شيئا قد بدات فنفيته وهي
موضوعة لان تنفي بها ما بدات فاوجبته لا لان تفيد بها النفي في شيء قد نفيته
ومن ثم لم يجز ان تقول ما جاءني احد الا زيد على ان تعمد الى بعض ما دخل في النفي
بعموم احد فتنفيه على الخصوص بل كان الواجب اذا اردت ذلك ان تقول
ما جاءني احد ولا زيد فتجيء بالواو من قبل انك تخرج بلا عن ان تكون عاطفة فاعرف
ذلك واذ قد عرفت فساد ان يقال ما زيد الا قائم لا قاعد فانك تعرف بذلك
امتناع ان يقول ما جاءني الا زيد لا عمرو وما ضربت الا زيدا لا عمرا وما شاكل ذلك
وذلك انك اذا قلت ما جاءني الا زيد فقد نفيت ان يكون قد جاءك احد غيره

فاذا قلت لا عمرو كنت قد طلبت ان تنفي بلا العاطفة شيئا قد تقدمت فنفيته
وذلك خروج بها عن المعنى الذي وضعت له الى خلافه فان قيل
فانك اذا قلت انما جاءني زيد فقد نفيت فيه ايضا ان يكون المجيء قد كان من غيره
فكان ينبغي ان لا يجوز فيه ايضا ان تعطف بلا فتقول انما جاءني زيد لا عمرو قيل
ان الذي قلته من انك اذا قلت انما جاءني زيد فقد نفيت فيه ايضا المجيء عن غيره
غير مسلم لك على حقيقته وذلك انه ليس معك الا قولك جاءني زيد وهو كلام
كما تراه مثبت ليس فيه نفي البتة كما كان في قولك ما جاءني الا زيد وانما فيه انك
وضعت يدك على زيد فجعلته الجائي وذلك وان اوجب انتفاء المجيء عن غيره فليس
يوجبه من اجل ان كان ذلك اعمالا منك نفيا في شيء وانما اوجبه من حيث كان المجيء
الذي اخبرت به مجيئا مخصوصا اذا كان لزيد لم يكن لغيره والذي ابيناه ان
تنفي بلا العاطفة الفعل عن شيء وقد نفيته عنه لفظا ونظير هذا انا
نعقل من قولنا زيد هو الجائي ان هذا المجيء لم يكن من غيره ثم لا يمنع ذلك من ان
تجيء فيه بلا العاطفة فتقول انه هو الجائي لا عمرو لانا لم نعقل ما عقلناه من
انتفاء المجيء عن غيره بنفي اوقعناه على شيء ولكن بانه لما كان المجيء المقصود
مجيئا واحدا كان النص على زيد بانه فاعله واثباته له نفيا له عن غيره و
لكن من طريق المعقول لا من طريق ان كان في الكلام نفي كما كان ثم فاعرفه
فان قيل فانك اذا قلت ما جاءني الا زيد ولم يكن غرضك ان تنفي ان يكون قد
جاء معه واحد آخر كان المجيء ايضا مجيئا واحدا قيل انه وان كان واحدا
فانك انما اثبتت ان زيدا الفاعل له بان نفيت المجيء عن كل من سوى زيد

كما تصنع اذا اردت ان تنفي ان يكون قد جاء معه جاءٍ آخر واذا كان كذلك كان ما
قلناه من انك ان جئت بلا العاطفة فقلت ما جاءني الا زيد لا عمرو كنت
قد نفيت الفعل عن شيء قد نفيته عنه مرة صحيحا ثابتا كما قلناه فاعرفه
واعلم ان حكم غير في جميع ما ذكرنا حكم الا فاذا قلت ما جاءني غير زيد احتمل
ان تريد نفي ان يكون قد جاء معه انسان آخر وان تريد نفي ان لا يكون قد جاء و
جاء مكانه واحدا آخر ولا يصح ان تقول ما جاءني غير زيد لا عمرو كما لم يجز ما
جاءني الا زيد لا عمرو **فصل** في نكتة تتصل بالكلام الذي تقدمه بما و
يليها اعلم ان الذي ذكرناه من انك تقول ما ضرب الا عمرو زيدا فتوقع الفاعل
والمفعول جميعا بعد الا ليس باكثر الكلام وانما الاكثر ان تقدم المفعول
على الا نحو ما ضرب زيدا الا عمرو حتى انهم ذهبوا فيه اعني في قولك ما
ضرب الا عمرو زيدا الى انه على كلامين وان زيدا منصوب بفعل مضمر حتى
كان المتكلم بذلك ابهم في اول امره فقال ما ضرب الا عمرو ثم قيل له من ضرب
فقال ضرب زيدا وها هنا اذا تأملت معنى لطيف يوجب ذلك و
هو انك اذا قلت ما ضرب زيدا الا عمرو فكان غرضك ان تختص عمرا بضرب
زيد لا بالضرب على الاطلاق واذا كان كذلك وجب ان تعدي الفعل
الى المفعول من قبل ان تذكر عمرا الذي هو الفاعل لان السامع لا يعقل
عنك انك اختصصته بالفعل معدّى حتى تكون قد بدأت فعدّيته اعني لا
يفهم عنك انك اردت ان تختص عمرا بضرب زيد حتى تذكره له معدّى
الى زيد فاما اذا ذكرته غير معدّى فقلت ما ضرب الا عمرو فان الذي يقع

في نفسه انك اردت ان تزعم انه لم يكن من احدٍ غير عمرو ضربٌ وانه ليس
ها هنا مضروبٌ الا وضاربه عمرو فاعرفه اصلا في شأن التقديم والتأخير
فصل ان قيل قد مضيت في كلامك كله على ان انما للخبر لا يجهله
المخاطب ولا يكون ذكرك له لان تفيده اياه وانا لنراها في كثير من الكلام
والقصد بالخبر بعدها ان تعلم السامع امرا قد غلط فيه بالحقيقة و
احتاج الى معرفته كمثل ما ذكرت في اول الفصل الثاني من قولك
انما جاءني زيد لا عمرو ونراها كذلك تدور في الكتب للكشف عن معاني غير
معلومة ودلالة المتعلم منها على ما لا يعلم قيل انما تجيء في الكلام من نحو انما
جاء زيد لا عمرو فانه وان كان يكون اعلاما لامر لا يعلمه السامع فانه لا بد مع ذلك من
ان يدعى هناك فضل انكشاف وظهور في ان الامر كالذي ذكر وقد قسمت في اول ما
افتتحت القول فيها فقلت انها تجيء للخبر لا يجهله السامع ولا ينكر صحته او لما
ينزّل هذه المنزلة واما ما ذكرت من انها تجيء في الكتب لدلالة المتعلم على ما لم يعلمه
فانك اذا تأملت مواقعها وجدتها في الامر الاكثر قد جاءت لامر قد وقع العلم
بموجبه وبشيء يدل عليه فمن ذلك ان صاحب الكتاب قال في باب كان اذا قلت
كان زيد فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثله عندك وانما ينتظر الخبر فاذا
قلت حليما فقد اعلمته مثل ما علمت واذا قلت كان حليما فانما ينتظر ان
تعرّفه صاحب الصفة وذاك انه اذا كان معلوما انه لا يكون مبتدأ من غير خبر
ولا خبر من غير مبتدأ كان معلوما انك اذا قلت كان زيد فالمخاطب ينتظر الخبر
فاذا قلت كان حليما فانه ينتظر الاسم فلم يقع اذاً بعد انما الا شيء كان معلوما

للفارسي من قبل ان يسمى الله وحماه لامر صعب يعني قوله في باب ظننت وانما يحكى بعد قلت ما كان
كلاما لا قولا وذلك انه معلوم انك لا تحكي بعد قلت اذا كنت تنحو نحو المعنى الا ما
كان جملة مفيدة فلا تقول قال فلان زيد وتسكت اللهم الا ان تريد انه نطق بالاسم على
هذه الهيئة كانك تريد انه ذكره مرفوعا ومثل ذلك قولهم انما يحذف الشيء اذا
كان في الكلام دليل عليه الى اشباه ذلك مما لا يحصى فان رايتها قد دخلت على كلام
هو ابتداء اعلام لشيء لم يعلمه السامع فلان الدليل عليه حاضر معه والشيء بحيث
يقع العلم به عن كثب واعلم انه ليس يكاد يعرض ما يعرض بسبب هذا الحرف من
الدقائق ومما يجب ان تعلم انه اذا كان الفعل بعدها فعلا لا يصح الا من المذكور
ولا يكون من غيره كالتذكر الذي يعلم انه لا يكون الا من اولي الالباب لم يحسن العطف
العطف بلا فيه كما يحسن فيما يصح من المذكور ويصح من غيره تفسير هذا انه لا يحسن ان تقول
انما يتذكر اولو الالباب لا الجهال كما يحسن ان تقول انما يجيء زيد لا عمرو ثم ان النفي فيما
يجيء فيه النفي يتقدم تارة ويتاخر اخرى فمثال التاخير ما تراه في قولك انما يجيء زيد
لا عمرو وكقوله تعالى انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر وكقول لبيد انما يجزي الفتى
ليس الجمل ومثال التقديم قولك ما جاءني زيد وانما جاءني عمرو وهذا مما انت تعلم
به مكان الفائدة فيها وذلك انك تعلم ضرورة انك لو لم تدخلها وقلت ما جاءني زيد
وجاءني عمرو لكان الكلام مع من ظن انهما جاءاك جميعا وان المعنى الان مع دخولها
ان الكلام مع من غلط في عين الجائي فظن انه كان زيدا لا عمرا وامر اخر وهو انه
ليس ببعيد ان يظن الظان انه ليس في انضمام ما الى ان فائدة اكثر من انها تبطل
عملها حتى ترى النحويين لا يزيدون في اكثر كلامهم على انها كافة ومكانها ههنا

يزيل هذا الظن ويبطله وذلك انك ترى انك لو قلت ما جاءني زيد ولكن عمرا جاءني
لم يعقل منه انك اردت ان الجائي زيد لا عمرو ويكون دخولها كالشيء الذي يحتاج
اليه ووجدت المعنى ينبو عنه ثم اعلم انك اذا استقريت وجدتها اقوى ما تكون
واعلق ما ترى بالقلب اذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه ولكن التعريض
بامر هو مقتضاه نحو انا نعلم ان ليس الغرض من قوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب
ان يعلم السامعون ظاهر معناه ولكن ان يذم الكفار وان يقال انهم من فرط العناد
ومن غلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل وانكم ان طمعتم منهم في ان ينظروا
ويتذكروا كنتم كمن طمع في ذلك من غير اولي الالباب وكذلك قوله انما انت منذر من
من يخشاها وقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب المعنى على ان من لم يكن
له هذه الخشية فهو كانه ليس له اذن تسمع وقلب يعقل فالانذار معه كلا انذار
ومثال ذلك من الشعر قوله انا لم ارزق محبتها انما للعبد ما رزقا الغرض ان يفهمك
من طريق التعريض انه قد صار ينصح نفسه ويعلم انه ينبغي له ان يقطع الطمع
من وصلها وييأس من ان يكون منها اسعاف ومن ذلك قوله وانما يعذر العشاق
من عشقا يقول انه ليس ينبغي للعاشق ان يلوم من يلومه في عشقه وانه ينبغي
ان لا ينكر ذلك منه فانه لا يعلم كنه البلوى في العشق ولو كان ابتلي به لعرف ما
هو فيه فعذره وقوله ما انت بالسبب الضعيف وانما نجح الامور بقوة
الاسباب فاليوم حاجتنا اليك وانما يدعى الطبيب لساعة الاوصاب
يقول في البيت الاول انه ينبغي ان انجح في امري حين جعلتك السبب اليه
ويقول في الثاني انا قد وضعنا الشيء في موضعه وطلبنا الامر من جهته حين

استعنا بك فيما عرض من الحاجة وعوّلنا على فضلك كما أنّ من عوّل على الطبيب
فيما يعرض له من السقم كان قد أصاب بالتعويل موضعه وطلب الشيء من
معدنه ثم إن العجب في أن هذا التعريض الذي ذكرت لك لا يحصل من دون إنما
فلو قلت يتذكر أولو الألباب لم يدل على ما دل عليه في الآية وإن كان الكلام لم
يتغير في نفسه وليس إلا أنه ليس فيه إنما والسبب في ذلك أن هذا التعريض إنما
وقع بأن كان من شأن إنما أن تضمّن الكلام معنى النفي من بعد الإثبات والتصريح
بامتناع التذكر ممن لا يعقل وإذا أسقطت من الكلام فقيل يتذكر أولو الألباب
كان مجرد وصف لأولي الألباب بأنهم يتذكرون ولم يكن فيه معنى النفي للتذكر عمن
ليس منهم ومحال أن يقع تعريض بشيء ليس له في الكلام ذكر ولا فيه دليل عليه
فالتعريض بمثل هذا أعني بأن يقول يتذكر أولو الألباب بإسقاط إنما يقع
إذا وقع بمدح إنسان بالتيقظ وبأنه فعل ما فعل وتنبه لما تنبه له لعقله
ولحسن تمييزه كما يقال كذلك يفعل العاقل وهكذا يفعل الكريم وهذا موضع
فيه دقة وغموض وهو مما لا يكاد يقع في نفس أحد أنه ينبغي أن يتعرف سببه
ويبحث عن حقيقة الأمر فيه ومما يجب لك أن تجعله على ذكر منك من معاني إنما
ما عرفتك أولا من أنها قد تدخل في الشيء على أن يخيل فيه المتكلم أنه معلوم
ويدعي أنه من الصحة بحيث لا يدفعه دافع كقوله إنما مصعب شهاب
من الله ومن اللطيف في ذلك قول قتيب بن حصين ألا أيها الناهي فزارة
بعدما أجدّت لغزو إنما أنت حالم ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن اليهود
وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون دخلت إنما لتدل

إذا قيل العاقل يفعل كذا ثبت
في ذكر من لا يتصف بالعقل
ولا يمنعه عن فعل ما يفعله
العقلاء وإذا قيل إنما يتذكر
العاقل ثبت في ذكر من ...
عند العقلاء ... على
... من العقلاء ...
كذا إذا قيل الكريم يعفو
ثبت في ذكر من ...
لا يفعل فعل الكريم وإذا
قيل إنما يعفو الكريم ثبت
في ذكر من ...

أنهم حين ادعوا لأنفسهم أنهم مصلحون أظهروا أنهم يدعون من ذلك أمرا
ظاهرا معلوما ولذلك أكّد الأمر في تكذيبهم والرد عليهم فجمع بين ألا الذي هو
للتنبيه وإنّ الذي هو للتأكيد فقيل ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ۝

فصل اعلم أنه لا يصح تقدير الحكاية في النظم والترتيب بل لن تعدو
الحكاية الألفاظ وأجراس الحروف وذلك أن الحاكي هو من يأتي بمثل ما أتى به المحكي
عنه ولا بد من أن تكون حكايته فعلا له وأن يكون بها عاملا عملا مثل عمل المحكي
عنه نحو أن يصوغ إنسان خاتما فيبدع فيه صنعة ويأتي في صياغته بخاصة
تستغرب فيعمد واحد آخر فيعمل خاتما على تلك الصورة والهيئة ويجيء
بمثل صيغته فيه ويؤديها كما هي فيقال عند ذلك إنه قد حكى عمل فلان وصنعة
فلان والنظم والترتيب في الكلام كما بينا عمل يعمله مؤلف الكلام
في معاني الكلم لا في ألفاظها وهو بما يصنع في سبيل من يأخذ الأصباغ
المختلفة فيتوخى فيها ترتيبا يحدث عنه ضروب من النقش والوشي وإذا
كان الأمر كذلك فإنا إن تعدينا بالحكاية الألفاظ إلى النظم والترتيب أدى ذلك
إلى المحال وهو أن يكون المنشد شعر امرئ القيس قد عمل في المعاني وترتيبها
واستخراج النتائج والفوائد مثل عمل امرئ القيس وأن يكون حاله إذا أنشد
قوله فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل حال الصائغ
ينظر إلى صورة قد عملها صائغ من ذهب له أو فضة فيجيء بمثلها من ذهبه
أو فضته وذلك يخرج بمرتكبه إلى أن يكون الراوي مستحقا لأن
يوصف بأنه استعار وشبه وأن يجعل كالشاعر في كل ما يكون به ناظما

فيقال انه جعل هذا فاعلا وذاك مفعولا وهذا مبتدأ وذاك خبرا وجعل
هذا حالا وذاك صفة وان يقال نفى كذا واثبت كذا وابدل كذا من كذا واضاف
كذا الى كذا وعلى هذا السبيل كما يقال ذاك في الشاعر واذا قيل ذلك لزم منه
ان يقال قد صدق وكذب كما يقال في المحكي عنه وكفى بهذا بعدًا واحالة ويجمع
هذا كله انه يلزم منه ان يقال انه قال شعرا كما يقال فيمن حكى صنعة الصائغ في خاتم
قد عمله انه قد صاغ خاتما وجملة الحديث انا نعلم ضرورة انه لا يتأتى لنا ان ننظم
كلاما من غير روية وفكر فان كان راوي الشعر ومنشده يحكي نظم الشاعر على
حقيقته فينبغي ان لا يتأتى له رواية شعره الا بروية والا بان ينظر في جميع ما نظر
فيه الشاعر من امر النظم وهذا ما لا يبقى معه موضع عذر للشاك هذا وسبب
دخول الشبهة على من دخلت عليه انه لما رأى المعاني لا تتجلى للسامع الا من
الالفاظ وكان لا يوقف على الامور التي بتوخيها يكون النظم الا بان ينظر الى
الالفاظ مرتبة على الانحاء التي يوجبها ترتيب المعاني في النفس وجرت العادة
بان تكون المعاملة مع الالفاظ فيقال قد نظم الفاظا فاحسن نظمها والف كلما
فاجاد تاليفها جعل الالفاظ الاصل في النظم وجعله يتوخى فيها انفسها وترك
ان يفكر في الذي بيناه من ان النظم هو توخي معاني الكلم وان توخيها في متون الالفاظ
فلما جعل هذا في نفسه ونشب هذا الاعتقاد به خرج له من ذلك ان الحاكي اذا
ادى الفاظ الشعر على النسق الذي سمعها عليه كان قد حكى نظم الشاعر كما
حكى لفظه وهذه شبهة قد ملكت قلوب الناس وعششت في صدورهم و
تشربتها نفوسهم حتى انك لترى كثيرا منهم وهو جلوا عندهم محل العلم

الضروري بحيث لا يرومات له الى سبيل ما ذكرناه اشياء لك وشيء تسمعه دونك و
اظهر التعجب منك وتلك جريرة ترك النظر واخذ الشيء من غير معدنه ومن الله التوفيق

فصل اعلم انا اذا اضفنا الشعر او غير الشعر من ضروب الكلام الى
قائله لم تكن اضافتنا له من حيث هو كلم واوضاع لغة ولكن من حيث توخي فيها
النظم الذي بينا انه عبارة عن توخي معاني النحو في معاني الكلم وذلك ان من شان
الاضافة الاختصاص فهي تتناول الشيء من الجهة التي تختص منها بالمضاف اليه فاذا
قلت غلام زيد تناولت الاضافة الغلام من الجهة التي تختص منها بزيد وهي كونه
مملوكا واذا كان الامر كذلك فينبغي لنا ان ننظر في الجهة التي يختص منها الشعر
بقائله فاذا نظرناه وجدناه يختص به من جهة توخيه في معاني الكلم التي الفه
منها ما توخاه من معاني النحو ورأينا انفس الكلم بمعزل عن الاختصاص و
رأينا حالها معه حال الابريسم مع الذي ينسج منه الديباج وحال الذهب و
الفضة مع من يصوغ منهما الحلي فكما لا يشتبه الامر في ان الديباج لا يختص بناسجه
من حيث الابريسم والحلي بصائغها من حيث الفضة والذهب ولكن من جهة العمل و
الصنعة كذلك ينبغي ان لا يشتبه ان الشعر لا يختص بقائله من حيث انفس الكلم و
اوضاع اللغة وتزداد تبينا لذلك بان ننظر في القائل اذا اضفته الى الشعر فقلت
امرؤ القيس قائل هذا الشعر من اين جعلته قائلا له امن حيث نطق بالكلم وسمعت
الفاظها من فيه ام من حيث صنع في معانيها ما صنع وتوخى فيها ما توخى فان زعمت
انك جعلته قائلا له من حيث انه نطق بالكلم وسمعت الفاظها من فيه على النسق المخصوص
فاجعل راوي الشعر قائلا له فانه ينطق بها ويخرجها من فيه على الهيئة والصورة التي

نظم بها الشاعر فإنه هو لم يسلك فيها الحشو والترتيب وإنما ذلك شيء ابتدأه الشاعر
فلا لك جعله الفاعل له دون الراوي فقيل لك خبّرنا عنك أترى أنه يتصور أن يجب
لألفاظ الكلم التي تراها في قوله قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل هذا الترتيب
من غير أن يتوخى في معانيها ما تعلم أن امرأ القيس توخاه من كون نبك جوابا للأمر
وكون من معدّية له إلى ذكرى وكون ذكرى مضافة إلى حبيب وكون منزل معطوفا
على حبيب أم ذلك محال فإن شككت في استحالته لم تُكلَّم وإن قلت نعم هو محال
قيل لك فإذا كان محالا أن يجب في الألفاظ ترتيب من غير أن يتوخى في معانيها
معاني النحو كان قولك إن الشاعر أسدا فيها ترتيبا قولا بما لا يتحصل وجملة الأمر أنه لا يكون
ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصنعة إن لم يقدّم فيه ما قدّم ولم يؤخر
فيه ما أخّر وبدئ بالذي ثُنّي به أو ثُنّي بالذي ثُلّث به لم تحصل تلك الصورة وتلك
الصنعة وإذا كان كذلك فينبغي أن ينظر إلى الذي يقصد واضع الكلام أن يحصل
له الصورة والصنعة أفي الألفاظ يحصل له ذلك أم في معاني الألفاظ وليس
في الإمكان أن يشك عاقل إذا نظر أن ليس ذلك في الألفاظ وإنما الذي يتصور
أن يكون مقصودا في الألفاظ هو الوزن وليس هو من كلامنا في شيء لأنّا نحن
فيما لا يكون الكلام كلاما إلا به وليس للوزن مدخل في ذلك

فصل

واعلم أني على طول ما أعدت وأبدأت وقلت وشرحت في هذا الذي قام في
أوهام الناس من حديث اللفظ لربما ظننت أني لم أصنع شيئا وذاك أنك ترى الناس
كأنه قد قضي عليهم أن يكونوا في هذا الذي نحن بصدده على التقليد البحت وعلى التوهم و
التخيل وإطلاق اللفظ من غير معرفة بالمعنى قد صار ذاك الدأب والديدن

من ثم

واستحكم الداء فيه الاستحكام الشديد وهذا الذي بيّناه وأوضحناه كأنك ترى أبدا حجازا
بينهم وبين أن يعرفوه وكأنك تُسمعهم منه شيئا تلفظه أسماعهم وتنكره نفوسهم و
حتى كأنه كلما كان الأمر أبين كانوا عن العلم به أبعد وفي توهم خلافه أقعد وذاك لأن
الاعتقاد الأول قد نشب في قلوبهم وتأشّب فيها ودخل بعروقه في نواحيها وصار
كالنبات السوء الذي كلما قلعته عاد فنبت والذي له صاروا كذلك أنهم حين رأوهم
يفردون اللفظ عن المعنى ويجعلون له حسنا على حدة ورأوهم قد قسموا الشعر فقالوا
إن منه ما حسن معناه ولفظه ومنه ما حسن لفظه دون معناه ومنه ما حسن معناه
دون لفظه ورأوهم يصفون اللفظ بأوصاف لا يصفون بها المعنى ظنوا أن للفظ من حيث
هو لفظ حسنا ومزية ونبلا وشرفا وأن الأوصاف التي نحلوه إياها هي أوصافه على
الصحة وذهبوا عما قدّمنا شرحه من أن لهم في ذلك رأيا وتدبيرا وهو أن يفصلوا بين
المعنى الذي هو الغرض وبين الصورة التي يخرج فيها فنسبوا ما كان من الحسن والمزية في
صورة المعنى إلى اللفظ ووصفوه في ذلك بأوصاف هي تخبر عن أنفسها أنها ليست
له كقولهم إنه حلي المعنى وإنه كالوشي عليه وإنه قد كسب المعنى دلا وشكلا وإنه رشيق
أنيق وإنه متمكن وإنه على قدر المعنى لا فاضل ولا مقصّر إلى أشباه ذلك مما لا يشك أنه
لا يكون وصفا له من حيث هو لفظ وصدى صوت إلا أنهم كانوا رأوا بسلا حراما
أن يكون لهم في ذلك فكر وروية وأن يميزوا فيه قبيلا من دبير ومما الصفة فيه للمعنى وإن
جرى في ظاهر المعاملة على اللفظ إلا أنه يبعد عند الناس كل البعد أن يكون الأمر فيه
كذلك وأن لا يكون من صفة اللفظ بالحقيقة وصفنا اللفظ بأنه مجاز وذاك أن العادة قد
جرت بأن يقال في الفرق بين الحقيقة والمجاز إن الحقيقة أن يقرّ اللفظ على أصله في اللغة

بالصحة م

والمجاز ان يزال عن موضعه ويستعمل في غير ما وضع له فيقال اسد ويراد شجاع وبحر
ويراد جواد وهو وان كان شيئا قد استحكم في النفوس حتى انك ترى الخاصة فيه كالعامة
فان الامر بعد على خلافه وذاك انا اذا حققنا لم نجد لفظ اسد قد استعمل على القطع والبت
في غير ما وضع له ذاك لانه لم يجعل في معنى شجاع على الاطلاق ولكن جعل الرجل بشجاعته
اسدا فالتجوز في ان ادعيت للرجل انه في معنى الاسد وانه كانه هو في قوة قلبه و
شدة بطشه وفي ان الخوف لا يخامره والذعر لا يعرض له وهذا ان انت حصلت
تجوز منك في معنى اللفظ لا اللفظ وانما كان يكون اللفظ مزالا بالحقيقة عن موضعه
ومنقولا عما وضع له ان لو كنت تجد عاقلا يقول هو اسد وهو لا يضمر في نفسه تشبيها
له بالاسد ولا يريد الا ما يريده اذا قال هو شجاع وذلك مما لا يشك في بطلانه وليس العجب
الا انهم لا يذكرون شيئا من المجاز الا قالوا انه ابلغ من الحقيقة فليت شعري ان كان
لفظ اسد قد نقل عما وضع له في اللغة وازيل عنه وجعل يراد به الشجاع هكذا غفلا
ساذجا فمن اين يجب ان يكون قولنا اسد ابلغ من قولنا شجاع وهكذا الحكم في الاستعارة
هي وان كانت في المعاملة من صفة اللفظ وكنا نقول هذه لفظة مستعارة وقد استعير
له اسم الاسد فان مآل الامر الى ان القصد بها الى المعنى يدلك على ذلك انا نقول جعله
اسدا وجعله بدرا وجعله بحرا فلو لم يكن القصد بها الى المعنى لم يكن لهذا الكلام وجه
لان جعل لا يصلح الا حيث يراد اثبات صفة للشيء كقولنا جعلته اميرا وجعلته
واحد دهره تريد انك اثبت له ذلك وحكم جعل اذا تعدى الى مفعولين حكم صير فكما لا
تقول صيرته اميرا الا على معنى انك اثبت له صفة الامارة كذلك لا يصح ان تقول
جعلته اسدا الا على معنى انك جعلته في معنى الاسد ولا يقال جعلته زيدا بمعنى سميته

زيدا ولا يقال للرجل اجعل ابنك زيدا بمعنى سمه زيدا وولد لفلان ابن فجعله زيدا وانما يدخل
الغلط في ذلك على من لا يحصل فاما قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
فانما جاء على الحقيقة التي وصفتها وذلك ان المعنى على انهم اثبتوا للملائكة صفة الاناث
واعتقدوا وجودها فيهم وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم ما صدر من الاسم اعني اطلاق اسم
البنات وليس المعنى انهم وضعوا لها لفظ الاناث او لفظ البنات اسما من غير اعتقاد
معنى واثبات صفة هذا محال لا يقوله عاقل اما تسمع قول الله اشهدوا خلقهم
ستكتب شهادتهم ويسالون فان كانوا لم يزيدوا على ان اجروا الاسم على الملائكة ولم
يعتقدوا اثبات صفة ومعنى باجرائه عليهم فاي معنى لان يقال اشهدوا خلقهم هذا
ولو كانوا لم يقصدوا اثبات صفة ولم يزيدوا على ان وضعوا اسما لما استحقوا الا
اليسير من الذم ولما كان هذا القول منهم كفرا والامر في ذلك اظهر من ان يخفى وجملة
الامر انه ان قيل انه ليس في الدنيا علم قد عرض للناس فيه من فحش الغلط ومن قبيح التورط
ومن الذهاب مع الظنون الفاسدة ما عرض لهم في هذا الشان ظننت ان لا يخشى
على من يقوله الكذب وهل عجب اعجب من قوم عقلاء يتلون قوله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
ويؤمنون به ويدينون بان القران معجز ثم يصدون باوجههم عن برهان الاعجاز ودليله
ويسلكون غير سبيله ولقد جنوا لو دروا ذاك عظيما

فصل

واعلم انه وان كانت الصورة في الذي اعدنا وابدانا فيه من انه لا معنى للنظم غير توخي معاني
النحو فيما بين الكلم قد بلغت في الظهور والوضوح والانكشاف الى اقصى الغاية
والى ان يكون الزيادة عليه كالتكلف لما لا يحتاج اليه فان النفس تنازع الى تتبع كل ضرب

استعمل على

ظاهر

من الشبهة يُرى أنه تعرّض للمسلم نفسه عند اعتراض الشك وإنا لنرى أن في الناس من
إذا رأى أنه يجري في القياس وضرب المثل أن تشبَّه الكلم في ضم بعضها إلى بعض بضمّ
غزل الإبريسم بعضه إلى بعض ورأى أن الذي ينسج الديباج ويعمل النقش والوشي لا يصنع
بالإبريسم الذي ينسج منه شيئاً غير أن يضمّ بعضه إلى بعض ويتخيّر للأصباغ المختلفة
المواقع التي يعلم أنه إذا أوقعها فيها حدث له في نسجه ما يريد من النقش والصورة
جرى في ظنه أن حال الكلم في ضم بعضها إلى بعض وفي تخيّر المواقع لها حال خيوط
الإبريسم سواء ورأيت كلامه كلام من لا يعلم أنه لا يكون الضمّ فيها ضمّاً ولا الموقع موقعاً
حتى يكون قد توخّي فيها معاني النحو وأنك إن عمدت إلى ألفاظ فجعلت تُتبع بعضها
بعضاً من غير أن تتوخّى فيها معاني النحو لم تكن صنعت شيئاً تُدعى به مؤلِّفاً وتُشبَّه
معه بمن عمل نسجاً أو صنع على الجملة صنيعاً ولم يتصوّر أن تكون قد تخيّرت لها
المواقع وفساد هذا وشبهه من الظنّ وإن كان معلوماً ظاهراً فإن ها هنا استدلالاً
لطيفاً تكثر بسببه الفائدة وهو أنه يتصوّر أن يعمد عامد إلى نظم كلام بعينه فيزيله
عن الصورة التي أرادها الناظم له ويفسدها عليه من غير أن يحوّل منه لفظاً عن
موضعه أو يبدّله بغيره أو يغيّر شيئاً من ظاهر أمره على حال مثال ذلك أنك إن
قدّرت في بيت أبي تمام لعاب الأفاعي القاتلات لعابه وأري الجنى اشتارته أيدٍ
عواسلُ أن لعاب الأفاعي مبتدأ ولعابه خبر كما يوهمه الظاهر أفسدت عليه
كلامه وأبطلت الصورة التي أرادها فيه وذلك أن الغرض أن يشبّه مداد قلمه بلعاب الأفاعي
على معنى أنه إذا كتب في إقامة السياسات أتلف به النفوس وكذلك الغرض
أن يشبّه مداده بأري الجنى على معنى أنه يكتب في العطايا والصلات أوصل به

إلى النفوس ما يحلو مذاقته عندها وأدخل السرور واللذة عليها وهذا المعنى إنما
يكون إذا كان لعابه مبتدأ ولعاب الأفاعي خبراً فأما تقديرك أن يكون لعاب الأفاعي
مبتدأ ولعابه خبراً فيبطل ذلك ويمنع منه البتة ويخرج بالكلام إلى ما لا يجوز أن يكون
مراداً في مثل غرض أبي تمام وهو أن يكون أراد أن يشبّه لعاب الأفاعي بالمداد ويشبّه
كذلك الأري به فلو كان حال الكلم في ضم بعضها إلى بعض كحال غزل الإبريسم لكان ينبغي أن لا
تتغيّر الصورة الحادثة عن ضمّ غزل الإبريسم بعضه إلى بعض حتى تزال الخيوط عن
مواضعها واعلم أنه لا يجوز أن يكون سبيل قوله لعاب الأفاعي القاتلات لعابه سبيل
قولهم عتابك السيف وذلك أن المعنى في بيت أبي تمام على أنك تشبّه شيئاً بشيء لجامع
بينهما في وصف وليس المعنى في عتابك السيف على أنك تشبّه عتابه بالسيف ولكن على
أن تزعم أنه يجعل السيف بدلاً من العتاب أوَلا ترى أنه يصحّ أن يقال مداد قلمه
قاتل كسمّ الأفاعي ولا يصحّ أن تقول عتابك كالسيف اللهم إلا أن تخرج إلى باب
آخر وشيء ليس هو غرضهم بهذا الكلام فتريد أنه قد عاتب عتاباً خشناً مؤلماً
ثم إنك إن قلت السيف عتابك خرجت به إلى معنى ثالث وهو أن تزعم أن عتابه
قد بلغ في إيلامه وشدة تأثيره مبلغاً صار له السيف كأنه ليس بسيف واعلم أنه
إن نظر ناظر في شأن المعاني والألفاظ إلى حال السامع فإذا رأى المعاني تقع في نفسه
من بعد وقوع الألفاظ في سمعه ظنّ لذلك أن المعاني تبع للألفاظ في ترتيبها فإن هذا
الذي بيّناه يريه فساد هذا الظنّ وذلك أنه لو كانت المعاني تكون تبعاً للألفاظ في
ترتيبها لكان محالاً أن تتغيّر المعاني والألفاظ بحالها لم تزل عن ترتيبها فلمّا رأينا المعاني
قد جاز فيها التغيّر من غير أن تتغيّر الألفاظ وتزول عن أماكنها علمنا أن الألفاظ

هي التابعة والمعاني هي المتبوعة واعلم انه ليس من كلام يعمد واضعه الى معرفتين
فيجعلهما مبتدا وخبرا ثم يقدم الذي هو الخبر الا اشكل الامر عليك فيه فلم تعلم
ان المقدم خبر حتى ترجع الى المعنى وتحسن التدبر انشد الشيخ ابو علي في التذكرة
نم وان لم انم كراي كراكا ثم قال ينبغي ان يكون كراي خبرا مقدما ويكون الاصل كراك كراي
اي نم وان لم انم فنومك نومي كما تقول قم وان جلست فقيامك قيامي هذا هو عرف الاستعمال
في نحوه ثم قال واذا كان كذلك فقد قدم الخبر وهو معرفة وهو ينوي به التاخير من
حيث كان خبرا قال فهو كبيت الحماسة بنونا بنو ابنائنا وبناتنا بنوهن ابناء الرجال
الاباعد فقدم خبر المبتدا وهو معرفة وانما دل على انه ينوي التاخير المعنى و
لولا ذلك لكانت المعرفة اذا قدمت هي المبتدا لتقدمها فافهم ذلك هذا كله لفظه
واعلم ان الفائدة تعظم في هذا الضرب من الكلام اذا انت احسنت النظر فيما
ذكرت لك من انك تستطيع ان تنقل الكلام في معناه عن صورة الى صورة من غير ان
تغير من لفظه شيا او تحول كلمة عن مكانها الى مكان اخر وهو الذي وسع مجال
التاويل والتفسير حتى صاروا يتاولون في الكلام الواحد تاويلين او اكثر ويفسرون
البيت الواحد عدة تفاسير وهو على ذلك الطريق المزلة التي ورط كثيرا من الناس
في الهلكة وهو مما يعلم به العاقل شدة الحاجة الى هذا العلم وينكشف معه
عوار الجاهل به ويفتضح عنده المظهر الغنى عنه ذاك لانه قد يدفع الى الشي لا يصح
الا بتقدير غير ما يريه الظاهر ثم لا يكون له سبيل الى معرفة ذلك التقدير اذا
كان جاهلا بهذا العلم فيتسكع عند ذلك في العمى ويقع في الضلال مثال ذلك
ان من نظر الى قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسما

الحسنى ثم لم يعلم ان ليس المعنى في ادعوا الدعا ولكن الذكر بالاسم كقولك هو يدعى زيدا
ويدعى الامير وان في الكلام محذوفا وان التقدير قل ادعوه الله او ادعوه الرحمن ايا ما
تدعوا فله الاسما الحسنى كان بعرض ان يقع في الشرك من حيث انه ان جرى في خاطره
ان الكلام على ظاهره خرج ذلك به والعياذ بالله الى اثبات مدعوين تعالى الله عن ان
يكون له شريك وذلك من حيث كان محالا ان تعمد الى اسمين كلاهما اسم شي واحد فتعطف
احدهما على الاخر فتقول مثلا ادع لي زيدا او الامير والامير هو زيد وكذلك محال ان
تقول ايا تدعو وليس هناك الا مدعو واحد لان من شان اي ان يكون ابدا واحدا من اثنين
او جماعة ومن ثم لم يكن له بد من الاضافة اما لفظا واما تقديرا وهذا باب واسع ومن
المشكل فيه قراءة من قرا وقالت اليهود عزير ابن الله بغير تنوين وذلك انهم قد حملوها
على وجهين احدهما ان يكون القارئ له اراد التنوين ثم حذفه لالتقاء الساكنين ولم يحركه
كقراءة من قرا قل هو الله احد الله الصمد بترك التنوين من احد وكما حكي عن عمارة
بن عقيل انه قرا ولا الليل سابق النهار بالنصب فقيل له ما تريد فقال اريد سابق
النهار فقيل له فهلا قلته فقال لو قلته لكان اوزن وكما جا في الشعر من قوله
فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا الى نظائر ذلك فيكون المعنى
في هذه القراءة مثله في القراءة الاخرى سوا والوجه الثاني ان يكون الابن صفة
ويكون التنوين قد سقط على حد سقوطه في قولنا جاني زيد بن عمرو ويكون في الكلام
محذوف ثم اختلفوا في المحذوف فمنهم من جعله مبتدا فقدر وقالت اليهود هو
عزير ابن الله ومنهم من جعله خبرا فقدر وقالت اليهود عزير ابن الله معبودنا وفي
هذا امر عظيم وذلك انك اذا حكيت عن قائل كلاما انت تريد ان تكذبه فيه فان

التكذيب ينصرف إلى ما كان فيه خبراً دون ما كان صفة. تفسير هذا أنك إذا حكيت
عن إنسان أنه قال زيد بن عمرو سيّد ثم كذّبته لم تكن قد أنكرت بذلك أن يكون زيد ابن عمرو
ولكن أن يكون سيّداً، وكذلك إن قال زيد الفقيه قد قدم فقلت له كذبت أو غلطت
لم تكن قد أنكرت أن يكون زيد فقيهاً ولكن أن يكون قد قدم. هذا ما لا اشتباه فيه وذلك
أنك إذا كذّبت قائلاً في كلام أو صدّقته فإنما يتوجه التكذيب منك والتصديق إلى
إثباته ونفيه، والإثبات والنفي يتناولان الخبر دون الصفة. يدلك على ذلك أنك تجد
الصفة ثابتة في حال النفي كثبوتها في حال الإثبات، فإذا قلت ما جاءني زيد
الظريف كان الظرف ثابتاً لزيد كثبوته إذا قلت جاءني زيد الظريف. وذلك أن ليس
ثبوت الصفة للذي هي صفة له بالمتكلم وبإثباته لها فتنتفي بنفيه، وإنما ثبوتها
بنفسها وبتقرر الوجود فيها عند المخاطب مثله عند المتكلم لأنه إذا وقعت
الحاجة في العلم إلى الصفة كان الاحتياج إليها من أجل خيفة اللبس على المخاطب
تفسير ذلك أنك إذا قلت جاءني زيد الظريف فإنك إنما تحتاج إلى أن تصفه بالظرف
إذا كان فيمن يجيء إليك واحد آخر يسمى زيداً فأنت تخشى إن قلت جاءني زيد ولم
تقل الظريف أن يلتبس على المخاطب فلا يدري أهذا عنيت أم ذاك. وإذا
كان الغرض من ذكر الصفة إزالة اللبس والتبيين كان محالاً أن يكون غير معلومة
عند المخاطب وغير ثابتة لأنه يؤدي إلى أن يروم تبيين الشيء للمخاطب بوصف
هو لا يعلمه في ذلك الشيء، وذلك ما لا غاية وراءه في الفساد. وإذا كان الأمر
كذلك كان جعل الابن صفة في الآية مؤدياً إلى الأمر العظيم وهو إخراجه عن
موضع النفي والإنكار إلى موضع الثبوت والاستقرار، جلّ الله تعالى عن شبه

المخلوقين وعن جميع ما يقول الظالمون علواً كبيراً. فإن قيل إن هذه قراءة
معروفة والقول بجواز الوصفية كذلك معروف ومدوّن في الكتب، وذلك يقتضي
أن يكونوا قد عرفوا في الآية تأويلاً لا يدخل به الابن في الإنكار مع تقدير الوصفية
قيل إن القراءة كما ذكرتَ معروفة والقول بجواز أن يكون الابن صفة مثبت
مسطور في الكتب كما قلت، ولكن الأصل الذي قدّمناه من أن الإنكار إذا لحق
الخبر دون الصفة ليس بالشيء الذي يعترض فيه شك أو يتسلط عليه شبهة، فليس
يتجه أن يكون الابن صفة ثم لا يلحقه الإنكار مع ذلك إلا على تأويل غامض، وهو أن
يقال إن الغرض الدلالة على أن اليهود قد كان بلغ من جهلهم ورسوخهم في هذا
الشرك أنهم كانوا يذكرون عزيراً هذا الذكر، كما تقول في قوم تريد أن تصفهم بأنهم
قد استهلكوا في أمر صاحبهم وغلوا في تعظيمه إني أراهم قد اعتقدوا أمراً
عظيماً فهم يقولون أبداً زيد الأمير، تريد أنه كذلك يكون ذكرهم له إذا ذكروه إلا أنه
إنما يستقيم هذا التأويل فيه إذا أنت لم تقدّر له خبراً معيناً ولكن تريد أنهم
كانوا لا يخبرون عنه بخبر إلا كان ذكرهم له هكذا. ومما هو من هذا الذي
نحن فيه قوله سبحانه وتعالى ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيراً لكم، وذلك أنهم قد
ذهبوا في رفع ثلثة إلى أنها خبر مبتدأ محذوف وقالوا إن التقدير ولا تقولوا
آلهتنا ثلثة، وليس ذلك بمستقيم، وذلك أنا إذا قلنا ولا تقولوا آلهتنا ثلثة كان
ذلك والعياذ بالله شبه الإثبات أن ههنا آلهة، من حيث إنك إذا نفيت
فإنما تنفي المعنى المستفاد من الخبر عن المبتدأ ولا تنفي معنى المبتدأ، فإذا قلت
ما زيد منطلقاً كنت نفيت الانطلاق الذي هو معنى الخبر عن زيد ولم

تنفِ معنى زيد ولم توجب عدمه وإذا كان ذلك كذلك فإذا قلنا ولا تقولوا
آلهتنا ثلاثة كنا قد نفينا أن يكون عدة الآلهة ثلاثة ولم ننفِ أن يكون آلهة جل الله
وتعالى عن الشريك والنظير كما أنك إذا قلت ليس أمراؤنا ثلاثة كنت قد
نفيت أن يكون عدة الأمراء ثلاثة ولم تنفِ أن يكون لكم أمراء هذا ما لا شبهة
فيه وإذا أدى هذا التقدير إلى هذا الفساد وجب أن يُعدل عنه إلى غيره
والوجه والله أعلم أن يكون ثلاثة صفة مبتدأ لا خبر مبتدأ ويكون التقدير
ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة أو في الوجود آلهة ثلاثة ثم حذف الخبر الذي هو
لنا أو في الوجود كما حذف من لا إله إلا الله وما من إله إلا الله فبقي ولا تقولوا
آلهة ثلاثة ثم حذف الموصوف الذي هو آلهة فبقي ولا تقولوا ثلاثة وليس في
حذف ما قدرنا حذفه ما يتوقف في صحته أما حذف الخبر الذي قلنا إنه لنا
أو في الوجود فمطّرد في كل ما معناه التوحيد ونفي أن يكون مع الله تعالى الله
عن ذلك إله وأما حذف الموصوف بالعدد فكذلك شائع وذلك أنه كما
يسوغ أن تقول عندي ثلاثة وأنت تريد ثلاثة أثواب ثم تحذف لعلمك أن السامع
يعلم ما تريد كذلك يسوغ أن تقول عندي ثلاثة وأنت تريد أثواب ثلاثة لأنه لا فصل
بين أن تجعل المقصود بالعدد مميزًا وبين أن تجعله موصوفًا بالعدد في أنه يحسن
حذفه إذا علم المراد بيّن ذلك أنك ترى المقصود بالعدد قد ترك ذكره ثم
لا تستطيع أن تقدره إلا موصوفًا وذلك في قولك عندي اثنان وعندي
واحد يكون المحذوف ها هنا موصوفًا لا محالة نحو عندي رجلان اثنان
وعندي درهم واحد ولا يكون مميزًا البتة من حيث كانوا رفضوا إضافة

إضافة الواحد والاثنين إلى الجنس فتركوا أن يقولوا واحد رجال واثنا رجال على حد ثلاثة
رجال ولذلك كان قول الشاعر: ظرف عجوز فيه ثنتا حنظل ... شاذًّا هذا ولا يمتنع
أن تجعل المحذوف من الآية في موضع التمييز دون موضع الموصوف فتجعل التقدير
ولا تقولوا ثلاثة آلهة ثم يكون الحكم في الخبر على ما مضى ويكون المعنى والله أعلم ولا تقولوا
لنا ثلاثة آلهة أو في الوجود ثلاثة آلهة فإن قيل فلم صار لا يلزم على هذا التقدير ما
لزم على قول من قدّر ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة فذاك لأنا إذا جعلنا التقدير ولا تقولوا
لنا أو في الوجود آلهة ثلاثة أو ثلاثة آلهة كنا قد نفينا الوجود عن الآلهة كما نفيناه
في لا إله إلا الله وما من إله إلا الله وإذا زعموا أن التقدير ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة كانوا
قد نفوا أن يكون عدة الآلهة ثلاثة ولم ينفوا وجود الآلهة فإن قيل فإنه يلزم
على تقديرك الفساد من وجه آخر وذاك أنه يجوز إذا قلت ليس لنا أمراء ثلاثة أن يكون
المعنى ليس لنا أمراء ثلاثة ولكن لنا أميران اثنان وإذا كان كذلك كان تقديرك وتقديرهم جميعًا
خطأ قيل إن ها هنا أمرًا قد أغفلته وهو أن قولهم آلهتنا يوجب ثبوت آلهة
جل الله تعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا وقولنا ليس لنا آلهة ثلاثة لا يوجب ثبوت
اثنين البتة فإن قيل إن كان لا يوجب فإنه لا ينفيه قيل ينفيه ما بعده من قوله
تعالى إنما الله إله واحد فإن قيل فإنه كما ينفي الإلهين كذلك ينفي الآلهة وإذا كان كذلك
وجب أن يكون تقديرهم صحيحًا كتقديرك قيل هو كما قلت ينفي الآلهة ولكنهم إذا
زعموا أن التقدير آلهتنا ثلاثة وكان ذلك والعياذ بالله من الشرك يقتضي إثبات آلهة كانوا
قد دفعوا هذا النفي وخالفوه وأخرجوه إلى المناقضة وإذا كان كذلك كان محالًا أن
يكون للصحيح سبيل إلى ما قالوه وليس كذلك الحال فيما قدرناه لأنا لم نعدّ شيئًا يقتضي

اثبات الهين تعالى الله حتى يكون حالنا حال من يدفع ما يوجبه هذا الكلام من نفيهما
يبين لك ذلك انه يصح لنا ان نتبع ما قدرناه نفي الاثنين ولا يصح لهم تقدير ذلك انه يصح
ان يقول ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة ولا الهان لان ذلك يجري مجرى ان يقولوا ولا تقولوا
الهنا الهان وذلك فاسد فاعرفه واحسن تامله ثم ان هاهنا طريقا آخر وهو ان يقدر و
لا تقولوا الله والمسيح وامه ثلاثة اي نعبدهما كما نعبد الله تعالى يبين ذلك قوله تعالى لقد كفر
الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وقد استقر في العرف انهم اذا ارادوا الحاق اثنين بواحد في وصف
من الاوصاف وان يجعلوهما شبيهين له قالوا هم ثلاثة كما يقولون اذا ارادوا الحاق
واحد بآخر وجعله في معناه هما اثنان وعلى هذا السبيل كانهم يقولون هم يعدون
معا واحدا ويوجب لهم التساوي والتشارك في الصفة والرتبة وما شاكل ذلك و
اعلم انه لا معنى لان يقال ان القول حكاية وانه اذا كان حكاية لم يلزم منه اثبات الالهة لانه
يجري مجرى ان يقول ان من دين الكفار ان يقولوا الآلهة ثلاثة وذلك لان الخطاب في الاية
للنصارى انفسهم الا ترى الى قوله تعالى يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا
على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح
منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم واذا كان الخطاب للنصارى
كان تقدير الحكاية محالا فلا تقولوا اذًا في معنى لا تعتقدوا واذا كان في معنى الاعتقاد لزم
اذا قدر ولا تقولوا الهنا ثلاثة ما قلنا انه يلزم من اثبات الالهة وذلك لان الاعتقاد
يتعلق بالخبر لا بالمخبر عنه فاذا قلت لا تعتقدوا ان الامراء ثلاثة كنت نهيته عن ان يعتقد
كون الامراء على هذه العدة لا عن ان يعتقد ان هاهنا امراء هذا مما لا يشك فيه عاقل
وانما يكون النهي عن ذلك اذا قلت لا تعتقد ان هاهنا امراء لانك حينئذ تصير كانك قلت

لا تعتقد وجود امراء هذا ولو كان الخطاب مع المؤمنين لكان تقدير الحكاية لا يصح
ايضا ذلك لانه لا يجوز ان يقال ان المؤمنين نهوا عن ان يحكوا عن النصارى مقالتهم ويخبروا
عنهم بانهم يقولون كيت وكيت كيف وقد قال الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله ومن اين يصح النهي عن حكاية قول المبطل وفي ترك حكايته
ترك له وكفه وامتناع من النعي عليه والانكار لقوله والاحتجاج عليه واقامة
الدليل على بطلانه لانه لا سبيل الى شيء من ذلك الا من بعد حكاية القول والافصاح
به فاعرفه والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم قد اردنا ان
نستانف تقريرا نزيد به الناس تبصيرا انهم في عمياء من امرهم حتى يسلكوا المسلك
الذي سلكناه ويفرغوا خواطرهم لتامل ما استخرجناه وانهم ما لم ياخذوا انفسهم
بذلك ولم يجردوا عنايتهم له في غرور كمن يعد نفسه الري من السراب اللامع
ويخادعها باكاذيب المطامع يقال لهم انكم تتلون قول الله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله وقوله عز وجل قل فاتوا
بعشر سور مثله وقوله بسورة من مثله فقولوا الآن ايجوز ان يكون تعالى قد امر نبيه
صلى الله عليه بان يتحدى العرب الى ان يعارضوا القران بمثله من غير ان يكونوا قد
عرفوا الوصف الذي اذا اتوا بكلام على ذلك الوصف كانوا قد اتوا بمثله ولا
بد من لا لانهم ان قالوا يجوز ابطلوا التحدي من حيث ان التحدي كما لا يخفى مطالبة
بان ياتوا بكلام على وصف ولا تصح المطالبة بالاتيان به على وصف من غير ان يكون
ذلك الوصف معلوما للمطالب ويبطل بذلك دعوى الاعجاز ايضا وذلك انه لا يتصور
ان يقال انه كان عجز حتى يثبت معجوز عنه معلوم فلا تقوم في عقل عاقل ان يقول

لخصم له قلنا عجزك ان تفعل مثل فعلي وهو لا يشير له الى وصف يعلمه في فعله ويراه قد
وقع عليه افلا ترى انه لو قال رجل لآخر انى قد احدثت في خاتم عملته صنعة انت
لا تستطيع مثلها لم تتجه له عليه حجة ولم يثبت به انه قد اتى بما يعجزه الا من بعد ان
يريه الخاتم ويشير له الى ما زعم انه ابدعه فيه من الصنعة لانه لا يصح وصف الانسان بانه
قد عجز عن شيء حتى يريد ذلك الشيء ويقصد اليه ثم لا يتأتى له وليس يتصور ان يقصد
الى شيء لا يعلمه ولا يكون منه ارادة لامر لم يعلمه في جملة ولا تفصيل ثم ان هذا الوصف
ينبغي ان يكون وصفا قد تجدد بالقرآن وامرا لم يوجد في غيره ولم يعرف قبل نزوله
واذا كان كذلك فقد وجب ان يعلم انه لا يجوز ان يكون في الكلم المفردة لان تقدير كونه
فيها المحال وهو ان يكون للالفاظ المفردة التي هي اوضاع اللغة قد حدث في مذاق حروفها
واصدائها اوصاف لم تكن لتكون تلك الاوصاف فيها قبل نزول القرآن وتكون قد
اختصت في انفسها بهيئات وصفات يسمعها السامعون عليها اذا كانت
متلوة في القرآن لا يجدون لها تلك الهيئات والصفات خارج القرآن ولا يجوز ان
يكون في معاني الكلم المفردة التي هي لها بوضع اللغة لانه يؤدي الى ان يكون قد تجدد
في معنى الحمد والرب ومعنى العالمين والملك والدين وهكذا وصف لم يكن قبل نزول
القرآن وهذا ما لو كان ها هنا شيء ابعد من المحال واشنع لكان اياه ولا يجوز ان يكون
هذا الوصف في ترتيب الحركات والسكنات حتى كانهم تحدوا الى ان ياتوا بكلام
تكون كلماته على تواليها في زنة كلمات القرآن وحتى كان الذي بان به القرآن من
الوصف في سبيل بينونة بحور الشعر بعضها من بعض لانه يخرج الى ما تعاطاه
مسيلمة من الحماقة في انا اعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر والطاحنات

يجعلون له

طحنا وكذلك الحكم ان زعم زاعم ان الوصف الذي تحدوا اليه هو ان ياتوا بكلام له مقاطع
وفواصل كالذي تراه في القرآن لانه ايضا ليس باكثر من التعويل على مراعاة وزن وانما
الفواصل في الآي كالقوافي في الشعر وقد علمنا اقتدارهم على القوافي كيف هو فلو
لم يكن التحدي الا الى فصول من الكلام تكون لها اواخر اشباه القوافي لم يعوزهم ذلك
ولم يتعذر عليهم وقد خيل الى بعضهم ان كانت الحكاية صحيحة شيء من هذا حتى وضع
على ما زعموا فصول كلام اواخرها كاواخر الآي مثل يعلمون ويؤمنون واشباه
ذلك وجملة الامر انه لن يعرض هذا وشبهه من الظنون لمن يعرض له الا من سوء المعرفة
بهذا الشان او للخذلان او لشهوة الاغراب في القول ومن هذا الذي يرضى من نفسه
ان يزعم ان البرهان الذي بان لهم والامر الذي بهرهم والهيبة التي ملأت صدورهم والروعة
التي دخلت عليهم فازعجتهم حتى قالوا ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله
لمغدق وان اعلاه لمثمر انما كان لشيء راعهم من مواقع حركاته ومن ترتيب بينها وبين
سكناته ام لفواصل في اواخر آياته ام من اين يليق هذه الصفة وهذا التشبيه بذلك
ام ترى ان ابن مسعود حين قال في صفة القرآن لا يتفه ولا يتشان وقال اذا وقعت
في آل حم وقعت في روضات دمثات اتأنق فيهن اي اتتبع محاسنهن قال ذلك
من اجل اوزان الكلمات ومن اجل الفواصل في اواخر الآيات ام ترى انهم لذلك
قالوا لا تفنى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ام ترى الجاحظ حين قال في كتاب النبوة
ولو ان رجلا قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة لتبين له في نظامها
ومخرجها من لفظها وطابعها انه عاجز عن مثلها ولو تحدى بها ابلغ العرب
لاظهر عجزه عنها ٥ لغا ولغط فليس كلامه مما ذهبوا اليه في شيء وينبغي ان يكون

هذا

لغا اي من ذهب
الى ذلك التاويل

من أن يشتم من بعض الآي وبين ما قاله الناس في معناها كما وازنتم بين ولكم في القصاص
حيوة وبين قتل البعض احياء للجميع خطأ منهم لأنا لا نعلم لحديث النحر والتكلم
والتسكين وحديث الفاصلة مذهبا في هذه الموازنة ولا نعلمهم أرادوا غير
ما يريد الناس إذا وازنوا بين كلام وكلام في الفصاحة والبلاغة ودقة النظم و
زيادة الفائدة ولولا أن الشيطان قد استحوذ على كثير من الناس في هذا الشأن
وأنهم بترك النظر وإهمال التدبر وضعف النية وقصر الهمة قد طرقوا له حتى
جعل يلقي في نفوسهم كل محال وكل باطل وجعلوا هم يعطون الذي يبغيه من
قبولهم ويبوؤنه مكانا من قلوبهم لما بلغ من قدر هذه الأقوال الفاسدة أن يدخل
في تصنيف ويعاد ويبدأ في تبيين وجه الفساد فيها وتعريف ثم إن هذه
الشناعات التي تقدم ذكرها تلزم أصحاب الصرفة وذلك أنه لو لم يكن عجزهم
عن معارضة القرآن وعن أن يأتوا بمثله لأنه معجز في نفسه ولكن لأن أدخل عليهم
العجز وصرفت هممهم وخواطرهم عن تأليف كلام مثله وكان حالهم على الجملة
حال من أعدم العلم بشيء قد كان يعلمه وحيل بينه وبين أمر قد كان يتسع له
لكان ينبغي أن لا يتعاظمهم ولا يكون منهم ما يدل على إكبارهم أمره وتعجبهم منه
وعلى أنه قد بهرهم وعظم كل العظم عندهم بل كان ينبغي أن يكون الإكبار منهم و
التعجب للذي دخل من العجز عليهم ورأوه من تغير حالهم ومن أن حيل بينهم
وبين شيء قد كان عليهم سهلا وأن سد دونه باب كان لهم مفتوحا أرأيت
لو أن نبيا قال لقومه إن آيتي أن أضع يدي على رأسي هذه الساعة وتمنعون
كلكم من أن تستطيعوا وضع أيديكم على رؤوسكم وكان الأمر كما قال بم

اصحاب الصرفة
من قالوا انهم كانوا [illegible]
[illegible]
[illegible] صرفوا عن
[illegible]

يكون تعجب القوم أمن وضعه يده على رأسه أم من عجزهم أن يضعوا أيديهم على
رؤوسهم ونعود إلى النسق فنقول فإذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم من القرآن
في شيء مما عددناه لم يبق إلا أن يكون في النظم والتأليف لأنه ليس من بعد ما أبطلنا
أن يكون فيه إلا النظم وإذا ثبت أنه في النظم والتأليف وكنا قد علمنا أن ليس النظم
شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم وأنا إن بقينا الدهر نجهد أفكارنا
حتى نعلم للكلم المفردة سلكا ينظمها وجامعا يجمع شملها ويؤلفها ويجعل
بعضها بسبب من بعض غير توخي معاني النحو وأحكامه فيها طلبنا ما كل محال
دونه فقد بان وظهر أن المتعاطي القول في النظم والزاعم أنه يحاول بيان المزية فيه
وهو لا يعرض فيما يعيده ويبديه للقوانين والأصول التي قدمنا ذكرها ولا
يسلك إليه المسالك التي نهجناها في عمياء من أمره وفي غرور من نفسه وفي خداع
من الأماني والأضاليل ذاك لأنه إذا كان لا يكون النظم شيئا غير توخي معاني النحو
وأحكامه فيما بين الكلم كان من أعجب العجب أن يزعم زاعم أنه يطلب المزية في النظم
ثم لا يطلبها في معاني النحو وأحكامه التي النظم عبارة عن توخيها فيما بين الكلم
فإن قيل قولك إلا النظم يقتضي إخراج ما في القرآن من الاستعارة وضروب
المجاز من جملة ما هو به معجز وذلك ما لا مساغ له قيل ليس الأمر كما ظننت
بل ذلك يقتضي دخول الاستعارة ونظائرها فيما هو به معجز وذلك لأن هذه
المعاني التي هي الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها
من مقتضيات النظم وعنه يحدث وبه يكون لأنه لا يتصور أن يدخل شيء
منها في الكلم وهي أفراد لم يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النحو فلا يتصور أن

يكون ها هنا فعل واسم قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد ألف مع غيره
أفلا ترى أنه إن قدر في اشتعل من قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا أن لا يكون
الرأس فاعلا له ويكون شيبا منصوبا عنه على التمييز لم يتصور أن يكون مستعارا
وهكذا السبيل في نظائر الاستعارة فاعرف ذلك. واعلم أن السبب في أن لم يقع
النظر منهم موقعه أنهم حين قالوا نطلب المزية ظنوا أن موضعها اللفظ بناء
على أن النظم نظم للألفاظ وأنه يلحقها دون المعاني وحين ظنوا ذلك واعتقدوه
وقفوا على اللفظ وجعلوا لا يرمون بأوهامهم إلى شيء سواه إلا أنهم على ذلك
لم يستطيعوا أن ينطقوا في تصحيح هذا الذي ظنوه بحرف بل لم يتكلموا
بشيء إلا كان ذلك نقضا وإبطالا لأن يكون اللفظ من حيث هو لفظ موضعا
للمزية وإلا أنهم قد اعترفوا من حيث لم يدروا بأن ليس للمزية التي طلبوها
موضع ومكان يكون فيه إلا معاني النحو وأحكامه وذلك أنهم قالوا إن الفصاحة
لا تظهر في أفراد الكلمات وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة فقولهم
بالضم لا يصح أن يراد به النطق باللفظة بعد اللفظة من غير اتصال يكون بين معنييهما
لأنه لو جاز أن يكون لمجرد ضم اللفظ إلى اللفظ تأثير في الفصاحة لكان ينبغي إذا
قيل ضحك خرج أن يحدث في ضم ضحك فصاحة وإذا بطل ذلك لم يبق إلا أن يكون
المعنى في ضم الكلمة إلى الكلمة توخي معنى من معاني النحو فيما بينهما وقولهم على
طريقة مخصوصة يوجب ذلك أيضا وذلك أنه لا يكون للطريقة إذا أنت أردت
مجرد اللفظ معنى وهذا سبيل كل ما قالوه إذا أنت تأملته تراهم في الجميع
قد دفعوا إلى جعل المزية في معاني النحو وأحكامه من حيث لم يشعروا

وذلك لأنه أمر ضروري لا يمكن الخروج منه ومما تجدهم يعتمدونه ويرجعون إليه قولهم
إن المعاني لا تتزايد وإنما تتزايد الألفاظ وهذا كلام إذا تأملته لم تجد له معنى يصح عليه
غير أن تجعل تزايد الألفاظ عبارة عن المزايا التي تحدث من توخي معاني النحو وأحكامه
فيما بين الكلم لأن التزايد في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ونطق لسان محال ثم إنا نعلم
أن المزية المطلوبة في هذا الباب مزية فيما طريقه الفكر والنظر من غير شبهة و
محال أن يكون اللفظ له صفة تستنبط بالفكر ويستعان عليها بالروية اللهم إلا أن
تريد تأليف النغم وليس ذلك مما نحن فيه بسبيل ومن ههنا لم يجز إذا عد الوجوه
التي تظهر بها المزية أن يعد فيها الإعراب وذلك أن العلم بالإعراب مشترك بين العرب
كلهم وليس هو مما يستنبط بالفكر ويستعان عليه بالروية فليس أحدهم بأن إعراب
الفاعل الرفع والمفعول به النصب والمضاف إليه الجر بأعلم من غيره ولا ذاك
مما يحتاج فيه إلى حدة ذهن وقوة خاطر إنما الذي تقع الحاجة فيه إلى ذلك
العلم بما يوجب الفاعلية للشيء إذا كان إيجابها من طريق المجاز كقوله تعالى فما ربحت
تجارتهم وكقول الفرزدق سقتها خروق في المسامع وأشباه ذلك مما يجعل
الشيء فيه فاعلا على تأويل يدق ومن طريق تلطف وليس يكون هذا علما بالإعراب
ولكن بالوصف الموجب للإعراب ومن ثم لا يجوز لنا أن نعتد في شأننا هذا بأن
يكون المتكلم قد استعمل من اللغتين في الشيء ما يقال إنه أفصحهما وبأن يكون قد
تحفظ مما تخطئ فيه العامة ولا بأن يكون قد استعمل الغريب لأن العلم بجميع
ذلك لا يعدو أن يكون علما باللغة وبأنفس الكلم المفردة وبما طريقه طريق
الحفظ دون ما يستعان عليه بالنظر ويوصل إليه بإعمال الفكر ولئن كانت

العامة واشباه العامة لا يكادون يعرفون الفصاحة غير ذلك لان من ضعف النحيزة
اخطار مثله في الفكر واجراءه في الذكر وانت تزعم انك ناظر في دلائل الاعجاز أترى لن
العرب تجدوا الى ان تختاروا الفتح من الميم من الشمع والهاء من النهر على الاسكان
وان تتحفظوا من تخليط العامة في مثل هو يستوي القفا والى ان تأتوا بالغريب الوحشي
في كلام تعارضون به القرآن كيف وانت تقرأ السورة من السور الطوال فلا تجد
فيها من الغريب شيئا وتتأمل ما جمعه العلماء في غريب القرآن فترى الغريب
منه الا في القليل انما كان غريبا من اجل استعارة هي فيه كقوله واشربوا في قلوبهم
العجل ومثل قوله خلصوا نجيا ومثل فاصدع بما تؤمر دون ان تكون اللفظة غريبة
في نفسها انما ترى ذلك في كلمات معدودة كقوله عجل لنا قطنا وذات ألواح ودسر
وجعل ربك تحتك سريا ثم انه لو كان أكثر ألفاظ القرآن غريبا لكان محالا ان يدخل ذلك في
الاعجاز وان يصح التحدي به ذاك لانه لا يخلو اذا وقع التحدي به من ان يتحدى من له علم
بامثاله من الغريب او من لا علم له بذلك فلو تحدى به من يعلم امثاله لم يتعذر عليه ان
يعارضه بمثله الا ترى انه لا يتعذر عليك اذا انت عرفت ما جاء من الغريب في معنى
الطويل ان تعارض من يقول الشوقب بان تقول انت الشوذب واذا قال الاتق
ان تقول الاشق على هذا السبيل ولو تحدى به من لا علم له بامثال ما فيه من الغريب
كان ذلك بمنزلة ان يتحدى العرب الى ان يتكلموا بلسان الترك هذا وكيف بان
يدخل الغريب في باب الفضيلة وقد ثبت انهم كانوا يرون الفضيلة في ترك
استعماله وتجنبه افلا ترى الى قول عمر رضي الله عنه في زهير انه كان لا يعاظل بين
القول ولا يتتبع حوشيه فقرن تتبع الحوشي وهو الغريب من غير شبهة

الى المعاظلة التي هي التعقيد وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين ورأيت
الناس يتداولون رسالة يحيى بن يعمر على لسان يزيد بن المهلب الى الحجاج انا لقينا
العدو فقتلنا طائفة بعراعر الاودية واهضام الغيطان وبتنا بعرعرة الجبل
وبات العدو بحضيضه فقال الحجاج ما يزيد بابي عذر هذا الكلام فحمل اليه فقال
ابن لدن فقال بالاهواز فقال فاتى لك هذه الفصاحة فقال لاحذتها عن ابي
وقالوا انهم يروون في كتبهم ان امرأة خاصمت زوجها الى يحيى بن يعمر فانتهرها
مرارا فقال له يحيى ان سألتك ثمن شكرها وشبرك انشأت تطلها وتضهلها
ثم قال فان كانوا قد رووا هذا الكلام لكي يدل على فصاحة وبلاغة فقد باعده
الله من صفة البلاغة واعلم انك كلما نظرت وجدت سبب الفساد واحدا
وهو ظنهم الذي ظنوه في اللفظ وجعلهم الاوصاف التي تجري عليها كلها اوصافا
له في نفسه ومن حيث هو لفظ وتركهم ان يميزوا بين ما كان وصفا له في نفسه
وبين ما كانوا قد كسوه اياه من اجل امر عرض في معناه ولما كان هذا دابهم ثم
رأوا الناس واظهر شيء عندهم تقويم الاعراب والتحفظ من اللحن لم يشكوا انه
ينبغي ان يعتد به في جملة المزايا التي يتفاضل بها بين كلام وكلام في الفصاحة
وذهب عنهم ان ليس هو من الفصاحة التي يعنينا امرها في شيء وان كلامنا
في فصاحة تجب للفظ لا من اجل شيء يدخل في النطق ولكن من اجل لطائف
تدرك بالفهم وانما نعتبر في شأننا هذا فضيلة تجب لاحد الكلامين على الآخر
من بعد ان يكونا قد برئا من اللحن وسلما في ألفاظهما من الخطأ ومن العجب انا اذا
نظرنا في الاعراب وجدنا التفاضل فيه محالا لانه لا يتصور ان يكون للرفع

والنصب في كلام مزيد عليها في كلام اخر واما الذي يتصور ان يكون ها هنا كلامان قد
وقع في اعرابهما خلل ثم كان احدهما صوابا من الاخر او كلاما قد استمر احدهما على
الصواب ولم يستمر الاخر ولا يكون هذا تفاضلا في الاعراب ولكن تركا له في شي
واستعمالا له في اخر فاعرف ذلك وجمله الامر انك لا ترى ظانا هو انا في بصاحبه
عن ان يصح له كلام او يستمر له نظام او يثبت له قدم او ينطق منه الا بالمحال فم من
ظنهم هذا الذي جاء بهم جولا للفظ وجعلهم لا يعدونه ولا يرون للمزية مكانا دونه
واعلم انه قد يجري في العبارة منا شي هو يعيد الشبهة جذعة عليهم وهو انه
يقع في كلامنا ان الفصاحة تكون في المعنى دون اللفظ فاذا سمعوا ذلك قالوا كيف
يكون هذا ونحن نراها لا تصلح صفة الا للفظ ونراها لا تدخل في صفة المعنى
البتة لانا نرى الناس قاطبة يقولون هذا لفظ فصيح وهذه الفاظ فصيحة ولا نرى
عاقلا يقول هذا معنى فصيح وهذه معان فصاح ولو كانت الفصاحة تكون
في المعنى لكان ينبغي ان يقال ذلك كما انه لما كان الحسن يكون فيه قيل هذا معنى حسن و
هذه معان حسنة وهذا شي يأخذ من الغر مأخذا والجواب عنه ان يقال
ان غرضنا من قولنا ان الفصاحة تكون في المعنى ان المزية التي من اجلها تستحق اللفظ
الوصف بانه فصيح تكون فيه دون معناه لكان ينبغي اذا قلنا في اللفظة انها فصيحة
ان تكون تلك الفصاحة واجبة لها بكل حال ومعلوم ان الامر بخلاف ذلك
فانا نرى اللفظة تكون في غاية الفصاحة في موضع ونراها بعينها فيما لا يحصى
من المواضع وليس فيها من الفصاحة قليل ولا كثير وانما كان كذلك لان المزية التي
من اجلها نصف اللفظ في شأننا هذا بانه فصيح مزية تحدث من بعد ان لا تكون

وتظهر في الكلم من بعد ان يدخلها النظم وهذا شي ان انت طلبته فيها وقد جئت بها افرادا
لم ترم فيها نظما ولم تحدث لها تأليفا طلبت محالا واذا كان كذلك وجب ان يعلم
قطعا وضرورة ان تلك المزية في المعنى دون اللفظ وعبارة اخرى في هذا بعينه وهي ان
يقال قد علمنا علما لا تعترض معه شبهة ان الفصاحة فيما نحن فيه عبارة عن مزية هي
بالمتكلم دون واضع اللغة واذا كان كذلك فينبغي لنا ان ننظر الى المتكلم هل يستطيع
ان يزيد من عند نفسه في اللفظ شيئا ليس هو له في اللغة حتى يجعل ذلك من صنيعه
مزية يعبر عنها بالفصاحة واذا نظرنا وجدناه لا يستطيع ان يصنع باللفظ
شيئا اصلا ولا ان يحدث فيه وصفا كيف وهو ان فعل ذلك افسد على نفسه
وابطل ان يكون متكلما لانه لا يكون متكلما حتى يستعمل اوضاع لغة على ما وضعت
عليه واذا ثبت من حاله انه لا يستطيع ان يصنع بالالفاظ شيئا ليس هو لها في اللغة
وكنا قد اجمعنا على ان الفصاحة فيما نحن فيه عبارة عن مزية هي بالمتكلم البتة وجب
ان نعلم قطعا وضرورة انهم وان كانوا قد جعلوا الفصاحة في ظاهر الاستعمال
من صفة اللفظ فانهم لم يجعلوها وصفا له في نفسه ومن حيث هو صدى صوت
ونطق لسان ولكنهم جعلوها عبارة عن مزية افادها المتكلم في المعنى لانه اذا كان
اتفاقا انها عبارة عن مزية افادها المتكلم ولم نره افاد في اللفظ شيئا لم يبق
الا ان يكون عبارة عن مزية افادها في المعنى وجملة الامر انا لا نوجب الفصاحة
للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه ولكنا نوجبها لها موصولة
بغيرها ومعلقا معناها بمعنى ما يليها فاذا قلنا في لفظة اشتعل من قوله تعالى و
اشتعل الراس شيبا انها في اعلى رتبة من الفصاحة لم توجب تلك الفصاحة

لها وحدها ولكن موصولا بها الراس معرّفا بالالف واللام ومقرونا اليهما الشيب
منكّرا منصوبا هذا وانما يقع ذلك في الوهم لمن يقع له ان يوجب الفصاحة
للفظة وحدها فيما كان استعارة فاما ما خلا من الاستعارة من الكلام الفصيح البليغ كان م
فلا يعرض توهم ذلك فيه لعاقل اصلا الا ترى انه لا يقع في نفس من يعقل ادنى شي اذا
هو نظر الى قوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم والى اكبار الناس
شان هذه الاية في الفصاحة ان يضع يده على كلمة منها فيقول انها فصيحة كيف
وسبب الفصاحة فيها امور لا يشك عاقل في انها معنوية اولها ان كانت على
فيها متعلقة بمحذوف هو في موضع المفعول الثاني والثاني ان كانت الجملة
التي هي هم العدو بعدها عارية من حرف عطف والثالث التعريف في العدو
وان لم يقل هم عدو ولو انك علقت على بظاهر وادخلت على الجملة التي هي هم
العدو حرف عطف واسقطت الالف واللام من العدو فقلت يحسبون كل
صيحة واقعة عليهم وهم عدو لرايت الفصاحة قد ذهبت عنها باسرها و
لو انك اخطرت ببالك ان يكون عليهم متعلقا بنفس الصيحة ويكون حاله معها كحاله
اذا قلت صحت عليه لاخرجته عن ان يكون كلاما فضلا عن ان يكون فصيحا وهذا
هو التفصيل لمن عقل ومن العجب في هذا ما روي عن امير المومنين علي رضي الله عنه
انه قال ما سمعت كلمة عربية من العرب الا وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه
وسمعته يقول مات حتف انفه وما سمعتها من عربي قبله لا شبهة في ان
وصف اللفظ بالعربي في مثل هذا يكون في معنى الوصف بانه فصيح واذا كان
الامر كذلك فانظر هل يقع في وهم متوهم ان يكون رضي الله عنه قد جعلها عربية

من اجل الفاظها واذا نظرت لم تشك في ذلك واعلم انك تجد هؤلاء الذين يشكون فيما
قلناه يجري على السنتهم الفاظ وعبارات لا يصح لها معنى سوى توخي معاني النحو
واحكامه فيما بين معاني الكلم ثم انهم لا يعلمون ذلك فمن ذلك ما يقوله الناس قاطبة من ان العاقل
يرتب في نفسه ما يريد ان يتكلم به واذا رجعنا الى انفسنا لم نجد لذلك معنى سوى
انه يقصد الى قولك ضرب فيجعله خبرا عن زيد ويجعل الضرب الذي اخبر بوقوعه
منه واقعا على عمرو ويجعل يوم الجمعة زمانه الذي وقع فيه ويجعل التاديب
غرضه الذي فعل الضرب من اجله فيقول ضرب زيد عمرا يوم الجمعة تاديبا له
وهذا كما ترى هو توخي معاني النحو فيما بين معاني هذه الكلم ولو انك فرضت ان لا تتوخى
في ضرب ان تجعله خبرا عن زيد وفي عمرو ان تجعله مفعولا به الضرب وفي يوم الجمعة
ان تجعله زمانا لهذا الضرب وفي التاديب ان تجعله غرض زيد من فعل الضرب
ما تصور في عقل ولا وقع في وهم ان يكون مرتبا لهذه الكلم واذ قد عرفت ذلك
فهو العبرة في الكلام كله فمن ظن ظنا يؤدي الى خلافه ظن ما يخرج به عن المعقول
ومن ذلك اثباتهم التعلق والاتصال فيما بين الكلم ووصفهم لها بهما تارة ونفيهم لهما
اخرى ومعلوم علم الضرورة ان لن يتصور ان يكون للفظة تعلق بلفظة اخرى
من غير ان تعتبر حال معنى هذه مع معنى تلك ويراعى هناك امر يصل احداهما
بالاخرى كمراعاة كون نبك جوابا للامر في قوله قفا نبك وكيف بالشك في
ذلك ولو كانت الالفاظ يتعلق بعضها ببعض من حيث هي الفاظ ومع اطراح
النظر في معانيها لادى ذلك الى ان يكون الناس حين ضحكوا مما يصنعه المجّان
من قراءة انصاف الكتب ضحكوا عن جهالة وان يكون ابو تمام قد اخطا حين قال

عن الأشياء بالجنون كأنما قرأت به الورهاء شطر كتاب ، لأنهم لم يضحكوا الا
من عدم التعلق ولم يجعله أبو تمام جنونا الا لذلك فانظر الى ما يلزم هؤلاء القوم
من طرائف الأمور فصل وهذا فن من الاستدلال لطيف على بطلان ان
تكون الفصاحة صفة للفظ من حيث هو لفظ لا تخلو الفصاحة من أن تكون صفة
في اللفظ محسوسة تدرك بالسمع أو تكون صفة فيه معقولة تعرف بالقلب
فمحال أن تكون صفة محسوسة لأنها لو كانت كذلك لكان ينبغي أن يستوي السامعون
للفظ الفصيح في العلم بكونه فصيحا واذا بطل أن تكون محسوسة وجب الحكم
ضرورة بأنها صفة معقولة واذا وجب الحكم بكونها صفة معقولة فانا لا
نعرف للفظ صفة يكون طريق معرفتها العقل دون الحس الا دلالته على معناه
واذا كان كذلك لزم منه العلم بان وصفنا اللفظ بالفصاحة وصف له من
جهة معناه لا من جهة نفسه وهذا ما لا يبقى لعاقل معه عذر في الشك والله
الموفق للصواب وبيان آخر وهو ان القارئ اذا قرأ قوله تعالى واشتعل الرأس
شيبا فانه لا يجد الفصاحة التي يجدها الا من بعد ان ينتهي الكلام الى آخره فلو كانت
الفصاحة صفة للفظ اشتعل لكان ينبغي ان يحسها القارئ فيه في حال نطقه
به فمحال ان يكون للشيء صفة ثم لا يصح العلم بتلك الصفة الا من بعد عدمه ومن ذا
رأى صفة يعرى موصوفها عنها في حال وجوده حتى اذا عدم صارت
موجودة فيه وهل سمع السامعون في قديم الدهر وحديثه بصفة شرط
حصولها لموصوفها أن يعدم الموصوف فان قالوا ان الفصاحة التي ادعيناها
للفظ اشتعل تكون فيه في حال نطقنا به الا انا لا نعلم في تلك الحال انها فيه

فاذا بلغنا

جرول اسم الحطيئة الشاعر

وبديع كأنه الزهر الضاحك في رونق الربيع الجديد ، مشرف في جوانب السمع ما تخلقه
عوده على المستعيد ، حج تحرس الآداب الفاظ فرادى كالجوهر المعدود ، ومعان
لو فصلتها القوافي هجنت شعر جرول ولبيد ، حزن مستعمل الكلام اختيارا
وتجنبن ظلمة التعقيد ، وركبن اللفظ القريب فأدركن به غاية المراد البعيد ،
كالعذارى غدون في الحلل الصفر اذا رحن في الخطوط السود   الغرض من كتب
هذه الأبيات الاستظهار حتى ان حمل جاهل نفسه على الغرور والتقحم على غير بصيرة
فزعم ان الاعجاز في مذاقة الحروف وفي سلامتها مما يثقل على اللسان علم بالنظر فيها
فساد ظنه وقبح غلطه من حيث يرى عيانا ان ليس كلامهم كلام من خطر ذلك منه
ببال ولا أصنافهم صفات تصلح له على حال اذ لا يخفى على عاقل انه لم يكن ضرب همم

جبال

لحزون جمال الشعر ان تسلم الفاظه من حروف تثقل على اللسان ولا كان تقويم
عدي لشعره وتشبيهه نظره فيه بنظر المثقف في كعوب قناته لذلك وانه محال ان
تكون له جعل بشار نور العين قد غاض فصار الى قلبه وان يكون اللؤلؤ الذي كان
لا ينام عن طلبه وان ليس هو صوب العقول الذي اذا انجلت سحائب منه
أعقبت بسحائب وان ليس هو الدر والمرجان مؤلفا بالشذر في العقد ولا
الذي له كان البحتري مقدرا أنه بو داود في الشعر دكيف وهذه كلها عبارات عما
يدرك بالعقل ويستنبط بالفكر وليس الفكر الطريق الى تمييز ما يثقل على اللسان
مما لا يثقل انما الطريق الى ذلك الحس ولولا ان البلوى قد عظمت بهذا الرأي الفاسد
وان الذين قد استهلكوا فيه قد صاروا من فرط شغفهم به يصغون الى كل شيء تسمعه
حتى لو ان انسانا قال باقلى حار تريهم انه يريد نصرة مذهبهم لاقبلوا بوجوههم عليه

والقوا اشباههم الله لكان اطراحه وترك الاشتغال به اصوب لانه قول الاصل
جانب بالصواب البتة ذلك لانه اول شي يؤدي الى ان يكون القران معجزا لا بما به
كان قرانا وكلام الله عز وجل لانه على كل حال انما كان قرانا وكلام الله عز وجل بالنظم
الذي هو عليه ومعلوم ان ليس النظم من مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على
اللسان في شي ثم انه اتفاق من العقلاء ان الوصف الذي به تناهى القران الى حد عجز
عنه المخلوقون هو الفصاحة والبلاغة وما راينا عاقلا جعل القران فصيحا
او بليغا بان لا يكون في حروفه ما يثقل على اللسان لانه لو كان يصح ذلك لكان يجب
ان يكون السوقي الساقط من الكلام والسفساف الردي من الشعر فصيحا اذا
خفت حروفه واعجب من هذا انه يلزم منه ان لو عمد عامد الى حركات الاعراب
فجعل مكان كل ضمة وكسرة فتحة فقال الحمد لله بفتح الدال واللام والهاء وجرى
على هذا في القران كله ان لا يسلبه ذلك الوصف الذي هو معجز به بل كان ينبغي
ان يزيد فيه لان الفتحة كما لا يخفى اخف من كل واحدة من الضمة والكسرة
فان قال ان ذلك يحيل المعنى قيل له اذا كان المعنى والعلة في كونه معجزا خفة
اللفظ وسهولته فينبغي ان يكون مع احالة المعنى معجزا لانه اذا كان معجزا
لوصف يخص لفظه دون معناه كان محالا ان يخرج عن كونه معجزا مع قيام
ذلك الوصف فيه ودع هذا وهب انه لا يلزم شي منه فانه يكفي في الدلالة
على سقوطه وقلة تمييز القائل به انه يقتضي اسقاط الكناية والاستعارة و
التمثيل والمجاز والايجاز جملة واطراح جميعها راسا مع انها الاقطاب
التي تدور البلاغة عليها والاعضاد التي تستند الفصاحة اليها والطلبة

والنضال

التي يتنازعها المحسنون والرهان الذي تجرب فيه الجياد والنضال الذي
تعرف فيه الايدي الشداد وهي التي نوه بذكرها البلغاء ورفع من اقدارها العلماء
وصنفوا فيها الكتب ووكلوا بها الهمم وصرفوا اليها الخواطر حتى صار
الكلام فيها نوعا من العلم مفردا وصناعة على حدة ولم يتعاط احد من
الناس القول في الاعجاز الا ذكرها وجعلها العمد والاركان فيما يوجب
الفضل والمزية وخصوصا الاستعارة والايجاز فانك تراهم يجعلونهما
عنوان ما يذكرون واول ما يوردون وتراهم يذكرون من الاستعارة قوله تعالى
واشتعل الراس شيبا وقوله واشربوا في قلوبهم العجل وقوله عز وجل وآية لهم
الليل نسلخ منه النهار وقوله عز وجل فاصدع بما تؤمر وقوله فلما استيأسوا
منه خلصوا نجيا وقوله تعالى حتى تضع الحرب اوزارها وقوله فما ربحت
تجارتهم ومن الايجاز قوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء
وقوله تعالى ولا ينبئك مثل خبير وقوله فشرد بهم من خلفهم وتراهم على لسان
واحد في ان المجاز والايجاز من الاركان في امر الاعجاز واذا كان الامر كذلك عند
كافة العقلاء الذين تكلموا في المزايا التي للقران فينبغي ان ينظر في امر الذي يسلم
نفسه الى الغرور فيزعم ان الوصف الذي له كان القران معجزا هو سلامة حروفه
مما يثقل على اللسان ايصح له القول بذلك الا من بعد ان يدعي الغلط على العقلاء
قاطبة فيما قالوا والخطا فيما اجمعوا عليه واذا نظرنا وجدناه لا يصح له
ذلك الا بان يعمد هذه الجهالة اللهم الا ان يخرج الى الضحكة فيزعم مثلا
ان من شان الاستعارة والايجاز اذا دخلا الكلام ان يحدث بهما في حروفه

خفة وتجرد فيها سهولة ونسأل الله تعالى العصمة والتوفيق واعلم انا لا نأبى ان تكون
مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلا فيما يوجب الفضيلة
وان تكون مما يؤكد امر الاعجاز وانما الذي ننكره ونفيل رأي من يذهب اليه ان يجعله
معتمرا به وحده ويجعله الاصل والعمدة فيخرج الى ما ذكرنا من الشناعات
ثم ان العجب كل العجب من يجعل كل الفضل في شيء هو اذا انفرد لم يجب به
فضل البتة ولم يدخل في اعتداد بحال وذلك انه لا يخفى على عاقل انه لا يكون بسهولة
الالفاظ وسلامتها مما يثقل على اللسان اعتداد حتى يكون قد ألف منها كلام ثم
كان ذلك الكلام صحيحا في نظمه والغرض الذي اريد به وانه ان عمد عامد الى الفاظ
فجمعها من غير ان يراعي فيها معنى ويؤلف منها كلاما ثم لم تر عاقلا يعتد السهولة فيها
فضيلة لان الالفاظ لا تراد لانفسها وانما تراد لتجعل ادلة على المعاني فاذا عدمت
الذي له تراد او اختل امرها فيه لم نعتد بالاوصاف التي تكون في انفسها عليها وكان
السهولة وغير السهولة فيها واحدا ومن هاهنا رأيت العلماء يذمون من يحمله تطلب
السجع والتجنيس على ان يضيم لهما المعنى ويدخل الخلل عليه من اجلهما وعلى ان
يتعسف في الاستعارة بسببهما ويركب الوعورة ويسلك المسالك المجهولة
كالذي صنع ابو تمام في مثل قوله سيف الامام الذي سمته هيبته لما تخرم اهل
الارض مخترما قرت بقران عين الدين وانشترت بالاشترين عيون الشرك
فاصطلما وقوله ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون
امذهب ام مذهب وبصنعة المتكلفين في الاسجاع وذلك انه لا تتصور
ان يجب بها من حيث هي فضل ويقع بها مع الخلو من المعنى اعتداد واذا

نظرت الى تجنيس ابي تمام امذهب ام مذهب فاستضعفته والى تجنيس القائل
حتى نجا من خوفه وما نجا وقول المحدث ناظراه فيما جنى ناظراه او دعاني
امت بما اودعاني فاستحسنته لم تشك بحال ان ذلك لم يكن لامر يرجع الى اللفظ
ولكن لانك رأيت الفائدة ضعفت في الاول وقويت في الثاني وذلك انك رأيت
ابا تمام لم يزدك بمذهب ومذهب على ان اسمعك حروفا مكررة لا تجد لها فائدة
ان وجدت الا متكلفة متمحلة ورأيت الآخر قد اعاد عليك اللفظة كأنه
يخدعك عن الفائدة وقد اعطاها ويوهمك انه لم يزدك وقد احسن الزيادة
ووفاها ولهذه النكتة كان التجنيس وخصوصا المستوفى منه مثل نجا ونجا من حلى
الشعر والقول فيما يحسن وفيما لا يحسن من التجنيس والسجع يطول ولم يكن غرضنا
من ذكرهما شرح امرهما ولكن توكيد ما انتهى بنا القول من استحالة ان يكون الاعجاز
في مجرد السهولة وسلامة الالفاظ مما يثقل على اللسان وجملة الامر انا ما رأينا في الدنيا
عاقلا اطرح النظم والمحاسن التي هو السبب فيها من الاستعارة والكناية والتمثيل
وضروب المجاز والايجاز وصد بوجهه عن جميعها وجعل الفضل كله والمزية
اجمعها في سلامة الحروف وكيف وهو يؤدي الى التخف والى الخروج من العقل كما
بينا واعلم انه قد آن لنا ان نعود الى ما هو الامر الاعظم والغرض الاهم والذي كأنه هو
الطلبة وكل ما عداه ذرائع اليه وهو المرام وما سواه اسباب للتسلق عليه وهو
بيان العلل التي لها وجب ان يكون لنظم مزية على نظم وان يعظم امر التفاضل فيه
ويتناهى الى الغايات البعيدة ونحن نسأل الله تعالى العون على ذلك والتوفيق والهداية
بسم الله الرحمن الرحيم
الله ما اظن بك ايها القارئ لكتابنا ان كنت وفيته حقه من النظر وتدبرته حق

الذي الا انك قد علمت علما ابى ان يكون للشك فيه نصيب وللتوقف نحوك
مذهب ان ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو واحكامه ووجوهه وفروقه
فيما بين معاني الكلم وانك قد تبينت انه اذا رفع معاني النحو واحكامه مما بين
الكلم حتى لا تراد بها في جملة ولا تفصيل خرجت الكلم المنطوق ببعضها
في اثر بعض في البيت من الشعر والفصل من النثر عن ان يكون لكونها في مواضعها
التي وضعت فيها موجب ومقتضي وعن ان يتصور ان يقال في كلمة منها انها
مرتبطة بصاحبة لها ومتعلقة بها وكائنة بسبب منها وان حسن تصورك
لذلك قد ثبتت فيه قدمك وملأ من الثقة نفسك وباعدك من ان تحن الى
الذي كنت عليه وان يجترك الالف والاعتياد اليه وانك جعلت ما قلناه
نقشا في صدرك واثبته في سويداء قلبك وصادقت بينه وبين نفسك فان
كان الامر كما ظنناه رجونا ان يصادف الذي نريد ان نستأنفه بعون الله تعالى
منك نية حسنة تقيك الملالة ورغبة صادقة تدفع عنك السآمة واريحية
تخف معها عليك تعب الفكر وكد النظر والله تعالى ولي توفيقك وتوفيقنا
بمنه وفضله ونبدا فنقول اذا ثبت الآن ان لا شك ولا مرية في ان ليس النظم
شيئا غير توخي معاني النحو واحكامه فيما بين معاني الكلم ثبت من ذلك ان طالب دليل
الاعجاز من نظم القرآن اذا هو لم يطلبه في معاني النحو واحكامه ووجوهه وفروقه
ولم يعلم انها معدنه ومعانه وموضعه ومكانه وانه لا مستنبط له سواها
وان لا وجه لطلبه فيما عداها غار نفسه بالكاذب من الطمع ومسلم لها الى
الخدع وانه ان ابى ان يكون فيها كان قد ابى ان يكون القرآن معجزا بنظمه ولزمه ان

يثبت شيئا آخر يكون معجزا به وان يلحق باصحاب الصرفة فيدفع الاعجاز من اصله
وهذا تقرير لا يدفعه الا معاند يعد الرجوع عن باطل اذا اعتقده عجزا والثبات
عليه من بعد لزوم الحجة جلدا ومن وضع نفسه في هذه المنزلة كان قد باعدها
عن الانسانية ونسأل الله تعالى العصمة والتوفيق وهذه اصول يحتاج الى
معرفتها قبل الذي عمدنا له اعلم ان معاني الكلام كلها معان لا تتصور الا فيما بين
شيئين والاصل والاول هو الخبر واذا احكمت العلم بهذا المعنى فيه عرفته
في الجميع ومن الثابت في العقول والقائم في النفوس انه لا يكون خبر حتى يكون
مخبر به ومخبر عنه لانه ينقسم الى اثبات ونفي والاثبات يقتضي مثبتا ومثبتا له
والنفي يقتضي منفيا ومنفيا عنه فلو حاولت ان يتصور اثبات معنى او نفيه
من دون ان يكون هناك مثبت له ومنفي عنه حاولت ما لا يصح في عقل ولا يقع في
وهم ومن اجل ذلك امتنع ان يكون لك قصد الى فعل من غير ان تريد اسناده الى
شيء وكنت اذا قلت ضرب لم تستطع ان تريد منه معنى في نفسك من غير ان تريد
اسناده الى شيء مظهر او مقدر وكان لفظك به اذا انت لم ترد ذلك وصوتا
تصوته سواء وان اردت ان تستحكم معرفة ذلك في نفسك فانظر اليك اذا
قيل لك ما فعل زيد فقلت خرج هل يتصور ان يقع في خلدك من خرج معنى من
دون ان تنوي فيه ضمير زيد وهل تكون ان انت زعمت انك لم تنو ذلك الا مخرجا
نفسك الى الهذيان وكذلك فانظر اذا قيل لك كيف زيد فقلت صالح هل يكون
لقولك صالح اثر في نفسك من دون ان تريد هو صالح ام هل يعقل السامع منه
شيئا ان هو لم يعتقد ذلك فانه مما لا يبقى معه لعاقل شك ان الخبر معنى لا يتصور

الا من شيئين يكون احدهما مثبتا والاخر مثبتا له او يكون احدهما منفيا والاخر
منفيا عنه وانه لا يتصور مثبت من غير مثبت له ومنفي من دون منفي عنه
ولما كان الامر كذلك اوجب ذلك ان لا يعقل الا من مجموع جملة فعل واسم كقولنا
خرج زيد او اسم واسم كقولنا زيد منطلق وليس في الدنيا خبر يعرف من غير هذا
السبيل وبغير هذا الدليل وهو شيء يعرفه العقلاء في كل جيل وامة وحكم يجري
عليه الامر في كل لسان ولغة واذ قد عرفت انه لا يتصور الخبر الا فيما بين شيئين
مخبر به ومخبر عنه كذلك لا يتصور ان يكون خبر حتى يكون له مخبر يصدر عنه ويحصل
من جهته ويكون له نسبة اليه وتعود التبعة فيه عليه فيكون هو الموصوف بالصدق
ان كان صدقا وبالكذب ان كان كذبا افلا ترى ان من المعلوم انه لا يكون اثبات ونفي حتى
يكون مثبت وناف يكون مصدرهما من جهته ويكون هو المزجي لهما والمبرم والناقض
فيهما ويكون بهما موافقا ومخالفا ومصيبا ومخطئا ومحسنا ومسيئا وجملة الامر
ان الخبر وجميع معاني الكلام معان ينشئها الانسان في نفسه ويصرفها في فكره
ويناجي بها قلبه ويراجع فيها عقله وتوصف بانها مقاصد واغراض واعظمها
شانا الخبر فهو الذي يتصور بالصور الكثيرة ويقع فيها الصناعات العجيبة وفيه
يكون في الامر الاعم المزايا التي يقع التفاضل في الفصاحة كما شرحنا فيما تقدم ونشرح
فيما نقول من بعد ان شاء الله واعلم انك اذا فتشت اصحاب اللفظ عما في نفوسهم
وجدتهم قد توهموا في الخبر انه صفة للفظ وان المعنى في كونه اثباتا انه لفظ يدل على
وجود المعنى من الشيء او فيه وفي كونه نفيا انه لفظ يدل على عدمه وانتفائه عن الشيء
وهو شيء قد لزمهم وسرى في عروقهم وامتزج بطباعهم حتى صار الظن باكثرهم ان

فينبغي ان يعلم انه يحتاج من بعد هذين الى ثالث وذلك انه كما لا يتصور ان يكون ههنا خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه صح

القول لا ينجع فيهم والدليل على بطلان ما اعتقدوه انه محال ان يكون اللفظ قد نصب
دليلا على شيء ثم لا يحصل منه العلم بذلك الشيء اذ لا معنى لكون الشيء دليلا الا افادته
اياك العلم بما هو دليل عليه واذا كان هذا كذلك علم منه ان ليس الامر على ما قالوه
من ان المعنى في وصفنا اللفظ بانه خبر انه قد وضع لان يدل على وجود المعنى
او عدمه لانه لو كان كذلك لكان ينبغي ان لا يقع من سامع شك في خبر يسمعه وان لا
تسمع الرجل يثبت وينفي الا علمت وجود ما اثبت وانتفاء ما نفى وذلك ما لا
يشك في بطلانه واذا لم يكن ذلك مما يشك في بطلانه وجب ان يعلم ان مدلول اللفظ
ليس هو وجود المعنى او عدمه ولكن الحكم بوجود المعنى او عدمه وان ذلك اي الحكم
بوجود المعنى او عدمه حقيقة الخبر الا انه اذا كان بوجود المعنى من الشيء او
فيه يسمى اثباتا واذا كان بعدم المعنى وانتفائه عن الشيء يسمى نفيا ومن الدليل على
فساد ما زعموه انه لو كان معنى الاثبات الدلالة على وجود المعنى واعلامه
السامع وكان معنى النفي الدلالة على عدمه واعلامه السامع ايضا لكان ينبغي اذا
قال واحد زيد عالم وقال الاخر زيد ليس بعالم ان يكون قد دل هذا على وجود العلم
وهذا على عدمه واذا قال الموحد العالم محدث وقال الملحد هو قديم ان يكون قد
دل الموحد على حدوثه والملحد على قدمه وذلك ما لا يقوله عاقل تفسير لذلك
بعبارة اخرى لا يتصور ان يفتقر المعاني المدلول عليها بالجمل المؤلفة الى دليل
يدل عليها زائد على اللفظ كيف وقد اجمع العقلاء على ان العلم بمقاصد الناس في
محاوراتهم علم ضرورة ومن ذهب مذهبا يقتضي ان لا يكون الخبر معنى في نفس
المتكلم ولكن يكون وصفا للفظ من اجل دلالته على وجود المعنى من الشيء او فيه

او انتفاء وجوده عنه كان قد نقض هذا الاصل الذي قدمناه من حيث يكون قد
جعل المعنى الذي يدل عليه باللفظ لا يعرف الا بدليل سوى اللفظ ذلك لانا
نعرف وجود المعنى المثبت او انتفاء المنفي باللفظ ولكنا نعلمه بدليل يقوم
لنا زائد على اللفظ وما من عاقل الا وهو يعلم ببديهة النظر ان المعلوم بغير
اللفظ لا يكون مدلول اللفظ طريقة اخرى الدلالة على الشي هي لا محالة اعلامك
السامع اياه وليس بدليل ما انت لا تعلم به مدلولا عليه واذا كان كذلك وكان مما
نعلم ببداية العقول ان الناس انما يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض
المتكلم ومقصوده فينبغي ان ينظر الى مقصود المخبر من خبره ما هو
اهو ان يعلم السامع المخبر به والمخبر عنه ام ان يعلمه اثبات المعنى المخبر به
للمخبر عنه فان قيل ان المقصود اعلامه السامع وجود المعنى من المخبر عنه
فاذا قال ضرب زيد كان مقصوده ان يعلم السامع وجود الضرب من
زيد وليس الاثبات الا اعلامه السامع وجود المعنى قيل فان كان اذا اثبت
مع الله تعالى عما يقول الظالمون الها اخر يكون قاصدا ان يعلم نعوذ بالله
ان مع الله تعالى الها وكفى بهذا فضيحة وجملة الامر انه ينبغي ان يقال لهم
اتشكون في انه لا بد من ان يكون الخبر المخبر معنى يعلمه السامع علما لا يكون
معه شك ويكون ذلك معنى اللفظ وحقيقته فاذا قالوا لا نشك قيل لهم
فما ذلك المعنى فان قالوا هو وجود المعنى المخبر به من المخبر عنه او فيه اذا
كان الخبر اثباتا وانتفاؤه اذا كان نفيا لم يمكنهم ان يقولوا ذلك الا من بعد ان
يكابروا فيدعوا انهم اذا سمعوا الرجل يقول خرج زيد علموا علما لا شك معه

وجود الخروج من زيد وكيف يدعون ذلك وهو يقتضي ان يكون الخبر على
وفق المخبر عنه ابدا وان لا يجوز فيه ان يقع على خلاف المخبر عنه وان يكون
العقلاء قد غلطوا حين جعلوا من خاصة وصفه انه يحتمل الصدق والكذب
وان يكون الذي قالوه في اخبار الاحاد واخبار التواتر من ان العلم يقع
بخبر التواتر دون الاحاد سهوا منهم ويقتضي الغنى عن المعجزة لانه انما يحتاج
اليها ليحصل العلم بكون الخبر على وفق المخبر عنه فاذا كان لا يكون الا على وفق
المخبر عنه لم تقع الحاجة الى دليل يدل على كونه كذلك فاعرفه واعلم انه انما
لزمهم ما قلناه من ان يكون الخبر على وفق المخبر عنه ابدا من حيث انه اذا
كان معنى الخبر عندهم اذا كان اثباتا انه لفظ موضوع ليدل على وجود
المعنى المخبر به من المخبر عنه او فيه وجب ان يكون كذلك ابدا وان لا يصح ان
يقال ضرب زيد الا وقد كان الضرب قد وجد من زيد وكذلك يجب في النفي
ان لا يصح ان يقال ما ضرب زيد الا اذا كان الضرب لم يوجد منه لانه لا يجوز
ان يقال ضرب زيد من غير ان يكون قد كان منه ضرب وان يقال ما ضرب زيد
وقد كان منه ضرب لوجب على اصلهم اخلاء اللفظ من معناه الذي
وضع ليدل عليه وذلك ما لا شك في فساده ولا يلزمنا ذلك على
اصلنا لان معنى اللفظ عندنا هو الحكم بوجود المعنى المخبر به من المخبر عنه او فيه
اذا كان الخبر اثباتا والحكم بعدمه اذا كان نفيا واللفظ عندنا لا ينفك من ذلك ولا
يخلو منه وذلك لان قولنا ضرب وما ضرب يدل من قول الكاذب
على ما يدل عليه من قول الصادق لانا ان لم نقل ذلك لكلمة يخلو من ان نزعم ان الكاذب

علي ابن تغلب

يُحلي اللفظ من المعنى أو يزعم أنه يجعل اللفظ بمعنى غيره مما وضع له وكلاهما باطل
معلوم أنه لا يزال يدور في كلام العقلاء في وصف الكاذب أنه يثبت ما ليس بثابت وينفي
ما ليس بمنفي والقول بما قالوه يؤدي إلى أن يكون العقلاء قد قالوا المحال من حيث
يجب على أصلهم أن يكونوا قد قالوا إن الكاذب يدل على وجود ما ليس بموجود
وعلى عدم ما ليس بمعدوم وكفى بهذا تهافتاً وخطلاً ودخولاً في اللغو من
القول وإذا اعتبرنا أصلنا كان تفسيره أن الكاذب يحكم بالوجود فيما ليس بموجود
وبالعدم فيما ليس بمعدوم وهذا أشد كلام وأحسنه والدليل على أن اللفظ من
قول الكاذب يدل على نفس ما يدل عليه من قول الصادق أنهم جعلوا خاصة وصف
الخبر أنه يحتمل الصدق والكذب فلولا أن حقيقة فيهما حقيقة واحدة
لما كان لجعلهم هذا معنى ولا يجوز أن يقال إن الكاذب يأتي بالعبارة على خلاف
المعبر عنه لأن ذلك إنما يقال فيمن أراد شيئاً ثم أتى بلفظ لا يصلح للذي أراد ولا
يمكننا أن نزعم في الكاذب أنه أراد أمراً ثم أتى بعبارة لا تصلح لما أراده ومما ينبغي أن
يحصل في هذا الباب أنهم قد أصّلوا في المفعول وكل ما زاد على جزأي الجملة أنه
يكون زيادة في الفائدة وقد يتخيل إلى من ينظر إلى ظاهر هذا من كلامهم أنهم
أرادوا بذلك أنك تضم بما تزيده على جزأي الجملة وتبني عليها أن ينقطع عن الجملة
حتى يتصور أن يكون زيادة على حدة إذ لا يتصور في زيد من قولك ضربت زيداً
أن يكون شيئاً برأسه حتى يكون بتعديتك ضربت إليه قد ضممت فائدة إلى أخرى
وإذا كان كذلك وجب أن يعلم أن الحقيقة في هذا أن الكلام يخرج بذكر المفعول
إلى معنى غير الذي كان ولم يرد أن الفعل قد عُدّي إلى مفعول معه وقد أُطلق

فلم يُقصد به إلى مفعول دون مفعول وإن الاسم المخصّص بالصفة مع
الاسم المتروك على شياعه كقولك جاءني رجل ظريف مع قولك جاءني رجل في
أنك لست في ذلك كمن يضم معنى إلى معنى وفائدة إلى فائدة ولكن كمن يريد ها هنا شيئاً
وهناك شيئاً آخر فإذا قلت ضربت زيداً كان المعنى غيره إذا قلت ضربت ولم
تقصد إلى مضروب مخصوص وإذا قلت ضربت زيداً قائماً كان المعنى غيره
إذا قلت ضربت زيداً ولم تزد وهكذا يكون الأمر أبداً كلما زدت شيئاً وجدت المعنى
قد صار غير الذي كان ومن أجل ذلك صلح المجازاة بالفعل الواحد إذا أُتي به مطلقاً
في الشرط ومُعدّى إلى شيء في الجزاء كقوله تعالى إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وقوله عز وجل
وإذا بطشتم بطشتم جبارين مع العلم بأن الشرط ينبغي أن يكون غير الجزاء من حيث
كان الشرط سبباً والجزاء مسبباً وأنه محال أن يكون الشيء سبباً لنفسه فلولا أن
المعنى في أحسنتم الثانية غير المعنى في الأولى وأنها في حكم فعل ثانٍ لما ساغ ذلك
كما لا يسوغ أن تقول إن قمتَ قمتَ وإن خرجتَ خرجتَ ومثله من الكلام قوله
المرء بأصغريه إن قال قال ببيان وإن صال صال بجنان ويجري ذلك في الفعلين قد عُدّيا
جميعاً إلا أن الثاني منهما قد تعدّى إلى شيء زائد على ما تعدى إليه الأول ومثاله قولك
إن أتاك زيد أتاك لحاجة وهو أصل كبير والأدلة على ذلك كثيرة ومن أولاها أن تحفظ
أنك ترى البيت قد استحسنه الناس وقضوا لقائله بالفضل فيه وبأنه الذي غاص
على معناه بفكره وأنه أبو عذره ثم لا ترى ذلك الحسن وتلك الغرابة كانا إلا لما بناه على
الجملة دون نفس الجملة ومثال ذلك قول الفرزدق: وما حملت أمّ امرئ في ضلوعها
أعقّ من الجاني عليها هجائيا ... فلولا أن معنى الجملة يصير بالبناء عليها شيئاً غير الذي كان

ويعتبر في ذاته لكان محالاً أن يكون البيت بحيث تراه من الحسن والمزية وأن يكون
معناه خاصاً بالفرزدق وأن يقضى له بالسبق إليه إذ ليس في الجملة التي بني عليها ما
يوجب شيئاً من ذلك فاعرفه والنكتة التي يجب أن تراعى في هذا أنه لا ليس لك صورة
المعنى الذي هو معنى الفرزدق إلا عند آخر حرف من البيت حتى إن قطعت
عنه قوله هجائيا بل الياء التي هي ضمير الفرزدق لم يكن الذي تعقله منه مما أراده
الفرزدق بسبيل لأن غرضه تهويل أمر هجائه والتحذير منه وأن من عرّض نفسه
له كان قد عرّضها لأعظم ما يكون من الشر وكذلك حكم نظائره من الشعر فإذا نظرت
إلى قول القطامي فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي
وجدتك لا تحصل على معنى يصح أن يقال إنه غرض الشاعر ومعناه إلا عند قوله
دي ويزيدك استبصاراً فيما قلنا أن تنظر فيما كان من الشعر جملاً قد عطف
بعضها على بعض بالواو كقوله النشر مسك والوجوه دنانير وأطراف الأكف عنم
وذلك أنك ترى الذي تعقله من قوله النشر مسك لا يصير بانضمام قوله والوجوه
دنانير إليه شيئاً غير الذي كان بل تراه باقياً على حاله وكذلك ترى ما تعقل من قوله
والوجوه دنانير لا يلحقه تغير بانضمام قوله وأطراف الأكف عنم إليه وإذ قد عرفت
ما قررناه من أن من شأن الجملة أن يصير معناها بالبناء عليها شيئاً غير الذي كان وأنه
يعتبر في ذاته فاعلم أن ما كان من الشعر مثل بيت بشار كأن مثار النقع فوق رؤوسنا
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه وقول امرئ القيس كأن قلوب الطير رطباً ويابساً
لدى وكرها العناب والحشف البالي وقول زياد وإنا وما تلقي لنا إن هجوتنا
لكالبحر مهما تلق في البحر يغرق كان له مزية على مثل قول الفرزدق فيما ذكرنا لأنك

القطامي اسم شاعر تغلب

تجد في صدر بيت الفرزدق جملة تؤدي معنى وإن لم يكن معنى يصح أن يقال إنه معنى
فلان ولا تجد في صدر هذه الأبيات ما يصح أن تعد جملة تؤدي معنى فضلاً عن أن يقال
إنه معنى فلان ذاك لأن قوله كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا جزء واحد وليل تهاوى
كواكبه بجملته الجزء الذي ما لم تأت به لم تكن قد أتيت بكلام وهكذا سبيل البيت الآخر
فقوله كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها جزء وقوله العناب والحشف
البالي الجزء الثاني وقوله وإنا وما تلقي لنا إن هجوتنا جزء وقوله لكالبحر الجزء الثاني وقوله
مهما تلق في البحر يغرق وإن كان جملة مستأنفة ليس فيها في الظاهر تعلق بقوله
لكالبحر فإنها لما كانت مبينة لحال هذا التشبيه صارت كأنها متعلقة بهذا التشبيه
وجرى مجرى أن يقول لكالبحر في أنه لا يلقى فيه شيء إلا غرق فصل وإذا ثبت
أن الجملة إذا بني عليها حصل منها ومن الذي بني عليها في الكثير معنى يجب فيه أن ينسب
إلى واحد مخصوص فإن ذلك يقتضي لا محالة أن يكون الخبر في نفسه معنى هو غير المخبر به
والمخبر عنه ذاك لعلمنا باستحالة أن يكون للمعنى المخبر به نسبة إلى المخبر وأن يكون
المستنبط والمستخرج والمستعان على تصويره بالفكر فليس يشكل عاقل في أنه
محال أن يكون للحمل في قوله وما حملت أم امرئ في ضلوعها نسبة إلى الفرزدق
وأن يكون الفكر منه كان فيه نفسه وأن يكون معناه الذي قيل إنه استنبطه واستخرجه
وغاص عليه وهكذا السبيل أبداً لا يتصور أن يكون للمعنى المخبر به نسبة إلى الشاعر
وأن يبلغ من أمره أن يصير خاصاً به فاعرفه ومن الدليل القاطع فيه ما بيناه في الكناية
والاستعارة والتمثيل وشرحناه من أن من شأن هذه الأجناس أن توجب الحسن
والمزية وأن المعاني من أجلها بالصور المختلفة وأن العلم بإيجابها ذلك ثابت

يؤدي معنى

تتصور صح

في العقول ومركوز في غرائز النفوس وسنا كذلك انه محال ان يكون المزايا التي يحدث
بها حادثة في المخبر به المثبت او المنفي لعلمنا باستحالة ان يكون المزية التي يجدها
لقولنا هو طويل النجاد على قولنا هو طويل القامة في الطول التي يجدها المعنى لنا هو
كثير رماد القدر على قولنا هو كثير القرى والضيافة في كثرة القرى واذا كان ذلك كذلك محالا
ثبت ان المزية والحسن يكونان في اثبات ما يراد ان يوصف به المذكور والاخبار به
واذا ثبت ذلك ثبت ان الاثبات معنى لا يحصل المزية والحسن فيما ليس
بمعنى محال ○ والحمد لله وحده والصلوة على خير البشر محمد وعلى آله ○ وقد كان مكتوبا
في النسخة المنقول عنها بخط كاتبها هذه الاسطر سمعت الشيخ الامام ابا زيد الجحاري سلمه الله
يقول ان الشيخ الامام الاستاد ابا بكر عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني رحمه الله تامل وتدبر خمس وعشرين سنة
من سني اخر عمره في استخراج طرق الاعجاز في الكلام حتى كتب هذه الفصول التي عرفها وبين كثيرا من ماخذ
الفصاحة والبلاغة ما وقعت عليها الرهاها ولم يبلغ مدة عمره تحصيل ما فيه تمام غرضه من
تصنيف هذا الكتاب فاتاه رحمه الله في خلال التاليف الموت وسقطت الى ما فيه تمام ما مول
من هذا التصنيف من الغوث وقد كاد رحمه الله ان ياتي بما مدة من قواعد الفصاحة وطرق
البلاغة التي فيها تحصل الاعجاز بامثلة من اي الفرقان فادركه الموت قبل ان بعد كتابه رحمه الله فاجمل
فيما حقق واحسن فيما جمع لم يسبق اليه في مثل تحقيقه واستنباط طريقه متعنا الله بالتدبر و
التفكر فيما اورد والهمنا الوقوف في العلم بما لم يضرب لنا فيه مثالا ونسال الله بعد العصمة والتوفيق
فانه الموفق ○

ذكر ابو العيناء الصحابة فقال هم الذين جلوا بكلامهم الابصار العليلة وشحذوا بمواعظهم
الاذهان الكليلة ونبهوا القلوب من رقدتها ونقلوها عن سوء عادتها فشفوا من
داء القسوة وغباوة الغفلة وداووا من العي الفاضح ونهجوا السبل الطريق الواضح
فرحمة الله عليهم اجمعين ○ قال الاصمعي سال ابو عمرو بن العلاء عن اكرم مكان الله فقال الجديد فقيل له فما
تقول في الحلف في حق رسول الله صلى الله عليه فقال حلفه محنث ○

ما ادو عاه
من المعدود في المحاسن من الغزل
دعوى تحير ب الهوى بابصار الكاس ...
لا توجسنكم الشعثم ... فان فيه ... احسن ...
من قطع الفاظه ... لفاظ
من اعشر بامثال الرجال ... ماكان قطع ...

[illegible]

[illegible]

الاصل الرابع والاربعون فالحسن علا العجلي الكوفي قال له محمد بن ادم عن ابن الحريث عن سعيد المقبري عن ابي هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدثتم عني بحديث تعرفونه ولا تنكرونه فلته او لم اقله فصدقوا به فاني اقول ما يعرف
ولا ينكر واذا حدثتم عني بحديث تنكرونه ولا تعرفونه فلا تصدقوا به فاني لا اقول ما ينكر ولا يعرف ○ قال ابو عبد الله فالرسل
صلوات الله عليهم بعثوا الى الخلق بجمل الامور ومعرفة المدبر في الامور وكيف ولم وكذا الامور عندهم مكنون وقد افشا الله
من ذلك الى الرسل من غيبه ما لا يحمله عقول من دونهم ولفضل النبوة قدروا على احتماله فالعلم انما بدا من عند الله الى الرسل
ثم من الرسل الى الخلق فالعلم بمنزلة البحر فاجرى منه واديا ثم اجرى من الوادي نهرا ثم اجرى منه جدولا ثم من الجدول الى ساقية فلو
اجرى الى الجدول ذلك الوادي لغرقه وافسده ولو مال البحر الى الوادي لافسده وهو قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت
اودية بقدرها فبحور العلم عند الله فاعطا الرسل منها اودية ثم اعطت الرسل من اوديتهم انهارا الى العلماء ثم اعطت العلماء الى
العامة جداول صغارا على قدر طاقتهم ثم اجرت العامة الى سواقيهم من اهاليهم واولادهم وما ملكهم بقدر طاقتهم فلذلك السواقي
ومن ههنا ما روي في الخبر ان لله سترا لو افشاه لفسد التدبير وللملوك سرا لو افشوه لفسد ملكهم وللانبياء سر لو افشوه
لفسدت نبوتهم وللعلماء سر لو افشوه لفسد علمهم ○ وانما تفسد ذلك لان العقول لا تحتمله فلما زيد في الانبياء في عقولهم
قدروا على احتمال النبوة وزيدت العلماء وعقولهم ولذلك نالوا العلم فقدروا على احتمال ما عجزت العامة عنه وكذلك علماء
الباطن وهم الحكماء زيد في عقولهم فقدروا على احتمال ما عجزت عنه علماء الظاهر الا ترى ان كثيرا من علماء الظاهر دفعوا
ان يقطع الوسقو سهم من الادميين صلونه ودفعوا ان يكون لهم مشي على الماء او تطوى له الارض او يهاله رزق من غير حوته
الا دمس حتى انكروا عامة هذه الروايات الرحات فمثل هذه الاشيا فلو عقلوا العالم لما قال امطرف عبد الله
جمرنا لله مع صاحب له فاضا له طرف عصاه كالسراج معه فقال له صاحبه لو حدثنا بهذا كذبنا فقال مطرف
المكذب نعم الله اكذب هذا فلو نظر علما الظاهر الى ما اعطاهم الله فابصروا لم يستعجبوا من فعالهم ودفعهم هذه
الاشيا ولكنهم لم يبصروا ما اعطاهم من عند ربهم الله معرفته وهي اعظم شي في السموات والارض فلا استعظمه واذا
رزقه دسته من جوهر برتبه من الارض او دغفا تعجب منه واستعظمه وقال من ابن هذا الا يرجع الى نفسه فيقول
هذا الذي اعطاني ما هو اثقل من سبع سموات وسبع ارضين فجعل اقرارا على قلبي وانطق بتعبيرها لساني من اين هذا لك
اعطيت العطا الجليل فلم تزعج وعاينته ولم تشكر المعطي وسهوت ولهوت وتبطلت في صورة الكفور للنعمة مقبلا على
الدنيا والذي انتبه بما اعطي والكشف غطا قلبه دعوا ما اعطي وعز عليه ان يدنس خلعه الله التي خلع على قلبه كما عز عليك ان
تدنس خلع الملوك عند دار الدنيا فلو ان ملكا خلع على احدكم من هذه الثياب المرتفعة من الخز وما اشبهها الوقاه
ان يمتهنه او يهينه لكن يصونه ويستره ويلبسه في الاعياد فكيف بالخلعة التي خلعها رب العالمين على قلوب الموحدين
اشعلها في قلوبهم نور التوحيد حتى عرفوه وامنوا به واشرقت صدورهم ونزع عنها ظلمة الكفر وخلعها عنهم وخلع
عليهم لباس التقوى ثم قال في تنزيله ذلك خير ذلكم من ايات الله فصدر ذلك في قلبه يوم عرضهم على النار حتى لا تمسهم النار
فسمي لباس التقوى وهو مشتق من الوقاية وقال حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم فهو ذلك النور ثم قال وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة ثم قال والله عليم حكيم عليم بما اعطى من هو من عباده ومن
اي طينة خلقه حكيم في امره بالحكمة فعلى هذا الامانة الجزاف وهو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم
فمن انتبه لهذه النعمة ولهذا الفضل الذي اعطاه رب العالمين استعظم ان تطوى له الارض او نعطا رغيفا في البرية و
هو الذي يقول في تنزيله ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله فال الشفاعة يوم القيمة
وقد جل شفيع يوم القيمة في اهل النار وصار من نحو قوله سرير في الغرفة في ذلك الموقف ان اعطاه في دار الدنيا
رغيفا في مفازة من حيث لا يقدر عليه هادي يكون قيمة حتى ينكر هذا او ما يحرج انكار هذا الامر قوم جهلوا صنع الله و
لا بصره وخلعه ولم يحسن لهم كرامة الله اياهم ○ وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو عرفتم الله حق معرفته
لزالت بدعائكم الجبال وعلماء الظاهر عرفوا الله ولكن لم ينالوا حق المعرفة فلذلك عجزوا عن هذه المرتبة ودفعوا ان

[illegible]

تكون بعد الاحق كاينا ولو عرفوه حق المعرفة لماتت منهم شهواتهم الدنيا وحب الرياسة والشح على الدنيا والتنافس
في احوالها وطلب العز وحب الثنا والمحمدة ترى احدهم قد تقر سمعه مصغيا الى ما يقول الناس له وفيه وعينه
شاخصة الى ما ينظر الناس اليه جهده وقد عميت عيناه عن النظر الى صنع الله وتدبيره فان الله جل اسمه هو كل
يوم هو في شان وقد صم سمعه عن مواعظ الله يقراه ولا يلتذ به ولا يجد له حلاوة كانه انما يعني بذلك غيره
كيف يلتذ بما كلم به غيره وانما صار كذلك لان الله تعالى خاطب اولي العقول والابصار والالباب ممن ذهبت عقله
وبصيرته ولبه لاشتغال نفسه ودنياه كيف يفهم كلام رب العالمين ويلتذ به ويحلو الصدر وهو من صفة
غيره وانما وقع البر واللطف على تلك الصفة وايامهم حاطب وقد تبدلت صفته هذا ومعناه واذ عن نفر ما
كانوا فيه ولا يقدر ان يستقصي صفة ذلك ولا يفرغ ما في صدورنا الى يوم القيمة من يذكر رب العالمين وانما خاطب الله
بما خاطب من هذه اللطايف في من يلي العقول فهم لا يبدلون فاذا ذهبت العقول ضاعت المخاطبة فاذا
ردوا العقول الى الله فنعم البدل ادركهم مخاطبته فلذوا بلطايفه عند بالحق يا وبلا حديث رسول الله صلى
الله عليه من قوله اذا احدثتم عني بحديث تعرفونه ولا تنكرونه فصدقوا به قلته او لم اقله فاني اقول ما يعرف
ولا ينكر واذا احدثتم عني بحديث تنكرونه ولا تعرفونه فكذبوه فاني لا اقول ما ينكر ولا يعرف ه فمن تكلم بعد
الرسول بشي من الحق وعلى سبيل الهدى كان الرسول سابقا الى ذلك القول وان لم يكن تكلم بذلك اللفظ الذي اتى به غير
بعده فقد اتى الرسول باصله مجملا فلذلك قال فصدقوا به قلته او لم اقله اي لم اقله بذلك اللفظ الذي يحدث
بدعي بعد ما عليه اذ جئت بالاصل فالاصل لا يؤخذ الى الفرع فجا الرسول بالاصل ثم تكلم اصحابه والتابعون من
بعده بالفروع فاذا كان الكلام معروفا عند المحققين غير منكر فهو قول الرسول عليه السلم قاله او لم يقله
بحيث علينا تصديقه لان الاصل قد قاله الرسول واعطاناه وانما قال ذلك لاصحابه الذين قد عرفهم بالحق
فانما يعرف الحق المحقون هم اولو الالباب والابصار فاما المخلط المكب على شهوات الدنيا المحجوب
عقله عن الله فليس هو المعني بهذا لان صدره مظلم فكيف يعرف الحق وانما شرط رسول الله صلى الله
عليه فقال اذا جاكم عني حديث تعرفونه ولا تنكرونه وانما يعرف وينكر العقول التي لها الى الله سبيل تتصل
الى الله فنور الله سراجه والعقل بصيرته والحق جنيبته والسكينة طابعه فمرجع الى خلقه والحق
عنده ابلج يضي في قلبه كضوء السراج يقينا وعليه كما قال ربيع بن خثيم رحمه الله ابوه رحمه الله قال
ثنا ابو نعيم عن سفيان عن ابيه عن ربيع بن خثيم رحمه الله قال ان على الحق نورا وضوءا كضوء النهار يعرفه و
على الباطل ظلمة كظلمة الليل ينكره ه فالمحقون هكذا صفتهم يعرفون الحق والباطل هكذا كما وصفه
الربيع رحمه الله وكذلك وعد الله المتقين فقال يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا فقال اهل
التفسير مخرجا من الشبهات والظلمات واما محض التفسير فالمخرج ان يجعل له نورا في قلبه يعرف
من الحق والباطل حتى يكون له مخرجا من ظلمة الجهل وشبهات الدنيا فان الجهل مظلم والوساوس تترى على الادمي
شهوة الذي في جوفه فيشتبه عليه حتى يخدعه فيستغويه من هذه الاشيا يجعل له فرقانا وهو النور
يفرق بين الحق والباطل هذا ثواب التقوى في عاجل دنياه وثوابه في الاخرة فوزه وكرامته ودرجته
درجته ه قال له قائل فان كان النظر في معرفة الحق من الباطل الى القلب فما الحاجة بنا الى هذه الاثار
وقال بنا اليها من الحاجة ما لا يستغني عنها وقد سالت عن مسالة لها غور فيفهم فاني اريد ان استقصي
جوابها لك على الاختصار والايجاز ان الله تعالى اكرم هذا المومن بمعرفته فامن به واطمان اليه فوقر
عقله فانار قلبه واشرق صدره فالحق نور وعلى القلب المومن نور ويتقدم من قلبه على قلبه في صدره
فاذا عرض امر هو لله حق فوقع ذكره في الصدر على القلب فالتقى نوره ونور القلب امتزجا و

وائتلفا فاطمان القلب بما فيه وسكن فقد علمت انه الحق واذا عرض باطل فوقع ذكره في الصدر على القلب والباطل
ظلمة التقت الظلمة ونور القلب فنفر النور ولم يمتزج معه فاضطرب القلب لم يلج الباطل فهذا امر واضح
قد اعطاه الله حجة على عباده ان جعل على الحق نورا وفي القلب فلا يحتاج الى استشهاد اهل الظاهر فهذا
علم وافر لا يغيب عنه طرفة عين يكون معه حيث ما كان فهو قول رسول الله صلى الله عليه ثنا بذلك عبد الله
بن احمد الاسدي قال ثنا يوسف بن يعقوب الصفار عن حماد عن محمد عبد الله الاسدي عن وابصة بن معبد قال قال
لي رسول الله صلى الله عليه جئت تسال عن البر والاثم واستفت قلبك البر ما اطمانت اليه النفس والقلب والاثم
ما حاك في النفس فتردد في الصدر وان افتاك الناس ه قال فانما ذكر اطمانينة النفس مع القلب ليعلم ان هذه
نفوس قد ماتت منها الشهوات فصارت القلب في الصدر في العبودة ولو كانت نفس شهوانية بقيت لم يستحق
ان ينظر ما يحيك فيها والى ما تطمئن فالنفوس البطالة تطمئن الى الجهل ويحيك فيها الحق والخير وتستقر فيها الشر
والباطل ولكن لما ذكر النفس قال البر ما اطمان القلب والنفس وقال البر ما اطمان القلب والنفس علمنا انه انما
عنى هذه النفوس التي راضها اهلها وادبوها حتى جاورت القلوب في سعيتها وصدقها ه ثنا محمد قال ثنا داود
بن سليمان عن عمار بن عطاء عن ابيه قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله افتنا ما شيئا ان اسالنا بالبقاء بعدك قال
تفتيك نفسك قال وكيف تفتيني نفسي قال ضع يدك على صدرك فانه يسكن للحلال ويضطرب للحرام دع ما يريبك الى ما لا يريبك
وان افتاك المفتون ان المومن يذر الصغير مخافة ان يقع في الكبير ه سفيان ووكيع قال ثنا ادريس عن شعبة عن بريد
ابن مريم عن ابي الجوزاء عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال سمعت جدي صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا
يريبك فان الصدق طمانينة والكذب ريبة فالحلال بين والحرام بين قد بين الله في تنزيله فما احل وحرم فهو الحق
وعليه نور وما بين الحلال والحرام شبهات فذلك الذي يسكن عليه القلب ويضطرب فما سكن عليه القلب
فهو لاحق بالحلال وما نفر عنه القلب فهو لاحق بالحرام هذا عند المحققين الذين وصفناهم بطهارة القلب في
نور اليقين في صدورهم فكلما دخل شي صدورهم مما احله الرب سكن عليه القلب والنفس وما حرمه الرب
نفر عنه القلب واضطربت النفس وما اشتبه على العامة وعلماء الظاهر امره فعلى قلوبهم بيان ذلك انه هو ما
يلحق بالحلال ام يلحق بالحرام فان سكن القلب عليه لحقه بالحلال وان اضطرب قلبه ونفر منه لحقه بالحرام هذا
هذا لاهل البصيرة وطهارة القلوب لانه لا يخلو الشبهة من ان يكون حراما او حلالا وانما اشتبه عند علماء الظاهر
لانهم لم يجدوا له تنزيلا ولا اثرا منصوصا عن الرسول صلى الله عليه فتشبه عندهم مرة بالحلال ومرة بالحرام
وفقد الحسد والشاهد الذي في قلوبهم والحجة التي اتخذ الله عندهم كما افسدوا عقولهم قد دنسوها وافسدوا
اديانهم فاسقموها وافسدوا جوارحهم الظاهرة فلطخوها وافسدوا اطرافهم التي الى الله فسدوها وانما
صير رسول الله صلى الله عليه هذه الكلمة علامة القلوب قد هلكت النفوس وخلت من دنسها وشيئها
الصدور لا القلوب قد ملكها نفوسها وسخنت لو شاء وشيئها صدورها وقال الله تعالى ولو انهم فعلوا
ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ه فوعد
الهداية على فعل ما يوعظون به والاجر العظيم في الاخرة والسابق في الدنيا فهذه عام وقوله ان تتقوا الله يجعل
لكم فرقانا معنى واحد لان تقوى القلب هو الفعل بما يوعظ به فقال ها هنا يجعل لكم فرقانا وقال هناك و
لهديناهم صراطا مستقيما والهداية في القلب والفرقان في القلب وهو نور يجعله الله في قلبه فيشرق به صدره
وينجلي عن صدره ظلمة الهوى والشهوات وزين الذنوب فاذا ورد عليه امر هو حق عرفه لانهما قد التقيا
فائتلفا واذا ورد عليه باطل عرفه لان القلب قد نفر منه عند الملاقاة فهذا علم في الاسرار هذا لاهل القلوب
والفاعلين بما يوعظ واما حاجة العامة بعد ذلك الى الشرح والبيان والى تبصير الامور وتلخيصها

العلم الطاهر لما دخل عليهم من آفة العجب تخليطها فقد تراكمت على صدورهم سحائب تترى من حب الدنيا وحب العلو وحب الثنا
وحب الرياسة وحب الشهوات وفتن الدنيا ورين الذنوب فاذا عرض في الصدور دكرسي هو حق وعليه الحق نور جاءت الظلمة
من نور العلم ونور الحق الذي ورد على القلب فلم تمتزجا ولم يعرف القلب ذلك الحق وصار جهد في حيرة منه واذا
عرض له من هو باطل وعلى الباطل ظلمة امتزج الباطل بظلمة الشهوات ورين الذنوب فلم يعلم القلب بشيء من ذلك لان
نور العلم قد انكمن في القلب ولم يشرق في الصدور فهو بافرحما في الصدر من العجائب فاذا يحتشر بدخول الباطل حتى
يشعر منه فليس لاهل التخليط من هذه العلامة شي فانه قال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وصدره ممتلي ريبا فكيف
يتبين قدر الريب الزائد واي ريب اكبر من الاصرار على الذنب وارد في ذلك الذنب فان الاصرار على دقيق الذنوب
من الكبائر وقلبه قد من الغل والغش والحقد والحرص على الدنيا والدخول في شبه الامور مع جوارح منتشرة
من عين لحاظ ولسان هذاء وسمع صغواء فكيف يتبين له ما يريبه مما لا يريبه وقد قال الرسول عليه السلام في
حديثه قال للصدق اطمانينة وللكذب ريبة فكل هذا الكذب يجتمع في قلب فكيف تكون له هذه العلامة كما قال
لمعاملا مرايات ان تنقص لما حدثنا مما اتت به الروايات حدثنا نعرفه المحقون سيماهم ولا ينكرونه وحديثا
ينكرونه لنعرف بها الوجهين جميعا ومن قبل ذلك فاخبرنا عن معنى قولك المحقون ومن هو فانك تردده في
كلامك كثيرا قال ان الحق الاعظم الذي منه انشعبت الحقوق لا يسكن الا في قلب طاهر وكذلك الحكمة
لا تستوطن الا في قلب طاهر وكذلك اليقين لا يستقر الا في قلب طاهر فمن لم يطهر قلبه فهذه الاشياء نافرة
عنه لا تجد مامنا فاذا وجدت قلبا قد تطهر من ادناس الذنوب ومن ودر العيوب فقد
وجدت مامنا فانبعث فيه فوجدت صاحبه حكيما ووجدته موقنا ووجدته متحققا فالحكمة
ينبوع قلبه ومثالها غيبه واليقين مطالعه في الملكوت والحق مستعمله ومن لم يطهر قلبه
فالحق نافر عنه فهو يتبع الحق ليعمل به والحق هارب فلذلك يشتد عليه القيام بالحق ويثقل عليه حتى
يعجز عنه والمحق يحرك فيه كالسهم وكالماء والدهن باللين لينا وكالريح سرعة ومضيا ومن لم يطهر
قلبه فالحكمة معرضة عنه تستتر عنه جهدها وتخفي زينتها كالعروس في احسن صورة واحسن زينة
فهي لا تامن اهل الريب فتستتر عنهم زينتها بجهدها واذا اطلع عليها المتقي امنته فلم
تستتر ومن لم يطهر قلبه فعقله محجوب عن الله وقلبه بعيد من الله فكيف ينال اليقين ٥ فاما حديث
يعرفه المحقون وتقبله قلوبهم حدثنا ابراهيم بن هرون البلخي قال نا ابو عمرو زكريا بن حازم الشيباني
السوداني قال سمعت قتادة عن انس بن مالك قال خرج رسول الله صلى الله عليه على ناقته الجدعا فقال
ايها الناس كان الموت على غيرنا كتب وكان الحق على غيرنا وجب وكانما نشايع الموتى عن قليل الينا
راجعون نبوئهم اجداثهم وناكل تراثهم كانا مخلدون من بعدهم فطوبى لمن شغله عيبه عن عيب
غيره طوبى لمن ذل في نفسه من غير منقصة وتواضع لله من غير مسكنة وانفق مالا جمعه من غير معصية
ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة طوبى لمن ذل في نفسه وطاب كسبه وصلحت
سريرته وحسنت خليقته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق
الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ٥ قال نا علي بن محمد السعدي قال نا اسمعيل بن عياش و
عيسى بن يونس قال نا عمر بن عبد الله مولى غفرة عن ابن عباس قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه
فقال يا غلام الا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن قلت بلى يا رسول الله قال احفظ الله يحفظك

احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة اذا سالت فسل الله واذا استعنت فاستعن بالله
فقد جف القلم بما هو كائن فلو جهد الخلق على ان ينفعوك بكلمة لم يكتبه الله لم يقدروا عليه ولو جهد الخلق
على ان يضروك بكلمة لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه فان استطعت ان تعمل لله بالرضا واليقين فافعل
فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان
مع العسر يسرا ٥ عبد الوهاب بن فليح المكي قال نا عبد الله بن ميمون القداح قال حدثني شهاب بن خراش
عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله عليه السلام بمثله ٥ وعبد الله بن ميمون عن جعفر بن محمد عن ابيه عن
رسول الله عليه السلام بمثله ٥ محمد بن اسلم قال نا مطرف بن عبد الله الاسلمي عن محمد بن عبد الرحمن الملكي عن المثنى
بن الصباح عن عطاء عن ابن عباس عن رسول الله عليه السلام بمثله ٥ واما الحديث الذي ينكره المحقون فمثل
حديث رووه عن الحسن البصري عن ابي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه ان سليمن بن داود عليه السلام مر
في موكبه برجل يقال له من عبيدي وهو قائم يصلي فوقف عليه حتى فرغ فلم يرفع به راسا فلما راى ذلك
منه نزل اليه فكلمه فقال له من عبيدي الست بن داود الخاطي جعلت الدنيا فوق راسك وجعلت
الاخرة تحت قدميك فصرت محجوبا عن الدارين حقا اقول والله لولا ان الله تبارك اسمه كشف الغطا
عنك حتى تنظر الى الله بمعرفة وترغب الى الله بالرهبة وتنشأ والدنيا الحب لكنت زاهدا فيما عندك ولكن
استروحت الى الدنيا وعرفت حلوها من حامضها ولينها من خشنها وحارها من باردها فلها تغضب
ولها ترضى واليها تستروح واياها تستمر ٥ قال سليمن يا من عبيدي كيف لي ان انا سالت ربي حتى يعفيني
عن جميع ما سخر لي قال من عبيدي هيهات هيهات الدنيا اعظم في صدرك وانت اليها اشد ركونا
من ان تسال ربك ذلك ٥ يا ابن داود لا يغرنك هذا الملك الذي مثل لك والسرير الذي انت عليه وما سخر لك
من الشياطين وانت تقرأ فيما انزل الله على داود انه ليس احد اعطي نهمة من شهوات الدنيا الا انقص في
ميزانه ٥ يا ابن داود ما الكرم والدنيا قد عرفت من كان قبلك ما الكرم الحال والشهوات ونظر الناس اليك و
قد عرفت انه ليس احد احب الى الله من مؤمن خفي الا ان اولياء الله مخفون على اهل الارض ويعرفون
في السما ولا يفتقدون اذا غابوا ولا يعرفون اذا شهدوا واعلم يا ابن داود فانك نبي يغبطك الناس وانت
مسموع منك يغرنك ما انت فيه فهو منك ان يموت وتذوق مرارة الموت ٥ وقال يا من عبيدي ما بال
الناس ينظرون الي وانت لا تنظر الي ويسمعون ما سخر الله لي وانت لا تتمنى قال يا ابن داود وانت صبي تتكلم على قدر
صباك ما ارى في يدك من الفضل والرغبة في الدنيا فارغب فيه يا ابن داود دع عنك الكبر والفخر يا ابن
داود مذكم انت في هذا الملك قال هذه خمس عشر سنة قال يا ابن داود فهل تجد فيما مضى من ملكك شيا الا ما
انت فيه اليوم قال سليمن اللهم لا قال من عبيدي وكذلك انا اضرب بهذه المسحاة منذ تسع وثلثين سنة لا اجد عنا
تسعة وعشرين سنة واحدى عشر شهرا وتسعة وعشرين يوما الا عنا يوم من هذا فما فضلك علي يا ابن
ما سمعت به امس هذا في كلام له طويل فالتقطت منه هذه الاحرف فذكرتها هاهنا ٥ فهذا الحديث
عامته كذب لا تقبله قلوب المحقين وقد جعل الله الرسل احباءه واصفياءه ونجباءه وحجته على خلقه
ووقع من انسبهم من قال لرسول من الرسل مثل هذا الذي روي في الحديث فقد عابه ومن عابه فقد كفر بالله
وقد جعل الله ايماننا به منوطا به ايماننا بالرسل لا يقبل عنا حتى نؤمن بالرسل كما امنا به وكيف يجوز ان

تعالى ان رسل الله جعلت الاخره تحت قدميك و الدنيا فوق راسك فعال هذا الرسول من رسل الله دلة على الله والله
تعالى بعث رسله ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمن وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين
فسليمن من اهل هذه الايه وسماه محسنا وهذه كرامه فقال جعلت الاخره تحت قدميك فصرت محجوبا عن الدار
وقال ربه اجرا اخر وهب لداود سليمن نعم العبد انه اواب فكيف يكون ضعيفا من اثنا الله عليه في تنزيله بما اثنا كما
وصفه في هذا الحديث وقال النبي محمد عليه السلام اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده فهذا الذي نرى من اهل هذا الحديث
كان عيسى احسبه من هولا الجمع الذين يتزهدون في الدنيا او شيعه يريدون الدنيا كلوا هذا الحطام بسمه
الزهد لم يعرفوا ما الزهاده ولا معناها ولا تفسيرها حسبوا ان الزهاده شتم الدنيا واكل النخاله و
لبس الصوف وذم الاغنيا ومدحه الفقرا واشاروا التحلوا الى الترك وقلوبهم مشحونه بالشهوات يعولون
على الدنيا عشقا وعلى حب الرياسه موتا وان يقال هذا ابو فلان نعم الرجل هذا زاهد في الدنيا لا
ياكل الا مضطرا ولا يقبل من احد شيا وهو يستروح الى هذا القول وتقوه هذا الروح يقاسي عمره
شده فعتح الله تعالى من هذا فعله في تلك الفرصه من يهوى ما او حشه دعاه فعله ذلك الى ان خرج
الى انبيا الله ورسله صلوات الله عليهم فكل من وجده منهم قد قلده الله من خزاين الدنيا حفظا ورعايه
جرحه وطعن فيه وطلب لذلك عند رغبه حتى مرق من الدين ومن جهله يزعم انه قال من عندك لسليمن
ليس بفضى نعمه من الدنيا الا نقص من ميزانك والله تبارك اسمه يقول هذا عطاونا فامنن او امسك
بغير حساب ثم قال وان له عندنا لزلفى وحسن ماب فمن يستروح الى الدنيا ولها يغضب ولها يرضى
يكون هذا ثنا رب العالمين عليه عندنا الزلفى وحسن ماب ونعم العبد فواضع هذا الحديث احسبه
كان زنديقا معاديا للرسل وجاهلا من جهله الصوفيين المشاكله ومن صفه سليمن عليه السلام
ان الله تعالى اسمى قلبه للمرتبه العليه وملكه الدنيا وسخر له الشياطين والرياح وعلمه منطق الطير وكان
من جلال الله وعظمته على قلبه ما لو جمعت خشيه العالمين في ذلك الوقت لدخلت في جنب خشيته
وتواضعه وكانت الدنيا لا تزن عنده جناح بعوضه وقد اثنا الله تعالى عليه في تنزيله فقال ولقد
اتينا داود وسليمن علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين وقال ووهبنا لداود
سليمن نعم العبد انه اواب وقال كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمن ثم قال
كذلك نجزي المحسنين وقال وان له عندنا لزلفى وحسن ماب وقال ففهمناها سليمن وكلا اتينا حكما و
علما فمن كان له في التنزيل مثل هذا فامن به ثم روى مثل هذا الحديث المشين دل بروايته على انه من احد
هذين الصنفين او شيطان تمثل على صوره ادمي تغوى به الناس ومن الحديث الذي ينكره المجهول
ما جاء به ابن مروان عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان قوم موسى صلوات الله عليه سالوا موسى ان يسال
ربه ان يسمعهم كلامه فسمعوا صوتا كصوت الشبور اني انا الله لا اله الا انا الحي القيوم اخرجكم
من مصر بيد رفيعه وذراع شديده فهذا من حديث من عرف فهمه عن هذا ما هو حتى يرواه و
انما الكلام شي خص به موسى صلوات الله عليه من بين جميع ولد ادم فان كان علم قومه احصا حتى
اسمعهم كلامه فما فضل موسى عليهم ولقد قصر عندهم خطر كلام الله تبارك وتعالى حتى سمحت
بروايه مثل هذه الاحاديث

وجوا ان العبد يكون داعيه وجنبه تاذا دفع باصبع دفع وان غمز تقصد او يرده هذا وقع الانسان شيا فانه ضعيف وان كان في صورته هامد وفي خلقه
وكان قويا مكين الحاج في امسكه رجليه فكلما ازداد من هذا ازداد ذكرا حرا ان الرجل ليكون صريعا قد ذهب ذكره ويكون راهبا عن فوس صبيح شديد
ذكره والان الضعف هو من هو ضعيف ذكره وان كان عبدا فضيع قيمته فوجدنا اعمال الاخره كذلك انما عبد ترى ظاهر الحال من الصوم والصلوه
والجهاد والصدقه فاذا نظر الله فيه كان من العبيد فاذا جا رحمه كلمه غضب وصار شيطانا وصار ابعد من كبده من الثريا وان تراه يا لطيع
صوم ودرهم وجدته كالمنسلخ من دينه فهذا اخ العبد الذي تزين بصورته وحشمه فاذا دفع باصبع وقع والذي لا تشعره طبع ولا غضب ولا رهبه
ولا حب الدنيا فهو كالصريع الشديد الذي يعلو اصحابه صراعه وشده ومن اضعف ممن استفزه شيطان بريح الشهوه فهو في نفخه ونفثه
نظير من كريشه بفلاه من الارض فانظر كم بين العبدين في تفاوت القيم في دار الدنيا فكذلك تفاوت الرجلين في الاخره وما يحفوه هما فلنا
عن رسول الله صلى الله عليه انه مر بقوم وهم يتعالجون حجرا فقال ما هذا قالوا حجر الاشدا قال الا ادلكم على من هو اشد منه رجل غلب
عند الصراع قصر عنهم فقالوا من هو يا رسول الله قال رجل تشعه عليه فحلم فغلب نفسه وشيطانه ونفس صاحبه وشيطانه او كما قال
قال ابو عبد الله وغايه التواضع ان يترك الاختيار في كل وقت وامره حال ودخل في اختياره المروءه عنه صلى الله عليه من
علمه كان كانا عن اختيار لنفسه يطلق بيده بشيئا ورسولنا صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل صلوات الله عليه فقال ان ربك اختار لك
ما شيئت وسرا ان لقا ربك فقال حتى يختار لي ربي فرجع جبريل الى ربه وقال الملك الموت لا تقبض روحه حتى
لقاه فجعل يقول القاي لقاي حتى خرجت نفسه فهذا غايه المفوض لم يختر الحموه مع النبوه والعصمه والكرامه واختار له
ربه وعد علم ما في لقايه لم يهيجه لذه العبوده ولا لذه اللقا ما طلب اظهر من هذا اولى بعتزازكم من هذا واخلامكم احساد صلى الله عليه
وقال وجدنا شان القلب انه ملك والجوارح جنوده واعوانه فاذا صلح كان مثله كمثل الملك اذا كان عيساد الباس حسن وشاد
حسنه واعوانه من جنس الفقرا والضعفا فاذا نظر العاقل الى الملك في عنايه وزينته وبهايه وقوته لم يستعظم ما يرى من اعوانه يقول في نفسه
الملك القوي غني من ما شاقوا رجاله وزينتهم وكتايبهم وجملهم في يوم واحد وان كان القلب ماسدا فهو كملك ضعيف صعيف عاطل دنس الثياب
ليس عنده من الاموال شي واعوانه في زي وساره حسنه وكلهم فرسان وهو راجل فاذا نظر العاقل الى ذلك يسهم يقول ان هذا الملك ما يعظم
جميع داخل الدون لا يغير كسوه هذا الجند وهيبتهم من اكمهم فان الذي في ايديهم ينفد ويذهب وليس للملك من الماده ما يخلف بلك
كلهم فكذلك القلب اذا فسد فلا يغرنك صلاته وصومه وصدقته وعمل جوارحه فلو ان جميع جوارحه من جميع الطاعات لم يحب الجوارح
الطاعات على الجوارح واستمد المدد فذلك يعتور الجوارح عن الطاعات ولم يكن في قلبه الغنى ما يمد الجوارح القلب يوسع
معطله والقلب فقير فاذا اعتبر هذا الظاهر على الجوارح وان كان القلب غنيا والجوارح معطله فمن ادى حركتهم من
الجوارح جمعا وبرا

من نوادر الاصول لمحمد بن علي الحكيم

الاصل التاسع عشر ثنا صالح بن محمد ثنا معلى بن هلال عن ابن ابي ليلى عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
افضل العبادة الفقه وافضل الدين الورع ح عمر بن سلمة ثنا عمر بن الحسن عن علي عن يوسف بن خالد السمتي ثنا مسلمة بن قعنب
عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما عبد الله بشيء افضل من فقه في دين ح عيسى بن احمد
العسقلاني ثنا يزيد بن هرون ثنا يزيد بن عياض عن صفوان بن سليم عن سليمان بن يسار عن ابي هريرة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال ما عبد الله بشيء افضل من فقه في دين ولفقيه اشد على الشيطان من الف عابد ولكل
شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه ح والفقه هو الفهم والكشاف الغطاء عن الامور فاذا اعبد الله بما امر
ونهى بعد ان فهمه وعقله وانكشف له الغطاء عن تدبيره فيما امر ونهى فهي العبادة الخالصة المحضة وذلك
ان الذي يؤمر بالشيء فلا يرى زين ذلك الامر وينهى عن الشيء فلا يرى شينه فهو في عمى من امره فاذا رأى
زين ما امر وشين ما نهي عنه عمل على بصيرة وكان اقوى له ونفسه بها اسخى وحمد على ذلك القضاء وشكر
والذي يعمى عن ذلك فهو جامد القلب كسلان الجوارح ثقيل النفس بطيء التصرف والفقه مشتق
من تفقأ الشيء يقال في اللغة فقأ السن اذا انفتح وفقأ الجرح اذا انفرج عما اندغل ولا سم منه
فقء والهاء والهمزة تبدلان يجزئ احدهما عن الاخر فصل فقء وفقه والفهم هو العارض الذي
يعرض في القلب من النور فاذا عرض انفتح بصر القلب فرأى صورة ذلك الشيء في صدره حسنا كان
او سيئا فالانفتاح هو الفقه والعارض هو الفهم وقد ذكر الله عز وجل في تنزيله الفقه فقال لهم
قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون فاعلم ان الفقه من فعل القلب وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم للاعرابي حين قرأ عليه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فولى وقال حسبي حسبي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الرجل اي فهم الامر وقول ابي الدرداء انك لن تفقه حتى ترى
للقرآن وجوها كثيرة وان الله عز وجل كلف العباد لما اعطاهم من العلم ان يعرفوه ثم اقتضاهم
بعد المعرفة ان يخضعوا له ويدينوا فشرع لهم شريعة الحلال والحرام لرسوله بما بشرهم الحلال
واحسابهم الحرام ويتوددوا الله فيه ضد قولك الدين هو الخضوع له والدين مشتق من ذلك
وكل شيء اتضع فهو دون فاذا امرت بامور لتتضع فتمسكت بها فاعرف انه ربما تسمى ذلك الفعل
وتلك الامور منه دينا فشرع الله عز وجل لهم الدين فقبلوه طائعين اي معظمين انفسهم له بذلك
وعبدوه فمن فقه اسباب هذه الامور التي امروا بها لماذا امروا اي شيء وبماذا يعظم ذلك
عنده وكبر في صدره شانه فكان اشد تسارعا فيما امر واشد هربا وامتناعا مما نهي فالفقه
في الدين جند عظيم يؤيد الله تعالى به اهل اليقين الذين عاينوا محاسن الامور ومشاينها واقدار
الاشياء وحسن تدبير الله عز وجل في ذلك لهم ومقاديرها ليعبدوه على يسر ومن حرم ذلك
عبده على مكابدة وعسر لان القلب وان اطاع وانقاد لامر الله عز وجل فالنفس انما تخف و
تنقاد اذا رأت نفع شيء او ضرر شيء والنفس جندها الشهوات ويحتاج صاحبها الى
اضدادها من الجنود حتى يقهرها وهي الفقه فالله قال صف لنا واحدة من هذه الامور
نفهم بها غيرها قال نعم احل الله عز وجل النكاح وحرم الزنا وانما هو اتيان واحد لامراة

واحدة الا ان هذا بنكاح وذاك بزنا فاذا كان بنكاح ثم شانه العفة والتحصين للفرج فاذا جاءت بولد
ثبت النسب وجاء العطف من الوالد بالنفقة والتربية والميراث فاذا كان من زنا ضاع الولد
لانه لا يدري احد من الواطئين لمن هذا الولد فهذا يحيله على ذلك وذاك يحيله على هذا وحرم الله عز وجل
الدماء وامر بالقصاص ليتحاجزوا وليحيوا وكذلك قال في تنزيله ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب و
حرم الاموال وامر بقطع اليد للسارق لئلا يمتنعوا بما ملكت ايديهم وكذلك قال في تنزيله فاقطعوا
ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والنكال الامتناع فامر بقطع يده ليمتنع من ذلك فان عاد عز وجل
فعقل ما امر ونهى تبينه لاولي الابصار ولمن رزق ليت ح المهدي بن علي السمناني ثنا احمد بن صالح المصري ثنا ابن
وهب اخبرني عمرو بن الحارث عن عباد بن سالم عن سالم بن عبد الله عن ابيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه اذا اراد الله بعبد خيرا يفقهه ح ثنا محمد بن زنبور المكي ثنا
اسمعيل بن جعفر المدني ثنا عبد الله بن سعيد بن ابي هند عن ابيه عن ابن عباس عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ح نصر بن علي الجهضمي ثنا هرون
بن مسلم ثنا عبيد الله بن الاخنس عن الوليد بن عبد الله بن ابي مغيث مولى بني عبد الدار عن يوسف
بن ماهك قال كان معوية رضي الله عنه قليل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا
قام خطيبا الا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في
الدين يا ايها الناس تفقهوا ح الاصل الخامس والعشرون ح الفضل بن محمد ثنا محمد بن المصفا
عن بقية بن شعبة عن المجالد بن سعيد عن الشعبي عن شريح عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه قال يا عائشة ان الذين
فارقوا دينهم وكانوا شيعا من هم قلت الله ورسوله اعلم قال هم اصحاب الاهواء واصحاب البدع واصحاب
الضلالة من هذه الامة يا عائشة ان لكل ذنب توبة ما خلا اصحاب الاهواء والبدع ليس لهم توبة انا منهم
بريء وهم مني براء ح هرون بن حاتم الكوفي ثنا علي بن حمزة الكسائي عن عباد بن كثير عن ليث عن طاوس عن ابي
هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقرأ ان الذين فارقوا دينهم ح قال ابو عبد الله فهم اهل الاهواء
قوم استعملوا اهواءهم والاهواء متاهة عن الله وان الله بحيث ما مالت اتبعوها قلوبهم وانما صار هكذا
لانه لم يكن في قلوبهم من النور ما يقيدها عن اتباعها فان على الحق يتردد او على الايمان وقاد الاول الايمان بغشه
هبوب فاذا خلا القلب عن ذلك كان ايمانه ذا سقم والسقيم ضعيف فمال به الهوى قال الله تعالى
الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وهي الحرفة وهي الشهوة التي في قلوبهم تتلذذ بها
وابتغاء تاويله فكانت تلك شهوة صارت في قلوبهم فمالت فسميت زيغا لانها زائغة بتعلقها عن الله
فاهل الاهواء كلما استحلوا شيئا ركبوه واتخذوه دينا حتى ضربوا القرآن بعضه ببعض وحرفوه
ومنهم من يرفض حتى جحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونسب الرسالة الى علي ومنهم من اتخذه ربا
فدخل عليه فقال انت ربي فقام على قوطئة يتقدمه حتى قتله واحرقه بالنار ح فاما اهل البدع
مثل الخوارج واهل حروراء ابتدعوا من تلقاء انفسهم بدعا فمالت بهم تلك البدع حتى ادتهم الى الخروج
على علي والى حربه ح وقوم تزهدوا بغير علم فادتهم الجهل الى ان ابتدعوا من تلقاء انفسهم بدعا وحسبوا

ان الزهد في الدنيا تجنب الاشيا فعلا والعزلة من اهل الدنيا فضيعوا الحقوق وقطعوا الارحام وجفوا الخلق
والكفهوا في وجوه الاغنيا وفي قلوبهم شهوة الغنا امثال الجبال ولم يعلموا ان صلب الزهد انما هو
بالقلب فان اصل الزهد موت الشهوات من القلب فلما اعتزلوها بالجوارح التفوا به وحشوا انفسهم
استكملوا الزهد حتى نادى بهم الجهل الى ان طعنوا في الائمة الذين عرفوا استجنة المعاش وغنا المال
حتى عابوا الانبيا ونسبوا سليمن صلى الله عليه الى الرغبة وصاروا اعيد ذكره كالمعرضة الطاعنين عليه
فعابوا وتعلوا عليهم ذكر من لم يتم ايمانهم الا بالايمان به فان المومنين يدخل في عقد ايمانهم الايمان بالرسل فهم حجة
الله على خلقه ه وقوم زعموا انهم توكلوا على ربهم وان الطلب شك والرزق ياتي في وقته فقعدوا ورفضوا
الطلب والمكسب فضيعوا الاهلين والاولاد في حلال ذلك سد السور في ابواب المطامع وكاد يعول
الله في معاملته ه وقوم اتخذوا هذا العلم الذي هو حجة الله على عباده حرفة وصيروها مأكلة
فاكدوا بها رياستهم واحتكلوا به من القلوب وتمكنوا به في صدور المجالس وصحبوا بها الملوك حيلا
لما في ايديهم من الحطام فليتوا لهم في القول طمعا لما في ايديهم وداهنوهم لما يرجون من نوالهم وساعدوهم على
بحرهم وحودهم ه وقوم مفتونون نسبوا الى الدين فاستعملوا الرخص وذلات العلماء فاتخذوها
دينا وتنزعوا بذلك الى شهواتهم الغاوية لهم وزينوا ... للخلق بذلك سترا على احوالهم السيئة من
تعاطي الاشربة الردية والمكسبة الردية واشباه ذلك ه واما اهل الضلال من المشبهة والقدرية
والجبرية والجهمية واشباههم طلبوا امر الله من قبل علم السنة لا من قبله فضلوا عنه فاقتضا
الله العباد الاسلام دينا والاسلام تسليم النفوس والدين الخضوع لله تسليم النفس الله تعالى في
التعبد الذي خضع له والدين مشتق منه سمي ذوبا لله لا تضاع فقال في سوله ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين فجعل الدين في تسليم النفس عدا انوالدين سلموا النفوس
الله فيولا الامره وطاعته فانركها ما يعرون سن الخوض الباطل وامر بالاعتصام به واسباب الى دار السلام
ان هذا مصيركم والهادعوكم فقال اعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وهو عهده الذي ابرزاه وقال
والله يدعو الى دار السلام ... على الطريق المستقيم النهامي عن نعوج ولا امتلوا ... وهذا الطريق في انفس
معلومة وسننا واخذ به ليوم العرض عليه قال لا يعون ما التت قلوبهم وابدعوا وضلوا عن
الله تركوا الخضوع له وتسليم النفس له فكار فوادينا فصاروا اشيعا واحزابا وكل حزب بما
لديهم فرحون فجاء منظلها الا تعالته ولا قوام دين لهم سوى اعمالهم سد عليهم باب القعود فاستدوا
ونعموا في جهله حتى هلكوا واداهم ذلك الى ان يرتوا الله من قدرته وشاركوه في مشيئته احكاما وافتروا
وسد عليهم باب ذكر الكيفية فاسترووا ابطلوا الكنه والكيفية حتى عدلوه بخلقه سبحانه وتعالى
وسد عليهم باب التعمق فما زالوا يتزهونه حتى تاهوا في الا لحاد عنه فضلوا عنه هالم ننف
عن نفسه حتى جعلوه اصم ابكم اعمى حتى التبس الامر والرأي قالوا ليس بشي ه و جا عن رسول
الله صلى الله عليه انه قال افترقت بنوا اسرائل اليهود منهم على احدى وسبعين فرقة كلها في النار

الا واحدة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة وستفترق هذه الامة
على ثلث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة قيل يا رسول الله من هذه الواحدة قال السواد
الاعظم ه نا بدلكر العصار نا محمد بن كثير نا عبد الله المذحجي الحمصي نا محمد بن حمير حدثني مسلمة بن علي عن عمر
بن ذر عن ابي قلابة الجرمي عن ابي مسلم الخولاني عن ابي عبيدة بن الجراح عن عمر بن الخطاب قال اتاني رسول
الله صلى الله عليه وانا اعرف الحزن في وجهه فاخذ بلحيته فقال انا لله وانا اليه راجعون واتاني جبريل انفا
فقال انا لله وانا اليه راجعون فقلت اجل فانا لله وانا اليه راجعون فمم ذاك يا جبريل فقال ان امتك
مفتتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير فقلت فتنة كفر او فتنة ضلالة قال كل ذلك سيكون فقلت ومن اين
ذلك وانا تارك فيهم كتاب الله قال بكتاب الله يضلون واول ذلك من قبل قرائهم وامرائهم يمنع الامراء
الناس حقوقهم فلا يعطونها فيقتتلوا ويتبع القراء اهوا الامرا يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون قلت يا جبريل
فبم يسلم من سلم منهم قال بالكف والصبر اذا اعطوا الذي لهم اخذوه وان منعوه تركوه ه نا عمر
ابو عمرو نا سماك ... خليفة عن يوسف بن خالد السمتي عن سالم بن بشر بن جبل سمع حبيب المزني يحدث
انه سمع ابا علي مولى رسول الله صلى الله عليه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان اخوف ما اخاف على امتي
بعدي ضلالة الاهواء واتباع الشهوات في البطن والفرج والعجب ه نا ابو جريب شريح عن عائشة فقال
انهم بعدي اصناف العجب وهو البدعة واتباع الشهوات وهي الاهواء والضلالة فانما صاروا اهواء
فرقا لانهم فارقوا دينهم فصاروا في الدين تشتتت اهواءهم وافترقوا الا ترى انه قال من بعد ان الذين فارقوا
دينهم وكانوا شيعا فالسنة منهم في شي فبرأه منهم وتوحد بالصحب رسول الله من بعده فقد اختلفوا
اختلفوا في احكام الدين فلم يفترقوا ولم يصيروا شيعا لانهم لم يفارقوا الدين وانما اختلفوا فيما اذن
لهم النظر فيه والقول باجتهاد الراي فاختلف اراهم فاختلفت اقوالهم فانما امروا بذلك فصاروا واختلافهم
محمودا لانهم اذا كان واحد منهم على حالة ما امر من جهد الراي والنظر فيه من ذلك كما قال ابو بكر الصديق في الجد
انه بمنزلة الاب وان لم يكن له دون الاخ وقال عمر وعلي وزيد انه مالك بن ... الاخ والجد يتقاسمان وكما قال عمر في
مع امهات الاولاد ان لا يعتقن وقال علي يعتقن وكما قالوا في المشركة فمنهم من شرك ومنهم من لم يشرك وكذلك
في زوج وام واخوين لام واخوين لاب وام فاعطوا الزوج النصف والام السدس واعطوا الاخوين للام
الثلث ومنهم من شرك بين الاخوين للام وللاب في هذا الثلث انهم كلهم لام واحد ومنهم من لم يعط الاخوين
للاب والام شيا وجعل الثلث للاخوين للام وكان في قصصها في الكتاب نصه ولكل وجه ومذهب
ومثل قول ابن عباس ان الفريضة لا تعول وقال عامة اصحاب رسول الله صلى الله عليه بالعول وانزلوه منزلة
رجل ترك درهما واحدا ولرجل عليه درهم ولرجل اخر نصف درهم فقالوا يقسم هذا الدرهم
الواحد على ثلثة اسهم على حصصهما ه ومنهم من راى طلاق السكران جايزا ومنهم من ابطله ومثل قولهم
في الطلاق قبل النكاح فمنهم من انزله ومنهم من لم ينزله وفي البيع وفي اشيا كثيرة من فروع امر الدين
اختلفوا فكان ذلك الاختلاف رحمة من الله على هذه الامة حيث ايدهم بالتفريع ووسع على العلما
منهم النظر فيما لا نجد واذكره في التنزيل ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه حتى يلحقوه ببعض الاصول
وكانوا اهل موده وعطف فيما بينهم اخوة الاسلام فيما بينهم قائمة فلما حدث هذه الاهوا

المؤمنين إلا عن صفا حبها إلى النار ظهرت العداوة وسائر الناس وصاروا أحزابا فذلك أمر هذا السائر والفرقة إنما حدثت
من المسائل المحدثة التي ابتدعها الشيطان فألقاها على أفواه أوليائه ليختلفوا ويرمي بعضهم بعضا بالكفر فكل مسألة حدثت
في الإسلام فخاض فيها الناس فاختلفوا فلم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة علمنا أن ذلك من مسائل
الإسلام [illegible] وبالجملة فكل [illegible] يقولوا من تلك الأقوال لم يكونوا على أحوالهم من الشفقة والرحمة والألفة والمودة و
والنصيحة كما فعل الصحابة والتابعون وكل مسألة حدثت فاختلفوا فيها فورث اختلافهم في ذلك إلى التولي والإعراض
والتدابر والتقاطع وربما الكفر علمنا أن ذلك ليس من أمر الدين في شيء بل يجب على كل ذي عقل تجنبها والإعراض عن الخوض فيها وما
يؤكد ما قلنا ما ذكر الله في كتابه من حال أهل الإسلام كيف يكونون فقال واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم
فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها فذكر أنهم أصبحوا بالإسلام إخوانا فكلما جاءت مسألة مما إذا
اختلف فيها ذهبت الأخوة وجاءت الفرقة علمنا أن هذه المسألة ليست من الإسلام في شيء لأن شرط الله في تمسكنا بالإسلام
أنا نصبح بذلك إخوانا فصاروا بهذه المسائل إخوانا يكفر بعضهم بعضا ووجدنا أهل الجدال إنما غرس الشيطان في
قلوبهم مثل هذه الأشياء لما خلت قلوبهم من خشية الله ومن حقوق عباد الله بما قدمت أيديهم ومن لا هوا [illegible] و
ذكر الموت والصحو والحساب والاهتمام لصحة الأمور وطلب الإخلاص فيما بينهم والإنساء بحسن صنعهم في
ليلهم ونهارهم وطلب النجاة من رق النفوس إلى حرية العبودية لربهم فلما خلت من هذه الأشياء خربت وصارت
في قلوبهم ثلم فوجد العدو فرصته فألقى إليهم مثل هذه الأشياء التي يعلم [illegible] قلوبهم أن هذا تكلف وحرص فيما
لا يعنيه مثل قولهم في الجبر والقدر وفي الاستطاعة قبل الفعل ومعه وفي طلب كيفية صفات الله وفي الإيمان مخلوق
هو أم لا وفي القرآن ما هو وفي الإمامة من استحقها بعد رسول الله صلى الله عليه حتى أداهم ذلك إلى الجدال فقضوا أبا بكر
وعمر وجوروهما وأظهروا شتمهما فلولا أن هذا عبد قد خذله الله ونكس قلبه لكان يشتغل بمثل هذا وهم قوم قد
مضوا إلى الله بأعمالهم فهو يقسم لهم المنازل بهواه ويجعل بعضها على بعض وقال الله عز وجل تلك أمة قد خلت لها
ما كسبت وعليها ما اكتسبت ولا تسألون عما كانوا يعملون وإنما بعث رسول الله صلى الله عليه مبلغا ومعلما وهاديا ومخرجا
من الوثنا وقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة وعلم وهدى وبالغ في النصيحة فأين المناصحة للأمة في هذه الأشياء التي ذكرنا
هذا وأين هذا الشيء وتعليمه لهم فهل يوجد خبر واحد عن رسول الله صلى الله عليه في الاستطاعة والجبر والقرآن
ما هو والقرآن مخلوق أو لا فإن كان بعث مبلغا وقد بلغ ولم يكتم شيئا من الوحي فإن هذا من الوحي وأين هذا
في السنن التي جاءت عنه وكيف أدت عنه الأئمة العلماء آداب الإسلام في طعامهم وشرابهم ونومهم وخلائهم ووضوئهم
ولباسهم وهيئتهم [illegible] ولم يكونوا أمثال هذه الأشياء التي أدت اختلاف القائلين فيها إلى إكفار بعضهم بعضا ذلك
ليعلم أنها مسائل الفتنة وأنها تؤدي إلى الحيرة وأن الكلام في ذلك إنما يؤدي إلى ذلك فقط ووجدنا أن الله تعالى أثنى على
أصحاب محمد عليه السلام فقال محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم إلى قوله ذلك مثلهم في التوراة
ومثلهم في الإنجيل فشهد الله تعالى لهم بهذه الخصال التي هي رأس الإسلام ودونه فأظلك [illegible] بلغ من أقدارهم
وجعلهم أن يمدح لنبي [illegible] أشياعهم ويصف لهم محاسن خصالهم من قبل أن يخلقهم بكون وكذا [illegible] ثم وصفهم
في الأمم الآخرين فقال ليغيظ بهم الكفار فأخبر أن أصحاب محمد صلى الله عليه غيظ الكفار فمن
وجدنا ممن ينتحل الإسلام قد صار أكبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه غيظا فعدنا [illegible] ويخاف أن يكون في
قلبه داء فلعله يسلبه الإسلام وهو لا يشعر وروي نحو ذلك عن رسول الله صلى الله عليه أنه قال من يخادع الله يخدعه
ويخلعه من الإيمان وهو لا يشعر [illegible] وروي عن أنس بن مالك أنه قال من ذكر أصحاب رسول الله
صلى الله عليه بسوء فليس له في الفيء نصيب وذلك أن الله تعالى قسم الفيء بين أهله من الأصناف
فقال للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم وهم الأنصار والذين جاءوا
من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا وهم التابعون

إلى يوم القيمة فأما صار الغير بين هؤلاء [illegible] بعدهم [illegible] بالسوء فقد خرج من هذا الصنف والنصيب لهم
الفضل بن محمد [illegible] داود [illegible] زياد بن يونس حدثنا عطاء بن خالد [illegible] لما نزلت قوله ومن
[illegible] إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا صاح إبليس بجنوده وحثى على رأسه التراب ودعا بالويل والثبور
حتى جاءه جنوده من كل بر وبحر فقالوا ما لك يا سيدنا قال آية نزلت في كتاب الله لا يضر أحدا بعدها من بني آدم قالوا
وما هي فأخبرهم قالوا نفتح لهم باب الأهواء فلا يتوبون ولا يستغفرون ولا يرون إلا أنهم على الحق فرضي
منهم بذلك وروينا أيضا بإسناده عن الشعبي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل
القرآن على عشرة بشيرا ونذيرا وناسخا ومنسوخا ومحكما ومتشابها وعظة ومثلا وحلالا وحراما فمن ابتشر ببشره
وأنذر بنذيره وعمل بناسخه وآمن بمنسوخه واقتصر على محكمه ورد علم متشابهه إلى عالمه واتعظ بعظته واعتبر
بمثله وأحل حلاله وحرم حرامه فأولئك هم المؤمنون حقا لهم الدرجات العلى مع النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن أولئك رفيقا وهو وارثي ووارث الأنبياء قبلي ولولا أنه لا نبي بعدي لكان بمنزلة الأنبياء
الله ولا يزال في ضمان الله وكنفه وحيث ما تلا القرآن غشيته الرحمة وتنزلت عليه السكينة وكان بعين الله
منورا عليه إلى يوم القيمة ويحشر يوم القيمة في زمرتي وتحت لوائي ولوائي أبيض العمود أخضر الرفعة أفيح
الريح له لسانان لسان يرى بالمشرق ولسان يرى بالمغرب يظل حملة القرآن والمتحابين في الله ومن ضيع
واحدة منهن بعد ضيع كلهن ويلقى الله غدا ظمآن محولا لقلب ثم تعد الفؤاد حاسر القدم مستحي
من الرب مغضوب الداء ومعذب من الشرح وأما قوله اتعظ بعظته واعتبر بمثله فالاتعاظ يشتمل على
القلب فيجعلها من ذاته كالشيء يشرب في الشيء حتى يأخذه سلطانه ويكون أملك به وأما الاعتبار بمثله فإن الأمثال
ثم جاءت الآخرة وكل شيء غاب عن عينك ووصف لك أحببت أن تمثله في الشاهد فتعتبر بالشاهد الغائب
الغائب الموصوف واستيفاؤه من العيون إذا رأيت هذا الحاضر عرفت بعقلك فلبك إلى شكله في الغائب فإذا كان
وإنما على غيوم لأنك عرفت بعقلك في سفينة الذهن على بحر العلم إلا أن تهمك غواص يغوص في هذا البحر
الفهم ذكاء غاص على الدر وأبدا العقل بالفهم والحفظ فالذهن يشتمل على العلم والعقل بمنزلة ورثته والفهم
يستخرج الدرة مما عوصها والحفظ يمسكه مستودعا إلى وقت الحاجة إليه فيخرجه إلى العين الفؤاد في الصدر
صورة فإذا كان كذلك اطمأنت النفس إلى ما تصور في الصدر ووضح وانكشف الغطاء وأما قوله لا يزال في ضمان الله وكنفه
فإن القرآن [illegible] وروي في الخبر عن الشعبي
[illegible] في الدعاء والآخرة [illegible] والاتصال والأنس [illegible] العيش في سكون
[illegible] تابع العزلة من الضلالة والشقاء فالشقاء على وجهين [illegible] العيش في الدنيا والوحدة [illegible] في واحد
[illegible] في غموم الدنيا وطلبها بها ويسره في الأمور فعلمه في [illegible] كانت صفقته هكذا
[illegible] الصدر واسع [illegible] عليه أمور الدنيا [illegible] وإذا صح الله عبدا [illegible] عمل الصالح
وهو قوله أم حسب الذين اجترحوا السيئات [illegible] أن نجعلهم [illegible] ومماتهم [illegible] ذلك كلام الله
[illegible] ما يحكمون [illegible] وحيث ما تلى القرآن غشيته الرحمة ونزلت عليه السكينة [illegible]
عز وجل من اللطف [illegible] الرحمة حتى يصيبه الرحمة [illegible] على قلب محمد عليه السلام [illegible] على العباد [illegible]
[illegible] خطاب اللطف والكرم والشرف [illegible] وجعل الكلام كسوة من نور فقال يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من الله
نور وكتاب مبين والكتاب هو الحروف [illegible] المنطوق بالأدوات والنور كسوته [illegible] وهدى و
موعظة فالهدى هو الذي يهديك [illegible] والموعظة ما تعظك [illegible] وشفاء لما في الصدور وقال في الصدور
وساوس النفس ولذات الشهوات [illegible] القلب [illegible] ذلك [illegible] إذا حل بالقلب
مع كسوته [illegible] الصدور [illegible] الصدور [illegible] والغاص الملتفة شوكا وقصبا [illegible]
من كثرة اشتغال النفس [illegible] القلب إلى الله سبيلا [illegible] على [illegible] الفؤاد في الصدر فإذا [illegible] الفؤاد
في هذه العبارات لم يسبق قبله شيء

فهذه نكاده عبد قد فرغ قلبه وصدره حتى صار كبقعة من الارض جرداً و قلبه ازهر فاذا ازدهر القلب جل الضوء بالصفا اسبابه من مواعظ وهدايته التي نصائحه ولطائفه وصار شفا لما في الصدور ○○

واما قوله نادم القلب فانه نادم حين لا ينفعه الندامة وانى له التوبة وقد انكشف الغطا واما الندم على ما فرط في جنب الله واي شي من فرض وعد ذلك الاشيا التي امر بفرضها فليس هنا كعزم انما العزم عند الامتحان لما قد زاد كشف الغطا ○ باسناده عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى بن عمران عليه السلام لقي جبريل عليه السلام فقال له ما ثواب من قرا اية الكرسي كل يوم مرة فذكر فيها من الاجر ما لم يقو عليه موسى فسال ربه ان لا يضعف عن ذلك ثم اتاه جبريل عليه السلام مرة اخرى فقال ان ربك يقول من قراها في دبر كل صلوة مرة واحدة اللهم اني اقدم الكرسي بين يدي في كل نفس ولحظة وطرفة نظر بها اهل السموات واهل الارض وكل شي في علمك كان او هو كائن اقدم الكرسي بين يدي لك كلمة الله لا اله الا هو الحي القيوم الى قوله وهو العلي العظيم فان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة ليس فيها ساعة الا تصعد الي منه فيها سبعون الف الف حتى ينفخ في الصور وتستغفر الملائكة ○

١٩٣

من كتاب نهاية الاقدام في القاعدة الخامسة في ابطال التعطيل وبيان وجوه التعطيل

اما تعطيل العالم عن الصانع العليم القادر الحكيم فلست اراها مقالة ولا عرفت عليها صاحب مقالة الا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية انهم قالوا كان العالم في الازل اجزاء مبثوثة تتحرك على غير استقامة فاصطكت اتفاقا فحصل عنها العالم بشكله الذي تراه عليه ودارت الاكوار وكرت الادوار وحدثت المركبات ولست ارى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع بل هو معترف بالصانع لكنه يحيل سبب وجود العالم على البخت والاتفاق احترازا عن التعليل فما عدت هذه المسئلة من النظريات التي يقام عليها برهان فان الفطرة السليمة الانسانية شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم قادر عليم افي الله شك ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم وان هم غفلوا عن هذه الفطرة في حال السراء فلا شك انهم يلوذون اليه في حال الضراء دعوا الله مخلصين له الدين واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع وانما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ولهذا جعل محل النزاع بين الرسل وبين الخلق في التوحيد ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون وقد سلك المتكلمون طرقا في اثبات الصانع وهو الاستدلال بالحوادث على محدث صانع وسلك الاوائل طريقا اخر وهو الاستدلال بامكان الممكنات على مرجح لاحد طرفي الامكان ويدعي كل واحد في جهته الاستدلال الضرورة وبديهة وانا اقول ما شهد به الحدوث او دل عليه الامكان بعد تقديم المقدمات دون ما شهدت به الفطرة الانسانية من احتياج في ذاته الى مدبر هو منتهى مطلب الحاجات يرغب اليه ولا يرغب عنه ويستغني به ولا يستغني عنه ويتوجه اليه ولا يعرض عنه ويفزع اليه في الشدائد والمهمات فان احتياج نفسه اوضح له من احتياج الممكن الخارج الى الواجب والحادث الى المحدث وعن هذا المعنى كانت تعريفات الخلق بحجة وتعلم السنن على هذا المنهاج امن يجيب المضطر اذا دعاه ام من ينجيكم من ظلمات البر والبحر امن يرزقكم من السماء والارض امن يبدؤ الخلق ثم يعيده وعن هذا قال النبي عليه السلام خلق الله العباد على معرفته فاجتالتهم الشياطين عنها فتلك المعرفة هي ضرورة الاحتياج وذلك الاجتيال من الشيطان هو تسويله الاستغناء ونفي الاحتياج والرسل مبعوثون لتذكير وضع الفطرة وتطهيرها عن تسويلات الشياطين فانهم الباقون على اصل الفطرة وما كان له عليهم من سلطان فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى فولا الينا لعله يتذكر او يخشى ومن رجع الى الله قربت مسافته حيث رجع الى نفسه ادنى رجوع فعرف احتياجه اليه في تكونه وبقائه وتقلبه في احواله وانحائه ثم استبصر من آيات الآفاق الى آيات الانفس ثم استشهد على الملكوت لا بالملكوت عليه اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد عرفت الاشيا بربي وما عرفت ربي بالاشيا ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط ومن تعالى الى ذروة الحقيقة لم يخف من حط فثبت بالدلائل والشواهد ان العالم لا يتعطل عن الصانع

الحكيم القادر العليم تعالى وتقدس ○ واما تعطيل الصانع عن الصنع فقد ذهب اليه قوم الدهرية القائلين بقدم العالم الى ان الحكم بقدم العالم في الازل تعطيل الصانع عن الصنع وقد سبق الرد عليهم بان لا ايجاد قد تحقق حيث تصور لا ايجاد و حيث لم يتصور لم يكن تعطيلا وكان التعطيل ممتنعا لذلك التعليل ممتنع دائم عليتهم وجود العالم بوجوده وسمي معبودهم علة ومبدا وموجبا وذلك يؤدي الى امرين محالين احدهما ثبوت المناسبة بين العلة والمعلول وقد سبق تقريره والثاني ان العلة توجب معلولها بذاتها لا بالقصد ولا ارادة و وجود العالم من لوازم وجوده عندهم لا بالقصد الاول قال العالي لا يريد امرا لاجل السافل فبطل التعليل ايضا وهذا من الالزامات المفحمة التي لا جواب عنها ○

واما تعطيل الباري تعالى عن الصفات الذاتية والمعنوية وعن الاسما والاحكام فقد ذهب الى ذلك الفلاسفة فانهم قالوا واجب الوجود لذاته واحد من كل وجه فلا يجوز ان يكون له مبادي تجتمع فيتقوم واجب الوجود لا اجزاء الكمية ولا اجزاء حد سواء كانت كالمادة والصورة او كانت على وجه اخر بان يكون اجزاء القول الشارح لمعنى اسمه يدل كل واحد منها على شي هو في الوجود غير الاخر بذاته وذلك لان كل ما هذا صفته فذات كل جزء منه ليست ذات الاخر ولا ذات المجتمع وانما تعينه واحدا بالواو فليس يقتضي معنى اخر سوى وجوده وان وصف بصفة فليس يقتضي ذلك معنى غير ذاته او اعتبارا او وجها غير وجوده بل الصفات كلها اما اضافية كقولنا مبدا العالم وعلة العقل كما يقولون خالق ورازق واما سلبية كقولنا واحد اي الواو ليس بمنقسم وعقل اي مجرد عن المادة وقد يكون مركبة من اضافة وسلب كقولنا حكيم مريد وسائر ما يجري ذلك مجرى الاسما لا تشير الى معنى قائم بذاته بل الاعلى منه اما ينتفي عنه قضايا فيها ان اطلقوا لفظ الوجود على الواجب بذاته وعلى الواجب بغيره كلها لا معنى فيها فهو معنى اخر خصوا احد الوجودين بالوجوب والاخر بالجواز ومن المعلوم ان الوجود لم يدخل في معنى الوجود حتى يصير الوجود وان الوجود والمعنيان وان اختلفا في الخارج من الاذهان فقد تقارب العقل مثل العرض واللونية وليس يخفى عن هذا الالزام قولهم اطلاق لفظ الوجود على الواجب بذاته والجائز بذاته بالتشكيك اي يقول على احدهما اولى واول وفي الثاني لا اولى ولا اول اذا الاولى ولا اول افضل على الاخر يعم احد الوجودين على الثاني وذلك يوجب الالزام ولا يدفعه ومن الالزامات كونه مبدا وعلة ومعقولا وعاقلا وعقلا فان اعتبار كونه واجب الوجود لذاته لا يفيد اعتبار كونه مبدا وعلة واعتبار كونه مبدا وعلة لا يفيد اعتبار كونه عقلا وعاقلا ومعقولا وان شاع لكم الحكم بتكثر الاعتبارات شاع للمتكلم اثبات الصفات وتعطيل عن الصفات يعطل عن الاعتبارات وما صار اليه جماعة الا ان شرذمة من قدماء الحكماء قالوا ان المبدع لا اول لانيته ازليه وهو علة الابداع عديم الاسم فلسنا نذكر له اسماً من نحو ذاته وانما اسماؤه من نحو اثاره وافاعيله وابدع الذي ابدع ولا صورة له عنده في الذات اي لا علم ولا معلوم واما العلم والمعلوم في المعلول الاول ومنهم العنصر فهم المعطلة حقا ونقل عن بعض الحكماء انهم قالوا هو هو ولا يقول موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ولا مريد ولا متكلم ولا ساكت وكذلك سائر الاسما والصفات وتنسب هذا المذهب الى الغالية من الشيعة والباطنية والا سكار من اثبت صانعا لم يكن له بد من عبارة عنه وذكر اسم له ثم الاشتراك في الاسامي ليس يوجب اشتراكا في المعاني فهو لا احتجوا بان اطلاق لفظ الوجود عليه وما يشبهه من الاسماء لا يخلو اما ان يعتقد فيه ان الاسم مشترك او الاسم يوجب اشتراكا في المعنى فكل موجود يقابله العدم والعالم يقابله الجاهل والقادر يقابله العاجز فيتحقق له ضد من ذلك الوجه فاحترزوا عن اطلاق لفظ الوجود او العدم لئلا يقعوا في التمثيل والتعطيل ومن علم ان الاسامي المشتركة من التي يختلف حقائقها من حيث المعاني فان اسماء الله تعالى انما تلقى من السمع وقد ورد السمع بانه تعالى عليم قدير حي قيوم سميع بصير لطيف خبير وامرنا ان ندعوه وحل بها اعني بالحسنى من الاسما والله الاسماء الحسنى فادعوه بها لانه لم يجوز هذا الاحتراز البارد ولا يستحق هذا التكليف الشاق وقالت طائفة من الشيعة لا نقول المعطل من اسما الجسم ولا نجوز التشبيه بالصفات التي يشترك فيها المخلوق فيطلق على الباري الوجود وندعوه باحسن الاسما وهو العالم القادر الحي السميع البصير ولا نقول بانه موصوف ولا نعد ولا نحد

[illegible]

من كتاب نهاية الاقدام

وللفرنقين في التوفيق والخذلان والشرح والطبع واما الكلام على طرفي الغلو والتقصير والحق بينهما
دون الجاري منها فقالت المعتزلة التوفيق من الله اظهار الايات في خلقه الدالة على وحدانيته وابداع
العقل والسمع والبصر في الانسان وارسال الرسل وانزال الكتب لطفا منه تعالى وتنبيها
للعقلاء عن غفلتهم وتقريبا للطرق الى معرفته وبيانا للاحكام وتمييزا بين الحلال والحرام وان
فعل ذلك فقد وفق وهدى وبين السبيل واوضح المحجة والزم الحجة وليس يحتاج في كل فعل
معرفة الى توفيق مجدد وتسديد منجز بل التوفيق عام وهو سابق على الفعل والخذلان لا يتصور
مضافا الى الله تعالى بمعنى الاضلال والاغواء والصد عن الباب وارسال الحجاب اذ يبطل
التكليف به ويكون العقاب ظلما وقالت الاشعرية التوفيق والخذلان ينسبان الى الله
تعالى بنسبة واحدة على جهة واحدة فالتوفيق من الله خلق القدرة الخاصة على الطاعة والاستطاعة
اذا كانت عنده مع الفعل وهي تتجدد ساعة فساعة فلكل فعل قدرة خاصة والقدرة على
الطاعة صالحة لها دون ضدها من المعصية فالتوفيق خلق تلك القدرة المتفقة مع الفعل
والخذلان خلق قدرة المعصية واما الايات في الخلق فنسبتها الى الموفق كنسبتها الى المخذول
والقدرة الصالحة للضدين اعني الخير والشر كانت توفيقا بالاضافة الى الخير وخذلانا
بالاضافة الى الشر والقصد بين الطرفين ان يقسم التوفيق قسمة عموم وخصوص على عموم
الخلق وخصوصهم فعموم الخلق في توفيق الله الشامل لجميعهم وذلك بنصب الادلة والاقدار على
الاستدلال وارسال الرسل وتسهيل الطرق لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وخصوص
الخلق في توفيق الله الخاص لمن علم منه الهداية واراد به الاستقامة وذلك اصناف لا تحصى و
الطاف لا تستقصى بيدك من كمال الاعتدال في المزاج احدهما من جهة الطينة طيبا والثاني من
جهة الشريعة جلالا وهذا في النطفة الحاصلة من الابوين عليهما النقش الاول من السعادة
والشقاوة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن
ثم التربية من الابوين او من الاستاذ والمعلم او من اهل البلد وذوي القرابة والخلطة مؤنة اخرى
قوية حتى ربما تغير الاعتدال عن النقص الى الكمال وعن الكمال الى النقص وعليه النقش
الثاني من الفطرة والاختيار كما قال عليه السلام فطر الله تعالى العباد على معرفته فاجتالتهم
الشياطين عنها وقال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ثم
الاستقلال بحال البلوغ وكمال العقل يحتاج الى قوى استمداد من التوفيق وذلك منزلة
الاقدام ومجرد الابلام فالتوفيق فيها ان لا تكله الى نفسه وحوله وقوته و[illegible]
التبرى من الحول والقوة بقوله لا حول ولا قوة الا بالله صاحبا في كل حال وذلك مطردة
للشياطين اذ يدخل احساس السلطان تغريره بحوله وقوته والفطرة هي الاحتياج الى الله تعالى

والتسليم لله والتوكل على الله اذ لا حول ولا قوة الا بالله وذلك هو كنز من كنوز الجنة وهذه الحالة اعني حالة البلوغ
والاستقلال هي مثار القوى الحيوانية الغضبية منها والشهوية قال الصديق الاول يوسف عليه السلام وما
ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي وذلك عند مثار القوة وكذا الكليم عليه السلام ذلك القبطي فقضى عليه
قال هذا من عمل الشيطان وذلك عند مثار القوة الغضبية وتبرأ المصطفى من الفريقين فقال في حالة اللهم واقية كواقية
الوليد وفي لا تكلني الى نفسي طرفة عين وعلى هذه الحالة النقش الثالث وهي منتقل الحال الى العمر فلا تزال مواعظ الشرع
ترغيبا وترهيبا والتحذير مواقع المعاصي تنبيها وتنذيرا فان اعطي سمعه لمواعظ الشرع وبصره لمحارك النعم وانشرح
صدره وصار على نور من ربه فلذلك الشرح والبسط افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وان جعل اصبعه في
اذنه فلم يسمع الايات الامرية واسبل جفنه على عينه فلم يبصر الايات الخلقية صار على ظلمة من طبعه وذلك الطبع و
الختم بل طبع الله عليها بكفرهم ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة وربما يكون الطبع عن قساوة في جوهر
جبلته التي نشأ بها من اصل فطرته وربما يكون حراعل كفر ونفاق اثره على جلائه وفطرته فالسعيد مصدود والتكليف مظهر
وكل ميسر والميسر حيث لما خلق له فالحاصل ان الموكول الى حوله وقوته في خذلان الله والمتوكل على حول الله وقوته
في توفيق الله فعلى راي القدرية العبد ابدا في الخذلان اذ هو موكول الى حوله وقوته لم يستعن بالله ولم يتوكل على الله
وعلى راي الجبرية العبد ابدا في الخذلان اذ هو خاذل نفسه عن امتثال امر الله لم يعبد الله ولم يحفظ حدود الله و
الحق الذي لا غبار عليه اياك نعبد واياك نستعين محافظة على العبودية واستعانة بالربوبية والتوفيق والخذلان و
الشرح والطبع والختم والهداية والضلال ينسب الى الله تعالى بشرط ان يكون احق الاسماء باحسن
الاسماء ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها واولى المعاني بحكمه وتقديره اول المعاني وجودا واحدهما
حصولا سبحانك انك على كل شيء قدير اللهم من احسن فبفضلك يفوز ومن اسا فبخطيئته يهلك لا المحسن
استغنى عن رفدك ومعونتك ولا المسيء غلبك ولا استبد بامر خرج به عن قدرتك فيا من هو هكذا
لا هكذا غيرك صل على محمد وعلى ال محمد وافعل بي ما انت اهله انك اهل لكل جميل

الخضر صلوات الله وسلامه عليه

اللهم إني أستغفرك لما تبت إليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك لما وعدتك من نفسي ثم أخلفتك وأستغفرك لما أردت به وجهك فخالطه ما ليس لك وأستغفرك للنعم التي أنعمت بها علي فتقويت بها على معصيتك وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم من كل ذنب أذنبته أو معصية ارتكبتها في ضياء النهار وسواد الليل في ملاء أو خلاء أو سر أو علانية يا حليم ٥ قال الأوزاعي رحمه الله عليه من دعا بها غفر الله له ولو كانت ذنوبه عدد ورق الشجر ورمل عالج أو قطر السماء ٥

روي أن الحسن بن علي رضي الله عنهما كان يقف عند باب المسجد ويقول اللهم عبدك ببابك يا محسن قد أتاك المسيء وقد أمرت المحسن منا أن يتجاوز عن المسيء فأنت المحسن وأنا المسيء فتجاوز قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم ٥

قال علي بن عبيدة من فهم تدبير الله له أمن زيغ الشيطان واستراح إلى حسن الظن بربه وأحرز ثوابا بالتسلم ورضي بما يجري به أحكام الله فيه وإنما ظهر فضل العلماء بما فهموا من آداب الله في خلقه فسكنوا من العلم الباطن إلى خفض دائم وقطعوا تشعب الوساوس عن قلوبهم وحطوا أثقال الحرص توكلا على كفاية من لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ومنشئ أرزاق الخلق وضمين بوفاء الرزق ٥

قالت الحكماء الحفظ عدو الذهن ٥ ذهبوا إلى أن من اتكل على الحفظ ترك الاستنباط الذي يؤدي صاحبه إلى الفلج والاستبانة للأمور على حقائقها ٥

عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه وقال من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر ٥

قال علي بن عبيدة امنع الناس من عرضك بما لا ينكرون من فعلك واطلب التعظيم في قلوبهم بصيانة واستسق مودتك بالغناء عنهم وتألف ودهم بالبشر لهم واحتجب من بغيهم بترك الاستطالة عليهم واستتر من الشامتين بحسن العزاء عند المصائب ٥ علي بن عبيدة ضرب صلاح طباع ابن آدم على الأضداد فلا يعتدل إلا باختلافها عليه ولو قامت به حال واحدة فسد مزاجه وانهدم بناؤه ومن ذلك ما جرى به الزمان عليه ودبره الله به من حر وبرد وخريف وربيع لأنه ثبت قوي بدنه وصحة غرائزه لا يتعاقب هذه الأحوال على تركيبه ٥ وإنما تكون استقامة ابن آدم على العدل ورغبته في الفضل وقوام ميزان العقل بتقلبه في السراء والضراء والخوف والرجاء فإن طالت به مدة إحدى هذه المختلفات صار إلى التغير والنقصان وذلك أن دوام السراء تورثه الطغيان وإفراط الضراء يضعضع من أركانه وإطباق الخوف عليه يكلم في عقله ويقدح في عمله ولا يؤمن عليه فساد طبائعه والرجاء مشغلة عن الواجب ويؤدي إلى الاستخفاف بالعواقب فمن فهم تدبير الله له أمن زيغ الشيطان واستراح إلى حسن الظن به وأحرز ثوابا بالتسلم ورضي بما يجري به أحكام الله فيه ٥

والكلام لبعض الحكماء يقول فيه القول في استعمال الريطور نقبه المستعان بها في اقتضاب الكلام والمجازه وحذف الاطناب و
الاقاصيص المؤثره محو الانفس التبرم والكلال وتذكيه العقول بحلاوه ثمره البلاغه واحيا المعاني المقصوره المهذبه
الملائمه لادواة النفس المنتبهه للمحاجها والصارفه لها عن خالها المناسبه لقود زماميها والحامله لها على الادعان لقائلها
وسائقها الى الفضائل مما يورد عليها من رونق الكلام ووشي الطبيعه مما يلهيها عن الرذائل اذ من النفس مثل الانسان
المقسم الراي والفكره والنظر لامور مهمه فهو ان تراءى له حتى يكون نصب عينيه فانه يستهو بتبصره عنه فلا يستطيع صورة
المرء في عقله وان كان البصر يدركه لشغل العقل وقواه بما هو اهم اليه مما يؤدي البصر اليه وكذلك السمع والشم
وسائر الحواس فالنفس ابدا مشتغله متقسمه بمهام امورها امام الخواطر الهاجسه عن ذاتها من الاسباب
الموكل بها النفس من النظر في العواقب والاستعداد والتاهب لما عساها يحتاج اليه فيما يستقبل او التلهف
على فواتها مما كانت طمعت في نيله او التندم على ما فرطت فيه او التذمم مما قصرت في فعله مما لزمها او
التقدم بالحيل فيما تمناه وترجو الوصول اليه فهذه واشباهها نوازع تنتزع قوى النفس بالوساوس الشاغله
لها ابدا لا تفتر النفس عن ذلك في ساعات ليلها ونهارها ما الطبع لابا لا اخساد وربما لحقتها هذه المذكوره من هذه الخواطر
فتورثها حزنا او غفله ونسيانا او هلعا وضجرا او ضيقا او سهوا فهي لا تكاد تنصرف عن الدواهي اللازمه لها او
تصغي الى صاحب الاطناب اصغا كليا اذ النوازع الشاغله طبعه من الريطور نقبه المزيده فيصير فيها عرضي
سيما اذا كان الخطيب او البليغ غير حاذق ولا ماهر بوضع المعاني مواضعها من الانفس بالتماس الوقوف
على دواعيها ونوازعها ومواقعها فيعارض كل واحد منها ما قد فسد بالمعاني المذكوره ويعيشها بالعلاج
الشافي بالاصغا الى ما يريد ايراده عليها ثم يجمع المعاني الكثيره العجيبه في حرف واحد ومحض الخطب الكثيره
فيستخرج زبدتها وينتخل المعاني اللذيذه فيختار نخبتها فيورد على هذه الانفس السقيمه ما يشفيها ويتمكن من
قيادها ويذكي بلادتها ويجلو اغشيتها بلذاذه الايجاز وجمع الوان الوشي في رقعه صغيره من رقاع الكلام
التي هي الحروف القليله وتنكب الملاله من المصغي بجذب الخواطر المتاثرة في عقله فان تلك الرسوم
الثابته لا تمحي الا بعجيب ما يحدث هناك من رسوم البلاغه واتفاق ما يرد على العقل من المعاني الملائمه
لطمس الرسوم الشاغله للنفس كانت والمفسده لها فحد من كل بليغ وخطيب يقدم ما ينفي تلك الموانع
المذكوره بدوا ثم يثني بما يذكي الفهم من الاشيا المعجبه للعقل اللذيذة المختصره ثم يثلث بما يطمس به تلك الاثار المتاثره
من هذه الاعراض المفسده المانعه للنفس عن الارتياح ولا هتزاز لما يذكرها فضائلها وحثها على استعمال
ما لها من القوى العزيزيه والفخريه والمجديه والشرفيه وما اشبهها من القوى الغريزيه اللازمه للنفس التي
هي سوسها وطباعها ما لم يغلب عليها تلك الاعراض الموصوفه فالواجب على كل بليغ وخطيب وطالب
نيل من هذه الانفس واظهار فضائلها ان يعترض اجتماع قواها هي اول تنبيهه اياها وتذكيته لها
وقت ايراده عليها بما يعجبها من المعاني المزخرفه الموشاة ويعلم ان تلك الحاله اعني اجتماع قوى
النفس كالفزع والغضب والتيقظ لا يكاد يثبت على حاله واحده زمنا طويلا بل يكاد ان لا يثبت طرفه

عين لسرعه رجوعها الى تلك المعاني المقدم ذكرها فاما ان يبهر بتجثي ذلك منها ولم يحذق باقراض تلك الحاله ولم يقطع
من اقاصيص وانواع الاطناب عن بلاغه وخطبه فانه يورد على النفوس ما لا ينتفع هو بها بايراد ذلك عليها
ولا النفوس تهتز او ينتفع بما يرد عليها لان النفس تلتوي عن استماع ما لا تعجبها ولا تستولي على قواها ولا تقع
منها موقعا معجبا اذ من الرذائل بعضها مر عليها اعني على النفس فيسيل ويضمحل من غير ان يرتسم او يتاثر هناك وكذلك
ما يتلوه حتى يمر الكلام المطنب فيه بجميع اجزائه على النفس التي هذه حالها فيسيل الاول قبل ان يلحقه الثاني
فيصير هذرا او باطلا وليعلم المستعمل لهذه الصناعه ان من شان النفس التعشق لما حسن من الاشيا واستحكم
جماله وبلغ غايه البهاء والكمال فان هذه المذكوره من الاوصاف هي صفات خاصية النفس والنفس اذا احست
مثل هذه تعلقت به لانها شبيهه والنفس من صفاتها انها تتعشق ذاتها فالذي يجب على صاحب هذه الصناعه
ان تشعر قلبه الحذر من عوار يجلب عليه حسن ما يجي به من الفصل الواحد من فصول البلاغه على عقله ونفسه
فيفيعانه اعني العقل والنفس يتعان الفصل الاول من فصول البلاغه فيشتغلان بعشقهما له واتباعهما اياه
واعجابهما بحسنه وجماله فيضعف قوتهما ولا تستفرغ منها شي للفصل الثاني والذي يتلوه والواجب
عليه اذا هو فرغ من فصل من الفصول وقد اجاد توشيحه وترسيمه ان لا يستعمل شيا من الاعجاب به
ومع ذلك لا يدع الجهد في جمع قوى العقل والنفس على اجادته وتتميمه فاذا فرغ من ذلك لا يدع شيا
من القوى العقليه والنفسيه متعلقا بما قد فرغ منه بل يجمعها كلها ويقبل بها على اجادة الفصل الذي
يتلوه كما فعل في الذي قبله فانه متى ما بقي منه شي من قوى العقل متعلقا بما تقدم او مشتغلا به بنوع
من انواع التعلق اما من جهه الاعجاب به او التعشق له او الاغتمام بانه عسى ان يكون قد قصر فيه او ترك موضع
عيب به لم يرممه ويهذبه على ما وجب كان هذه الانواع من التعلق بما تقدم يجذب القوى الباقيه الى نفسه ولا يدعها
للاقبال على ما يجب الاقبال عليه في اجاده الفصل المستقبل فليجز صاحب الريطوريقيه هذه النوازع للعقل
وليقطعها في كل فصل قطعا محكما فانه كان الرامي اذا استعمل جمع المهارة والحذق بالرمي واقبل بالقوى كلها في
اول سهم يرمي به فاجاد اصابه الغرض ثم انه ان اعجب بما قد اصاب واجاد من تلك الرميه ويكون متعلق القوى بالماثر
من فعله متقسم قوى العقل والنفس والحس بذلك ويحتاج الى ان يرمي كرميته او اجود منها فان هو قسم هذه
القوى فبعثها من الاجتماع على مثل الحاله الاولى الا ان يستعمل ترك الاعجاب بما فعل والنسيان لما مضى
ويكون اهتمامه وجمع قواه بما يتلوا اكثر من اعجابه بما مضى لئلا يشتغل بذكره عما يحضره وهذا هو العارض
لاكثر اهل المهارة اذ لم يحترسوا من العلل المقدم ذكرها في كلام كثير ۞ وقال بعضهم قال في اللسان اداه يظهر بها
البيان وشاهد يخبر عن الضمير وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجه وواصف تعرف به الاشيا
ومعز تردد به الحزن ومونس يذهب بالوحشه وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو الى الحسن وحاصد يذهب
الضغينه وزارع يحرث الموده وملهٍ يونق الاسماع ۞ وفي كتاب محاسن الفرس ان ملكا من ملوكهم قال لابن فهم
الموبذ ما خير ترعرع فقال الغلام يوما ان الكلام افضل فالحمد لله والصدق فانهما ينقيان وما سواهما فانما
باطل يذهب واما ما عدا سبق فالكثره الصمت الا في اوان الكلام فان ثم ما ذا قال الاعمال الفكر [illegible]

دون الاكثار بعد التكلم ٥ قال ابو سعيد الضرير قال الاستاذ عندنا الاخرهات الحلاق حتى اسقى لعصا طالة ويحك تفكر ثم
تكلم قال هو ذا اتكلم ثم اتفكر ٥ قال وكان في ايام الاكاسرة مناد ينادي في السوق كل يوم بالفارسية انديشه وپس
كوبيد انداز بدبس بكويد ٥ قال دخل المامون على ام الفضل بن سهل حين قتل يعزيها عنه ثم قال لها لا تهتمي فانا انا ذلك
منه عوضا ولم تفقدي الا رؤيته فقالت يا امير المؤمنين الا اجزع على ابن كسبني ابنا مثلك ٥ وقال بعض
الحكماء اول العلم الصمت والثاني الاستماع والثالث الحفظ والرابع العقل والخامس نشره ٥ وفي كتاب محاسن
الفرس ان حادث ارضا ذا الملك تحرى احيا السمر ووظف فيه الاحاديث وقواه بعد الاسكندر واخذ اهل مملكته
بذلك اشد الاخذ فكانوا يتسامرون في دوره وعندهم تذاكروا البلاغة ليلة وهم يصفون فضلها وياثرون عنها الاحاديث
التي في موقعها كان من السلف وما كانوا يوجدونه من الفطن فيها مع شرف مكان اهل العي كان عندهم وذا التيم
في انفسهم وقام رجل منهم فدعا للملك فامر الملك بتفسير ابواب الكلام ووجوهه ومذاهبه وما هو في خاصته
ومعانيه وسلطانه وهو العقل او عين العقل وما يجمل بالملوك منه ٥ فقال افهم اوسع الملك ان الذي خلق
الخلق بحلول القول جسمانية وروحانية فجعله سمة على الاشياء وليوصف الله به جل ثناؤه وكيف حكمه وصنعه
وكيف الهيئة وقدرته وما علم خلقه وما الخير وما الشر والنفع والضر وهل الى دارنا هذه دار والى
عيشنا هذه عيشة فانا نفسر ذلك كله وما سوى ذلك فاعلم الله من موضع هذا الكلام الذي فضل به هذا
الانسان واعطي من اداته في لسانه وفمه والريح الذي تظهره والحروف وتقسطه الاجزاء على اجزاء الفم و
اللسان فان قطع ذلك المكان او عطب عطبت تلك الحروف كالميم والباء اذا ذهبت الشفتان ذهبتا و
الالف فانها لا تكون الا بعمود الشفتين وقوة الريح ومرجع اللسان الذي هو علانه والواو ايضا بعمل الشفتين
في اشباه ذلك من عمل الفم ولم يجعل الله هذه الحروف وعلى السنة شيء من الدواب البهم ولا حشرات الارض ولا التراب
الوحوش ولم يعطها فضله بكرمه من الله لهذا الانسان وامره ان يعقد المعاني التي لا ترى في الحروف التي ترى
وان تكون تلك المعاني التي خفيت على العيون واذنت لها الاسماع هي التي تدخل بلطفها الى النفس وتنفذ بقربها
الى العقل فتولد فيه الرحمة وتنزع منه السخطة وتحدث منه الرضا وتحبب اليه الحسن وتقبح اليه القبيح
وتزرع فيه الحيا حتى ربما قلب الحسن قبيحا والقبيح حسنا عن حيلة وطبانة من صاحبه فالحروف واللسان
اداة لتوصيل الكلام والكلام وحي من المعنى عن تقدير العقل فاذا العقل زوره من باطن اخرجه اللسان
الى الظاهر فان كان ما زوره صوابا وصف عقلا وان كان ما زور خطا وصف جهلا وصواب الكلام من صحة
العقل فاذا اخرجه كذلك قبلت القلوب معانيه واستحسنت الاسماع صوغه وجرت عليه طلاوة
وتقع فيه ماوه ولم يكن مجتلبا من ابعده ولا مستكرها على عسره ووافقت حلاوة الظاهر لباقة
باطنه فاذا اخرج على خلاف ذلك علته السماجة وغلب عليه الاستكراه وعريت عنه الطلاوة واخذ
من ابعده وتحيف على عسره واسلمته معانيه وشاعفته مثناوبه ٥ ومثل معنى الكلام في الحروف
كمثل الروح في الجسد نرى اعضاءه ولا نرى روحه ونحن نرى الكلام ونسمع ونرى عمله ولا نرى المعنى وكذلك
الاشياء نرى اجلها ولا نرى الطفها فهذا الانسان مكرم موفق مفهم عما اتاه الله من تعلم هذه الحروف

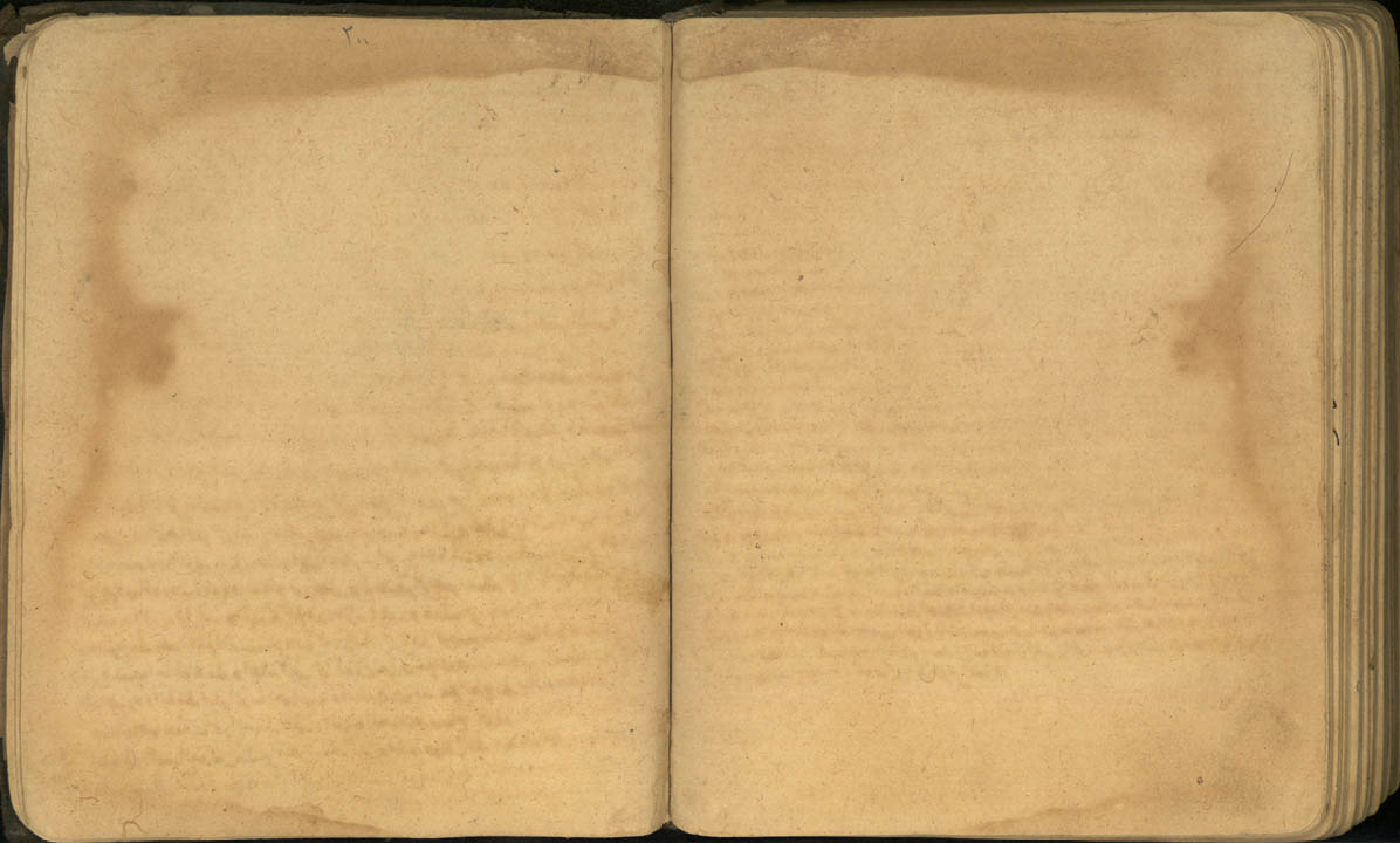
وحلولها فيه حتى اعرف بها عن ذات الله وذات ملائكته وافواج خلقه فهذا قسمها من الله في تعليه المنزلة و
خصيصها الكرامة ولم يجعلها على السنة شيء من الدواب العجم فصار حدها من الناس والبهائم ان الانسان حي ناطق ميت وان
البهيمة حية لا منطقية فقد شاركت البهائم الناس في الحيوة والموت ولم تشاركهم في العقل والقول فمن نقص عما
فضل به عليها فهو كالبهيمة الا ان البهيمة ارجى منفعة واخوف مضرة فليس شيء اتبها الملك اعلى من العقل والبلاغة
ولا اوضع من الجهل والعي فيه وضع الله كل شيء عنهما فبهما تكلمان على الاشيا عن قول مرة وعن فعل مرة والاشيا
مستخزية لهما لما جعلهما الله عليه من الفكر والعبر فلولا العقل ما عرف شيء ولولا اللسان ما سمي شيء ولا امتاز
شيء عن شيء ولا كانت مشافهة تؤدي عن شاهد ولا مكاتبة تخبر عن غائب فمن خرقهما حرم الخير كله ومن اعظم
النقيصة على الملك والمملوك الجهالة والعي وليس احد البلاغة به اليق والعي به اقبح من الملوك ولا نعلم اتبها
الملك شيئا اقل من الكلام ولا اكثر ولا اعم ولا اخص ولا اقرب ولا ابعد ولا اعلى ولا ارخص ولا
احسن ولا اقبح ولا اذل ولا اصعب صوابه في المعنى وزينته في الملابس واداته في اللسان والحروف وقد
يكتفى منه بالايجاز اذا ادرج المعنى ويحتاج منه الى الاكثار اذا عظم الخطب في كثير من المواطن ان فصل الاقوال
التي يستغنى عنها ويعول على المعاني التي يحتاج اليها فانه من ابلغ الكلام واجمعه واحوطه من وراء الحاجة لما
يقتصر من قليله على الكفاية ويستغني بذات صوابه عن الخطا واعلم انه رب تطويل هو ايجاز ورب ايجاز
هو تطويل والايجاز معدن الصواب الذي اذا كثرت المعاني كثر صاحبها الكلام واذا قلت المعاني اقل
صاحبها من الكلام والفضول فاحسن يكثر بما كثره الصواب واقبح بقليلها ما قلله الخطا ٥ فاما كلام
العامة الذي ذكرنا غلاه ورخصه وقربه وبعده فهو الكلام الذي جعله على السن العامة والخاصة والعاقل
والجاهل فانه يورد الناس ويصدرون ويأخذون ويعطون ويأمرون وينهون كقيلهم لا ونعم وغدا واليوم والليلة
والقابلة وصدق وكذب وجاء وذهب في اشباه هذا مما لابد منه فهو امهات الكلام والمقادير التي هي
اصله وجماهره وليس فيها شيء من البلاغة وانما هو افهام يدل على ما اراد ولا يستغني عنه خاصة ولا عامة
وليس وراءه شيء الا الخرس والبكم وهو الكثير والبلاغة القليلة وهو الرخيص والبلاغة الغالية وهو
الغريب والبلاغة البعيدة في كلام كثير اختصرنا هذا القدر منه طلبا للتخفيف ٥ قال بعض الحكماء نظم
الرسائل اشد من نقل الصخر فاما الخراج فان له مثلا اماما يعمل عليها وكذلك للبريد والمظالم وسائر الدواوين
واما الرسائل فلا مثال لها ويحتاج صاحبها في كل سطر يكتبه الى معنى جديد يبدعه ببلاغ الساعة بعقله وفهمه

من اوراق الصولي ٥

عن الفضل بن الربيع عن ابيه الربيع ان رجلا سعى الى ابي العباس السفاح وكتب بسعايته رقعة وقال فيها جئت منتصحا
واريد ثوابا فوقع في رقعته تقربت الينا بما باعدك من الله ولا ثواب لمن اثر عليه وخالف امره ٥ توفي ابو
العباس او ادى الحجة سنة ست وثلثين ومائة وكانت ولايته اربع سنين وثمانية اشهر وصلى عليه عمه داود بن علي ودفن بالانبار وكان
اخر ما تكلم به ان قال اليك يا رب لا الى النار ٥ اعترضت امراة اعرابية ابا جعفر المنصور بطريق مكة بعد وفاة ابي العباس
فقالت يا امير المؤمنين احسن الله عزاك واجزل اجرك فقد احسن الله اليك في الحالتين واعظم النعمة عليك ان انزلك منزلته
خليفة الله وافادك خلافة الله فاحتسب عند الله ما سلبك واشكر له ما منحك وتجاوز الله عن امير المؤمنين
وبارك لك في امرة المؤمنين فقال المنصور لمن معه جزانا الله على التعزية وبارك لنا في التهنية وامر لها بالف درهم ٥
وكان يعرف بعبد الله الطويل اعلم الناس بالحديث والاخبار والانساب مشهور بطلب العلم وله شعر قليل ٥
وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنه

... ابن الملك ...
ويد في من ابنا الملوك الذين توطأ لهم العز ونالوا الغلبة والقهر ودانت لهم الامور بحسن الطاعة ذكروا ان كان ذاحا افانو وهبطوا الى
طول العشرة للآفات معتكفا على لهوه غافلا عن غيره وكان يرجع الى عقل اصيل وراي ثاقب فبينا هو ليلة من لياليه مع بعض ندمائه
جوارا اذ رفع راسه الى السما فراجع فيها ذكره وردد اعتباره في مجاري الكواكب في فلكها والقمر في سيره ثم التفت الى ندمائه
فقال الا ترون الى ليل يسري ونهار يجري واحداث بينهما تبلي الجديد وتهرم الوليد الى خطب هائل ومحل للاعمال لحصد وما انا الا كاحد من
الحصون وعمر المدائن بالجنود فهلا شرفت اعلامهم وبليت في التراب اجسامهم بعد التمهيد في عز الملك وهيبة السلطان واباد الله
لا حويهم وعلى مثلهم وارد وعما قليل اناقه شغول الحساب لا تنجيني منه الا صالح عمل يقدم في عمر وقت اناله فقالت له
ندماؤه ايها السيد في مملكة القاهر في شرفه ما اطال الله بقاك في السعادة ونهيت لك ما حصن به اباك الذين طالت بهم النعم في
خفض الدعة ودوام العز والغلبة ثم انقلبوا الى حسن الثواب وكرم المآب فقال اما والله لقد غرتهم الآمال حتى اوقعتهم الآجال
ومن في عقله قد استحوذ على قلوبهم والهتهم عن المعاد ولم يتقرب الى الله الملك بالاباطيل ولا ينجو منها ومن عاقبة الابطال
فمالي والغرور والمطال بكار ويكون ثم وثب فاسبغ الوضوء وقام مبتهلا الى ربه نادما على سالف عمره الماضي بالاضاعة وهو
يقول قد هربت اليك بنفسي يا ملجأ الهاربين باوقار الذنوب احملها على ظهري لا اجد شافعا اليك الا معرفتي بانك اكرم
من قصد اليه المضطرون واملي من رجاه الراغبون اسالك يا من له الطول والحول والقوة ان تحط عني وزر الذي
جناه ظهري وتعصمني من الهوى المسلط على عقلي وتجعلني من الذين انتجبتهم لطاعتك وادخلتهم بالتقوى في سعة
رحمتك ∴ فلم يزل كذلك حتى اسفر له باشر الصبح فدعا برجل من عليه اهل بيته وكان طويل الانس به فقال له
انك اخي ممن استعف مواقعي وحاطني بالنصيحة وعاد علي بهدايته وقد احببت ان تزودني رجلا اجد عنده
من عقله نفاذا فيما الحقته عنه وانزله به من امور فيها دركا الدنيا والدين فاني ادعت لليلتي الماضية فلم ازل
اجيل فكري واقلب في السما بصري فاستدركت بعد معرفتي على عظما احببت ان اعطف الله معونة من ذي
كمال في عقله واختيار للامور فانهض لي في طلبه وكافني مسلي بالعناية به فقال له اكرمه بالتاييد و
عزم له على التقوى ان يقيك الملك في بلده رجلا قد اضطرب له الصوت ورمقه الناس بابصارهم فيه خصال
اربع قد رضيها لنفسه في دهره دون ما رغب فيه الناس جالف القنوع فما يستغرق به المطامع واحترس
بالصبر من جزع المصايب وتحلى بالصدق في القول وقمع شره نفسه باليقين فقال له فهل لك سبب
توصيلك الى اجابته في مسليك اياه اتيانا للاسترشاد قال وسيلتي اليه رغبتك في لقائه وحرصك
على اجابته قال فانه فاعلمه ما اعلمتك من عظم موقعه مني اذا كان في هذه المنزلة وعلى هذه الضرائب المحمودة
وجئني بجميع ما تصل به الينا فان قبلناه اجلالا واكراما فهالحب من بلوغ همته في معونته من بلوغ عاجله
قال له صاحبه اني قد اعلمتك ان عزمه القنوع وحسم الطمع ولست ارجوا مواتاته الا بالقاء الله في تفقتك له و
رغبتك في اخوته فانه يسمو بنفسه عما اقتصر عليه من غير نفسه الشك ولعب بقنوعه الحرص قال الراس الملك
امر ادا الصبح مع املي من الثواب عاجل كفاية المهم من الدنيا سارعت اليه النفس واقتصرت عليه الهمة
قال الرصاحبه من التجا الى الصبر واعتصم بالرضا على ما ناله من مكاره الدنيا محتسبا للآخرة سعد بمواتاة
نفسه اذا اخرجها بمباينة الهوى وحسمها رجا الموافقة قال ائت بصاحبك اعلم واخلق بما وصفته به
ان يكون الرجل اذا ذاد نفسه عن طاعة الهوى واخذ عليها الميثاق ساعدته الاقضية في الامور لما
وعد الله على الصبر المحتسب فانه فاعلمه انا لما بالعامر امره مجبور والعدو فيه داعيون فنهض الرجل من
ساعته فاخبره بحال ابن الملك وقصته وفسر له جميع شأنه وما جرى سببا في امره ∴ فقال

علمهم ان مقولة الملوك المحيط بها العدو ... محصي
فتجعل مستراحا للذاته ومتنزها لحدثه ثم لعله يتبع بالاذى وتعود فيه البتوة ويتال من عرضه فقال الرسول معاذ الله بل
الله ما اخاف وقد منع قلوا ابن الملك عن هذه الطبقة من الناس تبعده حيث تحبب في خصاله ولا قوة الا بالله قال الحكيم ان العلية
من الدنيا وشرح الدين وليس يستفز احد منهم الى ملك الا اطمانو رخليه بحرف دنياه وليس من الاخرة بعوض ولا الدنيا الدين بثمن
قال له الرسول العزم على طاعتي واقبل مشورتي واستخر الله على امري واستل التوفيق لابن الملك فاني ارجو ان تفوز بنجاته وتسعد
بمواتاته وتحوز جزيل الثواب في الله فلم يزل به حتى وافقه على اجابته بما رغب فيه ووصف من حاله فلما اتاه قربه وادناه ورحب به وحياه
واحب ان يستخبر عقله في امر الدنيا وشان الملوك فقال له ابن الملك اجمع لبني غلم صلاح الدنيا مع شغله باخرته قال له الحكيم ان العقل
كالشهاب في دجا الليل فكيف يشا صاحبه صرفه فابصر به واسفر قناع الظلمة بنوره فقال ابن الملك انه دعوتك لعلمها اسئلك عنه
ساعتي هذه لتجعل لي ما وصفت به من العقل والنفاذ في الامور والبصر بالملتبس فقال سل عما احببت وبالله فقال له ابن الملك فما قوام
الدنيا وصلاح الدين قال الحكم امامة عادلة وسلطان قوي ورعية طائعة قال في الامامة العادلة حياة للبهائم فضلا عن الناس وفي قوة
السلطان مجانبة المحارم وفي طاعة الرعية امان من الاختلاف وقوة على الاعداء قال ابن الملك فما احمد الملوك سيرة واسلمهم حالا عند
الرعية قال من طالت رغبته في المعروف وعدل الى الانصاف وتعهد رعيته بالنظر لهم في امورهم قال ابن الملك فبما تستدرك الحظوة عند السلطان
ويكتسب حسن رايه قال بالمبالغة في الطاعة والانتها الى امره ومجانبة سخطه والقربة اليه بموافقته قال ابن الملك فمن ازيد الناس على الملك
واجرهم شانه قال الوزير الصالح الذي يذكره معاده ويحضه على التقوى ويبذل له النصيحة ويفتح له ابواب البر ويعطفه بالرحمة على
العباد قال فبما يؤمن من سطوة السلطان ويجلب عفوه عن الابرار قال اداء الامانة اليه واعطائه الحق من نفسك ودفن سر خصك به
وقطع لسانك عن النميمة اليه باطنا او الجحيط عليه والكف عن القول فيما لا يعنيك من الكلام اذا انقطعت الالسن عن العورات لم يطلق اعادة
الى الغلب ولم يامن صاحبه سوء العاقبة ممن يسمعه منه اذا كان طاعنا على امر السلطان قال فبما يزداد في حسن رايه ...
فعنا نعم الحسنة وافعاله الجميلة وظنه بالطلع على ... بهفواته والذنوب فما اتجنه عليه بالاجتهاد فيه ...
قال فما اظلم الناس واضعفهم لقدره قال من تواضع لمن لا يكرمه ورغب فيمن يبعده وقبل مدحة من لا يعرفه قال فمن ... وفيح
الافعال قال من جعل عقله للهيبة وحفرته وزينه والموعظة زمامه والصبر قايده والاعتصام بالتقوى ظهره وخوف الله جليسه وذكر
الموت والبلى انيسه قال فما يبعث الطمع والشكوى قال الشره والقنوط قال فاي ملك قد اسر حرا في امور الدنيا ومخالفة الناس فيها ما
المعرج عليه الى الله قال الاعراد لا العلم بما لك في الاحسان وعليك في الاساة ثم العكوف على ما تعدم وتمثل عظم هول المطلع قال فاي
الوزرا في ذلك اعون وابهم على المعونة امن قال الحكيم عزم تؤكده الصدق وصبر على فرائض الحق قال ابن الملك فبعض الاجزاع ...
من وفود الخواطر بالشهوات على قلبه وبعود على الاعتصام عند ورود ذلك به قال الحكيم يجتنب العدد من ذلك بمكسر الرهبة مع
صالح السريرة ومعاندة الطمع في الراحة وقطع النفس عن رضاع الامل وترقب الاجل واوقات الساعات قال ابن الملك فما
المتسلي عن نوازع يحركها الرغبة قال الحكيم اذا ابتنت العزم على حسم هوى النفس فعلق قلبك بثواب ما بذلت لربك من
نفسك بعصمتك من سلطان الفتور وبسط لك الاجتهاد في العمل الصالح وفي استدرار ذلك تشاغل عن جميع ما يروقه لك
الخواطر ۞ وانما مركبات التجلي وانا احدثك عن يعسوب عن عقلي بما فهم وما ابن دخلت الآفات على العقول وكيف ضعف النفس مع العلم المركب
في غرائز العباد ان هذا الانسان مطبوع على طبائع متضادة فيه وبعضها ادنى الى السر من بعض واخص فالشهوة بمهمة الانسان متصلة ومن بعد
لعزاة مطالبه مستدعية وخلف الشهوة الشك والشبه ومن وراء ذلك العقل والفطنة فمن خرج من حكم شهوة قوى على ما تنازع
من الشك وصار بقوته على ذلك متصلا بسلطان العقل فاذا وصل الى احكام عقله بصفاء من ذهنه وسلامة من غلبة هواه وشهوته اشرف
على عواقبه وعاين واجب حوزته وما اخفت العادة فاستصغر من الدنيا عندها ما يجانب من نفس امر الآخرة ورفض منها اللذات لما يرى
من عواقب التبعات والقصاص من الظالمين وصار الى الله وله وللجنة نازعا وشوقا وكانت الدنيا وما فيها بحقيقة عنده تركة
اهلها في سفال من السعادة ونكوص عن حظوظهم من الفوز ∴



قال علي بن عبيدة اني لما فهمت اخبار زماني ووعيت آداب ايامي وقاسيت طبقات الناس تنبهت على
علم عظيم واشرفت على بحر من الاخلاق ذخير وصلت اليهما بفراغ القلب لهما وعناية الفكر بهما و
ذلك اني كنت امرا اخوف من واحده ووهبت اثنتين وكانت في ست خصال فاما الخصلة التي
اخوف منها فذلة الشره في الدنيا وحبي للزهد فيها واما الخصلتان فاني وكلت بحفظ
العبر وكنت من همي كل يوم على وجل واما الخصال الست فقمعي الحسد اذا انبض و
قهري لشهواني اذا اشارت بغير مستقيم واماتتي للضغائن والاحقاد وصبر وهب لي جميل
وسلامة طبعت عليها وخفة مونة على الناس وبعض هذه الخصال اعانني على بعض و
منها ما وجدته في الخلقة بغير تكلف ومنها ما اصلحته مني بالرياضة وحسن الادب
ورايت الكرم مواهب الله لعبده سعة في الفهم وسلطانا يملك فيه نفسه ومن فاز بها ثم
لم يعرف قدرها فلا اسف على فائت لان الفهم اذا كان ذاكيا نفض بالبعض ما يرمه
الشبهات واخذ اخلاقه على ما حمد من المذاهب وساس نفسه فاجراها على الخيرات
والفهم خزانة للعقل ونور يبصر ما امامه وانما نكص على عقبيه من خانه فهمه وخذله عقله وضيع ما
استودعته الايام وكان ابن يومه وتبع ساعته ومن ملكته نفسه او زدته الموارد
المردية واشرفت بعدوه عليه في اقبح احواله وبحسبك مؤدبا بالخصال ومثقفا العقلا
ما رايته في غيرك من حسن يغبطه وقبيح تذم عليه فمن لم يميز ما يجي من الدهر ويتفهم
من اخبار الناس فيصطفي الافضل من المحمود على الانقص من المذموم ولا اجتباه له ولا حيلة
لمصلحته الدهر افصح المؤدبين وكفاك من كل يوم خبر يورده عليك ويعلمك من اياته ناحية اتى به و
الى ابن مصره وما فيه لمن قبل به عنه وانما الايام مراقي في الادب ودرجات الى العلم المخبر
عن فهم عنها اورثت زيادة وسطع نور علمه ولم يفتقر الى غير نفسه على ابن آدم طبقات في
عمره وحالات في ايامه وانما ذلك على قدر غرته بايامه وغفلته عن زمانه فاذا الحفظ اخبار الزمان
ودرس ما يملي عليه الايام القينة عن قليل محنكة الراي نافذ البصيرة حازها فيما يحيل من امور
وعلى حسب احاطة عقله واعانة فهمه له يكون اشرافه على الدهر واحكامه لمعضل ما كلف
ولو صحب ذو الغفلة ايام الدنيا بعجائب ما تصرفت به على الغرور لم يزل جذعا في الغرة
منذ لبها فما يحدث لان الغفلة ظلمة راكدة والمعرفة مصباح للخليقة واذا رايت ذا العمر
الطويل والسن القديمة كثير التعجب مما يرى ويسمع فذلك لقلة حفظه للتجربة ولسهوه عما
مرت به عليه الليالي

للزود كي هركو ايزد بش لحق هوشداد دورگار او را بسنده او ستاد
هركه نا موخت از گذشته روزگار نيز ناموزد زهيچ اموزگار

من الصابر الا من حيارى . قال الحكم من جرى مع هواه طلقا جعل للعقل عليه طريقا . قال ابن ابي الدنيا قال بعض
الحكما اوصيناك من جامع فقال احفظوا وعوا انه ليس من احد الا ومعه فاضيان باطنان احدهما ناصح والآخر
غاش فاما الناصح فالعقل واما الغاش فالهوى وهما ضدان فايهما غلب وهي الآخر . وانشد الغزي

اذا ما رايت المرء يقتاده الهوى فقد ثكلته عند ذاك ثواكله
وقد اشمت الاعداء طرا بنفسه وعدو وجدت فيه مقالا عواذله
ولم ينزع النفس اللجوج عن الهوى من الناس الا واحد العقل كامله

قال الهدادي لم يعط هشام شعرا الا معنا واحدا
اذا انت لم تعص الهوى قادك الى بعض ما فيه عليك مقال . قال ابن المعتز وكل مكروه ختم بمحبوب وانتهى
الى السلامة فالهم عنه زائل والاجر عليه حاصل . قال بعض مشايخ البصرة اتيت ابا عبد الله بن عروه
ايام حداثتي وعراد بي لا ستم نفسي من فضله واجلي جوهري باديه فلحظني متوقها للفائدة حاكما على بحسن
الاستجابة وقال يا بني هل لك حاجة مستحيث على طلب العلم فقلت نعم فقال على نعم فان النعم لا بد و
النقر وراد بسطي ونشري بهلا الود ثم قال اترى أقول ونفسك ان تعلم الحلال والحرام او ان تتعمق في
الكلام او ان تواصل اهل الادب والبيان فقلت بل مواصلة اهل الادب فقال اما خال سحابك وله
حلب برقك اما انك اذا ابيت الا ذلك لما تجد في طباعك من النزاع اليه والاشتمال عليه فخذ من الشعر
القديم افصحه ومن الخبر المأثور املحه واستعن بجليل النحو عن دقيقه وليكن عليك اللغة واحرص
ان تعلم ولا تحرص ان ترسم واكتف باذني علمك ولا تترأس على من دونك بل ان كان معه شي فاره
انك دونه حتى تاخذه منه فان من استعجل الرياسة قبل حينها ذل . قال ابو حاتم قال ابو عبيدة لا تردن
على احد خطا في حفل فانه يستفيد منك ويتخذك عدوا .

لعلي بن عبيدة
وجدت الله جل ثناؤه جعل الرضا وكنوز
الغنا في سعة العقول ولين الاخلاق
وانفساح النفس وحسن التوكل
على كفايته .

لابي احمد التمامي رحمه الله
ومن انعم الاقوام عيشا فتى له لايامه ذو فطنة متغافل
ومن لطف بسلم للنوائب لم تزل تفاجيه منها معضلات بلابل

وقال علي بن عبيدة
الجزع من اعوان الزمان والصبر يناضل الحدثان .

لدى كلمة الذئب وقالوا انه رافع بن عمرو الطائي
الشافعي
اذا المشكلات تصدين كشفت حقائقها بالنظر . رعيت الضان احميها بنفسي من اللص الخفي وكل ذيب
لسانا كشقشقة الارحبي او كالحسام اليماني الذكر . فلما ان سمعت الذئب نادى يبشرني باحمد من قريب
ولست بامعة في الرجال تسائل هذا وذا ما الخبر . سعيت اليه قد شمرت ثوبي عن الساقين في الوقد الكروب
ولكنني مدرب الاصغرين اقيس بما قد مضى ما غبر . فالفيت النبي يقول قولا صدوقا ليس بالقول الكذوب
بشرني بدين الحق حتى تبينت الشريعة للمنيب
وابصرت الضياء يضي حولي امامي ان سعيت وعن جنوبي
الا ابلغ بني عمرو بن عوف واخوتهم جديلة ان اجيبوا
دعا المصطفى لا شك فيه فانك ان اجبت فلن تخيب

في كتاب المعرفة لابي بكر الوراق رحمه الله
وقال الانطاكي قال ابو حي الله الله في ايمانك تعاهد زيادته ونقصانه وذلك قوته وضعفه
انظر من اين يقوا ومن اين يضعف وخف اذا ضعف ان يذهب لا تامن ذلك ولا تحد عن
عن نفسك ولا تغترن منها واعلم ان التحقيق انما يقل لقلة التصديق ويكثر لكثرة
التصديق وانما التحقيق دليل على التصديق وشاهد له التصديق هو الام وهو الاصل
والتحقيق الفرع فانظر في تصديقك اكثر من نظرك في كل شي وتعاهده واعتبره
بما يكون منك في الخلوة وما تدع من الشهوة حيث لا عين ولا اذن وبما يكون عند
الغضب والهوى والمخالفة والذل والعداوة والخروج مما عليك مما لا
يعلمه الا الله فبذلك فاعتبر وعند ذلك فاعرف الضعف والقوة ٥
التصديق عندنا اكثر من التحقيق والمراد من التصديق التحقيق ليس هذا ناقض
ذلك ولا ذاك يناقض هذا التصديق ام والتحقيق ابنت والتصديق
اصل والتحقيق فرع والتحقيق عن التصديق كان الفجر عن الشمس افهم ٥
هذا فانه من اصولنا التي لو نقشت في الحجارة كان ذلك صوابا ان شا الله
اراد الله تبارك وتعالى من العباد التحقيق لانه لا علم للناس بباطن الناس لا علم
عندهم بعيبهم فاراد الله ان يعرف المومنون بعضهم بعضا ويعرفهم
من خالفهم واراد نفعهم وزيادتهم وزينهم بظهور التحقيق واراد
تبارك وتعالى ان يكون التحقيق شاهدا لهم على التصديق وجعل التحقيق
كتغير اللون ونحول البدن ونقصان الطعم وقلة المراة يدل على
علة باطنه وكصفا اللون وظهور الدم ونجالة الجسم وشهوة
الطعام واستمراه يدل ذلك على صحة باطنه فتجذبهم بالتحقيق
على التصديق وتعينهم به عليه وجعلهم به ينظرون اليه ليعملوا
في التصديق في قوته وزيادته ويسلوا عنه اهل الخبرة به وبزيادته
ونقصانه وليسلوه في ذلك من فضله وليقبلوا على الاسباب التي
جعلها لهم في كتابه وسمائه وارضه فيقووا من حيث

ان يرى تحقيق ذلك عقوبة له على تهاونه بخالقه وكما سعت
الموحد من فعل المشرك كذلك سعت المخلص من فعل
المرائي وقد جربت ذلك وعاينت لو نفع العيان اقبلت
على مخلوق بقلبك وقولك او سعيك ثلثين سنة فلم يكن لك عنده
دفع ولا نفع سوى ما كتب لك في كل ذلك وجفوت اخر
وكان كذلك ورايت عقوبة ربك حين حلت بك محدثا او دنيا
نفسك او مالك او غيرك كيف عملت ونفذت وتفاقمت
ومالت ورايت ثوابه ونيله وعطاه كيف نفع ودفع و
نفذ وانجح وقضا ونعش وعيش في نفسك او مالك او
دينك او دنياك فهو لك عبرة لاولى الابصار ٥ ايقن
بان الخطرة الواحدة من الرغبة في المخلوق اذا استقرت
لتشتت عليك الدنيا والاخرة وصيرتهما عليك كدرا
وظلمة ونارا وشيا وضيقا وهو لا يرجا لك غفران الذنوب
ما دام ايمانك ثابتا ويخاف عليك جميع حسناتك ان
يكون اضر عليك من سيئاتك اذا خالط ايمانك شك وتكذيب
من طريق ما ذكرت لك ٥ يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا
ناصر ٥ ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسئول
الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ٥

المخلص كراكب السفينة المحكمة ٥ المخلط كالمضطرب
في الموج المشرف على الهلاك ٥ المخلص كالمنتشر في
ضوء النهار ٥ المخلط كالسارى في ظلمة الليل ٥ المخلص
كالملك المتوج ٥ المخلط كالمريب الخائف ٥ والمخلص
معصوم من الآفات والهلكات عاجلا وآجلا مقبلا و
مدبرا ضاحكا وباكيا بزكايه وصفايه وضيا مصباح المتوقد
من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية لا يصيبه كدر وظلمة
عند طلوع الحق عليه في نوبته الى افوله ومضيه ٥
يا عجبا من عبد يدعى العقل والبصر كيف يلتمس مضرة
نفسه ويهرب من منفعتها جهده بل كيف يدع ربه و
يعبد غيره ام كيف يستعين بربه ويرجوا منفعته وهو
يرى المعونة عند غيره ام كيف يسئله ثوابه وهو راغب
في ثواب غيره ام كيف يذوق حلاوة ايمانه وقد خلطه
بشركه ٥ كم من عابد بغير اخلاص قد قتلته عبادته وزاهد
بغيره قد اهلكه زهده وعالم بغيره قد اغتاله علمه و
حكيم بغيره قد اعطبته حكمته وقائل بغيره قد اوبقه
قوله وصامت بغيره قد ارداه صمته ولين بغيره قد اتلفه لينه
وشديد بغيره قد استاصله شدته ومعطى بغيره قد

اغواه عطاؤه وممسك بغيره قد اشقاه امساكه
فليعمل العامل ما شاء ان يعمل بغير اخلاص فانه يعمل في
دماره وخساره شعر او لم يشعر والقليل منه مخوف
كالكثير فان قليل السم مخوف هلاكه كالكثير ٥
المخلص تعرض لمقت الناس في جنب محبة الله فاحبه الله
وحببه الى الخلق وبسط عندهم عذره بعد ما كتم جهده
وزين عندهم من امره ما قبح على نفسه ٥ نقال ثلث
لا يخطئ الصادق المنجة والمحبة والحلاوة ٥ والمخادع
تعرض لمقت الله في جنب محبة الناس فمقته الله ومقته
الى الخلق وقطع عندهم عذره بعد ما اظهر جهده وقبح
عندهم من امره ما تزين به عندهم ٥ ثلث لا يخطئن
الكاذب السماجة والبغضة والكراهة ٥ تهاون
المخلص بنفسه في جنب عظمة فعظمه الله عاجلا و
آجلا وكذلك يجزى الرب الكريم كرام عباده ٥ تهاون
المخادع بعظمة الله في جنب تعظيم نفسه فحقره
الله عاجلا وآجلا وكذلك يجزى الجبار المستكبرين من
عباده ٥ المخلص تعامس بنفسه عند هواها ففتح الله
بصره لعساكر الحق ٥ المخادع يعامس حق الحله في

جنب هواه فاعما الله بصره عن رؤيه الحق ٥ المخلص
طعم بقلبه مرارة الذل كما طعم بفيه مرة الدواء قصدا
له دون حلاوة الثنا والمنزله اذ علم انها مسمومه قاتله
فاطعمه الله حلاوة الحق واصح عليها بدنه ٥ المخلط
طعم حلاوة الثنا وفتن بها حين ذاق منها ونسي ما كان
فيها من السم القاتل فحرمه الله حلاوة الحق واستدرجه
من حيث لم يعلم ٥ المخلص تحامق على نفسه وقام في امر
مولاه بالجد والعقل فطهره الله من الحمق وحشاه عقلا
المخادع تحامق على الحق وقام على نفسه بالجد والعقل
عنده فاعراه الله من العقل وحشاه حمقا ٥ المخلص عامل
الله بقلبه في جميع اموره فاستخلاه بخدمته واتبع
جسده قلبه ٥ المخادع عامل بجسده وصرف عنه قلبه
فاستسمج ربه خدمته فخذله واستقذره ٥ المخلص كالربيئة
الحفيظ الذكي على قلبه يتعهد من يدخل ومن يخرج يبصر
الباطل من بعيد اذا اقبل فيلمع بثوب الخوف الى
جند الصدق حتى يقبلوا اليه ويقتلوه ٥ المخادع كالنائم
في دار حربه فلا يزال السراق يختلسون ما فيها اذا تحرك

تحرك المفتنه اغار معهم على ما في داره ودفع اليهم
لسكر النوم الذي في راسه ٥ فانظر ايها المحروم المرحوم
نظر منتبه مجد معتني لعلك تبصر قبل ان يفوتك النظر
فانك على خطر في كل طرفة عين ووضع قدم و
استحي ممن لم يقطع عنك فضله طرفة عين ولم تقطع
عنه حمقك وجهلك طرفة عين ٥ القليل من الكذب
اذا استقر في القلب حول العقل وافسد القلب و
انجس النفس وكدر العقل ولبس الامر وغلط الفهم و
اظلم البصر ووهن الجسد وشان الوجه وابعد
السبيل وعمى الطريق واخرب المنزل وكلل السلاح
وسلط العدو وكشف العورة وسلب الامن وبسط
الهول والبس الذل واورث الجبن واظهر الكسل و
اكثر الفشل وضيع العمل وفرق الهمم وشتت
الشمل وادحض الحجة ونقض المبرم وافسد المحكم
ونغص العيش وانشا الجهل ورد النصيحه وقبل
الفضيحه وانزل الجور واعدم العدل وهيج الهم
وطول الغم وخلط الطبائع وابطل المروه واعمل

السخافة وقرب الفتنة وهدم الهداية واسا الخلق و
عذب النفس وعطل الادب واوجب المقت وهتك
الستر واعقب الندامة ونشر العيوب واكسب الذنوب
وسلط الشيطن واسخط الرحمن ٥ فمن ابتلي فليهرب
من الكذب على حسب ذلك فانه والله كذلك ومن شك في
ذلك كان شكه من كذبه وهو علامة هلاكه الا ان يخرجه الله
من الظلمة الى النور برحمته ٥ واذا استقر الصدق
بكماله في القلب وتفرغ القلب بكليته له اكمل العقل
ورقق القلب وقدس النفس وصفا العمل واوضح الامر
وجدد الفهم واضا البصر وقوا الجسد وزين الوجه و
قرب السبيل ومهد الطريق وعمر المنزل وشحذ السلاح
وكبت العدو وغطا العورة وكسا الامن وطوا الهول
وسلب الذل واورث الجسارة واظهر الحق واكثر
التاييد وانفذ العمل وكفا الهموم وجمع الشمل وكد
الحجة وابرم المنقوض واحكم الفاسد وطيب العيش وانسا
العلم وقبل النصيحة ورد الفضيحة وانزل العدل واعدم
الجور وسخر الهمة وقلل الغم وقوم الطبائع وحقق
المروة واعمل الحصافة وابعد الفتنة وابتنا الهداية

واحسن الخلق واراح النفس واحيا الادب واوجب المحبة
وارخا الستر واعقب السلامة وستر العيوب وجذ الذنوب
ودحر الشيطان وارضى الرحمن فمن ابتغى بذلك فليطلب
الصدق على حسب ذلك فهو والله كذلك وبالله الواحد القهار
فليستعن وليكثر تضرعه وتخشعه فانه المعين الهادي الدليل
الكافي المؤيد الناصر العطوف الرؤف ولا قوة الا به ٥
الصدق طبيب الايمان والدين والمومن الصادق يعرف
جميع الداء والدواء من نفسه وغيره من قبل الدين والدنيا و
كان ابصر الاطبا وانفذهم رايا فيه وارفقهم واعلمهم ويكون
مع اعظم ملوك الناس واكبرهم كذلك يكون اكمل
الصدق واتمه واوسعه وانوره مع اصلب الناس ايمانا
واكمله وافضله معرفة واوسعه واقربه منزلة على حسب
ذلك ينقذه من مهالكه ويدله على موافقه ويعرفه الدا والدوا
من نفسه وغيره ٥ وقال ابو سليمن الداراني الصادق لا
تضره الفتنة ولا غيرها حتى يخرج من الدنيا بل تنفعه ٥
وقال سلم الخواص اسم الله الاعظم هو الصدق ومن
دعا به اجيب ٥ وقال الله توقد من شجرة مباركة
زيتونة الاخلاص لله وحده فهو قد اجير من ان يضله

شئ من الفتن فكان الصدق بمنزلة الطبيب للمؤمن وبه معرفة
الدا والدواء كله فالكذب بمنزلة السم القاتل والداء العاضل
ومنه الادواء والامراض والاسقام كلها والجهالة بالداء والدواء كله
وقال بن منبه كما لا تمكث النار في الماء حتى تطفا كذلك لا تمكث
للرياء مع العمل حتى يبور وكما يبدى من ستر الزانية حبلها و
تخزيها وتفضحها بالفعل كذلك تفتضح السي من كان يغتر الناس
بالقول الحسن اذا قال ما لا يفعل وكما تكذب معذرة السارق
بالسرقة اذا ظهر عليها عنده كذلك تكذب معصية الله القارى
اذا كان يعمل بما يبراء به لم يرد بقراته وجه الله ٥
عمرو بن زرارة عن ابي جنادة عن الاعمش عن خيثمة عن عدي بن
ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه يؤمر يوم القيمة بناس
من الناس الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا
الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها فيها نودوا ان اصرفوهم
عنها لا نصيب لهم فيها قال فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون
بمثلها قال فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تريناما اريتنا
من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا قال
ذاك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم
الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني
من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم الناس ولم

تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم اذيقكم من
اليم العذاب مع ما حرمتكم من الاجر والثواب ٥
وبلغنا ان رجلا سال النبي صلى الله عليه فيما النجاة غدا قال
في ان لا تخادع العبد ربه قال وكيف تخادع العبد
ربه قال يعمل بما امره الله يريد به غير الله وان من
يخادع الله يخدعه ان المرائي ينادا يوم القيمة باربعة
اسماء يا كافر يا غادر يا فاجر يا خاسر ضل اجرك وحبط
عملك اذهب فالتمس اجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع
وبلغنا ان النبي صلى الله عليه قال وادي في جهنم يتعوذ
منه اهل جهنم في اليوم الواحد اربع مائه مرة قالوا
يا رسول الله من يسكنه قال القراء المراؤون باعمالهم
وان ابغض القراء الى الله الذين يزورون الامراء ٥
قال عباد بن نسي دخلت على شداد بن اوس وهو يبكى
فقلت يا شداد ما الذي ابكاك قال رايت رسول الله صلى
الله عليه فرايت في وجهه امرا ساءني فقلت بابي انت وامي
ما الذي ابكاك قال شي اتخوفه على امتي من بعدي
فقلت ما هو قال الشرك والشهوة الخفية فقلت

يا رسول الله او يشرك امتك بعدك فقال اما انهم
لا يعبدون وثنا ولا حجرا ولكن يراؤون الناس باعمالهم
قال عبد الواحد وهو الذي روى الحديث فاتيت الحسن
فقلت له يا ابا سعيد الريا شرك هو قال او ما تقرا به قرانا
قلت اين هو قال في كتاب الله من كان يرجو القاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا ۞ قال ابن منبه
ان الله امر الناس بالاخلاص وقال الا لله الدين الخالص فلمن يكون
ما ليس بخالص من الدين ان لم يكن لله فما قدروا الله حق قدره
فانه لا يكون الخلط والغش والعيوب الا في دين من لا يقدر
الله حق قدره فاما امرؤ يستيقن ان الله يحصي على بني ادم
كما قال لا يعزب عنه مثقال ذرة وان كان مثقال حبة من
خردل اتينا بها ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجويهم بلى
فافهم ما قال الله حين امر بالعبادة الخالصة والدين الخالص
ثم جمع ايضا الدين كله فقال الا لله الدين الخالص يؤذن الله
بذلك تاديبنا كانه لا يريد ان يكون له من الدين ما ليس بخالص
فان الله اهل ذلك وبمنزلة ذلك في العلا والعزة والقدرة
والغنا لا يغيب عنه شي ولا يشترك منه شي ولكنه يطلع
على عورتك بالحلم الذي خلق به قلبك ويحصي عملك بالعلم

الذي به خلق عقلك ويعلم ما اخفيت بالحكمة التي بها خلق سريرتك
واعلم ان خلقه لذلك منك اعجب من علمه به وان كان ذلك عجبا فلا
تغترن بشي من المخادعة في دين الله واعلم ان الله هو للمخادع له
اشد مقتا منه للرجل الغشوم وان كان كليهما مسيئين وان الغشوم
يغشم من قلة العلم وان المخادع يظن انه يغلب بعلمه علم علام الغيوب
وذلك حين تهاون بامر الله ۞ فاخلص طاعة الله بسريرة
ناصحة يصدق الله بها فعلك في العلانية فان من عمل خيرا ثم اسره
الى الله فقد اصاب موضعه وابلغه قراره وان من اسر عملا
صالحا لم يطلع عليه احد الا الله فقد اطلع عليه من هو حسبه و
استودعه حفيظا لا يضيع اجره ولا يخاف على عمل صالح
اسره الى الله ضياعا ولا يخاف ظلمه ولا هضمه ولا
تظن ان العلانية هي انجح من السريرة فان العلانية مع
السريرة الصالحة كما ينفع الشجرة صلاح فرعها مع
عروقها ان كان حياتها من قبل عروقها فان فرعها زينتها و
جمالها وان كانت السريرة هي ملاك الدين فان العلانية
معها تزين الدين وتجمله اذا عملها مومن لا يريد الا رضا ربه ۞
ايها المريد ان كنت مريدا فات الامر من وجهه تصب ارادتك
قال من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه اعلم ان

اصل الاخلاص ذكر الله بالقلب ذكرا دائما طريا ابدا كانك تنظر
اليه في قدرته وقربه وقدسه تريه ببصير بقلبك اقرب اليك
من حبل الوريد وتريه ناظرا اليك كانه قصدك بالنظر
اليك من بين جميع خلقه فان نظره اليك نظر تام كامل لا يشغله
شيء عن ذلك فاذا كان قلبك كذلك سلمت من الافات واذا
زال عن ذلك وقعت في الاخطار وان كان طرفة عين قال
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم
ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون الخناس
الذي يوسوس في صدور الناس قال اذا ذكر الرحمن خنس و
اذا ترك ذكره انبسط على القلب يوحي ويوسوس ولا
قوة الا بالله ۝ ايها الغافل انما يشق عليك الصدق لانك
جفوته على كثرة بره وجفوته على جلال قدره و
ازريت به على ارتفاع شانه فعوقبت بذلك وانتصر
منك وعسر عليك وحبسك في سجن الكذب وضيقه
وضنكه وبؤسه وعذابه فليكثر عنايتك واهتمامك
وحزنك وتضرعك الى ربك في ان يخلصك من غوائل
الكذب ويعفو عنك ويردك الى روح الصدق فانه
قريب مجيب ۝ اذكر يوم تساق الى ربك وليس لك

عنده شفيع ولا معين الا صدقك واذكر حين توضع
موازينك ولا يثقلها الا صدقك ولا يخففها الا كذبك
واذكر مرورك على الصراط ولا يثبتك عليه الا صدقك
ولا يلبثك فيه الا كذبك وكانك بهذا كله قد عاينت و
ايقنت وحضرت وشهدت وذهلت عما انت فيه
يومك كانه لم يكن قط وكان الذي تستقبل به لم تزل فيه
منذ كنت فان كنت تريد رضا ربك فان رضاه كله في
الصدق وان كنت تريد منفعة لنفسك عاجلا واجلا
فكلها في الصدق وليس ساع يسعى وراء هاذين الا
هو هالك ۝ او ما تتوق نفسك الى منازل من ذكر لك
من الماضين والباقين من اهل الصدق وشرفهم وعزهم
وفخرهم وروحهم وراحتهم وغناهم وملكهم ونصرهم
وفلجهم عاجلا واجلا فلا ترض لنفسك دون منزلهم
اذ لم تقنط ولم تويس منها وانك ان طلبت منها ذلك
طلبت الى كريم قادر لا يخيبك فيما التمسته ولا يفدحه
ولا يؤوده ويلين لك ما استصعب عليك ويقرب لك
ما بعد منك ويؤتيك ما لم يخطر ببالك ولم تبلغه امنيتك

بقدرته وكرمه ثم تحمدك عليه ويثني عليك ويباهي بك ٥ او ما ترهب
نفسك وترتاح من منازل من ذكر لك من الماضين والباقين من اهل
الكذب وخساستهم وذلهم وحقارتهم وهوانهم وكربهم وفقرهم و
عذابهم وخذلانهم عاجلا واجلا فلا تامن على نفسك منازلهم اذلهم
ثم وانك ان طلبت ذلك طلبت الى نفس لئيمة عاجزة غادرة
ماكرة معطبة متلفة لا تقدر على نجاحك وخلاصك ولا تتوانى في
تلفك ودمارك طاقتها لم يبعد عليك القريب وتوعر لك السهل
وتقحمك امواجا لم تحتسبها ثم تذمك عليه عندك وتتبرأ منك اللهم
سلمنا ايها البائس المسكين انظر الى نفسك ومسكنتك وارحم
نفسك وارفق بها عن هلاكها ولا تعنها على عطبها واكثر
تضرعك الى من بيده ملكوتها تقلبها كيف يشاء وليشغلك خوف
احسانك ان يكون مكرا لك او مدخولا بما لا يرضاه ربك او خذلانا
لك في العاقبة عن قصدك لاسائتك وارغامك لربك الذي خلقك
فسواك وعلمك وهداك ورباك وغذاك بالوان النعم صغيرا
وكبيرا وكان قادرا على ان يعوضك من علمك جهلا ومن هداك
ضلالة ومن عافيتك بلاء كما انت قدرته في ذلك على كثير من
خلقه فاختار لك بفضله ما هو ارفق بك وادنى لك واجدى
عليك ثم عرف لك حرمتك من غير استحقاق منك ذلك بشيء

كان منك وجعل لك منزلة وقدرا وخطرا ان احسنت اعانك
اذا كنت مريدا وان اسأت غفر لك اذا كنت كارها نادما ثم اظهر
احسانك وستر اساءتك فمن اقام عبادته لم يرض منه دون ان يستر
عليك عيوبك ويغفر لك ذنوبك ويواسيك ويعينك ويكف
عنك شره واذاه ويرحمك ويتعطف عليك فان لم يفعل ذلك
رد عليه عبادته وازال عنه نعمته وان فعل ذلك بك رضي عنه وارضاه
واكرمه وحباه اكراما لك وخصومه عنك ومناضله دونك و
حفاظا عليك اخدم لك الارض وما عليها والسماء وما فيها ثم قام
يدفع آفات ما فيها عنك اذ كانت محيطة بك ومشرفة
عليك ومقبلة اليك قد حشيت داركه بها ثم خاصم عنك
ملائكته حين عيروك وارادوا تلفك حتى ابتلاهم من ابتلك من السماء
بالذنوب والعيوب وركوب الشهوات والتعليق من
عقوبته فيك وردا عنك وسخر الاخرين للاستغفار لك والرفق
بك والله لو فعل ذلك بعض مملوك ذلك لكان يرجوك ويخافك ويفتقر
اليها في يديك لكان يستوجب عليك البر والكرامة والتعظيم والتشريف
والايثار فكيف يا غافلا اذا فعل بك ذلك سيدك الذي لا يخافك
ولا يرجوك ولا يفتقر اليك لو عرفته ما كثرت حاجتك
الى كثرة الوعد والوعيد وما اقل ما يغني عنك الوعد والوعيد
دون معرفته والصدق له ما اظنك تنتفع بما تسمع وتقرأ

اكثر من استجلابك بقلبك واقرارك بلسانك وتحببك من حلمه متقنه
ان لم يكن له عمل ثابت وانتباه ثاقب وهذه كلها اسباب الغرور
اذا لم يكن معها انتباه وعقل وبالله التوفيق ٥ اللهم كل خلقك ضعفا
مضطرون اليك فاستغرق قطرات جهلهم في بحور حلمك الذي
لا تدرك قعرها ولا تبلغ حدها وتغمد هفوات ذنوبهم
بستور عفوك الذي لا يدرك مقدار كثافتها وحصانتها و
اعنهم بجودك على ما سالتهم وكلفهم على ما عرفت من ضعفهم يا قوي
يا عزيز فان الانفس اليك مضطرة والقلوب اليك والهة والعيون
اليك شاخصة والايدي اليك شائلة والصدور اليك مائلة فان
الموفق بيدك ولك الحمد على ما انعمت وعلمت من ذلك رب
العالمين ٥ وقال بعض الحكماء لا تطمع في السهر مع الشبع ولا
تطمع في الحزن مع كثرة الطرب ولا تطمع في الخوف مع الرغبة
ولا تطمع في الانس بالله مع الانس بالمخلوقين ولا تطمع في الفكرة
مع تفرق القلب في اودية الاموال ولا تطمع في الهام الحكمة مع
الرياسة ولا تامن الخدعة في الالهام مع ترك التقوى ولا
تطمع في صحة امورك مع مخالطة الظلمة ولا تطمع في
حب الله مع حب المال والشرف ولا تطمع في لين القلب مع
الجفا لليتيم والارملة والمساكين ولا تطمع في رحمة الله مع
ترك الرحمة للمخلوقين ولا تطمع في الرشد مع ترك مجالسة

العلما ولا تطمع في الحب في الله مع الطمع وحب المحمدة و
التكرمة ولا تطمع في الورع مع الحرص على الدنيا ولا تطمع في
القناعة والرضا مع قلة الورع ٥ ان الذي يصح عقله وصفا
عقد معرفته اذا اتاه العز عند الخلق عفوا من غير طلب هاله
ذلك وافزعه وخاف بوائقه وخشي ان يكون ذلك نصيبه من
جزاء السماء او ان يحمله ذلك على التكبر والتجبر والتطاول والافات
وفر منه اذ ادنى من اقرب المنازل الى العبودية الذل وتكلف
للمسو ويمنا او يتكلف ما لم ياته من العز ولكن الشان في صحة
العقل وصفا المعرفة على توفيق الله ٥ واعلم يقينا ان الذي
ثبت له عند خالقه قدر في السماء لا يطلب قدرا ومنزلة عند
غيره والطالب لذلك لا يطلبه الا بقدر ما سقط من قدره ومنزلته
في السماء على قدر ذلك يطلب في الارض من المنزلة والقدر عند الخلق ٥
وقد جعل الله للامور اسبابا ودانت اقرب الاسباب الى الصدق
واعون الاشيا عليه وامسك الاشيا له ثلثة اشيا كاد ان يجتمع
الصدق كله فيها او قد اجتمع باذن الله احدها ذكر الله دائم في
القلب يباشره مباشرة كانه جل جلاله نصب عينك وانت
ناظر اليه في جميع احوالك كما قال اعبد الله كانك تراه ٥
والثاني لسان صموت لا يكاد ينطق الا عند ما يخاف العقاب
على السكوت فاذا نطق فكانما يخاطب ربه ويحاوره وذلك
بقلبه ٥ والثالث جسد خامل لا يكاد يعرف فاذا عرف

اخمل امره حتى لا يكاد يطلع على امره ٥ في الصدق وشرف منزلته :
واعلم ان الصدق ابعد الاشيا كلها مطلبا واعز الاعمال كلها وجودا
وذلك لعظم خطره وشرف منزلته وارتفاعه على سائر الامور فانه ملك
الخيرات كلها وامام البر كله فان فوق كل بر برا وفوق كل عمل
عملا وليس فوق الصدق الا الله وحده فان منزلة الصدق من الاعمال
منزلة الخليفة من الرعية والعمال فان الوصول الى العمال الف مرة
اهون من الوصول الى الخليفة مرة ولكن من وصل اليه وصار له عنده
منزلة وخصوصية كان له من تحت يده وذل له من دونه واجتمع له
الملك الجليل ولا يكاد يصح الصدق ويصفو الا على قدر صحة المعرفة
وصفائها وشدة اليقين وثباته والله المستعان ٥
عبد النفس عبد الدنيا والخلق ٥ عبد الرب سيد الدنيا والخلق بعد
الله ٥ لا تنظر الى غير الله لا يتول رياضتك غير الله ٥ لا تعبد غير
الله لا يستعبدك شيء سوى الله ٥ لا تطمع في غير الله لا يطمع فيك
غير الله ٥ لا تستعمل حركاتك لغير الله لا يستعملك غير الله ٥ لا تنس
جلال الله لا تزل جليلا بالله ٥ لا تغفل قدرة الله تكن قادرا بالله ٥
كن ناصحا لله تكن اماما لا وليا لله ٥ اخلص كل امرك لله تخلص
لك كل معونة الله ٥ انصر حقوق الله ينصرك الله ٥ لا تعظم
عليك المكاره في ذات الله يعظم على الله تسهيله لك الصعاب ٥ ان
تكرمت له فايقن بانه اكرم منك لك ٥ وان احتملت له فايقن بانه

منك لك اجمل ٥ وان نظرت له فايقن بانه انظر منك اليك ٥
وان صفوت له فايقن بانه اصفى لك منك ٥ وان اخلصت له
فايقن بانه اخلص منك لك ٥ وان بذلت له فايقن بانه ابذل منك لك ٥
وان جمعت له فايقن بانه اجمع منك لك ٥ وان حفظت عليه
فايقن بانه احفظ منك عليك ٥ وان دنوت منه فايقن بانه ادنا
منك اليك ٥ ملك من ملوك الدنيا يكره ان يساويك في مكافاته
برك ويانف من ذلك حتى يفضلك على قدره وخطره تكلف بملك
الملوك ٥ انت فقير الى الله فيما منك اليه وفيما منه اليك وهو غني عنك
فيما منك اليه وفيما منه اليك ٥ كيف اذا وهمتك نفسك ان تصفو
منزلتك عنده من غير ان تصفو له كل هواك في جلاله وقدسه
وانت في جفارتك وبذا لك لا تصفو عندك منزلة من لم تر انه قد
صفا لك كل هواه قد جعل ذلك حجة عليك ودليلا عليه وعلى
امره وقد ضرب في نحو ذلك مثلا لعباده فقال ولا تيمموا
الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه فقال
انت لا تقبل دون حقك الاعلى الا اغماض والكره فكيف ترضون
لي ما لا ترضون لانفسكم ٥ الايثار على الله من الجهل بالله و
الجهل بالله من الميل عن الله والميل عن الله من الجهل بالله فالجاهل
به مائل عنه وبالميل عنه ازداد جهلا به ٥ والايثار لله من المعرفة
لله والعلم بالله والعلم بالله من الايثار لله عرف الله فاثره واثره

وازداد علما به وما اقل كثير علم العالمين بالله في قليل علم الله ولا قليل
منه وما اصغر جليل تعظيم المعظمين لله في يسير عظمة الله ولا يسير منها فان
والحلق خوطبوا وراء حجاب النور الجليل على قدر ما هم عليه من ضعف
التركيب ولم يحملوا اكثر مما حملت طاقتهم الضعيفة والفهم
السخيفة فكان يكون ذلك موديا بهم الى ما وراءه مما دعوا الله مثل الاطفال
والبهائم لا يخاطبون الا بنحو طبعهم والفهم ولو ارتفع الحجاب لما
احتملوه ولا اطاقوه ليكون الامور لئلا بعضها على بعض بحكمة
احكم الحاكمين وصلى الله على محمد وعلى جميع النبيين والمرسلين تم كتاب الصدق والاخلاص

قال الشيخ العارف ابو الحسن الرستغفني رحمه الله وكان المشايخ الشعار به لا يأتي له الصدق الا بعد الموطن الصبر على مكروه
النفس لا من حال قلبه الى نفسه من جهة الموافقة لا الشي وانجية الصدق لا نجح الصدق وان يكون لله عبدا احقا فاذا مال هذا الى
نفسه صار لنفسه دون الله وهذا اصل كالخلاف في الكبد ومن الله عز وجل ان عمل الى نفسه فضيع الا من طلبا الا حتيا
و من يكسب الى نفسها و تعادي اولياء الله حمية لها و ترد قضاء الله اذا لم يوافق هواها موافقة لها ولهذا قال ابو بكر الوراق رحمه الله
ان المكروه عش الصدق واقه وابوه اي مكروه النفس ما لم يخالف النفس وابعادها الا امكنه الصدق فيما هو فيه وهذا
كما قيل في حكاية انه قيل لابي يزيد ابن تعسكر ونعالد والى هذا الشار مولد نعلى واما حاو معاهم الرهم النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى
فالمحنة في الدنيا الصدق والرضى في العقبى النعيم والرضا وقوله ... الذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون ... حقق ايمانه بالله
بتفرده لله وحققوا ايمانه برسول الله بتجرده عما سوى الله فهو صديق لله حقا وقوله عليه السلام اصدق فيلا ان العجب اي اصدق مع
الله قليلا فدار البلوى مع النعيم ... وصدقه انقطاعه عما سوى الله لله فصل الى الله بالله ولا حول ولا قوة الا بالله
مطية المومن الى انه لا يصل العبد الى الله الا بالصدق

فصل في المعرفة قال رحمه الله قال الله تعالى لنبيه عليه
السلام فاعلم انه لا اله الا الله وقال عز وجل ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوا الله حق معرفته وقال
النبي عليه السلام لو عرفتم الله حق معرفته لزالت الجبال بدعائكم وقال الشيخ ابو القاسم رحمه الله
المعرفة علم الاشيا باعيانها والعلم معرفة الاشيا بحقائقها فالمعرفة فرض لازم على كل عاقل
بالغ وهو ان يعرف كل عاقل انه بذاته محدث وان له محدثا احدثه على ما شاء ومحدثه لا يشبهه بوجه وهو
ما قال النبي عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال ابو بكر الوراق وهو انه اذا نظر في نفسه راها
مكونة من قطرة ماء مهين ثم من دم ثم من مضغة ثم من علقة واي صورة بدل استدل على حكمة صانعه علم
يقينا ان له خالقا مصورا صوره ومدبرا دبره على ما اراد وقال غيره اذا نظر العاقل في نفسه رآه
عاجزا موجودا بعد عدمها فيعلم انه لم يحدث نفسه ولا ظهر بالتحدث علم يقينا ان احدثه غيره ثم

علم ان محدثه لو كان محدثا مثله لاحتاج الى محدث يحدثه فعلم يقينا ان محدثه قديم ازلي
لا ابتداء له ثم راى نفسه اجزاء مؤلفة محتاج بعضها الى بعض علم يقينا ان محدثه ليس بذي
اجزاء ولما نظر في نفسه راى جسما يركب فيه الروح فيحيى به علم ان محدثه ليس بجسم ولا ذي
روح مركب فيه كالاحيا بل هو حي بذاته ولما راى نفسه محلا للاعراض والحوادث وهي
مضطرة اليها علم ان محدثه ليس بمحل للاعراض والحوادث ولما نظر في الاشيا وراها صنما
او جوهرا او عرضا او خيالا علم ان محدث هذه الاشيا ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا
خيال وراى نفسه ساكنا متحركا متمكنا مستقلا علم يقينا ان محدثه لا يوصف بحركة ولا سكون ولا
تمكن ولا استقلال وراى نفسه متغيرا متحولا من حال الى حال علم يقينا ان محدثه لا تعتريه التغير
ولا الانتقال من حال الى حال وراى نفسه محتاجا وكل ذلك في الرحمة يقوم ... علم يقينا
ان محدثه ... جميع ... جميع ... ثم ... لا يبصر ولا
يبصره ... ويسمع باذنه ولا ... بلسانه ولا
... من ... واحل من ان يحاط
به علما ... الابصار وهو يدرك الابصار ... لا يدرك الابصار ... وقال ولا
يحيطون به علما وكيف يحيط به علما والعالم ... ان ... العقل
اذا كان ... اوصافه ... ثم ... الشمس
... لا ... بان المعرفة فعل العارف وحلو لله عز وجل يطهر من العارف بنور قلبه و
هدايته ... اذا ... على عبد من عبيده وخصه بمعرفته نور قلبه بنور
الهداية فيبصر قلبه بصيرا انه لولا النور قابلا لمعرفة الله تعالى اياه نفسه فعرفه
بما عرفه به نفسه فعرفه بتعريفه انه موجود لا من علة كسائر الموجودات وانه
واحد لا بوسيلة كسائر الآحاد فعرفه معرفة بلا ادراك بل يقف على قدر ما عرفه
ربه مع علمه انه كما وصف به نفسه لا يشبه شيئا من خلقه فيقبله من الله تعالى قبول
طائع مستسلم لربه وينزهه عن دركه واحاطته ويسلم الى الله عز وجل ويسلم عند ذلك عز
لربه ومن جاوز هذا الحد في المعرفة اداه ذلك الى الزندقة والالحاد كما قال الله تعالى ان الذين
يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون والالحاد في اسماء الله تعالى ان يعارفها فكره ليحيط
بها فاذا فعل ذلك لا يخلو من احد امرين اما ان يصور في وهمه شيئا فيعبد انه هو وهو لا يعقله
في الاوهام فيصير بذلك زنديقا او ينصرف من هذه الحالة شاكا ضالا فيصير الى التعطيل ثم
من عرف الله بالملك والغنى استغنى به ومن عرف الله بالقرب استحيا منه ومن عرف الله
بالاحسان احبه ومن عرف الله بالفضل احمده وطاعه شكرا ومن عرف الله بالعدل خاف

منه وعمل من عرف الله بالقدرة قدر ومن آمن بالقدر صبر وهذا يرجع الى النفس بعد
صحة الاعتقاد وبصحة الاعتقاد يكون مؤمنا وبصفو المعاملة من طريق الاحوال
يكون عارفا فالناس يتفاوتون في الاحوال ويتفاوتون في الاحوال والايقاع في الدرجات
على قدر الاحوال كما قال ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات وقوله عز وجل فاعلم انه لا اله
الا الله اي فاعرف ان لا اله لمدبر الامور ويتولاها الا الله ولا شريك في هذا ان الله تعالى
امره بالعلم وهو كان عالما معناه تمسك بعلمك انه لا اله الا الله قال سهل بن عبد الله كان متمسكا
به قيل معناه اطلب التثبت قال من يثبت تثبت بتثبيت الله عز وجل وبحث هذا الخطاب
تعليم الامة كما علمهم في الفاتحة بقوله اهدنا الصراط المستقيم بعد ما هداهم اي ثبتنا على الصراط
المستقيم الذي هديتنا اليه وكما قال عز وجل يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة
الدنيا وفي الاخرة اخبار ان من ثبت على كلمة الاخلاص في الدارين فبتثبيت الله اياه ثبت
وقوله وما قدروا الله حق قدره حيث وصفوه بصفة خلقه او شبهوه بشيء من خلقه او
اعبدوا اشيا دونه وقد اخبرهم انه لا يملك الضر والنفع احد دونه فانت مطالب
بالصدق كما انك مطالب بالتصديق واذا صدقت دخلت في ميدان العارفين واذا
حققت دخلت مرتبة المستقيمين وانك مامور بالاستقامة في كل شيء من اصول دينك وفروعه
وقوله عليه السلام لو عرفتم الله حق معرفته الخبر اي لو تحققتم في معرفتكم لرفع الله
عنكم حتى لو سالتم الله ان يزيل الجبال لازالها بدعائكم وهذا معنى ما قيل من عبد الله
بالخطرات قضيت حوائجه بالخطرات ومن عبد الله بصدق الافتقار سخر له كل
اعمال الثقلين اي جاوز قدره اعمال الثقلين وجملة هذا يرجع الى حرف وهو انك عرفت
نفسك عبدا كما انك عرفت خالقك ربا فكما ان ربوبيته منزهة عن ان يمازجه شيء من
العبودية كذلك تحتاج ان يكون عبوديتك منزهة عن شوب يخالف العبودية والعبودية
الذلة والاذعان لله تعالى وهو ان يكون له فردا لا اشرك فيك احد غيره ولا تنظر
قلبك الى احد سواه ولا تعتمد احدا دونه ثم تكون ارادتك لله تعالى في كل ما تاتي وتذر
وتكون في ذلك مقتفيا اثر الرسول عليه السلام في كل نفس فاذا صح منك ذلك اكرمك
الله تعالى بالبصيرة فاراك من عجائب صنعه ولطائف بره ما يعجز المخلوق عن وصفه
ولا يحيط به علما غيره وذلك وعد من الله تعالى لمتبع نبيه عليه السلام قل هذه سبيلي
ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني قال وكان شيخنا ابو الحسن الغادي

يقول همه را اصل بهار فتن است وراه دين ديدني است قال وكان يحكي عن الشيخ
الحكيم هر شهادتي كه ورا مشاهدت نيست ورا از شهادت جز
دوري نيست وان مشاهدت ديدار است وهو ثمرة الاستقامة ولا استقامة
حقيقة المتابعة وصفو المعرفة وصدق الافتقار في كل نفس وبالله التوفيق

فصل في الصدق قال رحمه الله قال الله عز وجل ليسال الصادقين عن صدقهم و
قال قال الله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال من المؤمنين رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه وقال عز وجل انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله الى ان قال اولئك
هم الصادقون وقال اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين قال والذين امنوا
بالله ورسوله اولئك هم الصديقون ثم قال النبي عليه السلام اصدق فلهذا نرى العجب و
قال الصدق مطية المؤمن وقال عليه السلام الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى
الجنة والكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وقال ابو بكر الوراق المكروه
غش الصدق وامه وابوه ثم فر من المكروه فكانما فر من الحق والصدق للمؤمن بمنزلة
الروح للجسد به يحيى فيحيوه قلب المؤمن بالصدق ومن لا صدق له فلا حيوة
لقلبه وقال عز وجل اومن كان ميتا فاحييناه قيل في التفسير كان ميتا بالكفر
فاحييناه بالايمان والصدق اصل الايمان اي فاحيينا قلبه بالصدق ومنه المصدق
والمنافق لا صدق له فلا ثمرة لاقراره ومثله مثل خشب لا عرق له في الارض ليحيى
به وينمو كما قال تعالى كانهم خشب مسندة لا حيوة فيها فاول الصدق بالعقد
وهو تصديق ما اقر به ثم في الفعل فيوافق فعله عقده فيسمى به صادقا كما قال
انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في
سبيل الله اخبر عن موافقة افعالهم اعتقادهم ثم قال اولئك هم الصادقون واخبر ان
الصادق من وافق افعاله اعتقاده ومن وافق احواله اعتقاده بعد افعاله فهو
صديق لان الصديق على وزن فعيل ويستعمل هذا اللفظ في الغلبة والكثرة يقال رجل
شريب اذا كان مدمنا للشرب ورجل سكيت اذا كان دائم السكوت فالصديق من
كان صادقا في افعاله واحواله واعتقاده فالصدق في الاعتقاد ان يعتقد ما امر
باعتقاده من غير تمثيل ولا تعطيل والصدق في افعاله ان يكون عزمه في افعاله لله
خالصا وظاهر افعاله يكون للسنة موافقا ثم يكون فيها خائفا من تقصيره راجيا

[illegible]

فيها فضل ربه ان يقبل منه فضلا كما وفقه فضلا وصدقه في احواله ان لا يشوب
احواله كا نضادها مثل ان يخاف الله خوفا لا يشوبه قنوط ثم لا يخاف سوى الله مع الله
الاخوف تسليط ثم لا يركن الى خوفه بل يخاف فيه صدقه في خوفه وكذلك في كل حال
من احوال قلبه على هذا النمط ثم يحتاج الى الصدق صدقه كما يحتاج الى صدقه وهو ان
يرى صدقه هبة من الله تعالى له ولا يرى صدقه منة الى الله وقوله ليسال الصادقين
عن صدقهم الى هذا المعنى يرجع وان قالوا فيه ان معناه ليسال المؤمنين عن ايمانهم و
الموحدين عن توحيدهم فالى هذا المعنى يرجع هل صدقوا في صدقهم ام لا وهل استقاموا
في صدقهم ام لا فاستقامته في صدقه ان يكون صدقه لله لا لمطالبة عوض وان يكون
صدقه بالله لا بنفسه ان يعنيه ليس بمحل للصدق وصدقه في صدقه ان يرى هذه
المنة من الله تعالى عليه في صدقه ويكون رهين شكره في هذه المنة العظيمة فينتج
ويثمر ثمره يخاف فله صدقه في صدقه فينزع الى الله تعالى فيتهلل من قبله صدقه
فاذا استقام في الصدق تكرم بالاخلاق الجميلة المرضية عند الله عز وجل حسب
ما طالع من معاني صفات الله عز وجل فاذا طالع صفة الرحمة صار رحيما واذا طالع
صفة الاحسان صار محسنا واذا طالع صفة الكرم صار كريما واذا طالع صفة الحلم
صار حليما واذا طالع صفة الغفران صار متجاوزا واذا طالع صفة البر صار بارا
فتكرم بهذه الكرامات زيادة على تلك المقامات فهو الصديق حقا وهذه ثمرة الصدق
في الدنيا الوارث في العقبى الا انه لا يتاتى له الصدق الا بعد ان يوطن على الصبر على مكروه الستر [illegible] الكاف المعرفة

قال ابو بكر محمد رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب امرئ ابصر فقره الى ربه فطلب العناية في اسباب ما ظهر عنده من
الدلائل عليه فاستظهر بتاليف ما عنده من العلم على ما فيه من الجهل غير داع الى
غيره ولا منازع بمن ضاده عند ما استبان له الحق وابصر شدة حاجته اليه
فقد قصدت الكتاب ايتها النفس بالدعاء اليه وبالله استعين على حسن الاجابة
والتسمح بمنازعة غيرك اليه دون اقتصارك عليه ٥ اللهم بك اعيذها
من جفائها وتفضلك اجيرها من سخافتها انك ذو الفضل العظيم ٥

[illegible]

اني لما رايت الاشياء كلها اصولا نقيمها واساسا تحملها نظرت الى الزم الاشياء
لك ايتها النفس واجدها عليك واولاها بك فرايت ذلك دينك الذي لا بد
الذي شرع لك ورايت قوام امورك كلها به لا تستغني بشيء من امورك
عنه طرفة عين كما ان قوام اركانك كلها بالروح ثم نظرت الى اصل ذلك الذي
تقيمه واساسه الذي يحمله فوجدت ذلك معرفة ربك اذ لا اصل سواه
ولا اساس دونه ثم اني رايت في الاصول تفاوتا وتفاضلا كما في الفروع
ورايت قوة الفروع بقوة الاصل فاضطرتني الحاجة الى تقوية هذا الاصل
غاية الطمع [deleted] وتوقي ضعفه غاية الجهد اذ رايت لا تحمل عاجل
واجل غير هذا الاصل وعلى قدر قوته تكون قوة امورك كلها وعلى قدر
ضعفه تضعف امورك كلها فجمعت من بعض دلائل ذلك في هذا الكتاب
من الامر الوسط الذي يرتفع عن الضعف ويرقى الى ما هو اعلى واقوى
اصلب وارسخ مما لم ارسمه في الكتاب وبالله التوفيق والعصمة ٥
رايت هذا الاصل من المعرفة اضيع من كل ضائع في زماني ولذلك ضاع
ما وراءه من الامور والاعمال والاحوال حتى صارت ضعيفة سخيفة
واهية كدرة مظلمة مختلطة ملتبسة مدخولة صعبة شديدة ممتنعة
وذلك ان الساعي انما يسعى للامور والاعمال ويريد احكامها مع تضييع
هذا الاصل ويظن انه قد استحكم له هذا الاصل والتام وكمل وانما يحتاج
الى احكام الفرع وذلك من خدع الشيطان وضعف العقول ودروس
الحق وطموس الاعلام والعلام فيما ارى والله اعلم ٥
ولو علم المخدوع ان الذي اصاب من ذلك قليل غير كثير وناقص غير تام و
ضعيف غير قوي ومضطرب غير ثابت واختبر نفسه بمحنة دقيقة
لطيفة في باطنه وضميره ونوائبه واحواله وعرف معيار ذلك

وحقداره وميزانه ثم عايره بمعياره وقدّره بمقداره ووزنه بميزانه واختبره
بامتحانه لعله كان يستبين قلة ذلك وضعفه ووهنه واضطرابه وتخلطه و
عرف ان ما يكابد من اعمال البر والصدق والورع واحكام الاخلاق و
الطبائع ويمتنع ذلك عليه امتناعا شديدا وان كان ارتفع له من ذلك في
وقت انهدم في وقت اخر وانهار وانفسخ وما بنى من جانب انثلم من
جانب اخر وما استبان له من وجه خفي عليه بعد ذلك وخفي عليه وجه غير
ذلك ان كل ذلك من فساد الاصل وضعف الاساس وكيف وهو لا يقدر
ان يؤمن بذلك ويصدق به ان حكي له وان اقر به لم يعلم كيف يقصد له او
يتدرك فيه او يطلبه وقد ذكر عن محمد بن ادريس قال حدثنا محمد بن ابي الحواري
عن عباد قال سمعت عبد الله بن عبيد يقول الزهد الايمان ٥ قال محمد فقلت
لمحمد ما تفسير هذا فذكر لي حديث بقيه اذا كان الايمان في شغاف القلب
احب العبد الدنيا واردها واذا دخل سويداء القلب لم يحب الدنيا و
لم يردها ٥ وذكر ابرهيم بن عبد الله عن عوث بن جابر عن عقيل بن معقل
عن وهب بن منبه قال اذا كان لصاحب الدين ايمان صلحت اخلاقه كلها
واذا ضعف الايمان ضعف الدين كله واذا وهب الله للعبد الايمان
واذن له به لم يقدره الايمان في شيء من معصيه الله ولم يوثر شيا على
طاعه الله لما قد امن به من وعد الله ووعيده وكل الذي اخبرنا عن نفسه
واذا اصلح العبد ذلك كله استوجب بذلك ما وعد الله المومنين الذين
صبروا في طاعة الله قال لنبوئنهم في الدنيا حسنه ولاجر الاخره اكبر
لو كانوا يعلمون فاعتبري ايتها النفس بهذا الوصف ومما استبان لك من
تضييع هذا الاصل واحذري هذه المنزله بعد ما رايت واقررت به وارغبي
الى الله في ان يمن عليك باحكام هذا الاصل ولا تياسي منه

بعد ما من عليك بمعرفته ازكا وعظم شانه هذه المعرفة وتفرغي لهذا الاساس
فقد روى ابرهيم عن عوث عن عقيل عن وهب في حديث الحكيم قال له الفتى و
هو يحاوره ضع لي قواعده ثم اخبرني كيف اشرف عليه وباية ابدا
وباية اختم فبين لي ذلك كله وفصله لي : قال الشيخ ابدا بايمانك فاني رايته
وهنا ضعيفا قائده متردد وهو اليقين وسائقه كسلان وهو العمل
قال الحكيم اذا استقبلوا الذين نقضوا بنيان امور الدنيا وعزلوا اطلاله
ثم استقبلوا بنيان دين الحكمة فاسسوا قواعدها بالصخور الراسيه
التي هي روس اخلاق الدين الكاملات وهن الايمان بالله وملائكته وكتبه
ورسله ووعده ووعيده وقدرته وقيامه وحسابه وجنته وناره فهذه
الصخور التي من اسس بها حملت له ما حملها ٥ اخبرنا ابرهيم بن عبد الله قال اخبرنا
عوث بن جابر عن عقيل بن معقل عن وهب بن منبه قال يا بني اسس دينك بالايمان
وشيد بطنه ما حمله فان الايمان اذا كان وثيقا حمل البنيان كله ثم ابن عليه بالصلوه
الناصحه والزكوه الكامله والصوم الخالص ثم شرف بنيانك بالاحسان
الى الناس في الذي بينك وبينهم ثم استر على بنيانك بحلم تحيى لا ايبد وامن
تحت العوره ثم اقفل بابك بالصمت الا في شيء من الحديث ينفعك ثم
اجعل مفتاح قفلك طاعة الله بها تفتح وبها تغلق فاذا فعلت ذلك
فقد بنيت لك حصنا تحرز لك ما وضعت فيه من دينك اذا نظر اليه
عدوك يئس منه وراى انه لا يرام بابك ولا يستطاع شيء مما في
حصنك ثم تعاهد بنيانك تعاهدا حصيفا لا تنقبه الذنوب فان
الذنب الواحد يخرق الدين ويفسده على صاحبه كما تفسد الحصين
على اهله اذا نال العدو منه خرق باب واحد ٥ قال فان مثل الايمان
في صدر العبد اذا اخلصه واستقام له كمثل اليعسوب للنحل ما

ما استقام لها في سنها ولم تتبع غيرها لانزل الله في الارض ويكسب له
وتجمع جهدها من كل الثمرات ثم ياتيه به عسلا صافيا قد كفته عناه واذا
استقام للنحل بعسوبها وبيتها وصبر مكانه جمعت عليه من كل مكان
وعمرت بيته واصلحت معيشته واذا هلك يعسوب النحل خرب
بيتها وتفرق جمعها وانقطع معيشتها وبين فيها هنالك كل الهلكه
وكذلك الايمان اذا استقام وخلص في قلب العبد وصبر مكانه جاته
المنافع من كل مكان لا يدوق نصب ذلك ولا عناه واذا هلك الايمان
خرب القلب وانقطعت المنافع وتفرقت الاخلاق الصالحة ثم
لا تسل احدا عن هلاكه ذلك فانه يهلك اسوا الهلكه قال ومثل
الايمان اذا اذن الله للعبد ووهبه له كمثل نهر ظهر في صعيد من الارض
كان ميتا قبله فلما ظهر عليه النهر وشرب الصعيد منه احيا الماء ما كان
منه ميتا واحدث فيه ما لم يكن قبله واحدث الصعيد من النبات والهيئة
ما لم يكن يرا منه ولا يعرف له وانبت الثمار والزرع والريحان واحيا الماء
وطيب ريحه وطعمه وذكر منه ما كان منسيا وعرف منه ما لم يكن
يعرف وحوله الماء واحسن زينته وكذلك الايمان اذا اذن الله به
للعبد ودخل قلبه احيا الله به ما كان منه ميتا واصلح اخلاقه ودينه وذكر
منه ما كان منسيا وعرف ما لم يكن يطران يعرفه وحوله الايمان و
احدث له رايا غير رايه وزينه واكثر جماله وصرف هواه وقلب
قلبه وجعله رجلا كاملا بعد ما كان كالبهيمة فمن وهب الله له
الايمان فقد وهب له الموهبة الكاملة فان الايمان بالله يصلح العبد
افضل ما يصلح الماء من الارض الميته يا بني فسل الله الايمان واعلم
انها مسله تجمع الخير كله فاذا وهب الله الايمان للعبد فقد

وهب له ما يصلح اخلاقه ودينه فاذا اصلح اخلاقه ودينه استوجب
بذلك على الله افضل الكرامه فاستعن بالله واحذر البلاء والفتنة ولا
يذهبن بك تصرف الدنيا باهلها فانها تحول بهم في ساعة من نهار
او بعض ساعة ٥

رسالة لابي بكر الوراق رحمه الله الى بعض اخوانه ٥

اعلم ان عمارة القلب الفكرة وحصون البدن العزلة وغنا النفس
وروح الاعمال الاخلاص وعماد الامور الصبر ومطية العقل الوفاء والا
من تلك خصال من الارادة والتدبير والشغل فمن لم يكن ارادته من رضاه الرب و
شغله في احكام العمر اصبح خاسرا وامسى هالكا وهو لا يشعر واقرب الاشيا
عز وجل حفظ القلب واقرب الاشيا الى حفظ القلب حفظ النية واقرب
محاربة العدو مجاهدة النفس واقرب الاشيا الى مجاهدة النفس مجاهدة الاماني واقرب
الاشيا الى احكام العمر احكام ليلك الذي تمسي فيه ونهارك الذي تصبح فيه واقرب الاشيا الى احكام
اليوم والليلة احكام الساعة التي انت فيها فانظر ان تحكم في كل ساعة ما تحتاج الى احكامه
فبذلك يكون احكام عمرك وتجاهد شهواتك فبذلك يكون قهر اعدائك من الشياطين وتحفظ ارادتك
فبذلك تدرك مرضاة الرب تبارك وتعالى ومن كان هكذا اصبح سعيدا وامسى فائزا وكان حياته نورا
وفاته غبطة وسروراه ومن ضيع ساعته ضيع عمره ومن ضيع مجاهدة شهواته غلبه عدوه
ومن ضيع ارادته فاته مرضاه ربه والسلام ٥ لا ادري ما حالك واحب ان اعلم واستودعك
الله واستودعه دينك وامرك ٥



